

مَبْنَى الْمُؤْتُونَ
فِي شَرْحِ رِسَالَةِ زَيْدُونَ
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الصِّفْدِيِّ

تَحْقِيقُ

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الصِّفْدِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرح صدورنا بالإسلام ، وطرح عنا بالاستغفار أعباء
الآثام ، ومنح أصداف الأسماع درر الأدب الذي تقدّفه الأقلام .
نحمده على نعمه التي أكلت العود والعون ، وأجملت الصّول
والصّون ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة خيّمت بين
سُرادق العرش العظيم ، وتيّمت قلوب أهل التوحيد حتى مشوا سوياً على
مراطمها المستقيم ؛ وديّمت سحائبها على رياض الإيمان فأنبئت زهراً ناجماً
يُججل النجوم الزهر في الليل البهيم . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، الذي
بعثه الله إلى البشر بشيراً ونذيراً ، وأصبح غنيّ البلاغة إلى فقره فقيراً ،
وأمسى الخاملُ بالتّباع أثره أثيراً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
لا ترثي شُرُفاتُ مجدٍ إلى مجدٍ^(١) ، ولا يَفُقُ دَرْفُ طَرْفٍ^(٢) على مثل تحفهم في
الفصاحة ولا طَرْفهم ؛ ولا يرقم المادح أمانيه فيهم إلا سدّ فاه للداري سدّ فيهم ،
وسدّ فاه عن درر صدقهم ؛ صلاة غمامِ رضوانها تَسْفَح ، وحمائمُ غفرانها
تَصْدَح ، وكنائسُ إحسانها تَنْفَح ؛ ما أطرب المترل ، وأغرب المتوسّل ،
وتعطّف المتوصل ؛ وتلطف المتوصل ، ونلمّ تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن رسالة ابن زيدون التي كتبها لأبن جهور ، من الرسائل
الطماننة ، والخيال التي لا يدوى زهرها وحمائمُ غصونها بالتغريد رنّانة ،
والفضائل التي لا تزال محاسنها على من حاول معارضتها متنانة ، قد أبرزها
مُنشئها كالقمر ليلة تمامه ، وكالزهر المنخبوء في أكمامه ؛ أنعت من يجاريها
فما تشقّ الغبراء لها غباراً ، ولا يبيت داحس ذاحس في مباراتها فهو في

(١) ط : « شرفهم » .

(٢) الطرف ، بالكسر : الكرم الظرفين منا ، أو الكرم من الخيل .

أصله وفرعه يتماذى ويتمازى ، ولا يلك البرق المائق إذا سار على أثرها
إلا عثارا ؛ مشحونة بما فيها من الإشارات إلى الوقائع والأمثال ، وحل الأبيات
الأبيات في الأنقياد على الرجال ؛ تملط في الإنشاء غريب ، وحلاوة ألفاظ
ليس الضرب لها بصري ، وطلاوة هبارة ما ريب ، إنها تحلى الأجياد
والتريب . لم تر فيها من البلاغة ترفيها ، ولم تجد فيها لفظة تحويها ؛ إلا وهى
تنطق بالبلاغة أو توحىها ، ولم تنظر معانيها إلا وهى تطوى الحاسن وتوطئها .

لديها رياض لم تحكها سحابة وأغصان دوح لم تثن حمامة (١)
وفوق حواشى كل سطر يضئ من الدر سبط لم يثقبه فاطمة
تدل بما فيها على أن نثرها لأبلج لانيجان إلا عمامة
تقبل أفواه الشيوخ بساطة ويكبر عنها كفه وبراجمة
له عسكرا نظم وثر إذا رعى بها عسكرا لم يبق إلا جاجة
أهد مل ضوء الطرس مما يفده ومل سواد النفس مما يراحه
ومل فنا الإنشاء مما يدقها ومل حديد الشعر مما يلاطمه
فأبصرت بدرأ لا ترى البدر مثله وخاطبت بحرا لا ترى الدهر طامه

وما أوردتها على أحد إلا رفقت أعطافه ، وحنى من غصونها ما استلذ
قطافه ، وملككت حبة فليبه بما فيها من اللطافة ، وأجتنى منها محاسن السوالف
وأجتنى لذة الشلاقة ؛ وقال : هذا هو الأدب الذى ما شافه غيره (٢) أرشافه ،
وهذا هو الإنشاء الذى من ركب أعذافه تشافه (٣) ، وهذا هو النثر الذى
من حل ساحته قال : الضيافة الضيافة ! وهذا هو الترميل الذى من حط به
برحاله أنفل النوال بالتحف التحافه .

(١) للمتنبى ، ديوانه ٣ : ٢٢٥ - ٣٤٧ مع تصرف كبير في الألفاظ والأساليب .

(٢) ط : ه غيبه . (٣) ساقطة من ط .

ما فريض على الأملاك مُحْتَجِبٌ . فلا تُذَلِّه بِأَكْثَارٍ عَلَى الشُّوقِ ^(١)
 فلذلك آثرتُ أَنْ أُمَلِّيَ عَلَيْهَا شَرْحًا ، وَأُبْنِي عَلَى كَوَاكِبِ كَوَاعِيهَا
 صرْحًا ، وَأَكْجُلُ جَفَوْنًا بَانَتْ زَرْقِيَّةُ ^(٢) بَيَانِهَا قَرْحِي ، وَأُطِيبُ قُلُوبًا أُمِسَتْ
 لِيُوصَالَ إِضَاحُهَا جَزْجَزِي ؛ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ خَيْلِ مَيْدَانِهَا ، وَلَا مَتْنِ يَمُدُّهُ
 الْأَبْطَالُ مِنْ فُرْسَانِهَا ؛ وَلَكِنْ جُهْدُ الْفَقْلِ ، وَزَهْدُ الْحُلِّ ^(٣) ، وَشَهْدُ الْمَطْلِ ،
 وَشَهْدُ الدِّلِ ^(٤) ، وَعَهْدُ الْحِلِّ .

قَدْ يُذَرِّكُ الْحَدَّ الْفَتَى وَإِزَارُهُ خَلَقٌ ، وَجَنِبُ قَيْصِهِ مَرْقُوعٌ ^(٥)
 وَبِاللَّهِ أَعْتَصِمُ وَأَعْقُضِدُ ، وَمَنْ قَيْصُهُ أَسْتَمِلَ وَأَسْتَمِدَّ ؛ إِنَّهُ الرَّقِيبُ
 الْقَرِيبُ ، وَالسَّمِيعُ الْحَجِيبُ .

(١) السُّوقَةُ : الرِّعِيَّةُ ، وَيَجْمَعُ عَلَى سَوَاقٍ ، كَصَرْدٍ .

(٢) ط : « لَرْقِيَّة » .

(٣) الْحُلُّ : الْفَقْرُ الْمَدْمُومُ . وَفِي م : « وَفَد » .

(٤) ط : « لِلذِّل » .

(٥) (٥) لَا بِنَ هَرْمَةَ ، الشَّمَرُ وَالشَّعْرَاءُ ٧٣٠ .

فصل

في ترجمة ابن زيدون - رحمه الله تعالى
وإيراد شيء من شعره الذي رَقَّ وراق ، وشقَّ على غيره وشاق

فأقول : هو ذو الوزارتين ، الكاتبُ المجيدُ المفيدُ ، الناظمُ الفائرُ ، البليغُ
للفوه اللين ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون
الحزومي الأندلسي القرطبي .

أُنِّي عليه ابنُ بَسَّامٍ في «الذخيرة» ، وابنُ خاقانٍ في «قلائد المقيان» ^(١) .
وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة ، برَّع ^(٢) أدبه ، وجادَ شعره ، وعلا شأنه ،
وأطلقَ أسنانه ، وحقَّقَ بَيَّانُهُ . ثمَّ إنه انتقل من قرطبة إلى المعضد بن عباد
صاحب إشبيلية ، سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، فجعله من خواصه ، يُجالسه
في خلواته ، ويركنُ إلى إشارانه ؛ وكان معه في صورة وزير ، وكان أولاً قد
انقطع إلى ابن جهمر ، أحد ملوك الطوائف المقلِّبين بالأندلس ، فخَفَّ عليه ،
وتمسَّك منه ، وأعتَمَدَ عليه في السفارة بينه وبين ملوك الأندلس ، فأعجب
القومُ به ، وتمتَّعُوا بِمِثْلِهِ إليهم لبراعته ، وحُسن سيرته ؛ فاتَّفَقَ أن يَقُمَ ابنُ
جهمور على ابن زيدون فحبسه ، فأستعطفه ابنُ زيدون بهذه الرسالة وبأمثالها
من فنون النظم والنثر ، فما أجدى ذلك عليه شيئاً ، ففرَّ من محبسه لما أعياه
الخطب ، وأصل بعد ذلك بابن عباد كما تقدَّم .

وكتبَ إلى بعض أصحابه - وهو الأديبُ أبو بكر بن مسلم - لما اخْتَفَى
بقرطبةً بعد فراره ، رسالةً يمتدِّرُ فيها عن فراره ، وهي في غاية الحسن ، ولولا

(١) الذخيرة جزء ١ : جلد ١ ص ٢٨٩ وما بعدها ، والقلائد ٧٠ وما بعدها .

(٢) الذخيرة : « فرع أدبه » .

خَوْفُ التَّطْوِيلِ كَانَ لَا بَأْسَ بِذِكْرِهَا ، وَنَشْرَ نَشْرِهَا ، وَدَرَّ دَرَّهَا ، وَهَذِهِ فَلَذَّةٌ مِنْهَا : ^(١) أبدأً أولاً بشرح الضرورة الحافزة إلى ما صممت ، إذ بلغني أنك أحدُ اللّائمين لي عليه ، ومن أمثالهم : وَبَلَّ الشَّجَى مِنَ الْخَلَى ^(٢) ، وهان على الأملّاس مالاقي الدّبر ^(٣) . وأعانبك على انفصالك عني ، وبراءتك أمدّ المحنة مني ، عسى أن تلاقى عوداً ما أضمت بدءاً ، وإن كنت في ذلك كدابغة وقد حلّم الأديم ^(٤) . فمنفعة الغوث قبل القطب ^(٥) ، وفي علمك أنني سُجِنْتُ مغالبةً بالهوى ، وهو أخو القمى ، وقد نهى عنه تعالى فقال : ﴿ وَلَا تَدْبِعِ الْمَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٦) . وشهد على فلان النّاشرُ لاذنيّه طمعا ، ليأكل كلّ بيديه جشعا ، وقال : فكان للقول ما قالت حدّام ^(٧) .

وليتني مع قبول من لا تحلّ شهادته على ، يُعذّريه إلى ، ولم يُقرّن الحشف بسوء الكيلة ^(٨) .

(١) الذخيرة ١ : ٣٠٥ .

(٢) الميداني ٢ : ٣٦٧ ؛ وذكر أن أول من قاله أكرم بن صفي .

(٣) الميداني ٢ : ٣٩٣ ؛ قال : بضرب في سوء اهتمام الرجل بصاحبه ، والامّاس : الصحيح الظهر ؛ والدبر : الذي أصابت رأسه الدبرة ؛ وهي الفرقة .

(٤) حلم الأديم ؛ فسد ، والأديم : الجلد ، ومعنى المثل : إنك في محاولة إصلاح أمر مثل من تدبغ الجلد وقد كاد يتمزق ، وأصله قول لوليد بن عقبة :

فإنّك والكتاب إلى عليّ كدأبغة وقد حلّم الأديم

وانظر اللسان (حلم) .

(٥) عجز بيت للمتنبي ؛ ديوانه ١ : ١٠٢ ، وهو :

صَبَقْتُ إِلَيْهِمْ مَمْلَأِيَهُمْ وَمِنْقَمَةُ الْغُوثِ قَبْلَ الْعُطْبِ

(٦) سورة ص ٣٨ .

(٧) إشارة إلى البيت :

إِذَا قَالَتْ حَدّامُ فَصَدَّقُوها فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَدّامُ

والبيت لبسم بن طارق ، أحد شعراء الجاهلية ؛ وانظر ابن عقيل ١ : ٩٤ .

(٨) الإعذار : قبول المنذر ؛ والحشف : أردأ التمر ؛ والمثل : « أحشأ وسوء كيلة » .

الميداني ١ : ٢٠٦ .

وكنيت في أول حبسي بموضع جرت المادة فيه بوضع مستورى الناس
وذوى الهيئات منهم ؛ وفي الشر خيار^(١) ، وبعضه أهون من بعض^(٢) .

ثم نُفِلْتُ من بعد إلى حيث الجفأة المفسدون ، واللصوص المقيدون ،
ومُنِعَ منى عوادي ، فشكوت إلى الحاكم الخابس لي ، فهِمَّ عني - « ولو
ذات سوار لطمَني »^(٣) .

وإنك لم يفخرْ عليك كفاخرٍ ضئيفٍ ، ولم يفلبك مثل مغلب^(٤)
فلم أستطع صبرا ، وعلمت أن العاجز من لا يستبد^(٥) ، « والمرء يعجز
لا محالة »^(٦) ، ولم أستعجز أن أكون ثالث الأذلاء ؛ غير الحى
والوئد^(٧) .

(١) يشير إلى المثل : « إن في الشر خيارا » ، الميداني ١ : ٢٠٦ .

(٢) يشير إلى بيت طرفة :

أبا مُؤذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِي بِهِمْ مَضَا حَتَّى تَبْلُغَ بَعْضَ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

(٣) المثل في الميداني ١ : ١٧ .

(٤) للأمريه القيس ، هيواته ٤٤ .

(٥) يشير إلى قول عمر بن أبي ربيعة في بيتيه :

لَيْتَ هَسِدًا أَنْجَزْنَا مَا تَعِدُ وَشَقْتُ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَعِدُ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِدُّ

(٦) الميداني ٢ : ٣٠٩ ؛ والثل من أبيات لجماعة بن مرارة الخنق :

حَاوَلْتُ حِينَ صَرَمْتَنِي وَالْمَرْءُ يَعْجِزُ لَا مَحَالَةَ
وَالدَّهْرُ يَلْبَسُ بِالْفَتَى وَاللَّهْرُ أَرْوَعُ مِنْ ثَمَالَةَ
وَالْعَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَعَالَةَ

(٧) يشير إلى بيتي التلمس :

وَلَا يَقِيمُ عَلَى ذَلِكَ يَرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَاءَ غَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَيْدُ
هَذَا عَلَى الْخُسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَيْتِهِ وَذَا يُشْجَعُ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ

وذكرت أن الفرار من الظلم والمهرب ممن لا يُطاق، من سنن المرسلين ،
وقد قال تعالى على لسان موسى : ﴿ ففَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ ^(١) .
فغظرت في مفارقة الوطن ؛ إذ قد بدأ ضاع الفاضل في وطنه ، وكسد العناق
الخبيط في مقدينه ، كما قال :

أضيق في مقشري وكم بليد يمدُّ عود السكباء من حطيه ^(٢)
فأسفرت الله في إنقاذ العزم ، وأما الآن بحيث أمنت بعض الأمن ،
إلا أن السمي لم يرتفع ، ومادة البقي لم تنقطع .
وختم هذه الرسالة بقصيدة أولها :

شعظنا، وما بالدار نأى ولا شخط وشط بمن نهوى الزار وما شطوا ^(٣)
وما شوق مقتول الجوانح بالظما إلى نطفة زرقاء أضمرها وقط ^(٤)
بأرح من شوق إليكم، ودون ما أدير للتي شوك القتادة والخرط ^(٥)

(١) سورة الشعراء ٢١ .

(٢) السكباء : من أعواد الطيب .

(٣) ديوانه ٢٨٥ ، وفيه : « وما للدار » وبمعنى :

الأحباب بما ألوت بحادث عهدينا حوادث لا عقد عليها ولا شرط
لعمركم إن الزمان الذي قضى بشت جميع الشمل منا أمشط
وأما السكري مذم أزركم فهاجر زيارته غيب ، والماء فرط

(٤) النطفة : الماء القليل الصافي . والورط : حفرة في الصخور يجتمع فيها المطر .

(٥) القتادة : أشجار متشابهة الأغصان مليئة بالأشواك ، وخرط القتاد : جذب شوكه

بالأبدى ؛ وفي المثل : « دونه خرط القتاد » .

وفي الرَّبِّبِ الْإِنْسِيِّ أَخَوِي ، كِنَاسُهُ
 نَوَاحِي صَمِيرِي ، لَا السَّكِيثُ وَلَا السَّقَطُ^(١)
 عَلَيْكَ أَبَا بَكْرٍ بَكَرْتُ بِهِمَّةٍ لَهَا الْخَطَرُ الْعَالِي ، وَإِنْ نَالَهَا حَطُّ
 أَبِي بَعْدَ مَا هِيلَ التَّرَابُ عَلَى أَبِي وَرَهْطِي فِدَالِ حِينَ لَمْ يَبْقَ لِي رَهْطُ
 وَلَوْلَاكَ لَمْ يَثْقُبْ زِنَادُ قَرِيحِي فَيَتَسَهَبُ الظَّلَاءُ مِنْ نَارِهَا سِقْطُ^(٢)
 هَرِمْتُ وَمَا لِلشَّيْبِ وَخُطُّ بَمَفْرِقٍ
 وَلَسَكُنْ لَشَيْبِ الْهَمِّ فِي كَيْدِي وَخُطُّ^(٣)
 وَقَدْ رَسَمُونِي بِالنِّسْبَةِ لَسْتُ أَهْلَهَا وَلَمْ يَزُ أَمْثَالِي بِأَمْثَالِهَا قَطُّ
 قَرَّرْتُ فَإِنْ قِيلَ الْفِرَارُ إِرَابَةٌ فَقَدْ فَرَّ مَوْتِي حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبْطُ^(٤)



وله الرسالة التي كتبها على لسانِ ولادة بنت المستكفي إلى الوزير
 أبي عامر بن عبدوس ، يتهمكم به فيها ، فوجد فيها مكان القول ذا سعة ،
 وتلعب فيها بأطراف الكلام ، وأجاد فيها ماشاء^(٥) .

وكلُّ رسائله هكذا مشحونةٌ بفنون الأدب ، وأتمع التواريخ ، والأمثال
 الغريبة ؛ نثراً ونظماً ؛ وأنت سوف ترى نثره كيف يهزُّ عطفك ، وبسجرك
 ويخدعك ، وأيس فيه سجعٌ تروجه القوافي على النفوس ؛ ولكن هذا من
 القُدرة على البلاغة .

(١) الربيب : سرب البقر الوحشي : أدوى : في شفته حمرة ضاربة للسواد . وكناس
 الطي : مأواه . والسكيب : الرمل المكس ، والسقط هنا : رقة الرمل حتى ينقطع .

(٢) السقط : الشرر ، ويثقب : يتقد .

(٣) الوخط : انتشار الشيب .

(٤) الإرابة : الاتهام والشك .

(٥) هي الرسالة المزلية ؛ شرحها ابن نباتة ؛ وقت بتحقيق هذا الشرح ، ونشر
 في دار الفكر العربي .

وقال بعضُ الوزراءِ بِإِسْمِئِيلِيَّةٍ : عَهْدِي بِأَبِي الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدُونَ قَائِماً عَلَى
جَنَازَةِ بَعْضِ حُرَمِهِ ، وَالْفَاسُ يُقَرِّزُونَهُ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ ، فَمَا سَمِعْتُهُ يُجِيبُ
أَحَدًا بِمَا أَجَابَ بِهِ غَيْرُهُ ، لَسَعَةِ مَيِّدَانِهِ ، وَحُضُورِ جَنَانِهِ .

وله مع وَلَادَةِ هَذِهِ أَخْبَارُ تُطْرِبُ الْقُلُوبَ ، وَتُسَنِّفُ الْمَسَامِعَ ؛ لِأَنَّهُ خَلَعَ
فِيهَا عِذَارَهُ ، وَأَعْطَى هَوَاهُ فِيهَا فَضْلَ زِمَامِهِ . وَكَانَتْ وَلَادَةُ هَذِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ
الْخِلَافَةِ ، أُمِّهُ تَحْمَدُ الْمُسْتَسْكِفِي بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَهِيَ وَاحِدَةٌ زَمَانِهَا ، الْمَشَارُ إِلَيْهَا
فِي أَوَانِهَا ، حَسَنَةُ الْمُحَاضَرَةِ ، مُشْكُورَةُ الْمَذَاكِرَةِ . وَكَانَتْ مَشْهُورَةً بِالصَّيَانَةِ
وَالْعَفَافِ ، كَتَبَتْ بِالذَّهَبِ عَلَى طِرَازِهَا الْيُمْنِ :

أَنَا وَاللَّهِ أَصْلَحُ لِلْمَعَالِي وَأُمِّشِي مِشْقِي وَأَتْبُهُ رَتَبَهَا
وَكَتَبْتُ عَلَى الطَّرَازِ الْيُمْنِ :

وَأُمِّسِكْنِي عَاشِقِي مِنْ صَخْنِ خَدِّي وَأَعْطِي قُبَاتِي مَنْ يَشْتَرِيهَا
وَكَانَ لَهَا جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ بِدِيْعَةُ الْغَنَاءِ ، فَظَهَرَ لَوَلَادَةِ مِنْ أَبْنِ زَيْدُونَ
مَيْلٌ إِلَى الْجَارِيَةِ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ :

لَوْ كُنْتُ تَمِصُّ فِي التَّهْوَى مَا بَدَيْتُنَا لَمْ تَهْوُ جَارِيَتِي وَلَمْ تَنْخَبِرْ
وَتَرَكْتَ غُضُنًا مُثْمِرًا بِجَمَالِهِ وَجَنَحْتُ لِلْفُضْنِ الَّذِي لَمْ يُبْشِرْ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنِّي بِدْرُ السَّمَاءِ لَسَكُنْ وَلِمْتَ لِشَقْوَتِي - بِالْمُشْتَرِي

وَكَانَتْ تَرْمِيهِ بِأُمِّهِ مَعَ فِتْنَاهُ عَلَىَّ عَلَى حَالَةٍ ، فَقَالَتْ فِيهِ :

إِنَّ أَبْنَ زَيْدُونَ عَلَى فَضْلِهِ يَفْتَابُنِي ظُلْمًا وَلَا ذَنْبَ لِي
يَلْحَظُنِي شَرْراً إِذَا جِئْتُهُ كَأَنَّمَا جِئْتُ لِأَخْصِي عَلَيَّ

وَكَانَتْ تُلَقِّبُهُ الْمُسَدَّسَ ، وَتَقُولُ فِيهِ :

وَلَقَّبْتُ الْمُسَدَّسَ وَهُوَ نَعْتٌ تُفَارِقُكُ الْحَيَاةُ وَلَا يُفَارِقُ
فُلُوطِيٌّ وَمَأْبُونٌ وَزَانٍ وَدَبَّوْتُ وَقَرْنَانٌ وَسَارِقٌ

وقالت فيه أيضاً :

إِنَّ ابْنَ زَيْدُونَ لَهُ قَهَاجَةٌ تَعْشَقُ قُضْبَانَ السَّرَاوِيلِ
لَوْ أَبْصَرْتُ أَيْراً عَلَى نَحْلَةٍ صَارَتْ مِنَ الطَّيْرِ الْإِبَائِيلِ
وَبَلَغَنِي أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمَطْلُيُوسِيَّ اتَّصَلَ بِوَلَادَةٍ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ ، أَوَّلُهَا :

أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْإِلَهَ اتَّبَعْ وَخُذْ عَقَالَتِي أَوْ دَعْ^(١)
وَأَقْصِرْ بَعْدَهَا أَوْ زِدْ وَطِرْ فِي إِثْرِهَا أَوْ قَعْ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الدَّهْرَ سَرَّ يُعْطِي بَعْدَ مَا يَنْعُ
وَكَمْ ضَرَّ أَمْرًا أَمْرٌ تَوَهَّمَ أَنَّهُ يَنْفَعُ
فَإِنَّ قُصَارَكَ الدَّهْلِيَّ زُحَيْثٌ سَوَاكَ فِي الْمَضْجَعِ

وكانت ولادة أولادتهوى ابن زيدون ، ثم مات عنه إلى الوزير ابن عبدوس ، وكان يلقب بالفار ، فقال ابن زيدون :

أَكْرَمَ بِلَادَةٍ عَلَقًا لِمُعَلِّقٍ لَوْ قَرَرْتَ بَيْنَ بَيْطَارٍ وَعَطَارٍ^(٢)
قَالُوا أَبُو عَامِرٍ أَضْحَى يُلْتَمَسُ بِهَا قُلْتُ لِلْفَرَّاشَةِ قَدْ تَدْنُو مِنَ النَّارِ
عَبْرَتُنَا بِأَنَّ قَدْ صَارَ بِخَلْفِنَا فِيمَنْ نَحْبُ ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ عَارِ
أَكَلُ شَيْءٍ أَصْبَنًا مِنْ أَطَايِيهِ بَعْضًا ، وَبَعْضًا صَفَحْنَا عَنْهُ لِلْفَارِ

وكانت قد طال عُمرُها وعمر أبي عامر المذكور ، حتى أُرْبِئَا عَلَى الثَّمَانِينَ ، ولم يَدْعَا الْمُواصَلَةَ وَلَا الْمُرَاسَلَةَ .

وَأَمَّا ابْنُ زَيْدُونَ فَإِنَّ غَالِبَ شِعْرِهِ وَأَغْزَالِهِ فِي وَلَادَةٍ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَتُهُ الثَّنَوِيَّةُ الَّتِي سَارَتْ فِي الْبِلَادِ ، وَطَارَتْ فِي الْعِبَادِ ، رَأَوْهَا :

أَضْحَى التَّنَائِي بِدِيَلًا مِنْ تَدَايِينَا وَنَابَ عَنْ طِيبِ أَقْيَانَا تَجَافِينَا^(٣)

(١) ديوانه ٥٧٨ . (٢) ديوانه ١٩٦ . (٣) ديوانه ١٤١ - ١٤٨ .

وقد اشتهرت حتى صارت تحذرة ، فيقال : إنه ما حفظها أحد ، لا مات غريباً . وعارضها الناس في حياته وبعد موته ولم يقرّبوه ، وأظن أن ابن زيدون عارض بها البحتري في قوله :

يَكادُ طائِلُنا في الحِلَّةِ بَغْرِيْنا فَا بَاجِلَتْ في لَوْمِ الحَبِيْبا
فُلَحَّى على الوَجْدِ من ظَلَمٍ قد بَدُنْنا وَجَدُ نَمَانِيهِ أَوْلَاحِ يَمِينِنا
وقد حمس الشيخُ صفى الدين الحلي قصيدة ابن زيدون المذكورة ، وجعلها مَثْنِيَّةً في اللَّامِ المؤبَّدِ عماد الدين صاحب حماة ، فأحسن ما شاء . (١)
وقال بعضُ الأدباء : من ليس البيضاء ، وتحتّم بالعتيق ، وقرأ لأبي عمرو ، وتَمَقَّةٌ للشافعي ، وروى قصيدة ابن زيدون ، فقد استكمل الظرف .

وكنت وأنا في زَمَنِ السَّيِّئَةِ قد نظمت مَثْنِيَّةً في بعض الأَصحابِ الأعزَّةِ بصفد ، على وَزْنِ قصيدة ابن زيدون هذه ورويّها ، وهي :

تَحَكَّمَتْ بَعْدَكمُ أَيْدِي النُّوَى فِينَا وقد أَقامَتْ بِنادِينَا تُنادِينَا
وَجَرَعَتْنا كُثُوسُ الحُزْنِ مَنزَعَةً مِزاجُها كان زَقُومًا وَغَسَلِينَا
وقد أَنَاختْ بنا من بَعْدِكمُ مَحْنٌ عَدَّتْ عَاطِنَا بما يُرْضِي أَشادِينَا
والدَّمْعُ أَفْناه تَكَرَّارُ البُكا غَرَّتْ نَفُوسُنَا ذَانِبَاتٍ من أَمَاقِينَا
وَحَبَبْنَا حالَةً فيكمُ مُبَدَّلَةٌ الذِّكْرُ يَنْشُرُنا والحُزْنُ يَطْوِينَا

(١) ديوانه ٢٣٤ ، ومطلعها :

كَادَ الزَّمانُ يَلْقِيَاكمُ بِحَيِّينَا وحادِثُ الدَّهْرِ بالتَفريقِ يَشِينَا
فَمَندما مَدَدْتُمْ فيكمُ أَمَانِينَا أَضْحَى القَتْلُ بَدِيلًا من تَدانِينَا
* وناب عن طيب لَميانا تَجافِينَا *

أَضَحَّتْ عَلَيْنَا حَامُ الْأَيْكِ نَاعِمَةٌ
وَكَمْ لَبِقِ الدُّجَى جَيْبٌ يُشَقِّقُهُ
وَكَمْ سَمِيرٍ مِنَ الذِّكْرِى يُطَارِحُنَا
يَا مَنْ تَحَكَّمْ فِي الْأَحْشَاءِ حُبُّهُمْ
وَمَنْ وَجَدْنَا عَلَى نَارِ الْغَرَامِ بِهِمْ
حَتَّى أَتَيْنَا فَاسْتَمْنَا وَصَالَمْنَا
فَمَا أَنْتُمْ لَنَا مِيقَاتِ قُرْبِهِمْ
فَكَمْ لَنَا صَعَقَةٌ خَرَّ الْفَوَادُ لَهَا
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلْهُيُونَ سَمًا
مَا كَانَ ضَرْبًا لِيَالِي الْوَصْلِ لَوْ بَقِيَتْ
وَجَمَّتْ سَمَلُنَا فَضْلًا وَتَكْرِمَةً
يَا دَهْرُنَا إِذْ دَعَا الدَّاعِي بِفُرْقَتِنَا
مَا كَانَ أَسْرَعَ حُكْمًا جَاءَنَا عَجَلًا
فَحَسْبُنَا يَارْزَايَا الدَّهْرُ حَادِثُنَا
وَمَنْ تَحَقَّقَى مَا قَدْ حَلَّ مِنْهُ بِنَا
يَا بَدْرَ نَيْمٍ تَجَلَّى فِي دُجَى شَعَرٍ
وَيَا غَزَالَ النِّقَا جِيدًا وَمُلْتَفَقًا
بِاللَّهِ هَلْ ذَهَبَتْ تِلْكَ الْخَامِسُ أَوْ
وَهَلْ تَنَسَّكَرَ ذَاكَ الْفَدَا أَوْ سُلِبَتْ
وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْوَجْهَ أَوْ ذَهَبَتْ
فَإِنْ شَمَمَتْ عَيْبَرًا فِي الْجِنَانِ لِأَنْدِ
وَإِنْ نَمَتَتْ فِي الْفَرْدَوْسِ يَأْسَكُنِي

حُزْنًا وَبَانَتْ عِيُونَ الْغَيْثِ تَبْكِيهَا
وَيَا طُغْمَ الرَّعْدِ خَدًّا حِينَ يَنْعِمُهَا ^(١)
عَنْكُمْ أَحَادِيثَ أَشْوَاقٍ فَيُشَجِّمُنَا
وَزَادَهُ اللَّهُ تَذْبِيتًا وَتَمَكِّمُنَا
هُدًى وَمِنْ طُورِهِمْ فِي الْحُسْنِ نُودِيْنَا
وَبَاتَ لَطْفُهُمْ سِرًّا يُنَاجِيْنَا
رَبُّ قَضَى بِالَّذِي يَخْتَارُهُ فِينَا
رُغْبًا، وَبَاتَ كَلِمَ لَدَاتِ مَفْتُونَا
أُنْسٍ وَلِلْأَنْفُسِ الْحَرَى رِيَاحِيْنَا
وَأُرْغَمَتْ بَبَقَاكُمُ أَنْفَ وَاشِدِيْنَا
حَتَّى تَرَى مَا نُمَانِي مِنْ تَصَافِيْنَا
كَيْفَ انْخَدَعْتَ إِلَى أَنْ قَاتَ آمِيْنَا !
فَسَلِّ لَدَاتِنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيْنَا
وَبَعْضَ مَا قَدْ جَرَى مِنْ ذَلِكَ يَكْفِيْنَا
فَمَا يَزِيدُ عَلَى الدَّعْوَى بَرَاهِيْنَا
وَعُصْنُ بَانَ تَثْنَى فِي الرُّبَا لِيْنَا
وَجَنَّةَ الرُّوضِ تَفَاحًا وَتَسْرِيفَا
حَالَتْ حُلَاكَ الَّتِي كَانَتْ أَمَانِيْنَا !
مِنْهُ الرِّشَاقَةُ لَمَّا رَاحَ مَذْفُونَا !
مَحَاسِنٌ عَنْ بَدُورِ التَّمِّ تُغْفِيْنَا
فَمَا سِ التَّحِيَّاتِ قَدْ كَرْنَا وَحَيِّفَا
بَطِيبِ عَيْشٍ فَلَنْ تُنْسَى لِيَا إِيْنَا

وَكَتَبَ ابْنُ زَيْدُونَ إِلَى وَلَادَةَ يَوْمًا مِنَ الزَّهْرَاءِ :

إِنِّي ذَكَرْتُكَ بِالزَّهْرَاءِ مُشْتَاقًا وَالْجُودُ طَائِقٌ وَوَجْهَ الْأَرْضِ قَدَرًا قَا^(١)
وَالنَّسِيمُ اعْتِلَالٌ فِي أَصْنَائِهِ كَذَبَهُ رَقٌّ لِي فَاعْتَلَّ إِشْفَا قَا
وَالرَّوْضُ عَنْ مَائِهِ الْفِضَى مَهْنِسِمٌ كَمَا شَقَقْتَ عَنْ الْآبَاتِ أَطْوَا قَا
يَوْمٌ كَأَيَّامِ لَذَاتٍ لَنَا انْصَرَمَتْ بِنْدَمَا لَهَا - حِينَ نَمَ الدَّهْرُ - مُرَّ قَا
نَلْمُو بِنَا بِسْتِمِيلِ الْعَيْنِ مِنْ زَهَرٍ جَالِ النَّدَى فِيهِ حَتَّى مَلَّ أَعْمَا قَا
كَأَنَّ أَعْيُنَهُ إِذْ عَابَتْ أَرْقَى بَكَتْ لِمَا بِي ، فَجَلَّ الدُّمُوعُ رُقْرُقَا
لَا أَتُكِنُ اللَّهَ قَلْبًا عَنْ تَذَكُّرِكُمْ وَلَمْ يَنْظُرْ تَجْمَاعُ الشُّوقِ خَفَا قَا
لَوْ شَاءَ حَمَلِي نَسِيمُ الرِّيحِ حِينَ هَفَا وَافَاكُمْ بِفَتَى أَضْنَاهُ مَا لَاقَى
فَالآنَ أَحَدُ مَا كُنَّا لَمْ يَهْدِكُمْ سَلَوْنَهُ ، وَبَقِينَا نَحْنُ عَشَا قَا

وَمِنْ نَظْمِهِ أَيْضًا :

أَنَا مُنَى نَفْسِي فَأَنْتَ جَيْهَةٌ - يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ بِبَعْضِ مُنَاكِ^(٢)
يُدْنِي مَزَارِكٍ حِينَ شَطَّ بِهِ النَّوَى وَهُمْ أَكَادُ بِهِ أَقْبَلَ فَاكِ

وَمِنْ نَظْمِهِ أَيْضًا :

وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ بِالضَّمِيرِ إِلَى الْهَوَى

وَدَعَوْتُ مِنْ حَنَنِكَ عَلَيْكَ فَأَمْنًا^(٣)
مَنْيْتُ نَفْسِي مِنْ وَصَالِكَ ضَلَّةً وَلَقَدْ يَغْرُرُ الْمَرْءُ بِأَرْقُهُ الدَّخَى

وَمِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا عِبَادًا فِي يَوْمِ عِيدٍ :

وَأَا قَضَيْنَا مَا عَنَانَا قَضَاؤُهُ وَكُلُّ بِنَا أَوْلَيْتَ دَاخِ نَمْلَحِفِ^(٤)
رَأَيْنَاكَ فِي أَعْلَى الْمَصَلَّى ، كَأَنَّمَا تَطْلُعُ مِنْ مَحْرَابِ دَاوُدَ يَوْسُفُ

(٢) ديوانه ٣٤٥ ، ٣٤٦

(١) ديوانه ١٣٩ .

(٤) ديوانه ٤٩٥ .

(٣) ديوانه ١٩١ .

وَمِنْ نَظْمِهِ أَيْضًا :

بَيْدَنِي وَبَيْنَكَ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضَعْ سِرًّا إِذَا ذَاعَتْ الْأَسْرَارُ لَمْ يَذْغِ^(١)
 يَا بَائِمًا حَظَّهُ مِنِّي وَلَوْ بُذِلَتْ لِيَ الْحَيَاةُ بِحَظِّي مِنْهُ لَمْ أُبْعِ
 يَكْفِيكَ أَنْكَ إِنْ حَمَلَتْ قَلْبِي مَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ قُلُوبُ النَّاسِ بِسَطْعِ
 تَهْ أَحْتَمِلُ ، وَأَسْتَطِيلُ أَضِيرُ ، وَعِزُّ أَهْنُ
 وَوَلَّ أَفِيلُ ، وَقُلْ أَسْمَعُ ، وَمُرْ أَطْمَحْ

وَمِنْهُ :

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَبْكِيَ الْغَامُ عَلَى مِثْلِي
 وَيَطْلُبَ نَأْرِي الْبَرْقَ مِنْصَلَتَ الْفَصْلِ^(٢)
 وَهَلَّا أَقَامَتْ أَجْمُ الزَّهْرِ مَائِمًا لَتَنْدُبَ فِي الْآفَاقِ مَاضِعَ مَنْ تَبْلِي
 أَمْفَتَوَكَّهَ الْأَجْفَانِ مَالِكٍ وَهَلَّا ! أَلَمْ تَرِكِ الْأَيَّامُ نَجْمًا هَوَى قَبْلِي !
 وَلِلَّهِ فِيمَا عَلِمُ غَيْبٍ وَحَسْبُنَا بِهِ عِنْدَ جَوْرِ الدَّهْرِ مِنْ حَكْمٍ عَدْلٍ
 وَفِي أُمِّ مُوسَى عِبْرَةٌ إِذْ رَمَتْ بِهِ إِلَى الْيَمِّ فِي اللَّتَابُوتِ فَأَعْتَبِرِي وَأَنْلِي

وَمِنْهُ مِنْ قَصِيدَةٍ كَتَبَ بِهَا مِنَ السَّجْنِ إِلَى ابْنِ جَهْوَر :

مَا جَالَ بَعْدَكَ لِحَظِّي فِي سَمَاءِ الْقَمَرِ إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذِكْرَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ^(٣)
 وَلَا أَسْتَطَلْتُ زِمَامَ اللَّيْلِ مِنْ أَسْفِ إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَتْ مَعَ الْقَصْرِ
 فِي نَشْوَةٍ مِنْ سِنَاتِ الْوَصْلِ مُوهِمَةٍ أَنْ لَا مَسَافَةَ بَيْنَ الْوَهْنِ وَالسَّحْرِ
 يَا لَيْتَ ذَلِكَ السَّوَادَ الْجُلُونَ مَنصَلٍ قَدْ أَسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَهْرِ

(٢) ديوانه ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(١) ديوانه ١٦٩ .

(٣) ديوانه ٢٥٠ .

إِنَّ الْحَوَارَ لَفَهْوَمٌ مِنَ الْحَوَرِ
بَرَقَ الْمَشِيبُ اعْتَلَى فِي عَارِضِ الشَّمْرِ
وَالشَّيْبَةُ غَضَنُ غَيْرُ مُهْتَمِرٍ
غَمْرًا فَمَا أَشْرَبَ الْمَكْرُوهَ بِالْفُحْرِ
أَنْنَى مَعْنَى الْأَمَانِي ضَائِعُ الْخَطَرِ
أَمْ الْكُشُوفُ لَعِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
قَدْ يُوَدِّعُ الْجَفْنُ حَدَّ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
عَنْ كَشْفِ صُرَى فَلَاعْتَبَ عَلَى الْقَدَرِ
وَلَمْ أَبْتَ مِنْ تَجَنُّيهِ عَلَى حَدَرِ
وَنَابَتِ الْأَمْعَةُ الْمُعْجَلَى عَنِ الْفِكَرِ
هُدُوءٌ عَيْنُ الْوَرَى فِي ذَلِكَ السَّهَرِ

فَهَمْتُ مَعْنَى الْهَوَى فِي لَحْظِ طَارِفِكَ لِي
لَمْ تَطْوِ بُرْدَ شَبَابِي كَبِيرَةً ، وَارَى
قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِذْ عَهْدُ الصَّبَا كَتَبُ
يَا لَرَّزَابَا لَقَدْ شَافَهْتُ مِنْهَا
لَا يَهْنَأُ الشَّامِتَ الْمُرْتَاخَ خَاطِرُهُ
هَلِ الرِّيحُ بِنَجْمِ الْأَرْضِ عَاصِفَةٌ
إِنْ طَالَ فِي السَّجْنِ إِبْدَاعِي فَلَا عَجَبُ
وَإِنْ يُذَبِّطُ أَبَا الْحَزْمِ الرِّضَا قَدَرُ
مَنْ لَمْ أُرْلَ مِنْ تَأْتِيهِ عَلَى رِقَّةٍ
أَغْنَتْ قَرْبَجَتُهُ مَعْنَى تَجَارِيهِ
كَمْ أَشْتَرَى بِكَرَى عَيْنَيْهِ مِنْ سَهَرٍ

ومنها :

عَرَّائِسُ مِنْ جَنَاهَا يَانِعُ الشَّمْرِ
رَدَّ الصَّبَاغِبُ إِشْفَاهُ عَلَى الْكَبِيرِ
جَذْلَانِ بِالْوَطَنِ الْمَأُوفِ وَالْوَطَرِ

أَحْيَيْنَ زُفَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مِنْ أَدْبِي
لَا تَلُهُ عَنِّي فَلَمْ أَصَالُكَ مَعْتَسِنًا
وَأَشْفَعُ أَكُنْ مِثْلَ تَمْطُورٍ بِبَلَدِيهِ

وَمِنْ نَظْمِهِ فِي بَنِي جَهْوَر :

مَنَاقِبُكُمْ فِي أَفْقِهَا أُنْجَمُ زُهْرُ
وَإِنْ تَبَسَّيْمُ الدُّنْيَا فَأَنْتُمْ لَهَا ثَمَرُ
حُسَامٌ عَلَيْهِ مِنْ طَلَاقَتِهِ بَشَرُ
وَمَذْهَبُكُمْ قَصْدٌ وَنَيْلُكُمْ غَمْرُ
وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرُ

بَنِي جَهْوَرٍ أَنْتُمْ سَمَاءُ رِيَاسَةٍ
تَرَى الدَّهْرَ إِنْ يَبْطِشُ فَنَسْكُمُ تَمِيمُهُ
لِسْكُمُ كُلِّ رَقْرَاقٍ التَّمْلَاحُ كَأَنَّهُ
طَرِيقَةُ تَسْكُمُ مُثْلَى وَهْدِيكُمْ مَوْضَا
عَطَا وَلَا مَنٌ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى

وَمِنْ نَظْمِهِ فِيهِمْ بَعْدَ حَبْسِهِ :

بَنَى جَهْوَرٍ أَحْرَقْتُمْ بِجَفَائِكُمْ جَنَانِي فَا بَالُ الْمَدَامِحِ تَمَيُّقُ !^(١)
تَظَنُّونَنِي كَالْعَمْبَرِ الْوَزْدِ إِمَّا تَطِيبُ لَكُمْ أَنْفَاسُهُ حِينَ يَحْرَقُ

وَقَالَ بِمَخَاطَبِ أَبِي الْحَزَمِ بْنِ جَهْوَرٍ :

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَقَدْ قَطَعْتُ بَمَدْحِهِ عُمرِي فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ ثَوَابِي^(٢)
لَا تَخْشَ لَا لِمَتِّي بَمَا قَدْ جِئْتَهُ مِنْ ذَاكَ فِي وَلَا تَوَقَّ عِتَابِي
لَمْ تَخْطِ فِي أَمْرِي الصَّوَابَ مَوْفَقًا هَذَا جَزَاءُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ

قَالَ : وَمِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ قَوْلُ الْأَبِي وَرْدِي :

وَقَصَائِدُ تَحْكِي الرِّيَاضَ أَصَفَتْهَا فِي بَاخِلٍ ضَاعَتْ بِهِ الْأَحْسَابُ
وَإِذَا تَنَاشَدَهَا الرُّوَاهُ وَأَبْصَرُوا مَمْدُوحَ قَالُوا : شَاعِرٌ كَذَّابُ
وَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ^(٣) :

وَوَعَدْتَنِي فَظَنَنْتُ أَنَّكَ صَادِقٌ فَظَلَلْتُ مِنْ طَمَعِي أَجْبَهُ وَأَذْهَبُ
وَإِذَا اجْتَمَعْتُ أَنَا وَأَنْتَ بِمَجْلِسٍ قَالُوا : مُسَيِّلَةٌ وَهَذَا أَشْبَهُ

وَقَوْلُ ابْنِ زَيْدُونَ : « لَمْ تَخْطِ فِي أَمْرِي الصَّوَابَ » ، يُشَبِّهُ قَوْلَ مُحَمَّدِ بْنِ
مَنْاذِرٍ فِي خَالِدِ بْنِ طَلِيقٍ^(٤) قَاضِي الْبَصْرَةِ :

قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي مِنْ هَائِمِهِمْ فِي سِرِّهَا وَالْأَلْبَابِ^(٥)
إِنْ كُنْتَ لِلسَّخَطَةِ عَرْضَتْنَا بِخَالِدٍ فَهُوَ أَشَدُّ الْعِقَابِ
كَانَ قُضَاءُ النَّاسِ فِيمَا مَضَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَذَا مِنْ عَذَابِ

(١) ديوانه ٥٩٠ ، و الذخيرة ١ : ٣٠٤ .

(٢) ديوانه ٥٩١ .

(٣) ط : « فِي أَبِي حَمْزَةَ » .

(٤) و الأغاني ١٧ : ٢٤ (ساسي) : « كَانَ قَاضِي الْمَهْدِي » .

يَا عَجَبًا مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا يُخْطِئُ فِينَا دَرَّةً بِالصَّوَابِ
وَكَتَبَ إِلَى أَبِي حَفْصِ بْنِ بَرْدٍ السَّكَّانِبِ مِنَ السَّجْنِ أَيْضًا، قِطْعَةً مِنْهَا:

مَاعِلَى ظَنِّي بَأْسُ يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَأْوُ^(١)
رُبَّمَا أَشْرَفَ بِالْمَرَّةِ عَلَى الْأَمَالِ يَأْسُ
وَلَقَدْ يُنْجِيكَ إِغْفَا لِي، وَيُوْذِيكَ أَحْنَأْسُ

ومنها :

يَا أَبَا حَفْصٍ وَمَا سَا وَكَ فِي الْفَتَنِمْ لِيَأْسُ
مِنْ سَفَا رَأْيِكَ لِي فِي غَسَقِ اللَّيْلِ أَفْتِيَهَاسُ

ومنها :

وِدَادِي لَكَ نَصٌّ لَمْ يُخَالِفْهُ قِيَّاسُ
يَلْبُدُ الْوَرْدُ السَّبْنِي وَلَهُ بَعْدُ أَفْتِرَاسُ^(٢)
إِنْ أَكُنْ أَصْبَحْتُ مُحِبُّو سَا فَلَلْفَتِي أَحْتِيَّاسُ
فَتَأْتِي كَيْفَ يَفْتِي مُقَلَّةُ الْمَجْدِ النَّعَاسُ
وَيُفْتِي الْمِسْكَ فِي الثُّزْ بِ قِيُوطَا وَبُدَاسُ
لَا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرَدًا إِنَّ عَهْدِي لَكَ آسُ
وَأِدِرْ ذِكْرِي كَأَسَا مَا أَمْتَنَّتْ كَفَّكَ كَاسُ

ومِنْ نَظْمِهِ :

أَمَّا رِضَاكَ فَتَنِي مَالَهُ ثَمَنُ لَوْ كَانَ سَاحَتِي فِي مَالِكَ الزَّمَنُ^(٣)
تَبَيَّنَ فِرَاقُكَ عَيْنُ أَنْتَ نَظَرُهَا قَدْ لَجَّ مِنْ هَجْرِهَا فِي هَجْرِكَ الْوَسَنُ

(١) ديوانه ٢٧٣ . (٢) يلبد : يقيم بمكانه ، والورد والسبني : من أسماء الأسد .

(٣) ديوانه ١٨٠ .

إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنٌ
واللهِ مَا سَاءَ لِي أَنْ أُخْفِيتُ ضَيِّي
لَوْ كَانَ أَمْرِي فِي كَتَمِ الْهَوَى بِيَدِي
وَمِنْ نَظْمِهِ أَيْضًا :

لَمْ أُنْسَ إِذْ بَانَتْ يَدِي لَيْلَةً
لَمْ أَشْمِمْ الْبَرْقَ جَهَامًا ؛ وَلَمْ
يَأْمُرْ شِدِّي جَهْلًا إِلَى غَيْرِهِ
ذُو بَاطِنٍ أُنْفِيسَ نَوْرِ التُّنْقَى
وَمِنْهَا :

لَا طَارَ بِي حَظٌّ إِلَى غَايَةٍ
لَمْ يَذْنِبْنِي عَنْ أَمَلٍ مَا جَرَى
وَأَشْمَعُ فَلِلشَّامِخِ نَعْمَى بِمَا
إِنَّ سَحَابَ الْأَفْقِ مِنْهَا الْحَيَا
مَا لَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ مَرِيضَ الْجَفَاخِ
قَدْ يَرْقَعُ الْخَرْقُ وَتَوَسَّى الْجِرَاحِ
بَنَاهُ مِنْ عَقْدٍ وَثِيقِ النَّوَاحِ
وَالْحَبِيدِ فِي تَأْيِيدِهَا لَارِيَاخِ

وَمِنْ نَظْمِهِ مَهْمُثًا لِمَهْمُثٍ مُضَدِّ عِبَادٍ بِهِزَمَ أَبْنَاهُ إِسْمَاعِيلَ لِأَسْنِ الْأَنْفَاسِ وَقَوْلِهِ
وَلَدَ إِسْحَاقَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ :

وَبُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةَ الْعَهْدِ طَلْفَةً
دَعَوْتَ فَقَالَ النَّهْصُ لَبِيْكَ مَا نِلَّا
وَأَحْدَثَ عَقْبِي الصَّبْرُ فِي دَرْكِ الْمُنَى
وَجِدْنَاكَ إِنْ أَلْفَحْتَ سَقْمًا نَتَجَتَهُ
سَلِّ الْخَائِنَ الْمَفْتَرَّ : كَيْفَ احْتَقَابُهُ
كَأَبْتَسَمِ الْفُؤَارُ عَنْ أَدْمُجِ النَّدَى (١)
وَلَمْ تَكُ كَالدَّاعِي يُجَاوِبُهُ الصَّدَى
كَأَبْلَغِ السَّارَى الصَّبَاحِ فَأَحْمَدَا
وَعَبْرُكَ شَاوٍ حِينَ انْضَجَّ أَرْمَدَا
مَعَ الدَّهْرِ عَارًا بِالْفِرَارِ مَحْلَدَا !

(١) ديوانه ٢٤٧ .

(٢) ديوانه ٤٦٧ .

رَأَى أَنَّهُ يُضْحِي هِزْبًا مَصَمًا فَلَمْ يَعُدْ أَنْ أُنْسَى ظَلِيمًا مُشْرَدًا
 يَوْثُ إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ أَنَّهُ أَقَامَ عَلَيْهِ آخِرَ اللَّيْلِ سَرْمَدًا
 وَأَصْبَحَ يَكْنِيهِ الْمَصَابُ بِشَكْلِهِ بَكَاهُ كَيْمِيدٍ حِينَ فَارَقَ أَرْبَدًا
 وَهَذَا الْقَدَرُ يَكْفِي فِي إِيرَادِ نَظْمِ ابْنِ زَيْدُونَ .

ولما اتصل بعد فراره من سجن ابن جهور بالمعتضد بن عباد ، ولم يزل عفته وعند أبيه المعتمد قائم الجاه ، وافر الحرمة ، إلى أن توفى بإشبيلية ، سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، كذا قال شيخنا شمس الدين الذهبي .^(١)

وقال ابن بشكوال : توفى سنة خمس وأربعمائة ، وكانت وفاته بأبيدة ، وسيق إلى قرطبة ودفن فيها . ومولده سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .^(٢)

قلت : ولعل الذي قاله ابن بشكوال أقرب إلى الصواب ، على أن ابن بتمام قال في « الذخيرة » : توفى سنة ثلاث وستين ، وكان يخضب بالسواد ، وكان له ولد يقال له : أبو بكر ، تولى وزارة المعتضد ، وقُتل يوم أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد ، رحمهم الله أجمعين .

(١) المعبر ٣ : ٢٥٣ .

(٢) لم أجده في الصلة .

رسالة ابن زيدون

وها أنا أورد الرسالة منقولة من خط الإمام علي بن ظافر ، رحمه الله تعالى ، وأثبتتها جملة ، ثم أعود بعد ذلك وأوردتها شيئاً فشيئاً ، من أولها إلى آخرها ، وكلما أوردت منها شيئاً أوضحتُ مُبهمه ، وفصلتُ مُجملَه ، وأوردتُ ماله به علاقه ، مستعيناً في بلوغ المقصود بالله تعالى .

كتب أبو الوليد أحمد بن زيدون إلى ابن جهور :

يا مولاي وسيدى الذى ودادى له ، وأعياذى عليه ، وأعتداذى به .
ومن أبقاه الله تعالى ماضى حَدَّ العزم ، وارى زَنْدَ الأمل ، ثابتَ عهدِ النعمة .
إن سَلَبْتَنى أعزك الله لباسَ إنعامك ، وعَطَلْتَنى من حُلَى إيناسك ، وأظْمَأْتَنى إلى بُرودِ إسماعفك ، ونَفَضْتَ بى كَفَّ حياطتك ، وغَصَصْتَ عَنى طَرْفَ حجابك ؛
بعد أن نَظَرَ الأَعْمى إلى تَأْمِلى لك ، وَسَمِعَ الأصمُّ ثَمائى عليك ، وأَحَسَّ الجُمَادُ بِاسْتِحْماذى إليك ؛ فلا غَرْوَ ، قد يَقْصُ بالماءِ شاربُه ، ويَقْتُلُ الدَّواهَ المُسْتَشْفَى به ، ويُوْتِى الحَذِرَ من مَأْمَنِهِ ، وتَسْكونُ مَنِيَّةُ المَتَمِّى فى أُمْنِيَّتِهِ ،
والْحَيْنُ قد يَسْبِقُ حِرْصَ الحَرِيسِ .

كلُّ المصائبِ قد تَمَرَّ على الفَتَى وَتَهَوَّنُ غَيْرَ شِمَانَةٍ الأعداءِ
وإِنِّى لا تَجَلَدُ ؛ وأرى الشَّامِتِينَ أنى لربِّ الدَّهْرِ لا أَنْصَحُ مَضْع ، فأقول :
هل أنا إلَّا بَدَأُ ماها سِوارها ، وَجَبِينَ عَضَّ به إكْليله ، وَمَشْرِفُ الصَّفا
بالأَرْضِ صائِلُه ، وَسَمَّيْتُ عَرْضَه على النارِ مَنقَرَه ، وَعَبَدْتُ ذَهَبَ به سَيِّدُه
مَذْهَبَ الذى يقول :

فَقَسًا لِيَزْدَجِرُوا مِن يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ
هذا القَتَبُ محمود عواقبه ، وهذه النُّبُوَّةُ غَمْرَةٌ تَمُتُ تَنْجِلِي ، وهذه النُّسْكَةُ
سَحَابَةٌ صَيْفٍ عن قليلٍ تَقْشَعُ . وإن يَرِيبَنِى من سَيِّدى أن أَبْطَأَ سَيِّبُه ،

أو تأخرَ غيرَ ضنين غناؤه ، فأبطأ الدلاءَ فيضاً أملوها ، وأثقلَ السحابَ مشياً
أحفكها ، وأنفعَ الحما ما صادفَ جذباً ، وألذَّ الشراب ما أصابَ غليلاً ، ومع
اليومِ غدٌ ، وكلُّ أجلٍ كتاب ؛ له الحمدُ على أهتباله ، ولا عتبَ عليه في
إغفاله .

فإنَّ يَكُنِ الفِعْلُ الَّذِي ساءَ واحداً فأفعاله اللّاتِي سَرَزْنَ أُلُوفُ

وأعود فأقول : ما هذا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ عَفْوُكَ ، والجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ
مِنْ ورائِهِ حِلْمُكَ ، والتَّطَاوُلُ الَّذِي لَمْ يَسْتَعْرِفْهُ تَطَوُّلُكَ ، والتَّجَاهُلُ الَّذِي
لَمْ يَبْ بِه أَحْيَالُكَ ؛ ولَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئاً فَأَيْنَ الْعَدْلُ ! أَوْ مُسِيناً
فَأَيْنَ الْفَضْلُ !

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ قَعْدَلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَقَعْدَلُكَ أَوْسَعُ

حَفَانِيكَ ! قد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ ، وَنَاثِي مَحَسَنِي بِهِ وَكَفَى . وما أَرَانِي
إِلَّا لَوْ أَنِّي أُمِرْتُ بِالسَّجُودِ لِأَدَمَ فَأَبَيْتُ وَأَسْتَكْبَرْتُ ، وَقَالَ لِي نُوحُ :
﴿ ازْكَبْ مَعْنَا ﴾ ، فَقُلْتُ : ﴿ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَفْعِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ ، وَأُمِرْتُ
بِبِنَاءِ صَرْحٍ لَعَلِّي أُطْلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى ، وَعَكَفْتُ عَلَى الْمِجَلِّ ، وَأَعْتَدْتُ
فِي السَّيْتِ ، وَتَعَاطَيْتُ قَعَقَرْتُ ، وَشَرِبْتُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أَبْتُلِي بِهِ جُيُوشُ
طَالُوتَ ، وَقُدْتُ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ ، وَعَاهَدْتُ قُرَيْشًا عَلَى مَا فِي الصَّحِيفَةِ ، وَنَاوَلْتُ
فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ ، وَنَفَرْتُ إِلَى الْعِيرِ بَبَدْرٍ ، وَأُخْزِلْتُ بِمُثُكِ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ ،
وَتَحَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْقَصْرِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَجِئْتُ بِالْإِنْفَكِ عَلَى عَائِشَةَ الصَّدِّيقَةِ ،
وَأَنْفَتُ مِنْ إِمَارَةِ أُسَامَةَ ، وَزَعَمْتُ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فُلْتَةً ، وَمِنْ أَدْلَةِ
الْقُرْآنِ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَرَوَيْتُ رُمُحِي مِنْ كَيْبَةِ خَالِدٍ ، وَمَزَقْتُ
الْأَدِيمَ الَّذِي بَارَكْتَ بِدُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَضَحَّيْتُ بِالْأَثْمَطِ الَّذِي عُنُوَانُ
السَّجُودِ بِهِ ، وَبَذَلْتُ لِقَطَامٍ :

ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً وَضَرَبَ عَلَى الْخُصَامِ الْمَسْمُومِ
وَكَتَبْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ : أَنْ جَمَعَ بِالْحُسَيْنِ ، وَتَمَثَّلَتْ عِنْدَمَا بَلَغَنِي
مِنْ وَقْعَةِ الْحَزَّةِ :

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْذُرُ عَلَيَّوَا جَزَعُ الْخَزَرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِ
وَرَجَحْتُ السَّكْبَةَ ، وَصَلَبْتُ الْعَائِدَةَ عَلَى النَّدِيمَةِ - لِمَكَانٍ فِيمَا جَرَى عَلَى
مَائِحَتِكَ أَنْ يَسْمَى نَسْكَالًا ، وَيُدْعَى وَلَوْ عَلَى الْمَجَازِ عِقَابًا .

وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِيَةً
فَسَكِيفٌ وَلَا ذَنْبٌ إِلَّا نَمِيمَةً أَهْدَاهَا كَاشِحٌ ، وَنَبَأٌ جَاءَ بِهِ فَاسِقٌ ،
وَهُمُ الْهَمَّازُونَ لِلشَّاعُونَ بِنَعِيمٍ ، وَالْوَاشُونَ الَّذِينَ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا الْقَصَا ،
وَالْفَوَاةُ الَّذِينَ لَا يَبْتَرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا ، وَالشُّعَاةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الْأَحْنَفُ
ابْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمِ الصَّدْقِ مُحَمَّدٍ إِلَّا مِنْهُمْ !

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ الْمَرْءُ مَذْهَبٌ
وَوَاللَّهِ مَا عَشَشْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ ، وَلَا انْحَرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِيَةِ ،
وَلَا نَصَبْتُ لَكَ بَعْدَ النُّشَيْعِ فَيْكٍ ، وَلَا أَرْمَعْتُ بِأَسَا مِنْكَ مَعَ ضَانٍ تَكَلَّفْتُ
بِهِ الْفَقْرَ عَنْكَ ، وَعَهْدِي أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ ؛ فَقِيمَ عَيْثِ الْخَفَاءِ بِأَدِمَّتِي ،
وَعَاثَ الْعُقُوقُ فِي مَوَاتِي ، وَتَمَكَّنَ الضَّيَاعُ مِنْ وَسَائِلِي ! وَلِمَ ضَاقَتْ مَذَاهِبِي ،
وَأَكْدَتْ مَطَالِبِي ! وَعِلَامَ رَضِيْتُ مِنَ الْمُرَكَّبِ مَا تَعْلِيْقِي ، بَلْ مِنَ الْغَنِيمَةِ
بِالْإِيَابِ ! وَأَنْتَى غَلَبَنِي الْمَغْلَبُ ، وَفَخَّرَ عَلَيَّ الْعَاجِزُ الضَّعِيفُ ، وَأَطَمَمَتْنِي غَيْرُ
ذَاتِ سِوَارٍ ! وَمَالَكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنِّي قَبْلَ أَنْ أَفْتَرَسَ ، وَتُنْذِرَ كُنِّي وَتَنَا أَمْرَقِي !
أَمْ كَيْفَ لَا تَتَضَرَّعُ جَوَانِحُ الْأَكْفَاءِ حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوصِ بِكَ ، وَتَقْطَعُ
أَنْفَاسُ النُّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فِي السَّكَرَامَةِ عَلَيْكَ ، وَقَدْ زَانَنِي أَسْمُ خِدْمَتِكَ ،
وَزَهَانِي وَسْمُ نِعَمَتِكَ ، وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي سِمَاطِكَ ، وَقُمْتُ الْمَقَامَ
الْحَمُودَ عَلَى بِسَاطِكَ .

أَلَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ غَرَّ قَصَائِدِ

هِيَ الْأَنْجُمُ أَقْنَدَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا

ثَنَاءً يُطَنُّ الرُّوضُ مِنْهُ مَنُورًا ضُحًى، وَيُخَالُ الْوَتْنُ فِيهِ مُنَمَّنًا

وَهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بُرْدًا طَرَزْتُهُ بِفَضَائِلِكَ ، وَتَفَلَّدَتْ الْجُوزَاهُ
إِلَّا هَقْدًا فَضَّلْتُهُ بِمَا بَرِّكَ ، وَأَسْتَمَلِي الرَّبِيعُ إِلَّا ثَنَاءً مَلَأْتُهُ مِنْ حَسَنِكَ ،
وَبَثَّ الْمِسْكُ إِلَّا حَدِيثًا أَذْعَتُهُ فِي حَمِيدِكَ ! مَا يَوْمُ حَلِيمَةٍ بِسَرٍّ .

وإن كنتُ لم أكنُك سَلِيًّا ، وَلَا حَلِيمَتِكَ عَطْلًا ، وَلَا وَصْمَتِكَ غَفْلًا ؛
بل وجدتُ أَجْرًا وَجِصًّا قَبْلَنِيَّتٍ ، وَمَكَانَ الْتَوَلُّ ذَا سَمَةٍ فَقُلْتُ
حَاشَا لَكَ أَنْ أَعْدَّ مِنْ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ ، وَأَكُونَ كَالذَّلَّةِ لِلْمَنْصُوبَةِ
نُضِيهِ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ ! فَلَاكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَهَوْبُكَ - وَنِي فِيكَ - أَوَّلِي .
وَلَعَمْرُكَ مَا جَهِلْتُ أَنْ صَرَبَجَ الرَّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ إِذْ بَلَغْتَنِي الشَّمْسُ ،
وَنَبَاجِي الْمَنْزِلِ ، وَأَصْفَحَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، فَلَا أَسْتَوْطِيهِ
الْعَجْزُ ، وَلَا أَطْمَنُّ إِلَى الْفُرُورِ ؛ وَمِنَ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ : خَامِرِي أُمَّ عَامِرِ ؛
وإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَنَّ الْجَلَاءَ سِبَاءٌ ، وَالثَّقَلَةَ مُثْلَةٌ .

وَمَنْ يَغْتَرِبَ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى

مَصَارِعَ مَظْلُومٍ : حَجْرًا وَمَسْحَبًا

وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُبْسَى

يَكُنْ - مَا أَسَاءَ - النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

لِمَارِفُ بَأَنَّ الْأَدَبَ الْوَطَنُ لَا يُخْشَى فِرَاقَهُ ، وَالْخَلِيطُ لَا يُتَوَقَّعُ
زِيَالُهُ ، وَالذَّسِيبُ لَا يُجَفَى ، وَالْجَلَالُ لَا يُخْفَى . ثُمَّ مَا قِرَانَ السَّمَدِ لَكِبْ أَيْهَى
أَتْرَا ، وَلَا أَسْنَى خَطْرَا ، مِنْ أَقْتِرَانِ غَيِّ النَّفْسِ بِهِ ، وَانْتِظَامِهَا نَسَقًا مَعَهُ ؛ فَإِنْ

الْحِزْنَ لَهَا ، الضَّارِبَ بِهِمْ فِيهِمَا - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ - أَيْنَمَا تَوَجَّهْ وَرَدَّ مَهْلِكٌ بِرْ ،
وَحَطَّ فِي جَنَابِ قُبُول ، وَضَوْحِكَ قَبْلَ انْزَالِ رَحْلِهِ ، وَأَعْطَى حُكْمَ الصَّيِّ عَلَى
أَهْلِهِ .

وقيل له : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فهذا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ

غَيْرُ أَنَّ الْوَطْنَ مَحْبُوبٌ ، وَالْمَنْشَأُ مَأْلُوفٌ ، وَاللَّبِيبُ يَحِنُّ إِلَى وَطْنِهِ ،
حَنِينَ النَّجِيبِ إِلَى عَطْنِهِ ، وَالسَّكْرِيمَ لَا يَجْفُو أَرْضًا فِيهَا قَوَائِمُهُ ، وَلَا يَنْتَسِي
بِلَدًا فِيهَا مَرَاضِمُهُ قَالَ الْأَوَّلُ :

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنْعَجٍ إِلَى وَسْطَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
بِلَادُهَا عَقُّ الشَّيْبِ تَمَامِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا

هذا إِلَى مُغَالَتِي لَمَقْدِ حِوَارِكَ ، وَمُغَافَسَتِي بِلَاحِظَةٍ مِنْ قُرْبِكَ ، وَأَعْتِقَادِي
أَنَّ الطَّمَعِ فِي غَيْرِكَ طَمَعٌ ، وَالْفَنَى مِنْ سِوَاكَ عَفَا . وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جُوفِ الْفَرَا ،
وَالْبَدَلُ مِنْكَ أَعْوَرَ ، وَالْمَوْضِعُ نَفَاءً .

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أَمِيرِي زَادَنِي ضَنْنًا بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ
وَفِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٌ ، وَاسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ وَالْعَفَّارُ . فَمَا هَذِهِ الْبَرَاءَةُ تَمُنُ
بِتَوَلَّاءِكَ ، وَالْمَيْلُ عَنْ لَا يَمِيلُ عَنْكَ ! وَهَلَا كَانَ هَوَاكَ فِيمَنْ هَوَاهُ فَيْكَ ،
وَرِضَاكَ لِمَنْ رِضَاهُ لَكَ !

يَا مَنْ يَمُرُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ وَخِذَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَ كُنْ عَدَمُ
أَعْيُذُكَ وَنَفْسِي مِنْ أَنْ أَشِيمَ خَلْبًا ، وَأَسْتَمِطِرَ جَهَامًا ، وَأَكْدِمَ فِي غَيْرِ
مَسْكَدَمٍ ، وَأَشْكُو سَكَاوِي الْجَرْجِ إِلَى الْعِقْبَانِ وَالرَّخَمِ ؛ فَمَا أَبْسَسْتُ لَكَ
إِلَّا لَتَدِرَ ، وَحَرَّ نَمْتُ لَكَ الْحَوَارِ إِلَّا لَتَحَنَ ، وَنَهْنُتُكَ إِلَّا لِأَنَامَ ،
وَسَرَيْتُ إِلَيْكَ إِلَّا لِأَنَحَدَ الشَّرَى لَدَبُكَ . وَإِنَّكَ إِنْ شِئْتَ عَقْدَ أَمْرٍ تَيْسَّرَ ،

وَمَتَى أَعَذَرْتَ فِي قَلْبِكَ أَسْرَى لَمْ يَتَعَذَّرْ ، وَعِلْمُكَ مُحِيطٌ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ
النُّفْعَةِ ، وَالشَّفَاعَةُ زَكَاةُ الْمُرُوءَةِ ، وَفَضْلُ الْجَاهِ - تَعَوُّدٌ - بِهِ صَدَقَةٌ .

وَإِذَا أَمْرُؤُا هَدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ

لَعَلِّي أَنْ أُلْقِيَ الْعَصَا بِذَرَاكَ ، وَبِاسْتَقَرَّ بِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ ، وَأَسْتَأْنِفَ
التَّأْدِبَ بِأَدَبِكَ وَالْإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ ، فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ لَحْظَةٍ ،
وَلَا أَدْعُ لِلْقَادِحِ مَسَاغَ لَفْظَةٍ ، وَاللَّهُ مَيَّسِّرُكَ مِنْ إِبْطَالِي بِهِذِهِ الطَّلِبَةِ ، وَإِشْكَائِي
مِنْ هَذِهِ الشُّكْوَى ، بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمُصْنَعِ ، وَتُسْتَوْدَعُهَا أَحْفَظُ
مُسْتَوْدَعٍ ، حَسْبَمَا أَنْتَ خَلَقْتَ لَهُ ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ ؛ وَذَلِكَ بِيَدِهِ ،
وَهَيْئٌ عَلَيْهِ .

وَلَمَّا نَوَّالَتْ غُرُرُ هَذَا النُّثْرِ وَاتَّسَقَتْ دُرُرُهُ ، فَهَزَّ عِطْفَ غُلُوبِهِ ؛
وَجَرَّ ذَيْلَ خَيْلَانِهِ ، عَارِضَهُ بِالنَّظْمِ مُبَاهِيًا ؛ بَلْ كَابَدَهُ مُدَاهِيًا ، حِينَ أَشْفَقَ
أَنْ يَسْتَعْطِفَكَ أَسْتَعْطَافُهُ ، وَتَمِيلَ بِنَفْسِكَ الطَّافَهُ ، فَاسْتَحْسَنَ الْعَائِدَةَ مِنْهُ ،
وَأَعْتَدَ بِالْفَائِدَةِ لَهُ ، فَمَا زَالَ يَسْتَكِدُّ الذِّهْنَ الْعَلِيلَ ، وَالْخَاطِرَ السَّكَلِيلَ ،
حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ عَرُوسًا مَجْلُودَةً فِي أَثْوَابِهَا ، مَنْصُوصَةً بِجَلِيلِهَا وَمَلَابِسِهَا ، وَهِيَ :

الْهَوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ - وَالْمُنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النَّسِيمِ -
سَرَرْنَا عَيْشَنَا الرَّفِيقُ الْخَوَاشِي - لَوْ يَدُومُ الشَّرُّورُ الْمُسْتَدِيمِ -
وَطَرْنَا مَا أَنْقَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى - زَمَنٌ مَازِمًا مَهْمُومُ بِالذَّمِّمِ -
إِذْ خَتَمَ الرِّضَا لِلسُّوْغِ مِسْكَ - وَمِزَاجُ الْوِصَالِ مِنْ نَسِيمِ -
وَعَرِضِ الدَّلَالِ غَضُّ جَنَى الصَّبْرِ - نَشْوَانٍ مِنْ سُلَالِ النَّدِيمِ -
طَالَمَا نَافَرَ الْهَوَى مِنْهُ عِزٌّ - لَمْ يَطُلْ عَهْدُ جَيْدِهِ بِالْتَّمِيمِ -
زَارَ مُسْتَخْفِيًا ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يُنْجَى - فِي سَنَا الْبَدْرِ فِي الظَّلَامِ الْبَهِيمِ -

فَوَيْلٌ لِّلْخُلَى إِذْ مَشَى ، وَهَمًّا ظَنَّهُ بُ إِلَى حُسْنِ كَاشِحٍ بِالْعَمِيمِ -
أَيُّهَا الْمُؤَذِّنِي بَطْلُ لَمْ الْإِيَالِي لَيْسَ دَهْرِي بِوَاحِدٍ مِنْ ظُلُومِ -
مَا تَرَى الْبَدْرَ إِن تَأَمَّلْتَ وَالشَّمْسَ سَهَا يُكْسِفَانِ دُونَ النَّجُومِ -
وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكَ يَنْحَوِ بِالْمُصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوَ الْعَظِيمِ -
بَوَّأَ اللَّهُ جَهَّورًا أَشْرَفَ السُّو دَدِي فِي السَّرِّ وَاللُّبَابِ الصِّمِيمِ -
وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأُمُورُ رَفَكَ كَانَ الْخُصُوصُ وَفَقَ الْمُعُومِ -
قَلْدَ الْقَمَرُ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ عَلِيمِ -
خَطَرٌ يَقْتَضِي السَّكْمَ بِفَوْعَى خُلُقِي بَارِعِ وَخُلُقِي وَسِيمِ -
أَسْوَدَ الرُّوْضِ تَطْيِيبُكَ يَحْظَى نَظَرِي مَا أَعْتَمَدْتَهُ وَتَسِيمِ -
إِثْبَدَا الْوَزِيرُ هَا أَنَا أَشْكُو وَالْعَصَا بَذَرْتُ قَرَعَهَا لِلْحَلِيمِ -
مَا غَنَانَا أَنْ يَأْتِيَ السَّابِقَ الْمَرْ بَطْلًا فِي الْعِقْدِي مِنْهُ وَالتَّطْهِيمِ -
وَتَوَاءَ الْحَسَامِ فِي الْجَنْفِ يَثْنِي مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالتَّصْمِيمِ -
أَفْضَرُ مَثْنٍ جَسًا مِنْ الْأَيْبَامِ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ -
وَمَعْنَى مِنَ الصَّبَا بَهْنَاتٍ نَكَاتٍ بِالْكُومِ قَرْحِ الْكُومِ -
حَقَمٌ لَا أَعَادُ مِنْهُ وَفِي الْعَا تُدْ أَنْسَ بِنِي بَيْزِهِ السَّقِيمِ -
نَارُ بَغْيِي سَمَى إِلَى جَنَّةِ الْأُنْدَسِ لَظَاهَا ، فَأَصْبَحَتْ كَالْقَصْرِ -
بَأْبِي أَنْتَ إِنْ تَشَأْتْكَ بَرْدًا وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ -
لِلشَّفِيعِ التَّنَاءِ وَالْحَمْدُ فِي صَوِّ بِ الْحَيَا لِلرِّيَاحِ لَا لِلْفَيُومِ -
وَزَعِيمٌ بَأْنِ يَذَلُّ لِي الصَّفْ بِ فَيَأْتِي إِلَى الْهَامِ الزَّعِيمِ -
وَتَنَاءُ أَرْسَلْتَهُ سَلْوَةَ الظَّا عَنِ عَن شَوْقِهِ وَلَهُوَ الْمُقِيمِ -
وَوَدَادٌ يُقَيِّرُ الدَّهْرَ مَا شَاءَ وَيَبْقَى بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ -
فَهُوَ رَبِّانَةُ الْجَلِيسِ وَلَا فَخْرَ رَ ، وَمِنْهُ مِزَاجُ كَأْسِ الْقَدِيمِ -
لَمْ تَزَلْ مُنْعِيًا عَلَى هَفْوَةِ الْجَا نِي مُصِيبًا إِلَى أَعْتَذَارِ الْمَلِيمِ -

ومتى نبدأ الصَّيِّعَةَ يُولِيكَ كَمَا تَمَامُ الْخِصَالِ بِالْمُتَمِّمِ.

هاكُمَا أَعَزَّكَ اللَّهُ يَبْسُطُهَا الْأَمَلُ ، وَيَقْبِضُهَا الْخَجَلُ ، لَهَا ذَنْبُ التَّقْصِيرِ ،
وَحُرْمَةُ الْإِخْلَاصِ ، فَهَبْ ذَنْبًا حُرْمَةً ، وَاشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ ؛ لِيَقْتَاتِيَ لَكَ الْإِحْسَانُ
مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسْلُكَ إِلَى الْفَضْلِ طُرُقَاتِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هذه الرسالة الزيدونية بجملة ما نثرنا ونظما ، منقولة من خط ابن ظافر رحمه
الله تعالى .



وهذا أوان الشروع في إبرادها على التفصيل شيئاً فشيئاً ؛ ليتأتى
السلام على ما أودعه فيها من الإشارات إلى الوقائع والأحداث ، وخلد فيها من
أبياتٍ اشتهر بين الأدباء استمالتها ، وتخلل في غصون الرسائل والمكتبات
ورودها ؛ حسب الإمكان ، وبالله الإعانة .

١ - قوله : يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَادِي لَهُ .

المولى يحى في السلام على زمان . ز فالمولى ابن العم^(١) ، والمولى
الحليف ، والمولى المنعم ، والمولى المعتقد ، والمولى العتيق .
فالمولى أعلى وأسفل . فهو من الأضداد ؛ فمن وقف على مواليه فلا شافى
رحمه الله تعالى فيه ثلاثة أقوال : أحدها يُصرف إلى الأعلى ، والثاني يُصرف
إلى الأسفل ، والثالث أن يشترك بينهما ، وعليه الفتوى .

وما أحسن قول أبي إسحاق الفزري :

ولن يتساوى سادة وعبيدكم على أن أسماء الجميع موالى
وقول أبي تمام الطائي :

مولاك يا مولاى صاحب لوعة في يومه وصباية في أمسه
دنف بجود بنفسه حتى لقد أسمى ضعيفاً أن يجود بنفسه
والمولى : الولي ، وفي الحديث : « اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه » .
والمولى : الجار والناصر ، وكل من ولي أمراً فهو وليه ، والمراد من هذه

المعاني كلها المنعم ، والمعتق ، والسيد . تقول العرب : سادَ قومَه يسودُهم
سيادةً ، وسودداً ، وسيدردةً ، فهو سيِّدٌ ، أى فضل عليهم وأرتفع عن
طبقتهم ، لما امتاز عنهم بمناقبه ؛ وما أحسن قول أبي نواس في الفصل
ابن عبد الصمد الرقاشي :

وجَدْنَا الفضلَ أكرمَ من رقاشٍ لأنَّ الفضلَ مولاهُ الرَّسولُ
أراد أبو نواس نفيه عن ولائه ؛ لأنه جملة أكرمَ من يلتصق إليه ،
وذَهَبَ إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « أبا مولى من لا مولى له » ، وهذا من
الهجاء الخبيث الخفى .

والوداد : المحبة ، تقول منه : ودَدْتُ الرجل أودُّه ووداداً ، أحببته ،
والودَّ والودَّ بضم الواو وفتحها : المودة .
ويُقَابِلُ المولى مذكراً للولاء مؤنثةً ، ويقابل السيد مذكراً للسيدة
مؤنثةً . وأما قولُ الناس : « لست » ، فليس في كلام العرب ، بل هو مولد ،
وما أحسن قول البهاء زهير :

بِنَفْسِي مَن أَسْتَبِيهَا سَيْتِي فَزَعْنِي النُّعْمَةُ بَيْنَ مَقَتِ^(١)
يَرَوْنِ بِأَنِّي قَدْ قَاتُ الْخَنَاءَ فِكَيْفَ وَإِنِّي لَزُهَيْرُ رَفَتِي
وَقَدْ مَلَكَتْ جِهَاتِي السَّتُّ حَقًّا فَلَا عَجَبَ إِذَا مَا قَتُ : سَيْتِي

وقال الباهرزي :

إِنِّي لَا عَشَقُ سَيْتِي إِي وَالَّذِي شَقَّ خُمِي
وقد غلب على كتاب الحكم عن القضاة أن يقولوا : سيدنا ومولانا
قاضى القضاة ، فيما يكتبونه من السجلات وغيرها ، والصواب فيه تقديم مولانا
على سيدنا ، لأمر :

الأول : أن كتاب الإنشاء هم الأصل في هذه الصناعة ، وأول مايقولون :
المولوى الأميرى ، ويأتون بالسيد بالآخر .

الثانى : أن العرب كذا قالوا ، قالت الخنساء في أخيها صخر :

وإن صخرًا لمولانا وصيدنا وإن صخرًا - إذا نشئوا - لنحار^(١)
وإن صخرًا لنا تم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
حامي الحقيقة محمود الخليفة منهم دى الطريقة نفاع وضرار

ولا نورد عليها ما يروى عن أبى عثمان المازنى ، قال : رأيت أبا فرعون
المدوائى ومعه ابتاه ، وهو فى سكة المطارين بالبصرة يقول :

بنيته صابرا أبا كذا إنكنا بعين من يراكنا
الله ربى سيدى مولانا كذا ولو يشا بفضله أغنا كذا

لأن الكلام فى العطوف ، وليس هذا فيه عطف ؛ لأن مثل هذا
لا ترتيب فيه ، كقوله تعالى : ﴿ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ ﴾^(٢) ، والله تعالى
يقبل التوبة أولاً ، ثم يعفو الذنب .

والثالث : لأن البلاغة أن يذكر الأعم ثم الأخص ، كقوله تعالى :
﴿ فِيهِمَا فَارِحَنٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾^(٤) .

فالولى أعم من السيد ، لأن المولى يطابق على معان كما تقدم ، والبلاغة
أن تقول : يا صاحبي ، يا أخى ، يا حبيبي ؛ لأن الأصحاب كثيرة ، والأخوة
أقل منهم ، والخبيب لا يكون إلا واحداً .

ومن أقوى أدلة المعرلة فى تفضيل الملائكة على الأنبياء ما يستدلون

(٢) سورة غافر ٢ .

(١) ديوانها ٧٩ .

(٤) سورة البقرة ٩٨ .

(٣) سورة الرحمن ٦٨ .

به من الأدلة السَّمْعِيَّةِ قوله تعالى : ﴿لَنْ يَسْتَدْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ^(١) . قالوا : والبلوغ لا يقول : لا أفسر في السلطان ، ولا في الوزير ، والصحيح ما قاله أهل السنة ، وليس هذا بموضع بيان هذه المسألة .
وتما يؤيد ما قلناه ، أن سيّد العلماء والفُصحاء ، إمامَ الحَرَمَيْنِ ^(٢) ، قال في كتاب الإرشاد : القول في نبوة مولانا وسيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم :
وتقول المَرَب : إِنْ مِنْ نَعْتِ السَّيِّدِ أَنْ يَكُونَ أَحَدِيْمًا ، ضَخْمُ الهَامَةِ ، جَهِيْرُ الصَّوْتِ ، إِذَا خَطَا أَمْعَد ، وَإِذَا يُؤْمَلُ مَلَأَ الْعَيْنَ مَهَابَةً ؛ لِأَنَّ حَقَّهُ أَنْ يَكُونَ فِي صَدْرِ الْجُلُوسِ ، أَوْ ذِرْوَةِ مَنبَرٍ ، مُتَقَرِّدًا فِي مَوْكِبٍ ؛ وَيَقُولُونَ فِي نَعْتِهِ : بِمَلَأَ الْعَيْنَ جِهَالًا ، وَالسَّمْعَ مَقَالًا .

وقال دِعْبِل :

فَإِذَا جَالَسَتْهُ صَدْرَتُهُ وَتَفَحَّيْتُ لَهُ فِي الْحَاشِيَةِ ^(٣)
وَإِذَا سَابَرَتْهُ قَدُمَتُهُ وَتَأَخَّرَتْ مَعَ الْمُسْتَقَانِيَةِ
وَإِذَا عَاشَرَتْهُ صَادَقَتُهُ شَرِسَ الرَّأْيِ أَبْيَا دَاهِيَةِ
فَأَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى صُحْبَتِهِ وَسَلِّ الرَّحْمَنِ مِنْهُ الْعَاقِبَةِ
ويؤيد هذا قول الفَرَزْدَق :

يَقْلُبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَظِيمًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادٍ عِيُوبُهَا ^(٤)
وقال رجل لعمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : مَنْ السَّيِّدُ ؟ قَالَ : الْجَوَادُ حِينَ يُسْأَلُ ، الْحَلِيمُ حِينَ يُسْتَجْمَلُ ، السَّكْرِيمُ الْمُجَالَسَةُ لِمَنْ جَالَسَهُ ، الْحَسَنُ الْخُلُقُ لِمَنْ جَاوَرَهُ . وَالَّذِي أَظَنَّهُ أَنَّ السَّيِّدَ عِنْدَ الْمَرَبِ ، مَنْ سَادَ قَوْمَهُ أَوْ غَيْرَهُمْ بِصِفَاتِهِ الْحَمُودِ ، وَلَا يَتَوَقَّفُ فِي ذَلِكَ عَلَى أَصَالَةٍ وَلَا نَسَبٍ ، مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ :

(١) سورة النساء ١٧٢ .

(٢) إمام الحرمين ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، الملقب بإمام الحرمين ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، وكتابه الإرشاد في أصول الدين ؛ توفي سنة ٤٧٨ . (٣) ديوانه ٢٥٥ . (٤) ديوانه ٥١ .

نفسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَلِمَتْهُ الْكَرَّةُ وَالْإِفْدَامُ^(١)
وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ :

فَمَا سَوَدَتْ نِيَّ عَامِرٍ مِنْ كِلَالَةٍ أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بِأَمٍّ وَلَا أَبٍ^(٢)
وَلَسَكُنْتَنِي أَحْمَى جِهَاهَا وَأَتَقَى أَذَاهَا ، وَأَرْجَى مَنْ رَمَاهَا بِمَقْنَبٍ^(٣)

وَقَدْ أَنْصَفَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ الْمَعْرُوفُ بِالْحَزِينِ حَيْثُ قَالَ :

وَتَلَقَّى الْفَتَى ضَخْمًا جَمِيلًا رُؤَاؤُهُ يَرُوعُكَ فِي النَّادَى وَلَيْسَ لَهُ عَنَلٌ^(٤)
وَأَحَرَّ تَذْبُو الدِّينُ عَنْهُ مُهْذَبٌ يَجُودُ إِذَا مَا الصَّخْمُ هَمَّتْهُ الْبُخْلُ^(٥)

فصل

هل يجوز إطلاق هذين الاسمين على الله تعالى ؟ نعم يجوز ذلك .

أما المولى فقد نطق به القرآن العظيم في غير موضع ، وأما السيد فقد جاء مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ذكر ذلك الإمام الحافظ ، ركن الإسلام ، سيف السنة ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البیهقي البروجردی رضی الله عنه في كتاب الأسماء والصفات ، قال : أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الرَّوْذِبَارِيُّ ، أَنبَأَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ دَاسَةَ ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ ، حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ سَعِيدُ بْنُ يَزِيدَ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَصْرَةَ^(٦) ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ ، قَالَ : انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

(١) ينسب إلى النابغة الذبياني ، العقد الثمين ١٧٥ .

(٢) حاشية ابن السجري ٧ ، الشعر والشعراء ٢٩٤ .

(٣) المقنب : جماعة الخيل من الثلاثين إلى الأربعين .

(٤) الأغاني ١٥ : ٣٣٧ .

(٥) الأغاني : « نهيه البخل » .

(٦) هو أبو بصرة الفخاري ، واسمه جميل بن بصرة . تقريب التهذيب ٢ : ٣٩٥ .

صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : السيد الله ؛ فقلنا : وأنزلنا فضلا ، وأعظمنا طولا ؛ فقال : قولوا بقولكم ، أو بيمض قولكم ، ولا يستجر بينكم الشيطان .

وقال الحلبي^(١) رحمه الله تعالى : ومعناه : المحتاج إليه بالإطلاق ؛ فإن سيد الناس إنما الذي إليه يرجعون ، وبأمره يتملون ، وعن رأيه يصدرُونَ ، ومن قوله يستمدون . فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خائفًا للبارئ جل ثناؤه ، ولم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود ، إذ لو لم يؤجدهم لم يؤجدوا ، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد ، ولا في الموارض المارضة أثناء البقاء ؛ كان حقًا له جل ثناؤه أن يكون سيِّداً ، وكان حقًا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم . انتهى .

وقال السَّهْبِيلِي^(٢) : والذي أقول في السيِّد ، إنه يعتبر بالإضافة ، لأنه في أصل الوضع بعض ما يضاف إليه ، تقول : فلان سيِّد قيس ، إذا كان منهم ، ولا تقول في قيسى : سيِّد بنى تميم ؛ فلذلك لا يقال : الله سيِّد الناس ، ولا الملائكة ، وإنما يقال : ربهم . فإذا قلت : سيِّد الأرباب وسيِّد الكرماء جاز ؛ لأن ممناه أعظم الأرباب ، وأكرم الأكرمين . وقد منيع أن يشتق له من الشؤدد ؛ ولا حجة في قول حسن بن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم : في حنة الفردوس فاكتبها لنا يا ذا الجلال وذو الملا والشؤدد^(٣)

لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمَّها فيقرها .

(١) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري ، صاحب كتاب المتماح في شعب الإيمان ، توفي سنة ٤٠٣ . الإعلام للزركلي ١ : ٢٥٣ .
(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الحنفي ، صاحب الروض الأنف والتعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن . توفي سنة ٥٨١ . ابن خلكان ١ : ٢٨ .
(٣) ديوانه ٩٨ .

هذا ملخصُ كلامِ الشَّهْبَلِيِّ ؛ وفيه نظرٌ ، لأنَّ الخلفاءَ الراشدينَ والصَّحابةَ المهتدينَ سَمَّوْها وأَقْرَؤْها . وما أَحْسَنَ قولَ الإمامِ أبي الفضلِ طاهرِ بنِ اللُّقْمِيِّ الحَدِّثِ :

أشارتُ إلى بُعْتَابَةٍ مُخَضَّبَةٍ مِنْ دَمِ الْأَفْنِدَةِ
وَقَالَتْ : عَلَى الْمَهْدِ يَا سَيِّدِي ؟ فَقُلْتُ إِلَى الْحُشْرِ يَا سَيِّدَهُ

وقال أبو العلاء المَعْرِيُّ :

حَسَابُكُمْ عِنْدَ الْمَلِكِ وَمَا لَكُمْ سِوَى الْوُدِّ مَنِي فِي هُبُوطٍ وَمَقَرَعٍ ^(١)
وَدَادِي لَكُمْ لَمْ يَنْقَسِمِ وَهُوَ كَامِلٌ كَمَشْطُورٍ وَزَنْ لَيْسَ بِالْمَقْصَرِّعِ
الشَّعْرُ كُلُّهُ بِصَرْعٍ إِلَّا الْمَشْطُورُ مِنَ الرَّجَزِ وَالسَّرِيعُ فَإِنَّهُ لَا يَصْرَعُ ؛ لِأَنَّهُ عَلِ
ثَلَاثَةَ أَجْزَاءَ ، كَقَوْلِ رُؤْبَةِ :

* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمُخْتَرَفِينَ * ^(٢)

وُسَمِيَ الْمَشْطُورَ لِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ حُذِفَ مِنْهُ شَطْرُ الْبَيْتِ ، وَمَا أَحْسَنَ قولَ
مُحَمَّدِ بْنِ غَالِبِ الرُّصَافِيِّ :

لَكَ الْوُدُّ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ وَإِنْ بَقِيَتْ نَوَاكٍ عَلَى التَّامِدِي
إِذَا كَرُمْتَ عَمُودُ الْمَرْءِ طَانِمًا فَأَكْرَمُ مَا يَكُونُ عَلَى الْبِمَادِي
* * *

٢ - وقوله : وَأَعْتَمَدِي عَلَيْهِ ، وَأَعْتَدَادِي بِهِ .

تَقُولُ الْقَرَبُ : اعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ فِي كَذَا ، أَيْ اتَّكَلْتُ عَلَيْهِ ؛ وَأَعْتَمَدْتُ
عَلَى الشَّيْءِ ؛ بِمَعْنَى اتَّكَلْتُ وَأَسْتَنْدْتُ . وَأَعْتَدَادِي بِهِ ، أَيْ عُدَّتِي أَلَيَّ
أَذْخَرْتُهَا لِيَوْمِ حَاجَتِي .

(١) - سقط الزند ١ : ١٥٧٦

(٢) - خزانة الأدب ٨١ ، والقائمة : الغبرة . والأعماق : جمع عمق ، وهو ما بعد من أطرافه
المفاوز ، والمخترق : مكان الاختراق . والتنوين للترنم .

وقد أتى ابنُ زيدون في هذه الألفاظ بالترصيع ، وهو من أنواع
 البديع ؛ لأنه قال : « الذي ودّادى له ، وأعتما دى عليه ، واعتدادي به » ، فأنى
 بالذال وبمدها الياء ، وهى ضميرُ المتكلم ، وعدّى كل واحدٍ بحرفٍ جرٍّ : له ،
 وعليه ، وبه ؛ وهذا نوعٌ من المبالغة يدلّ على قوّة المعارضة وسعة العبارة .
 وما أحسن قولَ شيخ الشيوخ شرفِ الدّين عبد العزيز :

لما ملأَ واحدٌ ما أشتى ولسكنفا لم نجد مثله
 ملاذى به ، ومثولى لديه ، ومثلى إليه ، ومذحى له
 ومثلُ هذا قولُ الآخر :

كعبتُ وشيفاتُ حالى غابنِ إلى سيّدٍ جلٍّ عن مُشبه
 فسوّنى إليه ، وشكرى له وشعرى فيه ، وشفلى به
 وكعبتُ إلى بعض الأصحاب :

كعبتُ لمولى نأت دارهُ وسيداتُ حالى وقفَ لديه
 فسوّنى إليه ، سُموى به ، سوّلى عنه ، سلامى علىه
 وكعبتُ أيضاً :

كعبتُ ودالاتُ حالى كما تراها إلى سيّدٍ لم أخنه
 دعائى ودَمعى ودأبى ودانى ، له وعليه وفيه ومنه
 وما أحسن قولَ الآخر زى :

سقى اللهُ مالين من قربةٍ غماماً نداهُ عن المحلِ يبهى
 فأنسى وحرصى ومِلْسكى ومالى بها وعليها وفيها ومنها
 وقال الحريرى في مقاماته (١) :

فهذه قصّتي وقصّته فانظروا إلينا وبيننا ولنا

(١) مقامات الحريرى ٧٤ « من المقامة الثامنة » .

٣ - وقوله : مَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ مَاضِيَ حَدِّ الْقَرْمِ ، وَارَى زَنْدِ الْأَمَلِ ،
ثَابِتَ عَهْدِ النِّعْمَةِ .

ماضى حدّ القرم ، أى حدّ العزيمة ، والماضى : السيف النافذ فى الصّريية .
والقرم : الصريية ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾^(١) ، وعزمتُ على الأمر أعزمت
عزماً وعزماًنا - بضم اللعين - وعزيمةً وعزيماً ، إذا أردت فعله .
وَارَى زَنْدِ الْأَمَلِ ، ورى الزند إذا خرجت ناره وقت الاقتداح . والزند :
المقدحة . وَالْأَمَلِ : الرجاء .

وثابت عهد النعمة ، الثابت للتمكن الموثق ، والعهود : الأمان واليمين ،
والموثق والذمة والحفاظ .

والنّعمة : تأنيث التميم ، وهو ضدّ الشقاء ، ومعناه : وألقى أبقاء الله
وعزمه ماضى الحد ، وأمله وارى الزند ، ونعمته ثابتة العهد ، فهذه الجمل
واقعة موقع الحال ، وفيها ثلاث استعارات ، وهى : اللضاء لحدّ القرم ،
كأنه لا يعزم على شيء إلا أمضاه ونفذ فيه حدّه . وورى زند الأمل كأنه
لا يؤمل شيئاً ، إلا وهو يرى نوره . وثبات عهد النعمة ، أى لا تغيّر له ذمة
نعمة ، بل هى محفوظة أبداً عليه .

قال الصولى^(٢) : أخذ الكتاب قولهم فى الدعاء : « وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ،
وزادها » من قول عديّ بن الرقاع :
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى أَمْرِيَّ وَدَعْتَهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا^(٣)

(١) سورة طه ١١٥ .

(٢) هو محمد بن يحيى الصولى فى كتابه أدب الكتاب ص ١٧٤ .

(٣) الشعر والشعراء ٦٠٢ ، وروايته : « صلى عليك » .

حضر أعرابيٌ وَلِيمةً ، فرأى نعمةً ، فقال : النِّعم ثلاث : نعمة في حال كونها نعمةً ، ونعمةٌ تُرجى مستقبله ، ونعمةٌ تأتي غير محسوبة ، فأدام الله لك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما ترجوه ، وتفضل عليك بما لا تحسبه .

وذكرتُ بقوله : « ماضى حدُّ العزم » ، قولَ ابنِ السَّعَالِي بِمدح بعضِ أولادِ صلاح الدين :

وَأَبْقَى ضَافِي ثَوْبِ النِّعَمِ قَرِيرًا مَنِ نَصَرَ الْجَنَابَ ، صَافِي الْوُرُودِ
بَيْنَ عَزَمٍ مَاضٍ ، وَحُكْمٍ مُطَاعٍ وَمُرَادٍ دَانٍ ، وَعَيْشٍ رَغِيدٍ

* * *

٤ — وقوله : إِنْ سَلَبْتَنِي أَعَزَّكَ اللَّهُ لِبَاسِ إِنْعَامِكَ ،
وَعَظَّمْتَنِي مِنْ حُلِيِّ إِيْنَابِيكَ .

الأسقلاب : الأختلاس . واللباس : ما يُوارى الجسد . والإِنعام : المنّة واليَد ، وما أنعم به عليك .

والتمطيل : خلّو جيد المرأة من القلائد ، يقال : امرأةٌ مِطْطالٌ ، إذا كانت عاريةً من الحليّ ، والحليّ^(١) : ما تَعَلَّى به المرأة من خاتمٍ وسوارٍ وقِلادة . والإيْناس : مصدرُ الانس ، وهو ضدُّ الوحشة ؛ يقول : إِنْ أَخَذْتَ مِنِّي ، وَأَخْتَلَسْتَ مَا كَانَ لَكَ عَلَيَّ مِنْ لِبَاسِ الْإِنْعَامِ ، وَتَرَكْتَنِي عَاطِلًا مِنْ حُلِيِّ أَنْسِكَ بِي ، وَأَنْسَى بِكَ وَهُوَ الْأَوَّلَى .

وقد استعمار الأسقلاب اللباس ، والمطلّ للحليّ ، وهي استعارةٌ حسنة ، كانَّ إِنْعَامَهُ كَانَ لَهُ بِمَنْزِلَةِ اللَّبَاسِ ، فَأَرْجَمَهُ وَسَلَبَهُ ، وَكَأَنَّ إِيْنَابَهُ لَهُ كَانَ

(١) الحلي جمع حلي ، ينتج الحياء وسكون اللام .

يُنْزِلُ الْخَلِيْلَ لَهُ ، فَعَطَّلَهُ مِنْهُ ، وَتَرَكَ جِيْدَهُ بِلَا قِلَادَةٍ عَارِيًّا مِنْ حُلِيِّ الْاُنْسِ .
وما أحسن قول أبي بكر أحمد المصنوعي :

وإنْ أَبْدَلْتَنِي بِاللَّهِم لِي مِنْ أَخْلَاقِكَ الْوَعْرَا
وَعَادَ الْخُلُوْ مِنْ وَدِّكَ لِي فَبِمَا مَضَى مُرًّا
إِذَا مَا زِدْتُكَ الْآنَ وَفَاءً زِدْتَنِي عُذْرًا
فَمَا تَسْمَعُ لِي قَوْلًا وَمَا تَقْبَلُ لِي عُذْرًا
وَمَا لِي فِيكَ إِلَّا الصُّبْرُ ، سَاءَ الدَّهْرُ أَوْ سَرًّا^(١)

هـ — قوله : وَأَظْمَأْتَنِي إِلَى بَرُودِ إِسْعَافِكَ ، وَنَقَضْتَ بَنِي
كَفَّ حَيَاطَتِكَ .

أَظْمَأً : العطش ، والبرود : الشئ البارد ، وقال الشاعر :
* بَرُودُ الثَّنَائِيَا وَاضِحُ الثَّقْرِ أَشْنَبُ *

والإسعاف : الإنجاد والإغاثة ، والنقض : الطرح ، والحِياطَة : الإحاطة
بالشئ ، وهو الاستيلاء على جميع نواحيه .

يقول : وَأَظْمَأْتَنِي إِلَى بَرُودِ إِغَائِنِكَ لِي وَإِنْجَادِي ، وَطَرَحْتَنِي مِنْ كَفِّ
حَوَزِكَ .

وقد أَسْعَمَ الظَّمَأُ — وهو شدة العطش — إِلَى بَرْدِ الْإِسْعَافِ ، وَنَقَضَ الْكَفَّ
مِنَ الْإِحَاطَةِ بِهِ وَالْحَوَازَةِ لَهُ ؛ وَذَلِكَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ .

(١) ط : « ساء الدهر » .

٦ - وقوله : وَغَضَضْتُ عَنْ طَرَفِ حِمَايَتِكَ .

تقول العرب : غَضَّ طَرَفَهُ ، أى خَفَضَهُ ، وَالطَّرْفُ هُوَ الْبَصَرُ . وَالْحِمَايَةُ : الْوِقَايَةُ . يقول : وَغَضَضْتُ طَرَفَ حِمَايَتِكَ عَنِّي ، فتركيتنى غَرَضاً لِنَصَائِبَاتِ الْحَوَادِثِ .

وقد أَسْتَعَارَ الطَّرْفَ لِلْحِمَايَةِ ، لِمَا كَانَ الَّذِي يَحْمِيكَ وَيَقِيكَ كَأَنَّهُ نَاطِرٌ إِلَيْكَ بِحِفْظِكَ مِنْ كُلِّ مَا يَهْطُكَ أَمْرُهُ ؛ لَا جَرَمَ أَنَّهُ حَسُنَ أَسْتِيسَالُ الْغَضِّ هُنَا لَطَرَفِ الْحِمَايَةِ ، وَهِيَ أَسْتِعَارَةٌ حَسَنَةٌ .

وقد أَخَذَ ابْنُ زَيْدُونَ بِمَدَدٍ عَلَى ابْنِ جَهْوَرٍ مَا عَامَلَهُ بِهِ مِنَ الْجَفْوَةِ ، وَكَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَقُولَ : إِنْ سَلِمْتَنِي لِإِبَاسِ إِنْعَامِكَ بِمَدَّ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِينِي لَكَ ، وَلَسَكُنْتَهُ وَفَى الْمَقَامَ حَقَّهُ مِنْ تَعْدَادِ مَا وَجَدَهُ مِنْهُ ؛ مِنْ سَلَمِهِ لِإِبَاسِ إِنْعَامِهِ ، وَتَعَطُّيلِهِ مِنْ خَلِّيِ إِبْدَائِهِ ، وَإِظْمَانِهِ إِلَى بَرُودِ إِسْمَاعِهِ ، وَنَقْضِ كَفِّ الْحِيَاظَةِ ، وَغَضِّ طَرَفِ الْحِمَايَةِ . . . وَلَا شَكَّ أَنَّ تَعْدَادَ الظَّلَامَاتِ أَبْلَغُ وَأَجْلَبُ لِلرَّحْمَةِ ، وَادَّلَّ عَلَى التَّوَجُّعِ ، وَهَذَا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

قَالَ لِي : كَيْفَ أَنْتَ ! قُلْتُ : عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ ^(١)

وكقول الحماسي :

أَسْجَنًا وَقَيْدًا وَأَشْتِيَا فَا غُرْبَةً وَنَائِي حَبِيبٍ ! إِنْ ذَا كَمَظِيمٌ ^(٢)
وَإِنَّ أَمْرًا تَبَقَى مَوَائِقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ مَا لَا قِيَمَةَ لَكْرِيمٌ
وكقول الآخر :

(١) معاهد التنصيص ١ : ١٠١ ، من غير نسبة .

(٢) ديوان الحماسة - بشرح المرزوقي ١٣١٥ ، ونسبه إلى بعض الأعراب .

ولقد أردتُ الصَّبْرَ عنكَ فمأقنى علقَ بِقَافِي من هَوَاكَ قَدِيمُ
يبقى على حَدَثِ الزَّمانِ وَرَبِّهِ وعلى جَفائِكَ ، إِنَّهُ لَكَرِيمُ

وقول ابن القيم :

ضَاعَ سَمِّي وَخَبْتُ ، خَابَتْ أَعَادِي لَكَ ، وَمَنْ يَبْتَغِي لَكَ الْأَسْوَاءُ
وَأَحْتَمَلْتُ الْحُرْمَانَ وَالنَّقْصَ وَالْإِلْ مَادَ وَالذُّلَّ وَالْجَوَى وَالْجَفَاءُ
وَنَحَمْتُ وَأَصْطَبْتُ فَلَمْ يُبَيِّ قِ عَلَى عُودِي الزَّمانُ لِحَاءُ^(١)
أَطْلَى هَذِهِ الْمَصِيبَةَ صَبْرُ لَا ؛ وَلَوْ كُنْتُ صَخْرَةً صَمَاءُ
وَمَا قُلْتُ أَنَا :

يَا لَقَوِي سَأَلْتُكُمْ خَبْرُونِي : هَكَذَا كُلُّ مَنْ أَحَبَّ حَبِيبَةَ !
سَقَمَ زَائِدٌ ، وَدَمَعُ وَسُوءٌ ، وَلَحَا عَازِلِي نَمَامُ الْمَصِيبَةِ^(٢)

٧ - وقوله : بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ .

يقول : فعلتَ بي ما تَقَدَّمَ من سَلْبِ لِبَاسِ إِنْعامِكَ ، وما بَعْدَهُ من
الْجَمَلِ لِلْمُطَوِّفَةِ ، بَعْدَ مَا نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ - وهذه مُبَالَغَةٌ زَائِدَةٌ ؛
وهو أَنَّ التَّأْمِيلَ أَمْرٌ مَعْنَوِي لَا تُشَاهِدُهُ الْعَيْنُ - وَأَنَا كُنْتُ مُبَالَغًا فِيما
أَمَلْتُهُ مِنْكَ وَرَجَوْتُهُ ، حَتَّى رَأَى الْأَعْمَى مِنْ شِدَّةِ اتِّصَافِي وَتَلَبُّسِي بِهِ . وهذه
مُبالَغَةٌ عَظِيمَةٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وهو بَشِيرٌ إِلَى قول أَبِي الطَّائِبِ :

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأُصَمِّتُ كَيْلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ^(٣)

(١) ط : « رجاء » .

(٢) يقال لحا الرجل ، يلحاه لحاء ؛ أى لأمه ، ولحاهنا مقصور لحاء .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٦٧ .

وهذا من قصيدته التي يقول في أولها :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ يَمْنُ قَلْبُهُ شَيْمٌ وَمَنْ يَجْسِمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ
وَقَفَ الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ شَافِعُ بْنُ عَلِيٍّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى شَيْءٍ
مَنْ نَظَّمَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَحِيدِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَرَانَا يَرَاعُ ابْنَ الْوَحِيدِ بَدَائِعًا تَشْوِقُ بِمَا قَدْ أَهَجَّتْهُ مِنَ الطَّرَاقِ
بِهَا هَلَّتْ كُلُّ النَّاسِ سَبَقًا، فُجِبْدًا يَمِينٌ لَهُ قَدْ أَحْرَزَتْ قَصَبَ السَّبْقِ
فَقَالَ ابْنُ الْوَحِيدِ بِمَدْحِهِ وَبِشُكْرِهِ :

يَا شَافِعًا شَفَعَ الْعَالَمِيَا بِحِكْمَتِهِ فَسَادَ مِنْ رَاحِ ذَا عِلْمٍ وَذَا حَسَبٍ
بَانَتْ زِيَادَةُ حَظِّي بِالسَّمَاعِ لَهُ

وَكَانَ يَحْكِيهِ فِي الْأَوْضَاعِ وَالنَّسَبِ
فَجَاءَنِي مِنْهُ مَدْحٌ صَيِّغٌ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّمًا، بَلْ أَنَّى أَهْيَى مِنَ الذَّهَبِ
فَكِدْتُ أَشِدُّ لَوْلَا نُورُ بَاطِنِهِ : أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي
فَلَمَّا بَلَغْتَ الْأَبْيَاتُ شَافِعًا انْخَرَفَ وَتَأَذَّى، فَقَالَ :

نَمُّ نَظَرْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ أَدَبًا يَأْمَنُ عَدَا وَاحِدًا فِي قِلَّةِ الْأَدَبِ
جَازَيْتَ مَدْحِي وَنَفَرِي بِمَعْرِةٍ

وَالْعَيْبُ فِي الرَّأْسِ دُونَ الْعَيْبِ فِي الدَّنَسِ
وَزِدْتُ فِي الْفَخْرِ حَتَّى قُلْتُ مُنْتَسِبًا بِحِظِّكَ الْيَاسِ الْمُرِّي كَالْحَطَبِ
بَانَتْ زِيَادَةُ حَظِّي فِي السَّمَاعِ لَهُ وَكَانَ يَحْكِيهِ فِي الْأَوْضَاعِ وَالنَّسَبِ
كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَنْ أَرْضَاهُ فِي عُمُرِي يَا ابْنَ الْوَحِيدِ، وَكَمْ صَنَعْتَ مِنْ كَذِبِ
جَازَيْتَ دُرِّي - وَقَدْ نَضَّدْتُهُ كَلِمًا يَرُوقُ سَمْعَ الْوَرَى - دُرًّا بِخَشَابِ
وَمَا فُهِمَتْ مُرَادِي فِي الْمَدِيحِ وَلَوْ فُهِمَتْهُ إِلَى الْأَدَبِ

سَأَتَبِعَ الْقَافَ إِذْ جَاوَزْتَ مَفْتَحاً بِالزَّائِ يَافَا فَلَاعَنَ سَوْرَةَ الْغَضَبِ
خَالَفَتْ وَزَنِي عَجْزاً وَالرَّوِيَّ مَعاً وَذَلِكَ أَفْبَحُ مَا يَرَوَى عَنِ الْعَرَبِ
قُلْتُ : إِنَّ الْوَحِيدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مَمْدُورٌ فِي الْعُدُولِ عَنِ الْوِزْنِ
وَالْقَافِيَةِ ؛ لِأَنَّهُ مَا كَانَ يَجْدُ فِي ذَلِكَ الْوِزْنَ وَالْقَافِيَةِ ، مِثْلَ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :
* أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي *

وَكَانَ نَاصِرُ الدِّينِ شَافِعٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ قَدْ أُضِرَّ ، وَقَدْ احْتَرَزَ ابْنُ
الْوَحِيدِ فِي قَوْلِهِ : « لَوْلَا نُورُ بَاطِنِهِ » احْتِرَازاً جَيِّداً ، وَلَكِنْ مَا أَفَادَهُ
ذَلِكَ شَيْئاً ، مَعَ تَسْرُّعِ نَاصِرِ الدِّينِ شَافِعٍ ، رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى .
وَقَدْ قَالَ الْمَرْتَبِيُّ لَمَّا لَهَجَ بِشَمْرِ أَبِي الطَّيِّبِ ، وَعَكَفَ عَلَيْهِ قَاتِلُهُ اللَّهُ ! كَأَنَّهُ
يَرَانِي الْآنَ حَتَّى قَالَ :

* أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي *

* * *

٨ - وَقَوْلُهُ : وَسَمِعَ الْأَصَمُّ ثَنَائِي عَلَيْكَ ، وَأَحْسَّ الْجَمَادُ
بِاسْتِنَادِي إِلَيْكَ .

الْأَصَمُّ : الَّذِي لَا يَسْمَعُ شَيْئاً .

وَأَحْسَّ : مِنْ الْإِحْسَاسِ ، وَهُوَ الْإِدْرَاكُ بِالْخَوَاسِ الْخَمْسِ .
وَالْجَمَادُ : كُلُّ مَا لَيْسَ يُدْرِكُ مِثْلَ الْحَجَرِ وَالتُّرَابِ وَغَيْرِهِ ، وَفِي اللَّفْظِ :
الْجَادُ : الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ يُصْبِهَا مَطَرٌ ، وَنَاقَةُ الْجَادِ ، لَا آتِنَ فِيهَا .
وَالِاسْتِنَادُ فِي الْحَدِيثِ : أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى قَائِلِهِ ، وَهَذَا تَمَّ تَقْدِيمُ فِي الْمُبَالَغَةِ .

يَقُولُ : فَمَلَتْ بِي كُلُّ ذَلِكَ بَعْدَ مَا نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ ، وَسَمِعَ
الْأَصَمُّ - وَهُوَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لَهُ - ثَنَائِي الَّذِي كُنْتُ أَثْنِيهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَّ الْجَمَادُ
الَّذِي لَا إِدْرَاكَ لَهُ وَلَا إِحْسَاسَ بِرَفْعِ الْحَدِيثِ إِلَيْكَ ؛ وَهَذِهِ غَايَةُ فِي الْمُبَالَغَةِ ، وَطَبَقَةُ

عُلِيًّا فِي الْبَلَاغَةِ، وَهُوَ أَنْ يُبْنِيَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَسْمَعَهُ الْأَصَمَّ، وَيُسْنِدَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْسِنَ الْجَادُ بِدَلَالِكَ.

وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ النُّسخِ : « وَقَدْ أَحْسَنَ الْجَادُ بِاسْتِحْمَادِي لَكَ » ،
وَالِاسْتِحْمَادُ : اسْتِفْعَالٌ ، مِنْ الْحَمْدِ ، وَهُوَ مَعْلُومٌ تَمَّا تَقَدَّمَ ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ
أَبْنِ السَّاعَاتِيِّ :

فِي مِثْلِهَا نَظَرَ الْأَعْمَى فَلَا بَرَحَتْ صُجْبِي وَأَسْمَعَ حَتَّى مَنْ بِهِ صَمَمٌ
أَنْفَى بِهَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَ عَجْزَتِهِ فَكُلُّ مَا ضَمَّ صَدْرَ الْخَافِئِينَ فَمُ

* * *

٩ وَقَوْلُهُ : فَلَا غَرَوَ قَدْ يَنْقُصُ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاهِ
الْمُسْتَشْفَى بِهِ .

هَذِهِ الْجَوَابُ الشَّرْطِي فِي قَوْلِهِ أَوَّلَ الرِّسَالَةِ : « إِنْ سَلَبْتَنِي . . . »
وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْجَمَلِ ، بَعْدَ مَا نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ . فَلَا غَرَوَ ، أَيْ فَلَا
يَدْعُ وَلَا عَجَبٌ قَدْ يَنْقُصُ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ . وَهَذِهِ « قَدْ » الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى
الْجَمَلِ لِتَنْقِيزِ مِثْلِ : قَدْ يَكْبُوهُ الْجَوَادُ ، وَقَدْ يَنْبُو الْخَسَامُ ، وَقَدْ يَصْذُقُ
السَّكَدُوبُ ، وَقَدْ يَبْخُلُ الْجَوَادُ .

جَاءَ فِي كَلَامِ أَبِي الْمَعْتَزِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : رَبِّمَا شَرِبَ الْمَاءَ قَبْلَ رَبِّهِ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَنْ غَضَّ دَاوِيَّ بِشُرْبِ الْمَاءِ غُصَّتَهُ فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ قَدْ غَضَّ بِالْمَاءِ !

وَقَالَ الْآخَرُ :

إِلَى الْمَاءِ يَسْمَى مَنْ يَنْقُصُ بِأَكَلِهِ فَقُلْ : أَيْنَ يَسْعَى مَنْ يَهْصُ بِمَاءٍ !

وقال عدي بن زيد العبادي :

لو بغير الماء خلقتي شرق
كنت كالفصان بالماء اعقاصي^(١)
وقال الآخر :

كنت من محنتي أفرأ إليهم
فهم من محنتي ، فأين الفرار !
وقال الآخر :

فكيف تجيز غصتنا بشيء
ونحن نفص بالماء الشراب !
ومن هذه المادة قول الآخر :

على أي باب أطلب الإذن بعدما
حجبت عن الباب الذي أنا حاجبه
وقال أبو فراس الحمداني :

قد كنت عديتي التي أسطوها
وأيدي إذا اشتد الرمان وساعدي^(٢)
فرميت منك بغير ما أملت
والمرء يشرق بأرثلال البارد

وقال الفرزدق لما موية من أبيات :

فلو كان هذا الحـكم في غير ملـكـكم
لأبوت به ، أو غص بالماء شاربـه^(٣)
وقال أبو إسحاق الفزري :

مصاحبة المني خطر وجمل
وكم شرق تولد من زلال
وما أحسن قول ابن سناء الملاك :

وإني لأحصر من ذكره
وإني لأذكر منه الرضاب
فإني إلى كيدي أضطلي
فأشرق بالبارد السلسل

(١) الأغاني ٢ : ١٥ .

(٢) ديوانه ٦١ « طبعة بيروت » .

(٣) ديوانه ٤٩ ، وروايته : « فلو كان هذا الأمر » .

وقال ابن حَيَّوس :

مَضَى السَّكْرُ مَا صَانُوا مَاءً وَجُهِىَ بِمَا بَدَّلُوهُ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ
وَمَا أَنَا بِمَدِّهِمْ فِي النَّاسِ أَبْقَى كَرِيماً يُسْتَرَى شُكْرِي بِمَالِ
أَرَى الْأَكْذَارَ يَشْرِقُ شَارِبُهَا فَوَاشَرَقِي مِنَ الْمَاءِ الرَّثَالِ
وقال آخر :

إِنِّي لِأَذْكُرْكُمْ وَقَدْ بَلَغَ الظَّمَا مِنِّي فَأَشْرَقُ بِالرُّثَالِ الْبَارِدِ
وَأَقُولُ لَيْتَ أَحَبَّتِي عَابَتْهُمْ قَبْلَ أَلَمَاتِ وَلَوْ بِيَوْمٍ وَاحِدِ
وقال ابنُ سَفَاءِ الْمَلَأَك :

أَمُوتْ غَرَامًا حِينَ أُحْرِمَ وَضِلَ مَنْ هَوَيْتُ وَأَخِيًّا فَرَحَةً حِينَ أُرْزَقُ
وإِنِ الْفَتَى يَحْيَا بِمَا قَدْ يَمُوتُ فَبِالْمَاءِ يَحْيَا وَهُوَ بِالْمَاءِ يَشْرُقُ
وما أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ السَّاعَاتِي يَمْدَحُ الْمَلِكَ الْمُؤَيَّدَ نَجْمَ الدِّينِ بْنِ صِلَاحِ
الدِّينِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى :

مَنْ لَيْسَ يَشْرُقُ بِالسُّؤَالِ لَوْلَا بَقَعُ مِنَ الْمَلَامَةِ
وقال البَحْتَرِيُّ :

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى فَمَا اشْتَفَى بِمَاءِ الرُّثَا مِنْ بَاتٍ بِالْمَاءِ يَشْرُقُ^(١)
أَصْلُ الْمَعْنَى قَوْلُ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ^(٢) ، إِذْ يَقُولُ :
تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِلَيْلَى مِنَ الْهَوَى كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخُمْرِ بِالْخُمْرِ
فَقَصَّرَ عَنْهُ ، وَقَدْ أَخَذَ أَصْلَ الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ الْأَعَشَى :
وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا^(٣)

(١) ديوانه ٢ : ١٢٨

(٢) ط : « قيس بن زهير » ، وهو خطأ . والبيت في ديوانه ٩٥ .

(٣) و الأصول : « قيس بن ذريح » ، وهو خطأ ، والبيت في ديوانه الأعشى ١٧٣ .

وهذا البيت في الذروة ، وما جاء بعده فهو دونه فيما يقول ، وقد أخذه أبو نواس فأحسنه :

دع عنك لومي فإنَّ الآومَ لغراءِ ودأري بالتي كانت هي الداءِ

وفي المثل : من فسدت بطائفة كان كمن غصّ بالماء ؛ وهذا من كلام أكثر بن صفيف ؛ لأنَّ الغاصَّ بالطعام يرجع إلى الماء ، وإذا كان الماء هو الذي أغصه فلا حيلة له ، فكذلك بطائفة الرجل وأهله إذا خانوه فسد حاله .

وفي المثل أيضا : « يا ماله لو بغيرك عصمت ا » .

وقوله : « وبقتل الدواء المستشفى به » ، كان أبو الطاهر إسماعيل بن المنصور بن القاسم بن المهدي صاحب إفريقية ، أحد الخلفاء الفاطميين ، اعتلَّ علّة طويلة ، ولما أراد دخول الحمام في المنصورة نهاه طبيبه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي ، فلم يقبل منه ، ودخل الحمام ففقدت الحرارة الغريزية ، فلأزمه السهر ، فأقبل إسحاق فمالجته ، ففقدت الحرارة الغريزية ، ولأزمه السهر ، فأقبل إسحاق يعالجه ؛ وسهره باق على حالته ، فاشتد ذلك على المنصور ، وقال لبعض خدّامه : أما بالقيروان طبيب يخلصني من هذا ؟ فقالوا : هاهنا شبّ قد نشأ يقول له : إبراهيم ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر عرّفه حاله ، وشكا إليه ما به ، فجمع له شيئا ينوّمه ، وجعل في قنينة على النار ، وكلفه شمّ ذلك ، فلما أدمن شمّها نام ، فخرج إبراهيم مسرورا بما فعل ، وحضر إسحاق ، فقالوا : إنه نائم ، فقال : إن كان صنم له شيء لا ينام به فقد مات ، فدخلوا عليه فوجدوه ميتا ، فأرادوا قتل إبراهيم ، فقال إسحاق : ماله ذنب ، وقد داواه بما ذكره الأطباء ، واسكنه جميل أصل الرّض وما عرفتموه ذلك ، وإني كنت أعالجه وأنظر في تقوية الحرارة الغريزية ، وبها يكون النوم ، فلما عولج بما أطفاها ، علمت أنه مات .

١٠ - وقوله : وَيُؤْتِي الْحَذِرَ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَتَكُونُ مَنِيَّةُ الْمُتَمَنَّى

فِي أُمْنِيَّتِهِ .

يُؤْتِي : فعل مبهى ثلما لم يُسَمَّ فاعله ، من الإتيان وهو المجيء ، أُتِيََتْ إِلَى
فُلَانٍ أَيْ جِئْتَ إِلَيْهِ . الْحَذِرُ : اسمُ فاعلٍ من الحَذَرَ ، وهو التحذير .
وَالْمَأْمَنُ : الْمَسْكَنُ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ الْأَمْنُ ، وهو الطمأنينة . وَالْمَنِيَّةُ : الموت .
وَالْمُتَمَنَّى : اسمُ فاعلٍ من التَّمَنَّى ، وهو التَّرجَّى . وَالْأُمْنِيَّةُ ، واحدة الاماني .

وقوله : « وَيُؤْتِي الْحَذِرَ مِنْ مَأْمَنِهِ » معناه ^(١) في القرآن العظيم ، وهو
قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾ ^(٢) .

قال أبو العتاهية :

وقد يهلك الإنسان من باب أَمْنِهِ ويهجو بإذن الله من حيث يحذر ^(٣)
وما أحسن قول الجزار من أبيات :

وَحَقُّكَ مَالِي مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى كَشْفِ ضُرِّي إِذَا مَسَّنِي
فَكَيْفَ أَخَذْتَنِي عِيُونَ الطُّبَا بَعْدَ الْإِجَابَةِ مِنْ مَأْمَنِي

وقال الشريف الرضي :

يقولون رُمْ تَلَقَّى الَّذِي أَنْتَ طَالِبُ فَإِنَّ الْعَوَاقِبَ دُونَهُ وَالْمَهَالِكُ ^(٤)
وَكَمْ سَقَى سَاعِرٌ جَرَّ حَتْفَا لَفْسِهِ وَلَوْلَا الْخَطَا مَا شَاكَ ذَا الرَّجُلِ شَائِكُ
وقول ابن سناء الملك يمدح الملك الفاسر ويذكر الفرنج :

(١) ساقطة من ط

(٢) - سورة الأنعام ٤٤ .

(٣) ديوانه ١٠٢ .

(٤) ديوانه ٢ : ٥٩٦ . والعواقب مثل العوائق ، يقال : عاقبى وعقانى .

(٤ عام المنون)

وَالْمَلِيكَ الْعَظِيمَ فِيهِمْ أَحْمَدُ مُسْتَضَامًا فَاجْمَلْ لَهُ الْفَارَ سَجِينًا
يَحْسِبُ النَّوْمَ يَقْظَةً وَبَطْنُ الشَّيْخِ طَوْدًا أَوْ يُبْهِرُ الشَّمْسَ دَجْمًا
كَمْ تَمْنَى الْإِقْبَاءَ حَتَّى رَأَاهُ فَتَمَنَّى أَوْ أَنَّهُ مَا تَمَنَّى
وَقَالَ ابْنُ الْخَطَّاطِ الدَّمَشْقِيُّ :

رَأَيْتُكَ لَمَّا شِمْتُ بَرَقَتْ خُلَّتِيَا وَمَا أَرَيْتُ فِعَارِضٍ لَيْسَ يَمْطُرُ! ^(١)
فَأَخْطَأْتُ مِنْكَ الَّذِي كُنْتُ أُرْتَجِي وَأَدْرَكَتْنِي مِنْكَ الَّذِي كُنْتُ أُحْذَرُ
وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ :

اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ جَمَعَ النَّصِيحَةَ وَالْمَقَالَةَ
إِيَّاكَ وَاحْذَرُ أَنْ تَكُونَ مِنْ الْمَقَاتِلِ عَلَى رِقَّةِ
وَقَالَ يَوْسُفُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَسْطَرَابَادِيُّ :

وَمَارِلْتُ فِي عَيْنِي كَرَرِي فَتَهَوَّرْتُ حُرُوفُ الْإِيَالِي فَأَنْقَلَبْتُ لَهَا قَدَايَ
وَحُفْنَتْ وَمَا مَوْلِي وَفَاؤُكَ ضِلَّةٌ وَمِنْ مَأْمَنِ الْإِنْسَانِ يَفْجُوهُ الْأَذَى



لَمَّا قُتِلَ الْمُقْتَدِرُ ، وَاخْتَلَفَتِ الْأَرْاءُ فِيمَنْ يَقُومُ بِهِذِهِ خَلِيفَةً ، قَالَ مَوْئِيسُ
الْمُظَفَّرُ ^(٢) : هَذَا مُحَمَّدٌ ^(٣) بْنُ أَحْمَدَ الْمُتَهَنِّدِ ، رَجُلٌ سَمَا لِلْخِلَافَةِ ، فَهُوَ أَوْلَى تَمَنٍّ لَمْ
يَسْمُ . فَأُحْضِرَ الْقَاهِرُ بِاللَّهِ ، وَبُوعِ يَوْمَ الْحَمْدِ لِلَّهِ بَقِيَّةً مِنْ شَوَالِ سَنَةِ
عِشْرِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَاسْتَقْبَلَ الْأَمْرَ لِلْقَاهِرِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَتَلَهُ الْقَاهِرُ مَوْئِيسًا لِلذِّكْرِ .
وَلَمَّا غَلَبَ إِدْرِيسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ هَلِيٍّ بْنِ

(١) ديوانه ١٢٣ .

(٢) مَوْئِيسُ الْمُظَفَّرُ ، أَمِيرُ الْجِيُوشِ عَلَى عَهْدِ الْمُقْتَدِرِ . (٣) مَوْلَى الْمُرُوفِ بِالْقَاهِرِ .

أبي طالب - رضى الله عنه - على العرب ، بلغ ذلك الهادي ، فدرس إليه
الشمّاح البماني مولى المهدي ، فدخل العرب وأظهر أنه طبيب ، فأحضره
إدريس وأقام عنده ، وأيس به ، فشكا إليه مرضاً في أسنانه ، فأعطاه سَفُوناً^(١)
مسمومة ، وقال له : إذا طلع الفجر فاستن^(٢) به ، وهرب الشمّاح من وقته .
فلما طلع الفجر استن به ، وجعل يردّده في فيه ، فسقط فوه ومات ، وطُلب
الشمّاح فلم يُقدّر عليه .

وهذا إدريس ، هو أبو الأدارسة خلفاء العرب ، وقام من ذرية
إدريس جماعة . وقيل : إن الذي دس إليه الشمّاح ، إنما هو هارون الرشيد .

يقال : إنه مرّ فوم^(٣) بماء من مياه العرب ، فوصف لهم ثلاث أخوات
بالجمال مطيبات^(٤) ، فأحبوا أن يروهن ، فحكوا ساق أحدهم بمود حتى
أدموه ، ثم أنوهن ، وقالوا : هذا سليم^(٥) ، فهل من راق ؟ فخرجت صفراهن
منهن كأنها الشمس طالعة ، فرأته ، فقالت : ليس بسليم ، ولكن خدشه
عوداً بات عليه حجة ، إذا طلعت عليه الشمس مات ، فكان كما قالت .

ومن شعر الحافظ أبي بكر أحمد بن علي خطيب بغداد ، والمراد هنا
البيت الثالث :

لا تَظِطَنَّ أَخَا الدُّنْيَا بِزُخْرِهَا ولا بِلَذَّةِ وَقْتِ عَجَلَتِ فَرَحًا^(٦)
فَالدَّهْرُ أَسْرَعُ شَيْءٍ فِي تَقْلِيهِ وَفِعْلُهُ بَيْنَ لَلْخَلْقِ قَدْ وَضَعَا
كَمْ شَارِبٍ عَسَلًا فِيهِ مَنِيذُهُ وَكَمْ تَقَلَّدَ سَيْفًا مَن بِهِ ذُبُوحَا

(١) السنون : ما يستاك به . (٢) استن : استاك .

(٣) بط : « جماعه » . (٤) ط : « مستطبات » ، تصغير .

(٥) السليم : اللدغ ؛ سمى بذلك على التفاؤل بسلامته .

(٦) معجم الأدباء ٣ : ٢٥ .

ذكر عند المتوكل أمر السيوف ، فقال بعض من حضرة : يا أمير المؤمنين ، وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ، ليس له نظير . فكتب يطلبه من البصرة ، فاشتره بعشرة آلاف درهم ، ومُرَّ المتوكل به سروراً كثيراً ، وقال للفتح [بن خافان] : اطلب لي غلاماً ثقي بنجدته وشجاعته ، وأدفعْ إليه هذا السيف ليسكونَ واقفاً به على رأسي في كل يوم ما كنتُ جالساً . فلم يَمُ المتوكل حتى دخل باغر التركي ، فدعا به المتوكل ، ودفع إليه السيوف ، وأمره بما أَراده منه ، وزاد من تَبَتّه .

قال البُخْترى : فوالله ما انتفضاه باغر ولا سَلَه إلا في قِتلة المتوكل ، على ما هو مشهور في واقعته مع المتوكل .

ولما وُلِّيَ سالم بن حامد دِمَشقَ للمتوكل ظلم وعسف ، وكان بدِمَشق جماعة من العرب لهم قوَّة ومَنَمَة ، فقتلوه في يوم مُجمعة على باب الحضراء ، فغضب المتوكل ، وقال : من يكون للشام ، وليكن في صَوْلَةِ الخِجَاج ؟ فقال أفرِيدُون الزكي : أنا لها يا أمير المؤمنين ، فأمره ، وجهزه إليها في سبعة آلاف فارس ، وأطلق له القتل والنهب ثلاثة أيام ، فجاء ونزل بيت لهما ، ولما أصبح قال : يا دِمَشق ، أَيْشٍ بِحَلِّ بكِ اليوم مَنى ! وقدَّمْتُ له بغلةً دُهماً ليركبها ، فلما وضع رِجله في الرَّكاب ضربته بالزُّوج في صدره ، فسقط ميتاً . وقبره معروف بها ، وذلك في حدود الأربعين ومائتين .

وكان السلطان ألبا أرسلان محمد بن جعفر بك المدعوّ عضد الدولة وأبو شعاع السَلْجُوقِ ، قد أتوه يوماً بوالى قَلَمَة يدعى يوسف الخوارزمي ، فأمر أن تُضربَ له أربعة أُرْ تاد ، وشدَّ أطرافه إليها ، فقال يوسف : يا محنت ، مثلي يُقتل هكذا ! فقال السلطان : خَلِّوه ، وأخذَ القوسَ ورماه ثلاثَ فِرْدات فَنَشب فأخطأه فيها - ولم يكن بخطيء له سَهْم - فأسرَّع يوسفُ إليه وضربَه

بِسَيِّئِينَ كَانَتْ مَعَهُ فِي خَاصِرَتِهِ ، فَلَحَقَ يُوسُفُ بَعْضُ الْخَدَمِ فَقَتَلَهُ أَبْضًا ، وَحَمَلَ
السلطان وهو مُنْقَلٍ ، فَقَفَى نَحْبَهُ .

وهذا الملك الأجدد بهرام شاه بن فرخشاه ، صاحب بَمَلَكْ ، أَخَذَ
الأشرف منه بَمَلَكْ ، وَسَلَّمَهَا إِلَى أَخِيهِ الصالح ، فَقَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ وَأَقَامَ بِهَا ،
وَكَانَ لَهُ غُلَامٌ مَلِيحٌ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَضَرَبَهُ ، وَأَمَرَ بِحَبْسِهِ فِي خِزَانَةٍ عِنْدَهُ فِي مَكَانِهِ
الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ ، وَجَلَسَ لَيْلَةً يَلْمَهُو بِالنَّزْدِ ، قَوْلِيعِ الْغُلَامُ بَرَزَةٌ^(١) الْبَابُ ،
فَقَتَلَهَا ، وَخَرَجَ إِلَى الْأَجْدَدِ فَقَتَلَهُ وَهَرَبَ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ السَّطْحِ فَتَاتَ .

وهذا الملك الأشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون ، كَانَ يُحِبُّ مَمْلُوكَهُ
الأمير سيف الدين بُنْدَارَ ، وَيَتَّقِي بِهِ حَتَّى جَعَلَهُ نَائِبَ مِصْرَ ، وَثَوَّقَ بِهِ ، أَوَّلَ
مَنْ ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ وَهُوَ فِي بُرْجِهِ بِصُطَّادِ كُرْ كِيَا ، وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِ حَسَامُ الدِّينِ
الْأَخِيرَ فَكَتَلَهُ .

وهذا الأمير سيف الدين تَمَكُزْ قَرِيبَ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قَوْمِشَ وَأَدْنَاهُ
وَزَادَ وَثُوقَهُ بِهِ^(٢) ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ عَلَيْهِ ، وَأَتَمَّقَ مَعَ طَائِرَاتِ الدَّوَادِرِ
حُلًى إِمْسَاكِهِ .

وَكَانَ الزَّكَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبِ الْقَوْمِ قَدْ أَسْتَوَزَرَهُ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ
صَاحِبَ حِمَاةَ ، قَبْلَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مُلْكُ حِمَاةَ وَمَا انْضَافَ إِلَيْهَا ، وَوَعَدَهُ إِذَا
مَلَكَهَا أَنْ يُعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

مَتَى أَرَاكَ كَمَا تَهَوَّى وَأَنْتَ كَمَا أَهْوَى عَلَى رُوحَيْنِ فِي بَدَنِ
هُنَاكَ أَنْشِدُ وَالْأَمَالَ حَاضِرَةً : هُنْتُ بِالْمُلُوكِ وَالْأَحْبَابِ وَالْوَطَنِ

(١) الرزة : حديدة يدخل فيها الفل . (٢) ط : « وَثَوَّقَ بِهِ » .

فَلَمَّا مَلَكَ حَاجَةُ أَنْشُدَّهُ :

مولايَ هذا المَلَكُ قد نلتَهُ برِغْمِ مخلوقٍ من الخَلِائِ
والدهرُ مُنْقَادٌ لِمَا شِئْتُهُ وَذَا أَوَانُ المَوْعِدِ الصَادِقِ
فَدَفَعَ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَقَامَ مَعَهُ مَدَّةً ، وَلِزِمَتْهُ أَسْفَارُ أَنْفَقٍ فِيهَا المَالُ
الَّذِي أَعْطَاهُ ، وَلَمْ يَحْصُلْ بِيَدِهِ زِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ :
ذَاكَ الَّذِي أَعْطَوهُ لِي جُحْلَةً قَدْ اسْتَرَدَّوهُ قَلِيلًا قَلِيلًا
فَلَيْتَ لَمْ يُعْطَوْا وَلَمْ يَأْخُذُوا وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُظْفَرُ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ دَارِهِ كَانَتْ قَدْ أَنْزَلَهُ بِهَا ، فَقَالَ :
أَتُخْرِجُنِي مِنْ كِسْرِ يَدٍ مَهْدِمٍ وَلِي فِيكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ بَيوتٌ
فَإِنْ هَشْتُ لَمْ أَعْدَمْ مَكَانًا يَضُمَنِي وَأَنْتَ سَتَدِيرِي ذِكْرَ مَنْ سَيَمُوتُ
فَعَبَسَهُ الْمُظْفَرُ ، فَقَالَ : مَا ذَنْبِي إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ : « وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » ،
وَأَمَرَ بِجَنْفِهِ ، فَلَمَّا تَيَقَّنَ ذَلِكَ قَالَ :

أَعْطَيْتَنِي الأَلْفَ تَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا يَا لَيْتَ شِعْرِي أَمْ أَعْطَيْتَنِي دِيْنِي
وَقَالَ الأَحْذَفُ بْنُ قَدِيسٍ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ : مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ ؛
وَمَنْ تَعَظَّمَ عَلَيْهِ أَهَانَهُ .
وَقَالَ أَصْرَمُ بْنُ مُحَمَّدٍ :

أُسْرِفْتُ فِي سُوءِ الصَّنِيعِ وَفَتَسَكَّتْ بِي فَتَكَ الخَلِيعِ^(١)
وَوَارَمْتُ بِي مَتَهَزَّنًا وَالْمُذْرُ فِي طَرَفِ الوَلُوعِ
صَيَّرْتُ حَبِّكَ شَاغِعًا فَأَتَيْتُ مِنْ قِبَلِ الشَّفِيعِ
وَقَالَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَادِحٍ^(٢) :

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطَوَّلُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بِمَدِّ صَاحِبِهِ

(١) نهاية الأدب ١ : ١٣٤

(٢) المعتصم بن صادح ، أحمد مملوك الأندلس ، والأبيات في طراز المجالس للخفاجي ٢٤٢ ،

فَلَمْ تُرِنِي الْإِيَّامُ خِلَا تُسْرِنِي مَبَادِرِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي التَّوَاقِبِ
وَلَا قَتُّ أَرْجُوهُ لَدَفْعِ مُلِمَّةٍ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى النِّوَائِبِ

خَطَبَ عُبَيْدُ بْنُ أَبِي سُوَيْيَانَ النَّاسَ بِالمَوْسَمِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ، وَعَمِدُ
النَّاسِ حَدِيثُ الْفَتَنَةِ ، فَاسْتَنْتَحَ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ وَلِهْنَا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي
يَضَاعَتْ فِيهِ لِمُحْسِنِ الْحُسْنِ الْأَجْرُ ، وَعَلَى الْمُسِيءِ الْوِزْرُ ، فَلَا تَمُدُّوا الْأَعْيَاقَ
إِلَى غَيْرِنَا ؛ فَإِنَّهَا تَقْطَعُ دُونَكَ ، وَرُبُّ مَقْمَرٍ حَقَّقَهُ فِي أُمْنِيَّتِهِ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَفَاجِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ :
وَكَمْ طَالِبٍ أَمْرًا وَفِيهِ حِمَامُهُ وَصَائِرُهُ تَسْمَى إِلَى مَا يَقْصُرُهَا
وَكَانَ الْمُؤْمِلُ بْنُ أَمِيلِ بْنِ أَسِيدِ الْخَارِبِيِّ يَهْوَى امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ بِقَالَ
لَهَا هِنْدُ ، وَفِيهَا يَقُولُ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ ، وَأَوَّلُهَا :

تَفَّ الْمُؤْمِلُ يَوْمَ الْحِيرَةِ النَّظَرَ لَيْتَ الْمُؤْمِلُ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ نَظَرٌ^(١)
وَنَامَ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ رَجُلًا أَدْخَلَ إِصْبَعَهُ فِي عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : هَذَا مَا تَمَنَيْتَ ؛
فَأَصْبَحَ وَهُوَ أَعْمَى .

وَمِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ : الْأَمَانُ تَخْدَعُكَ ، وَعَهْدُ الْحَقَائِقِ تَدَعُكَ .
وَقَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ :

وَكَمْ تَزَحِفُ لَمْ أَحْتَسِبْهَا لَقِيمَتُهَا وَكَمْ فَرَحَةٍ جَاءَتْ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدِ
وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الْمَقْرَبِيُّ :

تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى حَكْمِ الْقَضَاءِ وَفِي طَلَى الْخَوَاثِ مَحْبُوبٌ وَمَكْرُوءٌ
فَرُبَّمَا سَرَّنِي مَا بَيْتُ أَحْذَرُهُ وَرُبَّمَا سَاءَنِي مَا بَيْتُ أَرْجُوهُ

١١ - قوله : والحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الْحَرِيصِ

الحَيْنُ : الموت . والحَرِصُ : الجَشَمُ ، يقال : قد حَرَصَ على الشيء يحْرِصُ بالكسر ، فهو حَرِيصٌ ، وهذا نصفُ بيتٍ من أبياتِ لَهْدِيَّ بنِ زَيْدِ المَبَادِي ، وهو :

قد يُدْرِكُ المَبْطِئُ من حَظِّهِ والحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الحَرِصِ^(١)
وقال :

وقد تَذُنُو المَقاصِدُ والأَمَانِي فتمتَرِضُ الحَوادِثُ واللذُونُ
وهو كقول القطامي :

قد يُدْرِكُ المُنَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وقد يَكُونُ مع المَسْتَعِجِلِ الزَّلُّ
وسمَّه أعرابي فقال : هذا يَتَبَطُّ الناسُ ، هَلَّا قال بهد هذا :
وربما ضَرَّ بَعْضَ الناسِ مُبْطِؤُهُمْ وكان خيراً لَهُمْ لو أَنَّهُمْ عَجَّلُوا
وعَكَسَ بشارُ بنُ بُرْدٍ قول القطامي فقال :

من رَاقِبِ الناسِ لَمْ يَطْفَرْ بِحَاجَتِهِ وفازَ بِالطَّيِّبَاتِ الفَانِكُ الأَمِيجُ^(٢)
واختصره سَلَمُ الخامِسرُ فَجَّوَدَ ما شاء فقال :

من رَاقِبَ الناسِ ماتَ غَمًّا وفازَ بِاللَّذَةِ الجَسُورُ
وبما ضَرَبَتْ به العربُ المَثَلَ ، في أَنَّ الحَاجَةَ تُطْلَبُ فيَعْمَلُ دُونَهَا حائِلٌ ،
قولُهُم : سَدَّ ابنُ بَيْضِ الطَّرِيقَ .

قال أبو عبيد البَكْرِيُّ : إن ابنَ بَيْضِ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوفاةُ قال لابنِهِ :

(١) ديوانه . ٢ . الإعجاز والإيجاز ١٥١ .

(٢) ديوانه ١ : ٧٥ .

لَا تُقَارِبْ لِقْمَانُ فِي أَرْضِهِ ، فُسِرَ بِأَهْلِكَ وَمَالِكَ حَتَّى إِذَا كُنْتَ بِذُنَيْيَةِ
كَذَا فَاقْطَعْهَا بِأَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَضَعْ فِيهَا لِاقْمَانَ حَقَّهُ ؛ ^(١) فَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا فِي كُلِّ
عَامٍ حُلَّةٌ وَجَارِيَةٌ وَرَاحِلَةٌ ، فَإِنْ هُوَ قَبْلَهُ فَهَوَّ حَقُّهُ هَرَفْنَاهُ لَهُ ، لِإِجَارَتِهِ
وَخِفَارَتِهِ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَقْبَلْهُ وَبَقِيَ ، أَدْرَكَهُ اللَّهُ بِبَغْيِهِ ^(٢) . فَقَمَلَ الْفَتَى مَا أَمَرَهُ
بِهِ أَبُوهُ . فَأَتَى لِقْمَانَ الْمُنْيَةَ فَأَخَذَ حَقَّهُ وَانْصَرَفَ ، وَقَالَ : « سَدَّ ابْنُ بَيْضِ
الطَّرِيقَ » ^(٣) .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَبْرَدِ فِي ذَلِكَ ^(٤) :

سَدَدْنَا كَمَا سَدَّ ابْنُ بَيْضٍ سَبِيلَهَا فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَ الثُّنَيْيَةِ مَطْلَعًا

١٢ - وقوله :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهَوُّنُ غَيْرَ ثَمَانَةِ الْخُسَادِ

المصائب : جمعُ مصيبة ، وهى ما يُصيبُ الإنسان من حوادث الدهر
ونوازلِهِ . والثمانية : الثشني . وهذا البيتُ من جملة أبياتِ قاطلها عبد الله بن
محمد بن أبي عيينة ، يمانب ذا اليميين :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْأَمِيرَ رِسَالَةً مَحْصُورَةٌ عِنْدِي عَنِ الْإِنْشَادِ ^(٥)
كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهَوُّنُ غَيْرَ ثَمَانَةِ الْخُسَادِ
وَأُظَنَّ لِي مِنْهَا لَدَيْكَ خَبِيرَةٌ سَتَكُونُ عِنْدَ الزَّادِ آخِرَ زَادِ
مَالِي أَرَى أَمْرِي لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ ثَقَلِ طَوْدٍ مِنَ الْأَطْوَادِ

(١) فصل المقال : « حفظه » .

(٢) فصل المقال : « بنقمة » .

(٣) فصل المقال ٢٧٩ . (٤) لعمري بن الأسود الطهمي ، اللسان — بيض

(٥) التبتيل والمحاضرة ٨ ، ونهاية الأدب ٣ : ٨ .

قيل لأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّ شَيْءٍ كَانَ فِي بِلَاتِكَ أَشَدُّ عَلَيْكَ ؟ قَالَ :
شِمَانَةُ الْأَعْدَاءِ . وَفِي الْمَثَلِ : الشِّمَانَةُ لَوْمٌ ، أَوَّلُ مَنْ قَالَهَا أَكْثَرُ مِنْ صَيِّفِي ،
أَيُّ لَا يَفْرَحُ بِمَكْنَبَةِ الْإِنْسَانِ إِلَّا مَنْ لَوَّمَ أَصْلَهُ .
وقال آخر :

إِذَا مَا اللَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنَاسٍ كَلَّا كَلَّهُ أَنَاخَ بَاخَرِيهَا^(١)
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَمِئَلِي الشَّامِتُونَ كَمَا أَفِيقُوا
وقد جاءت الشِّمَانَةُ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾^(٢) ، فَقَوْلُهُ : ﴿ ذُقْ ﴾ شِمَانَةٌ ، وَقَوْلُهُ ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْكَرِيمُ ﴾ ، تَهْكُمٌ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٣) ، فَعَمِلَ هَذَا الشِّمَانَةَ^(٤) مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ . وَمِنْ الشِّمَانَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :
إِلَى النَّارِ يَا وَلَدَ الزَّانِيَةِ وَهَذَا الْهُيُؤُ إِلَى الْمَاوِيَةِ
وَقَعْتُ فَيَا بَرْدَهَا فِي الْقُلُوبِ وَيَا لَيْمَتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةِ
وَلَا بِنَ الرُّومِ أَيْمَاتٌ فِي الشِّمَانَةِ ، وَقَدْ بَاكَغَ فِيهَا :

لَا زَالَ يَوْمُكَ عِزَّةً لَقَدِ كُ
وَبَكَتْ لِسَجْوِ عَيْنٍ ذِي حَصْدِكَ
فَلَنْ بَكَيْتَ فَطَالَمَا بُكَيْتَ
بَكَ هِمَّةً لَجَأْتُ إِلَى سَنَدِكَ
لَوْ تَسَجَّدَ الْأَيَّامُ مَا سَجَدْتُ
إِلَّا لِيَوْمِ فُتِّ فِي عَصْدِكَ
يَا نِعْمَةً وَأَتَ غَضَارَتُهَا
مَا كَانَ أَقْبَحَ حُسْنَهَا بِيَدِكَ
فَلَقَدْ بَدَتْ بَرْدًا عَلَى كَيْدِي
لَمَّا غَدْتُ حَرَّى عَلَى كَيْدِكَ
وَرَأَيْتُ نَعْمَى اللَّهِ زَائِدَةً
لَمَّا اسْتَبَانَ لَلْنَقْصِ فِي عَدْدِكَ

(١) ذُو الْيَمِينِ ، هُوَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَانْظُرْ سَبَبَ التَّسْمِيَةِ فِي الْمَظَافِ وَالْمُسَوِّبِ ٢٩١

(٢) لِلْفِرْزَقِ ، دِيْوَانُ الْحَمَاسَةِ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِ ٢٩١ .

(٣) سُورَةُ الدُّخَانِ ٤٩ . (٤) سُورَةُ يُونُسَ ٩١ .

(٥) انْظُرْ بَدِيعَ الْقُرْآنِ لابن أبي الإصْبَحِ ٢٨٢ .

ولما أمسك ناصر الدين محمد بن عهد الرحمن المعروف بابن المقدسي
وواقفته مشهورة، ورسم عليه بالندراوية، وذاق الموان، وكان قد آذى الناس،
ومنهم : سيف الدين السامري، كان قد أخذ منه الزنقية، ففضى السامري
إليه وتغم له منشفياً، فقال له ناصر الدين المقدسي : سألتك بالله ألا تعود تجيء
إلى ! فقال السامري : هو يصير لي ، ونظم القصيدة التي منها :

وردَ البشيرُ بما أقرَّ الأعْيُنَا فشفَى الصدورَ وبلغَ الناسَ النُفَى
إنْ أنكرَ اللصُّ العظيمُ فَمَالَهُ بالمسلمينَ فأولُ القَتْلِ أنا
وقال أبو تمام الطائي :

أجرٌ ولكن قد نظرتُ فلم أجِدْ أجراً يفي بشجاعةِ الأعداءِ^(١)
ويُنسبُ إلى الملكِ الأحمَدِ :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ ومُقلَّةٌ إنسانها باهت
ومُدَّتْ تَضَرَّمْ أحشَاؤه بالنارِ إِلَّا أَنَّهُ سَاكِتُ
رَقَّ لَهُ الشَّامُ تَمَاماً يا وَيْحَ مَنْ يَرِي لَهُ الشَّامُ !
ومن شعر جحظة البرمكي :

ظَنِرَ لِلْقَلْبِ بِحَبِّ دَنِيٍّ فِيمَكَ وَالسُّقْمِ بِجِسْمِ نَاحِلِ
فَمَا بَيْنَ اكْتِنَابِ وَضَعِي تَرَكَانِي كَالْقَضِيبِ الذَّابِلِ
فَبَكَى الْمَازِلُ لِي مِنْ رَحْمَةٍ فَبَكَانِي مِنْ بَكَاءِ الْمَازِلِ
وقال عمارة اليمني :

فَعِنْدَهَا أَطَارِقُ مِنْ خَجَلَةٍ تَصْبِغُ خَدَّ الْأَمَلِ النَّاصِلِ
وَكُنْتُ مِنْ أَصْحَابِ مَا مَرَّ بِي شِمَاتُهُ الْحَاسِدِ وَالْجَاهِلِ
وقال أبو فراس بن سحران :

لَنْ جَاهِدَ الْحَسَادَ أَجْرَ الْمُجَاهِدِ وَأَعْجَبَ مَا حَوَّلَتْ إِرْضَاءُ حَاسِدِ^(٢)

ولم أرَ مثلي اليومَ أَكْثَرَ حاسداً كانَّ قلوبَ الناسِ لي قابٌ واحدٍ
أَرَى الفيلَ من تحت الشَّهَقِ فأَجْعَلِي من السِّلِّ الماذِيَّ سَمَّ الآسودِ
وقال سيف الدين بن المشدِّ :

لم يُبْقِ مِنِّي الحبُّ إلا ضَنِّي يخفى عن الزائرِ والمُساءِدِ !
قد رَقَّ لي الحاسدُ بما أَرَى واخجلتَا مِن رِقَّةِ الحاسِدِ !
وقال الأَرْجاني :

تطلعت في بَوْحَى رَخاءٍ وشِدَّةٍ ونا دَيْتُ في الأحياءِ هل من مُساعِدِ (١)
فلم أَرِ فيما ساءَني غيرَ شامتٍ ولم أَرِ فيما سَرَّني غيرَ حاسِدِ

* * *

١٣ - وقوله :

وإني لأتجلَّدُ ، وأرى الشامتِني إِرْيَبِ الدَّهرِ لا أنضمضع .
أَتَجَلَّدُ : أَنْفَعِلُ ، من الجَلَدِ ، وهو الصَّلابةُ ، والتَّجَلَّدُ : تَكَأَفُ الشَّهَاتِ والصَّبَرِ
وَعَدِمِ المُبالاةِ بِالْأَمْرِ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّجُلِ ، وهو صَمَبٌ يَشُقُّ أَحْمالَهُ .

و « الشَّامِتِينِ » : جَمْعُ شَامِتٍ ، وهو اسمُ فاعِلٍ من الشَّامَةِ ، وهي الفَرَحُ
بِمَلِيَّةِ العَدُوِّ والنَّشْفِ بِهِ .

وَأَنْضَمَضَعُ : أَنْفَعِلُ ، من الضَّمَضَمَةِ ، وهي التَّهْدُمُ والتَّخْرَابُ .

وأما التَّجَلَّدُ والصَّبَرُ ، فَمِنْ أعْظَمِ صَبْرٍ وَقَعَ لامْرَأَةٍ ما كان من أمِّ سُلَيْمِ
امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، وهُوَ أَنَّ ابْنَهَا مَرِضَ وَمَاتَ فِي صَبِيحَتِهِ فِي الْمَضْجَعِ ،
فَقَامَتْ ، فَهَيَّأتْ لأبي طَلْحَةَ فُطُورَهُ كما كانت تَهَيِّئُهُ لَهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، فَدَخَلَ
أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ : كَيْفَ الصَّبْرُ ؟ فَقَالَتْ : بِأَحْسَنِ حَالٍ ؛ نَحْمَدُ اللَّهَ ! ثُمَّ قَامَتْ إِلَى

ما يقوم إليه النساء ، فأصاب أبو طلحة أهله ، فلما كان في السحر قالت :
يا أبا طلحة ، ألم ترَ إلى آل فلان استعماروا عاريةً فتمتوا بها ، فلما طُلبت
منهم شئ عليهم ! قال : ما أنصفوا ، قالت : إنَّ اينك كانت عارية من الله
وإنَّ الله قبضه ، فاسترجع ، ثمَّ غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال
له : يا أبا طلحة ، بارك الله لكما في ليلتكما .

وكلام ابن زيدون رحمه الله تعالى على قول أبي ذؤيب الهذلي ،
من قصيدته التي رثى بها أولاده فقال :

وتجلدي للشاميتين أريهم أني لربِّ الدهر لا أنصفُ
وأولها :

أمنَ المنونِ ورَبِّها تتوجَّعُ والدهرُ ليسَ بمُفتبٍ من يجزعُ
ومنها يذكر أولاده :

واقدرَ حَرسُتُ بأن أدافعَ عنهمُ وإذا المنيَّةُ أقبلتْ لا تدفعُ
وإذا المنيَّةُ أشبتْ أطفارها أَلقيتْ كلَّ تميمَةٍ لا تنفعُ
فالَمينُ بمدَّهمُ كأنَّ حِلَاقها كُحِلَت بشوكِ فَنى عورٍ تَدَمَّعُ^(١)
حتى كُأني للحوادثِ مَرَوَةٌ بصفاءِ المشتَرِ كلَّ يومٍ تُفَرَّعُ^(٢)
وتجلدي للشاميتين أريهم أني لربِّ الدهر لا أنصفُ
والنفسُ راغبةٌ إذا رَغِبَتْها وإذا تُرِدُّ إلى قليلٍ تَقْنَعُ

ولنا نَقْلُ^(٣) معاوية رضى الله عنه في المرض الذي مات فيه ، دخل عليه
الحسن بنُ علي رضى الله عنهما يهوده ، فاستوى جالسا وقال :

(١) الحدائق : جمع حذقة .

(٢) المروءة : حجر أبيض يراق تقندج منه النار . والمشتَر سوق بالطائف

(٣) ديوانه الهذليين ١ : ١٠١ (٤) نَقْل ، كسفرج : اشتد برضه .

* وَتَجَلَّى لِلشَّامِتِينَ أَرْيَهُمْ *

فقام الحسنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يقول :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أُنْشِبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وقيل : لما تَنَلَّ في عِلَّتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا ، أَنْ يُكْحَلَ وَيَبْرُقَ وَجْهُهُ ،
وَيَدْخُلَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَسْأَلُوا عَلَيْهِ قِيَامًا ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّاسُ تَمَثَّلَ مَعَاوِيَةُ :

* وَتَجَلَّى لِلشَّامِتِينَ أَرْيَهُمْ *

وَقَالَ لِابْنَتَيْهِ فِي عِلَّتِهِ هَذِهِ وَهِيَ تَقْلِبَانِهِ : إِنَّكُمَا تَقْلِبَانِ حَوْلًا قُلُوبًا ،
جَمَعَ الْمَالُ مِنْ شَبِّ إِلَى دُبِّ^(١) ، إِنْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارُ ؛ وَتَمَثَّلَ يَقُولُهُ :

لَقَدْ سَمِعْتُ أَسْكَمَ مِنْ سَمِيِّ ذِي نَعِيبٍ وَقَدْ كَفَيْتُكُمْ التَّطَوَّافَ وَالرَّحَلَ

وَقَالَ فِي مَرَضِهِ هَذَا : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسَانِي قَمِيصًا رَقْمَتَهُ .

وَقَدْ يَوْمًا أَظْفَارَهُ ، فَأَخَذَتْ ابْنَتُهُ قَلَامَتَهُ فَعَمَلَتْهَا فِي قَارُورَةٍ ، فَقَالَ :
احْفَظِيهَا ، فَإِذَا مِتُّ فَأَلْبِسُونِي الْقَمِيصَ ، وَقَطِّعُوا تِلْكَ الْقَلَامَةَ وَذَرُّوْهَا فِي عَيْنِي
وَفِي ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

إِذَا مِتُّ مَاتَ الْجُودُ وَانْقَطَعَ النَّدَى مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَنْ قَابِلٌ مُصَرَّدٍ^(٢)
وَرُدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا مِنَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِجَلْفٍ مَجْرَدٍ

فَقَالَتْ إِحْدَى بَنَاتِهِ : يَدْفَعُ اللَّهُ هَفْكَ ، فَقَالَ :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أُنْشِبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ لَمَّا قَدِمَ مِنْ مِصْرَ عَلَى مَعَاوِيَةَ
أَنْشَدَ مَعَاوِيَةَ :

(١) مَنْ شَبَّ إِلَى دُبٍ ، مَثَلٌ ، أَيْ مِنْ لَدُنْ شَبَّيْتُ إِلَى أَنْ دَبَّيْتُ عَلَى الْعَصَا

(٢) الْمَصْرَدُ مِنَ الْعَطَاءِ : الْقَبْلُ .

يَمُوتُ الصَّالِحُونَ وَأَنْتَ حَيٌّ تَحْتَاطُكَ الْمَنَابِإُ لَا تَمُوتُ
فَأَجَابَهُ عَمْرُو يَقُولُ :

أَرْجُوا أَنْ أَمُوتَ وَأَنْتَ حَيٌّ وَلَسْتُ بِمَيِّتٍ حَتَّى تَمُوتَ !

وَقَالَ أَبُو ذُوؤَيْبٍ أَيْضًا :

وَأَنْتِ صَبَرْتَ النَّفْسَ بِمَدَائِنِ عَنَبَسٍ وَأَنْتِ صَبَرْتَ النَّفْسَ بِمَدَائِنِ عَنَبَسٍ
لَا حَسَبَ جَمَلًا أَوْ لِيَنْبَأَ شَامِتٌ
وَقَدْ جَوَّدَ ابْنُ الرُّومِيِّ حَيْثُ قَالَ :

أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُودًا عَلَيْهِ مَذَاهِبٌ فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبٌ
هَذَاكَ بَقِيَ لِلصَّبْرِ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ
فَشَدَّ أَمْرُؤُ بِالصَّبْرِ كَفًّا فَإِنَّهُ
هُوَ الْمَهْرَبُ الْمُنْجِي لِمَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ
لِبُوسِ جَهَنَّمَ مِنْ شِمَاتِهِ
فِيَا هَجَبًا لِشَيْءٍ هَذَا خِلَالَهُ
وَقَدْ يَتَقَطَّى النَّاسُ أَنْ أَصَاهُمْ
وَأَتَاهُمْ لَيْسَا كَشَيْءٍ مَصْرِفٍ
فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَأْتِيَ أَطَاعَ لَهُ الْأَمْرُ
وَلَيْسَ كَمَا ظَنُّوْهُمَا بَلْ كِلَاهُمَا
بِمَصْرِفِهِ الْمُخْتَارُ مِمَّا فِتَارَةٌ
إِذَا أَحْبَبْتَ مَحْتَجٌّ عَلَى النَّفْسِ لَمْ يَكْدُ

فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبٌ
وَمَا كَانَ مِنْهُ كَالضَّرُورَةِ أَوْجَبُ
لَهُ عَصَمَةُ أَسْبَابُهَا لَا تُقْضَبُ
مَكَارُهُ دَهْرٍ لَيْسَ عَنْهُنَّ مَهْرَبُ
شِفَاءُ أَمْسَى يُنْفَى بِهِ وَيُثَوَّبُ
وَتَارَكَ مَا فِيهِ مِنْ الْخَطِّ أَعْجَبُ
وَصَبْرُهُمْ فِيهِ طِبَاعُ مُرْكَبُ
بِمَصْرِفِهِ ذُو نَسْكَبَةٍ حِينَ يُنْكَبُ
وَإِنْ شَاءَ صَبْرًا جَاءَهُ الصَّبْرُ يُجْتَابُ
أَكْلَ لَيْبٍ مَسْتَطَاعُ مَسْتَبُ
يُرَادُ فَيَأْتِي أَوْ يُذَادُ فَيَذْهَبُ
عَلَى قَدَرٍ يُبْنَى لَهَا يَتَعَتَّبُ

(١) مروج الذهب ٣ : ٣٠ . (٢) ديوان البزلبين ١ : ٦١

(٣) ديوان ابن الرومي ، مخطوطة دار الكتب الورقة ٢٥

فساءدّها الصبرُ الجليلُ فأقبلتُ
وإن هو منّاها الأباطيلُ لم تزلُ
فتضحى جزوعاً إن أصابت مُصيبةً
فلا يمدّرُنّ التارك الصبر نفسه
إليها له طوعاً جنائبُ تجنبُ
تقارنل بالغيب القضاء فتطلبُ
وتنسي هلوغاً إن تذر مطلبُ
بأن قيل : إن الصبر لا يتكسبُ

وقال الأمير تاج الدين الكلبّي :

هياتَ بؤسُ لمني الزمان فأشكتي
وعزيمتي ما إن يُسلم غربها
وقال الأمير تميم بن العزّار :

صبرتُ على الشكوى حياءً وعفةً
وبى كلُّ ما يبكي الميون أقله
وهل يشتكي لدغ الأراقم أرقم^(١)
وإن كدتُ منه دائماً أتبسمُ
وما أطفَ قول أبي الحسين الجزّار :

أطيل شكاياتي إلى غيرِ راحمٍ
وأشكرُ عبثي الورى خوفَ شامتٍ
وأهلُ الغنى لا يرّ هون فقيراً
كذا كلُّ نفسٍ لا يزالُ شكوراً

وقال شرف الدين المبارك مستوفى إربيل :

ألقي الخطوبَ إذا أشدّتْ عريكتها
ما بقمُ الدهرُ مني غيرَ معرفتي
بتيسر رأي كثير النّية محال
بأنه قطُّ ما يبقى على حالٍ
وقال أبو عامر بن الشهيد :

إنّ الكريم إذا نالتهُ مخمصةٌ
بجنّ الضلوع على مثل الأظلى حرقاً
أبدى إلى الفاس ربّاً وهو ظمآنُ
والوجهُ غمرَ بماء البشر ملآنُ

وما أحسن قول القاضى الفاضل :

لَا تَنْتَنُ لِلخُطُوبِ وَاصْلُبْ فَن لَّا نَ تَوَالَى عَلَيْهِ قَرْعُ الخُطُوبِ
إِنَّ ضَرْبَ الحَدِيدِ مَا كَانَ إِلَّا حِينَ أَبْدَى لِيَنَّا لَحْرَ اللَّهَبِ

وقال أبو بكر الخوارزمي :

عَلَيْكَ بِإِظْهَارِ التَّجَلُّدِ لِلْعِدَا وَلَا تُظْهِرَنَّ مِنْكَ الذُّبُونِ فُتُحَقَّرَا
أَلَسْتَ تَرَى الرِّيحَانَ يُشَمُّهُ نَاضِرًا وَيُطْرَحُ فِي المِيضَا إِذَا مَا تَغَيَّرَا !

وعلى كلِّ حال فالعلم بالحاسد ، ولا رؤية الشامت ، قال الشاعر :

لَا مَاتَ حُسَّادُكَ بَلْ خُلِدُوا حَتَّى يَرَوْا مِنْكَ الَّذِى يَكْدُ
وَلَا خَلَكَ الدَّهْرُ مِنْ حَاسِدٍ فَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَنْ يُحْسَدُ

وما أحسن قول القاضى ناصح الدين ، وقد تقدّم :

وَلَمَّا بَلَوْتُ النَّاسَ أَطْلُبُ عِنْدَهُمْ أَخَافَتُهُ عِنْدَ اعْتِرَاضِ الشَّدَائِدِ
تَطَلَّمْتُ فِي يَوْمِي رَخَاءً وَشِدَّةٍ وَنَادَيْتُ فِي الْأَحْيَاءِ : هَلْ مِنْ مُسَاعِدٍ ؟
فَلَمْ أَرَ فِيمَا سَأَلْنِي غَيْرَ شَامِتٍ وَلَمْ أَرَ فِيمَا سَرَّنِي غَيْرَ حَاسِدٍ

* * *

١٤ — فَأَقُولُ : هَلْ أَنَا إِلَّا يَدٌ أَدْمَاهَا سِوَارُهَا ، وَجَبِينُ
عَضَّ بِهِ إِكْبِيلُهُ !

أَدْمَاهَا : أَجْرَى دَمَهَا . وَالسَّوَارُ : سِوَارُ الْمَرْأَةِ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ .

وَالْجَبِينُ : مَا فَوْقَ الصَّدْغِ ، وَهِيَ جَبِينَانِ عَنْ يَمِينِ الْجَبْهَةِ وَيَسَارِهَا .

عَضَّ بِهِ ، وَالرَّادُ عَلَيْهِ ، وَالْعَضُّ مَعْرُوفٌ ، وَإِذَا كَانَ حَقِيقَةً فَهُوَ إِنَّمَا
بِالْأَسْنَانِ ، وَيُكْتَبُ بِالضَّادِ أَلْجَعَةِ ، وَإِذَا كَانَ تَجَازًا مِثْلَ عَظِّ الزَّمَانِ ، وَعَظَّتِ
الْحَرْبُ ، كُتِبَ بِالضَّادِ الْقَائِمَةِ .

(ه - تمام المتن)

والإكليل : العصابة للرأس تُكَلَّلُ بالتَّوَلُّو ، ويسمى التاجُ إكليلًا ، ومعنى هذا أنه لما قال : أُنَجِّلِدُ وأرى الشامت^(١) أن لا أنصفه صمغ لما نزل بي منك ، فأكار نفسى ، وأريها الباطل حتمًا ، قال : ما أنا إلا يدٌ أدماها سيوارها الذى تحلت وترينت به ، وجبين عض به تاجه الذى وضعه فوقه ؛ ليمجمل به ، ويتحلّى بجواهره ، فما ألوم أحدًا فعل بي ذلك ؛ وهذا مأخوذ من قول أبى الطيب :

بنو كعب وما أثرت فيهم يدٌ لم يدُمها إلا السَّوارُ^(٢)

بها من قطعه ألم ونقص وفيها من جلالته افتخار

^(٣) وهذا من باب تحسين القبيح ؛ وهو أن يعتذر له بشيء يعود قبضه حسنًا

كما^(٤) اتفق للمزير صاحب مصر ووزيره ابن كلث^(٥) ، لما تسابقا بالحمام ، فسبق

حامُ الوزير ، فسق ذلك عليه ، وأراد الإيقاع به ، فكتب الوزير إليه :

قلْ لأُمير المؤمنين الذى له العلاء والنسبُ الناقبُ

طأرك السابقُ لكنه جاء وفي خدمته حاجبُ

فسكر غيظ^(٦) الخليفة . وكما قال الآخر لما احترق حرَمُ النبي صلى الله

عليه وسلم :

لم يحترق حرَمُ النبي لريية تُخشى عليه ولا هُنالك عارُ

لكننا أيدي الروافض لامست ذاك الضريح فطهرته النارُ

وقال أبو الحسين الجزارُ من أبيات ، وقد ذكر حريقَ الحرَمِ النبوى :

لله في النار آتى وقعت به سرُّ عن العقلاء لا تُخفيه

أن ليس يبقى في فناء بقية مما بدته بنو أمية فيه

(١) ط : ه الشامتين .

(٢) ديوانه ٢ : ١١٢ .

(٣ - ٤) ساقط من ط .

(٤) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف . والحرم مع

البيتين في ترجمته ، في ابن خلكان ٢ : ٣٣٥ .

و كما قال صَنَاجَةُ الدَّوْحِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عَاصِمٍ ، شَاعِرُ الْحَاكِمِ :
 بِالْحَاكِمِ التَّمْدُلُ أَضْحَى الدِّينَ مَقْتَلِيًّا تَجَلَّ الْعَلَا وَسَلِيلُ السَّادَةِ الصُّلَحَا (١)
 مَا زِلْتُ مَصْرُومٌ مِنْ كَيْدٍ رَادُّهَا وَإِنَّمَا رَقَصْتُ مِنْ عَدْلِهِ فَرَحَا
 وَلابْنُ الْأَبَّارِ مَصْنُفُ سَمَاءَ : « قِطْعُ الرِّيَاضِ ، فِي بَدْعِ الْأَغْرَاضِ » وَكُلُّهُ
 جَمْعُهُ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي تَحْسِينِ الْقَبِيحِ .

وَقَوْلُهُ : « يَدُّ أَدْمَاهَا سِوَارُهَا » ، يُشَبِّهُ قَوْلَ الْبَاخَرَزِيِّ :
 هِيَ الْآدَابُ حَلَّى غَيْرَ أَنِّي بِحَرْفَتِهَا اضْطَرْتُ إِلَى الصَّمَارِ
 كَذَاكَ لِعَفْصِ الْحُسْنَاءِ صَبْرٌ عَلَى ضَيْقِ الْخِطَافِ مِنَ السُّوَارِ
 وَقَالَ ابْنُ بَابِكٍ :

لَا صَبْرَ عَنْكَ وَلَوْ عَضَّ السُّوَارُ يَدِي وَبِتُّ مَرْتَفِعًا فِي رَأْسِ عُغْدَانَا
 كَلَّا وَلَوْ هَزَّ عَرْشُ الْمَلِكِ نَاصِيَتِي وَصِرْتُ الْهِنْدُ الشَّرْقِيَّ دِيَانَا
 وَقَالَ الْأَحْوَصُ مِنْ قَصِيدَةٍ :
 فَطَلَّقَهَا فَلَسْتُ لَهَا بِكَفٍّ وَإِلَّا عَضَّ مَفْرَقَتِ الْحُسَامِ (٢)

* * *

١٥ - وَقَوْلُهُ : وَمَشْرِقِي الصَّمَّةُ فِي الْأَرْضِ صَاقِلُهُ ، وَسَمَّيْتُ عَرَصَهُ
 عَلَى النَّارِ مُنْمَقُهُ .

لِلْمَشْرِقِ - بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالرَّاءِ ، وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ : السَّيْفُ ، مَنْسُوبٌ إِلَى
 الْمَشَارِفِ ، وَهِيَ قُرَى مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَلَا يُقَالُ : سَيْفٌ مَشَارِفِي ، لِأَنَّ
 الْجُمُوعَ لَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا إِذَا كَانَتْ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ ، لَا يُقَالُ : مَهَالِجِي ، وَلَا
 جَمَافِرِي ، وَلَا عَبَاقِرِي . وَقَدْ قِيلَ : مَدَائِنِي ، نِسْبَةً إِلَى مَدَائِنِ كِسْرَى ، لِأَنَّ

(٢) مِنْ آيَاتِهِ فِي الْأَنْحَاثِ ١٥ : ٢٩٣ .

(١) حَسَنُ الْمَخَاضَةِ ٢ : ١٩٩

النسبة إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدني ، وإلى مدينة المنصورة مديني ، ف قيل في ذلك للفرق .

الصَّخْفُ في الأرض : وضعه عليها .

والصَّاقِل : القمين الذي يحملو السيوف من الصَّدَأ .

والسَّمْهَرِي : الرمح الصُّلب ، وقيل : منسوب إلى سَمَهَر ، وهو رجل كان يقوم الرِّمَاح .

مُثَقِّفٌ : مقومُهُ ، والتثقيف : التقويم ، معناه : أنا سيفٌ وضعه على النار من يحملوه من الصَّدَأ ، وإن كان محمله على الكف ، ورمحٌ عَرَضَه على النار مقومُهُ ؛ وذلك لمصلحة تعود على السيف والرمح ، فما أعد ذلك شيئاً غريباً . قال الخفاجي :

أَلَمْ إِذَا مَا نَآوَشَ الدَّهْرُ جَانِبِي وَأَيُّ حُسَامٍ لَا يَحَادِثُ بِالْصَّفْلِ (١)
وَمَا هُوَ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْ صَنِيعِهِ بِمَطَرِجٍ قَوْلِي وَلَا جَاهِلٍ فَعْلِي
وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَرَزِّي :

صَعَلْتُ الثُّلَا بِالْكَرُمَاتِ وَإِنَّمَا يَنْبَغِي بِأَسْرَارِ السِّيُوفِ الصِّيَاقِلُ
وَقَالَ أَبُو تَمَامِ الطَّائِي :

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا زُبْرَةٌ لَوْ تَرَكْتَهُ عَلَى الْحَالَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ (٢)
وَقَالَ أَبُو فِرَاسِ بْنِ خَمْدَانَ :

وَأَنْتَ بَقِيْتُ فَإِنِّي غَضِظْتُ الْعِدَا طِفْلاً وَكَهْلاً (٣)
مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفُ أَخٌ لِمَصَّةِ الْقُيُونِ فَرَادَ صَقْلاً
يَفْزِي رِهْوسَ عِدَاتِهِ وَيَسْلُحُهُمُ بِالضَّرْبِ شَلًّا
وَأَنْتَ هَلَكْتُ فَإِنَّهَا مَوْتُ الْكِرَامِ الصَّيْدِ قَتْلًا

(١) ديوانه ٣٨ (مخطوطة دار الكتب رقم ٥١٠ - أدب) ، وهو عبدالله بن سعيد المعروف بأبي محمد الخفاجي . والتحدث هنا : جلاء السيف .

(٢) ديوانه ٧ : ٣٣٤ . والزبرة : القطعة من الحديد . (٣) ديوانه ٢٢٩ .

وقال شهاب الدين الخيمي لما تولّى تفأشف عذاب ابن الزبير :

لأبن الزبير مكارمٍ أُنحتْ بها طيرُ الدأخِ في البلادِ تُغرّدُ
إن قيّدوه وبالفؤا في عصرِه فالكرمُ يُمَصِّرُ والجوادُ يُقَيِّدُ

وقال الأمير أبو المنيع قراوش :

للهِ دَرُّ النَّائِبَاتِ فَإِنَّهَا صَدَأُ اللَّثَامِ وَصَيَقِلُ الْأَحْرَارِ
ما كنتُ إِلَّا زُبْرَةً فَطَبَعَنِي سَيْفًا وَأَطْلَقَ صَرْفَهَنَ غِرَارِي

وقال ابن الساعاتي :

وما أبيضَ وجهُ الخائضِ الحربِ في الوغى

بصارِه لولا سَـوَادُ القَسَاطِلِ
يزيدُ النُّضارُ الطَّلُقُ بالنَّارِ رِفْمَةً وَيَذْهَبُ بِالتَّنْقِيفِ زَيْعُ الْأَمَاطِلِ
كذلكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ يَرْكُمُهَا الصَّدَا فَتُكْسِبُهَا حُسْنًا أَكْفُ الصَّيَاقِلِ

وقال أبو الفتيان بن حيّوس فأحسن :

أَرَى كُلَّ مَعْوَجٍ الْمَوَدَّةِ يُصْطَفِي لَدَيْكُمْ ، وَيَلْقَى حَتْفَهُ مِنْ تَعَوَّمَا (١)
حَتَّى النَّاسُ مِنْ قَبْلِ الْقِسِيِّ لَتُنْتَنِي وَتُقَفِّ مَسَادَ الْقَنَا لِيُحْطَمَا

وقال ابنُ سناء الملك :

حَارَبْتُ هَذَا الدَّهْرَ لَكِنْ مَا وَجَدْتُ عَلَيْهِ نَصْرًا
مِنْ أَجْلِ حَرْبِي قَدْ أَعْدَّ وَقَدْ أَحَدَ شَبًّا وَظَفْرًا
وَالْقَوْسُ يُحْنِي وَالْمُهَنَّدُ يُنْتَضِي وَالسَّهْمُ يُبْرِي

وقال علي بن الجهم لما حبس :

والبدرُ يُدْرِكُه السَّرَارُ فَتَنْجَلِي أَبَاؤُهُ فَكَأَنَّهُ مُتَجَدِّدٌ (٢)

وَالْعَيْثُ يَحْصِرُهُ النَّامُ فَإِذَا رَى
وَالزَّاعِيَّةَ لَا يُقِيمُ كُحُوبَهَا
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَحْبُوءَةٌ
وَالْحَبْسُ ، مَا لَمْ تَفْشُهُ لَدُنِيَّةٌ

إِلَّا وَرَيْقَهُ بُرَاحٌ وَيُرْعَدُ^(١)
إِلَّا النَّقَافُ وَجَذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ^(٢)
لَا تُصْطَلَى إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَرْزَنْدُ
شَنْعَاءُ نَعِمَ الْمَنْزِلُ الْمَتَوَرَّدُ

وقال القاضي أبو الفتح نصر بن سيار الهرمزي الشهرودي :

عَزَاءُكَ إِنْ حُبِسْتَ فَلَيْسَ غَيْبًا
وَهَذَا الْوَرْدُ قَدْ يَزْدَادُ طِيبًا
وَضَرْبُكَ إِنْ ضُرِبْتَ فَلَيْسَ عَارًا
وَمِثْلُكَ مَنْ تَعَانَدُهُ اللَّيَالِي

فَتِلْكَ الرَّاحُ تُحْبَسُ فِي الدَّانِ
إِذَا حَبَسَتْهُ أَطْرَافُ الْبَنَانِ
كَأَنَّ قَدْ يُضْرَبُ السِّيفُ الْيَمَانِي
وَتُجْمَعُ نَحْوَهُ نُوبُ الزَّمَانِ

وقال آخر :

لَنْ صُرِفَتْ - وَحَاشَا
وَمَا أَعْتَقِلَتْ كَرِيمًا

لَك - فَالْدَانِيَرُ تُعْرِفُ
إِلَّا وَأَنْتَ مُثَقَّفٌ

وقال سيف الدين بن قول المشد :

أَنْتَ الْحُسَامُ إِذَا مَا هَاجَ مُهْتَرِكٌ
فَلَا تُبَالِ بِأَمْرِ جَاءَ عَنْ قَدَرٍ

وَالرُّمْحُ أَنْتَ إِذَا مَا ضَاقَتِ السُّهْلُ
فَالسِّيفُ يُضْرَبُ وَالْخَطِيُّ يُعْتَمَلُ

وقال الباخرزي صاحب الدُّمِيَّة :

أَبَا عَاصِمٍ كُنْ عَاصِمًا لِابْنِ مِحْنَةٍ
صَبُورٌ عَلَى عَضِّ النَّقَافِ وَمَا الْقَنَا

أَبَتْ نَكَبَاتُ الدَّهْرِ إِلَّا ثِقَافَهُ
بِمُقْتَدِلٍ مَا لَمْ تُحَسِّنْ ثِقَافَهُ

هُوَ الْخَادِرُ الْمُلْقَى بِأَرْضِكَ رَحْلُهُ
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَدْبَرِّ ، وَقَدْ حُبِسَ :

وَبَهَجَتْهَا بِالْحَبْسِ فِي الطَّيْنِ وَالْقَارِ
أَلَسْتَ تَرَى الْخَرَّ يَظْهَرُ حُسْنُهَا

(١) ريق كل شيء : أوله .

(٢) الزاعية : رماح منسوبة إلى رجل من الخزرج اسمه زاعب كان يعمل الأسنة .

وما أنا إلا كالجواد يصونه مقومه للسبق في طي مضار
أو الذرة الزهراء في قمر أجة فلا تجتلي إلا بهول وأخطار
فلا تُفكرى طول المداراة للعدا فإن نهايات الأمور لإفصار
لعل وراء الفئيب أمراً يسرنا بقدره في علمه الخالق الباري

* * *

١٦ - وقوله : وَعَبْدٌ ذَهَبَ بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ :

فَقَسَالِيزِ دَجِرُوا وَمَنْ يَلِكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

ليزدجروا : ليقمعوا من الازدجار ، وهو الزجر ، والزجر هو المنع ،
يقال : زجره فازدجر وأنزجر .

والحزم : ضبط الرجل أمره ، والأخذ فيه بالثقة ، ومعناه : وأعد نفسي
عبدًا ذهب به سيده فيما فعل به مذهب الذي قال هذا البيت ؛ لأنه يريد
بذلك صلاحه وتأديبه ، فهو مع رحمة له قد قسا عليه حتى يتأدب ، ولم يك من
شأنه القسوة .

وهذا البيت يقوله أبو تمام من قصيدة مدح بها مالك بن طوق ، وأولها :

أَرْضٌ مَعْرَدَةٌ وَأُخْرَى تُشْجَمُ تِلْكَ الَّتِي رُزِقَتْ وَهَذِي تُحْرَمُ^(١)

يقول منها في المديح :

ما هذه التُربى التي لا تُصْطَفَى ما هذه الرِّجَم التي لا تُرْحَمُ !
حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قَرْحَةٌ أَعْيَتْ عَوَانِدُهَا وَجُرْحٌ أَقْدَمُ^(٢)

(١) ديوانه ٣ : ١٩٥ . ومصرده . يقطع شجرها . وتشجم : تمطر على الدوام .

(٢) عواند : جمع عاند ، من قولهم : عند العرق ، إذا سال ولم يرقأ .

تَلَسُّكُمْ قَرِيشٌ لَمْ تَكُنْ آرَاؤُهَا تَهْفُوا وَلَا أَحْلَامُهَا تُتَقَسَّمُ
 حَتَّى إِذَا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فِيهِمْ غَدَتٌ شَحَنَّاؤُهُمْ تَنْضَرُمُ
 عَزَبَتْ عَقُولُهُمْ وَمَا مِنْ مَفْشَرٍ إِلَّا وَهُمْ مِنْهَا أَلْبٌ وَأَحْزَمُ^(١)
 إِنَّا أَقَامَ الْوَحْيُ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ وَرَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدًا مِنْهُمْ
 وَمِنَ الْحَزَامَةِ لَوْ تَكُونُ حَزَامَةٌ أَلَّا يُؤَخَّرَ مِنْ بِهِ يُتَقَدَّمُ^(٢)
 إِنْ تَذْهَبُوا عَنْ مَالِكٍ أَوْ تَجْهَلُوا نَعْمَاهُ فَالرَّحِمِ الْقَرِيبَةِ تَعْلَمُ
 هِيَ تِلْكَ مُشْكَاةٌ لَكُمْ لَوْ تَشْتَكِي ، مَظْلُومَةٌ لَوْ أَنَّهَا تَنْظُمُ^(٣)
 كَانَتْ لَكُمْ أَخْلَاقُهُ مَفْسُورَةٌ فَتَرَكْتُمُوهَا وَهِيَ مِلْحٌ عَلَقَمُ
 حَتَّى إِذَا أَجِئْتُمْ لَكُمْ دَاوَتْكُمْ مِنْ دَائِكُمْ ، إِنَّ النِّقَافَ يُقَوِّمُ^(٤)
 فَفَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَنْقَسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ
 وَأَخَافَكُمْ كَيْ تُفْهِمُوا أَسْيَافَكُمْ إِنْ الدَّمُ الْمُعْتَرِ يَحْرُسُهُ الدَّمُ^(٥)

وَمِنْ مَادَّةِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ الرَّسَالَةُ ، قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِي أَيْضًا :

يَا شَامِقًا بِي إِذْ رَأَى هَجَرَ الْحَبِيبِ وَصَدَّهُ^(٦)
 لَا تَشْمَتَنَّ فَإِنَّهُ مَوْلَى يُوَدِّبُ عَبْدَهُ

وَمِنْ هَذَا قَوْلُ مَهْمِيَارَ :

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ مَا مَقْدَارُ وَصْلِكُمْ حَتَّى هَجَرْتُمْ ، وَبَعْضُ الْهَجْرِ تَأْدِيبُ^(٧)

(١) أَلْب : أعقل ؛ وَأَحْزَم : أضبط .

(٢) الْحَزَامَةُ : حسن الرأي . والنطب : القدر .

(٣) مُشْكَاةٌ ، اسم مفعول من الشكَايَةِ .

(٤) أَجِئْتُ : تغيرت . والنقاف : آلة تقوم الرماح .

(٥) تَفْهِمُوا : تسننوا . المعتَر : المضطرب .

(٦) ديوانه ٤٣٧ (بيروت)

(٧) ديوانه ١ : ٢٤

وهو مأخوذ من قول أبي تمام :

وليس يعرف كنه الوصل صاحبه
وقال أبو القلاء :

فاضربوا ليدك تأديباً على رشد ولا تفل هو طفل غير محتلم^(١)
فرب شق برأس جر منفعة وقس على شق رأس السهم والقلم
وقال ابن خناجة الأندلسي في هذا المعنى :

نبه وليدك من صباه بزجرة فلربما أعنى هناك بكأوه
وأهمره حتى تستهل دموعه في وجنتيه وتلتظي أحشائه
فالسيف لا تذكو بكفك ناره حتى يسيل يصفحتيه مأوه
وقال علي بن الجهم :

ليس عندي وإن تفضبت إلا طاعة حرة وقلب سليم
وانتظار الرضا فإن رضا الساتر عز وعتههم تقويم

١٧ - وقوله : هذا العتب محمود عواقبه .

المواقب : جمع عاقبة ، وهي آخر كل شيء ؛ يشير بذلك إلى قول أبي الطيب :
لعن عتبك محمود عواقبه وربما صحت الأجسام بالعدل
وهذا من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة بن حمدان ، وكان في نفس
سيف الدولة بقية من مودة عليه ، وأول هذه القصيدة :

أجاب دمي وما الداعي سوى طلل دعا قلباه قبل الركب والإبل^(٢)
ومنها :

يأيتها المحسن المشكور من جهتي والشكر من قبل الإحسان لا قبلي

(٢) اللرميات ٢ : ٢٦١

(١) ديوانه ٣ : ٣١٠

(٣) ديوانه ٣ : ٨٢

ما كان نوحى إلا فوق معرفتى بأن رأيتك لا يأتى من الزلال
أول أنل أقطع أجل على أعدى زرعش بش تفضل أدنى سرّ صلي
لعل عتبك محمود عواقبه ورُبما صحت الأجسام بالعلل
ورواه بعضهم : « طرائقه » .

وما أحسن قول السراج الوراق ، ومن خطه نقلت :
وقائل قال لي لما رأى قلقي لطول وعدي وآمال تمنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم محمودة قلت أخشى أن نخزينا
وقال ابن الخطيب الدمشقي :

وما كل مسلوب الرقاد مهاره ولا كل مسلوب الفؤاد مفاداه ^(١)
يرى الصبر محمود العواقب معشره وما كل صبر يحمد المره عقباه
وقال سيف الدين علي بن قزل المشدّ :
صبرت على مرّ هجرانكم وعاتبت قلبي ثم أرعوى
فأصبح جسدي في صحبة وعوفيت من ضرّ داء الجوى
وعاقبة الصبر محمودة لمن يتداوى به في الهوى
وما أحسن قول بعض الشعراء :
لعل سببا يُفيد حبا والشرّ للخير قد يحرّ

١٨ - وقوله : وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة
سحابة صيفٍ عن قليلٍ تقشع .

النبوة : تأنيث نبو ، وهو مصدر ، نبا الشيء إذا تحاماه وتباعد عنه ، ومنه
نبا السيف إذا ارتفع عن الضريبة ولم يقطع فيها .

وَالْقَمَرَةُ : الشَّدَّةُ الشَّدِيدَةُ الْعَامَّةُ ، وَالْجَمْعُ غَمَرٌ .

تَنْجَلِي : تَذَهَبُ ، وَفِي الْمَثَلِ . غَمَرَاتٌ ثُمَّ تَنْجَلِي ، أَوَّلُ مَنْ قَالَه الْأَغْلَبُ الْعَجَلِي ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : زَعَمُوا أَنَّ صَدِيقًا مِنَ الْعَرَبِ نَظَرَ إِلَى قَوْمٍ بِأَكْلُونِ ، فَأَرَادَهُمْ ، فَنَجَّاهُ سَيْلٌ فَخَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَنْفُطُ مَرَّةً وَيَرْتَفِعُ أُخْرَى وَيَقُولُ : « غَمَرَاتٌ يَنْجَلِينَ » ، حَتَّى تَخْلُصَ وَوَصَلَ إِلَيْهِمْ . وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَثَلُ فِي رَجَزٍ لِبَعْضِ الرُّجَّازِ ، وَهُوَ :

يُفَارِعُ السَّنِينَ عَنْ بَنِينَا وَالْغَمَرَاتِ ثُمَّ يَنْجَلِينَا^(١)

وَالنَّكَبَةُ ، وَاحِدَةُ نَكَبَاتِ الدَّهْرِ ، يُقَالُ : أَصَابَتْهُ نَكَبَةٌ ، وَنُكِبَ فُلَانٌ وَهُوَ مُنْكَوَبٌ ، كَأَنَّهُ قَدْ عُدِلَ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ إِلَى الشَّرِّ .

وَتَقَشُّعُ ، أَصْلُهُ تَقَشَّعَ ، فَأُدْغِمَتْ إِحْدَى التَّائِمِينَ فِي الْأُخْرَى . تَقَشَّعَ السَّحَابُ إِذَا أَقْلَعَ ، أَخَذَ بِعِزِّ نَفْسِهِ وَبَسَلَهَا وَيَمْتَمِئُهَا ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ جَعْفَرِ بْنِ شَمْسِ الْخِلَافَةِ :

هِيَ شَدَّةٌ يَأْتِي الرِّخَاءُ عَقِيْبَهَا وَأَسَى يَبْشُرُ بِالسَّرُورِ الْعَاجِلِ
وَإِذَا نَظَرْتَ فَإِنَّ بُؤْسًا زَائِلًا لِلْهَرَمِ خَيْرٌ مِنْ نَعِيمٍ زَائِلٍ

وَقَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْمُبَارَكُ مُسْتَوْفِي إِدْرِبِلَ :

وَمَا السَّجْنُ إِلَّا ظِلٌّ يَمُتُ سَكَنَتُهُ أَرْفَهُ فِي أَفْيَائِهِ وَأَنْعَمُ
فَكَمْ مِنْ طَالِقٍ أَوْثَقَ الدَّلُّ نَفْسَهُ وَآخَرَ مَأْسُورٍ يُعَزُّ وَيَكْرُمُ
وَقَدْ شَحِذَ الْهِنْدِيُّ وَهُوَ مُطَبَّقٌ وَقَدْ تُفِّتَ الْخَطْلَى وَهُوَ مَقُومٌ
وَمَا هِيَ إِلَّا غَمَرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي سَرِيعًا وَإِلَّا نَبْؤُهُ تَتَهَرَّمُ

قوله : « سحابة صيف » ، مَرَّ بلالُ بنُ أبي بُرْدَةَ الأشعريّ بخالدِ بنِ
هشّوانٍ في مَوْكِبٍ عظيمٍ ، فقال خالد : سحابة صيفٍ عن قليلٍ تَقْشَعُ ، فسمعه
بلال فقال : والله لا تَقْشَعُ منها حتّى يصيبك شَوْبُوبٌ بَرَد . وأمر بضربه
بالسّيّاط وحَبَسه .

وقال المبرّد : كان ابنُ شُبْرُمة إذا نزلت به نازلة قال : سحابة صيفٍ
عن قليلٍ تَقْشَعُ ^(١) .

وبلال بن أبي بُرْدَةَ أشار بقوله : حتّى يصيبك منها شَوْبُوبٌ بَرَد ، إلى
قول النابغة :

ولا تُلَاقِ كما لَاقَى بنو أسدٍ فقد أصابَتْهُمْ منها بشَوْبُوبٍ ^(٢)
وما أحسنَ قولَ أبي القاسمِ هبة الله بن الفضل الطليبي :

يامعشَرَ الناسِ الْفَمِيرِ التَّفِيرِ قد جَلَسَ المُرْدَبُ فَوْقَ السَّرِيرِ
وصارَ فِينا أَمِراً ناهِياً وكنتُ أَرْجو أَنَّهُ لا يَصِيرُ
وكَلِّما قالوا غَداً يَنْجَلِي وظُلُمَةٌ عَمّا قَلِيلٍ تُنِيرُ
فمَحَتُ عَيْنِي فإذا الدَّوْلَةُ الدَّ وَلَهُ وَالسَّيْخُ الوَزيزُ الوَزيزُ !
وقول ابنِ الخَلِيطِ الدَّمَشَقِي :

سَحَابَةٌ بَرٌّ آنَ مِنْهَا انْقِشَاعُهَا وَأَيْكَةُ مُجَدِّ حَانَ مِنْهَا ذُبُولُهَا ^(٣)

* * *

١٩ - وقوله : وَلَنْ يَرِيَنِي مِنْ سَيِّدِي إِنَّ أَبْطَأَ سَحَابُهُ ، أَوْ تَأَخَّرَ
غَيْرَ ضَمِينٍ غَنَاؤُهُ .

يريني : فعلٌ مضارع ، والرّيبة : الشكّ والنّهمة .
وضَمِينٍ : بخيل ، وَغَنَاؤُهُ ، بفتح الغين المعجمة والمدّ : النفع .

(١) الكامل ٢ : ٤١ .

(٣) ديوانه ١٠٢ .

(٢) ديوانه ١١ .

وكان أبو العتاهية قد عاق عُتْبَةَ جارية المهديّ ، وعلم المهديّ بذلك ،
واشتهر أمرها على ما هو معروف عند الأخباريين ، فوَدَّه المهديّ بزواجها ،
وطال الأمر على أبي العتاهية ، فأشَدَّ يوماً :

ولقد تَسَمَّتُ الرِّيحَ لحاجتي فإذا لها من راجتِكَ نَسِيمُ
أَعْلَمْتُ نَفْسِي من رَجَائِكَ ما لها عَفَقٌ يَحْبُّ إِلَيْكَ وهو رَسِيمُ
وَرَمَيْتُ نَحْوَ سَمَاءِ جُودِكَ ناظِرِي أَرْعَى مَخَايِلَ بَرِّهَا وَأَشِيمُ
ولربَّما أَسْتَيْئَسْتُ ثُمَّ أَقُولُ : لا إِنَّ الَّذِي ضَمِنَ النِّجَاحَ كَرِيمُ
وَأَتَى بِذَلِكَ إلى يزيد حَوَراءَ ، وكان من كبار المطرِّبين في زمانه ، وقال :
أريد أن تصنع في هذه الأبيات لَحْنًا وتَفَنِّي به بين يدي المهديّ ، فلمّا طابت
نفسُ المهديّ في بعض الأوقات غَنَّى يزيدُ بذلك ، فأحضَرَ المهديّ أبا العتاهية
فقال : أمّا عُتْبَةُ فلا سبيلَ لك إليها ؛ لأنَّ مَوَلاتِها منعتُ منها ، ولكنَّ هذه
خمسون ألف درهم ، فاشترِ ببعضها خيراً منها ، فحَمَلَ الدرهمَ وأنصَرَفَ .

وقال أبو إسحاق الصابي :

وَعَلَيْهِ بِاسْتِحْكَامٍ حَتَّى لَدَيْكُمْ يَحَقُّ ظَنِّي أَنَّ جَرْمِي سَيُوهِبُ
وَأَنَّكَ لِأَجَرِ الَّذِي لَكَ عَنْده وَدِيْعُهُ وَدِّيْ خَيْرُهَا مَتَرَقَّبُ
وقال :

ولولا رجاءُ مِلءِ أَرْجاءِ أَضْلَمِي وعلمُ يقينٍ بالرَّعاية والعهدِ
وَأَنْ نَسِيمَ الْإِنْعِطَافِ يَهْبُ لِي

هبوب نسيمِ التَّرجيسِ الغَضِّ والوَرْدِ
قَضِيتُ بِإِحْدَاهُنَّ نَجْوَى حَسْرَةٍ ولو كان لي قلبٌ من الحجر الصَّلْدِ
وَلِي عِنْدَ مَوْلَانَا وَدِيْعُهُ حُرْمَةٌ وشُكْرُ أَيَادِيهِ وَدِيْعَتُهُ عِنْدِي
وإن عشتُ كانت عُدَّتِي وَذَخِيرَتِي

وإن لم أعشْ فهي التُّراثُ لِي بَعْدِي

فَيَأْتِيهَا الْمَوْلَى الَّذِي أُشْتَقِقَ عَبْدُهُ إِلَيْهِ ، أَمَا تُشْتَقِقُ بَوْمًا إِلَى الْعَبْدِ !
فَإِنْ كَانَ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى رُتْبَةِ الرِّضَا فَبَلَّغْهُ فِيمَا قَبْلَهَا رُتْبَةَ الْوَعْدِ

* * *

٢٠ - وقوله : فَأَبْطَأُ الدَّلَاءَ فَيُضَا أَمْلُوْهَا ، وَأَثْقَلُ السَّحَابَ
مَشِيًا أَحْقَلَهَا .

أَبْطَأُ : أَفْعَلُ مِنَ الْبُطْءِ وَهُوَ ضِدُّ السَّرْعَةِ .
وَأَمْلُوْهَا : أَفْعَلُ مِنْ مَلَأَ الشَّيْءَ إِذَا أَوْقَرَهُ وَأَحْقَلَهُ .
وَأَحْقَلَهُ : أَيْضًا مِنَ الْحَقْلِ ، يُقَالُ : حَقَلَ الصَّرْعُ حَقْلًا إِذَا امْتَلَأَ . أَخَذَ فِي
الْإِعْتِدَارِ عَنِ الْمَخَاطَبِ لِكَوْنِهِ آخِرَ الْحَنُوءِ عَلَيْهِ ، وَالْإِجَابَةِ إِلَى مَا قَصَدَهُ مِنْهُ ،
وَهَذَا الَّذِي بَسَمِيَهُ أَرْبَابُ الْبَدِيعِ حُسْنُ التَّعْلِيلِ ، لِأَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ الشَّيْءَ بِعِبَارَتِهِمْ
الْفَصِيحَةِ ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ قَبِيحًا ، كَمَا قَالَ الْوَزِيرُ أَبُو الْغَارَاتِ طَلَانُوعُ
ابْنُ رَزِيكٍ :

وَمَا أَخْضَرَ ثَوْبُ الْأَرْضِ إِلَّا لِأَنَّهُ عَلَيْهِ إِذَا زَارَتْ بِأَقْدَامِهَا تَخْطُو
وَلَا طَابَ نَشْرُ الزَّهْرِ إِلَّا لِأَنَّهُ يُجْرُ عَلَيْهِمَا مِنْ جَلَالِ بَيْتِهَا مِرْطُ
وَكَمَا قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ ظَافِرُ الْحَدَّادِ :

قَالُوا مَحَا الْجُدْرَى بِهَجَّتِهِ قَسَمَا بَرَبٍّ مَنِي لَقَدْ كَذَبُوا
قَدْ صَفَتْ الصَّهْبَاءُ وَجَنَّتْهُ لَوْنًا فَحُمِلَ صَفْوُهَا الْحَبِيبُ
وَكَمَا قَالَ التَّهَامِيُّ :

لَوْ لَمْ يَكُنْ أَقْحُوَانًا تَمَرُ مَبْسَمِهَا مَا كَانَ يَزْدَادُ طِيْبًا سَاعَةَ السَّحَرِ (١)
وقوله :

* أَبْطَأُ فَيُضَا الدَّلَاءَ أَمْلُوْهَا *

هَذَا نَصْفُ بَيْتٍ قَالَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي الْأَسْتِسْقَاءِ ، مِنْ جَمَلَةِ بَيْتَيْنِ ، وَهَذَا قَوْلُهُ :

قلتُ وقد ضجَّ رافعاً يده دَعُوا الرِّبَايَا فَاللَّهُ يَكْلُوْهَا
وَأَسْتَيْفِنُوا بِالدَّوَاءِ مِنْهُ كَمَا أَبْطَأُ وَفَرَّ الدَّلَاءُ أَمْلُوْهَا

وما أحسن قول المكمبر الضبي من أبيات :

وإني لأرجوكم على بَطْءِ سَعْيِكُمْ كما في بَطُونِ الحاملاتِ رَجَاهُ^(١)
أخبر من لا قيت أن قد وَقَّيْتُمْ ولو شئتُ قال الخبِرون أساءوا

وقول أبي إسحاق الغزني :

ومشكورة التسوييف في قدرة الغني

وخيرُ نَوَالِ الحبِّ ما لم يُعَجَّلِ^(٢)

أبى صَدُّهَا أنْ تَعْدَمَ العَيْنُ قُرَّةً وللبدر في إدباره حُسن مقبل

وقول أبي تمام الطائي :

يا أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّائِي بِرُؤْيَيْتِهِ وجوده لِمَ رَاعَى جُودِهِ كَتَبُ^(٣)

ليس الحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا إنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ

وقول أبي الطيب :

ومن الخير بَطْءُ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعُ السَّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامِ^(٤)

وقال ابن قلايس :

رُبَّ ضِحْكٍ جَنَيْنَةٍ مِنْ عُبُوسٍ وَنَعِيمٍ أَفْقِيَّتُهُ بَيْنَ بُوسٍ

وَإِذَا مَا السَّحَابُ قَطَبَ وَجْهًا كَانَ فِي طِيهِ حَيَاءُ النَّفُوسِ

وقوله أيضاً :

وَلِي رَسْمٌ عَلَيْكَ وَلَا دِفَاعٌ لَدَيْكَ يَصَدُّ عَنْهُ وَلَا مِطَالُ

وَلَسْنَا أَنْ تَأْخُرَ طَابَ عَيْشًا فَقَدْ تُسَدِّبُطُ السَّحْبُ الثَّقَالُ

وما أحسن قول أبي تمام في معاتبة ابن أبي دؤاد لما استنبطاه :

رَأَيْتُ الْمَلَأَ مَعْمُورَةً مِنْكَ دَارُهَا إِذَا أَجْمَعَتْ جَاشًا وَقَرَّ قَرَارُهَا^(٥)

(١) الكامل ١ : ٨١ (٢) ديوانه ٨٨ (مخطوطة دار الكتب رقم ٨٨ - أدب)

(٣) ديوانه ٢٢ (بيروت) (٤) ديوانه ٤ : ١٠٠ (٥) ديوانه ٣٩٩ (بيروت) .

وكم نَكْبَةٍ ظِلْمَاءٍ تُحْسَبُ لَيْلَةً تَجَلَّى لَنَا مِنْ رَاحَتِكَ نَهَارُهَا
 فلا جَارَكَ الْعَاقِي تَسْأُولُ تَحُلُّهَا وَلَا عِرْضَكَ الْوَاقِي تَتَاوَلُ عَارُهَا
 فلا تُمْسِكَنَّ لِلظَّلَمِ مِنَ ذِمَّةِ النَّوَى فَبَيْسَ أَخُو الْأَيْدِي الْغَزَارِ جَارُهَا
 فَإِنَّ الْأَيْدِيَ الصَّالِحَاتِ كِبَارُهَا إِذَا وَقَعَتْ تَحْتَ الْمِطَالِ صِفَارُهَا
 وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدَّ بَاتَ بِالْأُمْسِ صَادِيًّا إِذَا مَاسَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ أَنْهَارُهَا
 وَمَا الْعُرْفُ بِالتَّسْوِيفِ إِلَّا كَخُلَّةٍ تَسَايَتْ عَنْهَا حِينَ شَطَّ مَزَارُهَا
 وَخَيْرُ عِدَاتِ الْحُرِّ مَخْتَصِرَاتُهَا كَمَا أَنَّ خَيْرَاتِ الْإِيَالِي قِصَارُهَا
 وما أحسن قول من قال :

إِنَّ الْعَطَايَا لَا تَكُونُ هَنِيئَةً حَتَّى تَكُونَ قَصِيرَةً الْأَعْمَارِ

* * *

٢١ - وقوله : وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا وَافَقَ جَدَّ بَا ، وَأَلْذُّ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ
 غَلِيلًا .

الحيَا مقصور غير ممدود : المطر والخضب .

وَأَفَقَ : صادف .

الجذب ، بالدال المهملة : المخل . الطليل : العَطَشُ بحرارة .

وهذا من أحسن الاعتذار للمخاطب في إهماله الجواب ، وتركه الإجابة
 إلى قصده . يقول : أَنْفَعُ الْمَطَرُ مَا صَادَفَ تَحُلًا ، وَأَلْذُّ الشَّرَابِ مَا صَادَفَ
 حَرَارَةَ الْعَطَشِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَطَرَ لِلأَرْضِ الْمُتَحِلَّةِ أَنْفَعُ وَأَوْفَقُ لَهَا مِنَ الأَرْضِ
 الْخَصِيبَةِ ، وَكَذَلِكَ لَذَّةُ الْمَاءِ عِنْدَ الظَّمَانِ أَشَدُّ وَقَعًا مِمَّا يَكُونُ عِنْدَ الرَّيِّ .

وما أحسن قول ابن حيوس :

وإن ألدَّ القُرب ما كان قبله نوى وأحلى وصالٍ ما تقدّمه جهدٌ ^(١)
ومثله قول الأَرَجانيّ :

وأحسنُ قُربٍ ما تقدّمه نوى وأحسنُ وصالٍ ما تقدّمه هَجْرٌ
وقولُ مَهْذَبِ الدِّينِ بنِ القَيْسِرانيّ :

فيا وَيْحَ قلبي من بلاءٍ بحبِّه ومن دَلٍّ الحَاطِي على ذلك الدَلِّ
أَلِفْتُ قِلاَه ، وأستَظَلْتُ مِطالَه وأطيبُ ما جاء الوِصالُ على مَطلِ
وقول الآخر :

وليس يَعْرِفُ كُنْهَ الوِصالِ ذو كُلفٍ
حتّى يَعادَى بِبَينٍ أو بِهِجْرانٍ

وقوله : « وألدَّ الشراب ما أصاب غليلا » مأخوذٌ من قول الشاعر -
أظنه كُشَاجِمُ :

هذا الشرابُ أخو الحَيَاةِ ومالِه من ألدّةٍ حتّى يُصيب غليلا
وقال القُطاميّ :

يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ من يَتَّقِيَنَ ولا مَكْنُونُهُ بَادِي ^(٢)
فَمَنْ يَنْذِيذُنْ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُ بِهِ مَوَاقِعَ المَاءِ مِنْ ذِي الدَّلَّةِ الصَّادِي
وقال أبو هلالٍ المَسْكُريّ :

بَقَدْرِ الصَّبَابَةِ عِنْدَ المَغِيبِ تَكُونُ السَّرَّةُ عِنْدَ الحُضُورِ
وأطيبُ ما كان بَرْدُ الثُّغُورِ إذا هو صَادَفَ حَرَّ الصُّدُورِ

٢٢ - وقوله : ومع اليوم غدٌ ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ .

ومع اليوم غدٌ ، هذا أصله من أمثال العرب ، ولكنهم يقولون : « إنَّ مع اليوم غداً »^(١) ؛ يُضْرَبُ مثلاً في تنقل الحالات ، وتقلب الأيام بالدُّوَلِ على مَرَّهَا وَكَرَّهَا .

ومن أمثالهم أيضاً : « يَا تَيْكَ كُلُّ غَدٍ بِمَا فِيهِ » ، أى بما قُضِيَ فيه من خَيْرٍ وَشَرٍّ . ومن أمثالهم أيضاً : « لِكُلِّ صَبَاحٍ صُبُوحٌ »^(٢) ، أى كُلُّ يومٍ يَأْتِي بِمَا يُنْتَظَرُ فيه . ومن أمثالهم أيضاً : « لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ »^(٣) .
وقولهم في المثل أيضاً : « عَسَى غَدُكَ لِفَيْرِكَ »^(٤) ، أى لا تَتَأَخَّرْ من اليوم إلى غَدٍ ، فلعَلَّكَ لا تُدْرِكُهُ .

ومَّا يُنْسَبُ إلى يزيد بن معاوية :

أَقُولُ لَصَحْبٍ صَمَّتِ الْكَأْسُ شَمْلَهُمْ وَدَاعِي صَبَابَاتِ الْهَوَى يَتَرْتَمُ
خُذُوا بِنَصِيبٍ مِنْ نَعِيمٍ وَلَذَّةٍ فَكُلُوا وَإِنْ طَالَ الْمَدَى يَتَصَرَّمُ
وَلَا تَتْرُكَنَّ الْأَنْسَ يَوْمًا إِلَى غَدٍ قُرْبَ غَدٍ يَأْتِي بِمَا لَيْسَ تَسْلَمُ
ويقولون في المثل أيضاً : « غَدًا غَرَّهَا إِنْ لَمْ يَعْقِبْنِي عَائِقُ »^(٥) ، والهَاءُ كُنَايَةٌ
عن الْفَعْلَةِ ، أى غدا غَدَّهَا إِنْ لَمْ يَحْبِسْنِي حَابِسٌ .

ومن كلام مولانا القاضى الفاضل رحمه الله تعالى : والمقدور كائن ،
والهم فضل ، والمعنى من سَخِطَ عَلَى الْأَقْدَارِ ، وَيُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ،
إِنْ دَارَ الْفَلَكَ ، فَمَلِكُكَ أَوْ فَلاكُ ، لَا حَذَرَ مِنْ قَدَرٍ ، وَلَا مَلَامَ عَلَى
الْأَبْطَامِ .

هِيَ الْقَادِرُ تَجْرِي فِي أَعْيُنِهَا فَاصْبِرْ فَلَيْسَ لَهَا صَبْرٌ عَلَى حَالٍ

(١) الميداني ١ : ٣٠ . (٢) الميداني ٢ : ٤١٦ . (٣) الميداني ٢ : ١٢ .

(٤) الميداني ٢ : ١٨٢ . (٥) الميداني ٢ : ٤٨ . (٦) الميداني ٢ : ٦١ .

لَا تَسْأَلِ الدَّهْرَ فِي بَأْسَاءٍ يَكْشِفُهَا وَلَوْ سَأَلْتَ دَوَامَ الْبُؤْسِ لَمْ يَدُمْ

إِذَا عَقَّدَ الْقَضَاءَ عَلَيْكَ أَمْرًا فَلَيْسَ يَحُلُّهُ إِلَّا الْقَضَاءُ

وفي المقادير ما يُبطل التقدير ، ومع اليوم غد ، وأصبر فإن الدهر لا يصبر ، قد يتجلى المكروه عما يُحمد . انتهى .

ولكلُّ أجلٍ كتاب ، لفظ القرآن العظيم . والأجل مُدَّةُ الشيء ، ومعناه لكلِّ شيءٍ أجلٌ مكتوب ، وأوقاتٌ محدودة ، أو لكلِّ أجلٍ أجله الله كتاب أثبتته فيه ، لا يتقدم عن وقته ، ولا يتأخر .

وقيل : هذا من المقلوب الذي جاء في القرآن ، ومعناه لكلِّ كتابٍ أجلٌ ينزل فيه ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ ^(١) وإنما هو : « وَجَاءَ الْحَقُّ بِسَكْرَةِ الْمَوْتِ » ، وكقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ^(٢) ، وهو كثيرٌ في القرآن .

وما أحسن قول السراج الوراق ، ومن خطّه نقلت :

أَرَانِي بِطَيْئًا إِذَا مَا كَتَبْتُ وَقَدْ خُلِقْتُ طِينَتِي مِنْ عَجَلٍ
كَأَنِّي خَالَفْتُ نَصَّ الْكِتَابِ فَمِنْدَى لِكُلِّ كِتَابٍ أَجَلٍ

وقولهم في المثل : « اليومَ خمر ، وغداً أمر » ^(٣) . أول من قاله أمرؤ القيس . كان حُجْرُ أَبُو ^(٤) أمرئ القيس قد طرد ابنه هذا الشعره وغزله ؛ لأنَّ الملوك كانوا يأنفون من ذلك ، فلحق أمرؤ القيس بأرض اليم . ولم يزل بها حتى قتل بنو أسد بن خزيمه حُجْرًا ، فجاءه الأعور العجلي فأخبره بمقتل أبيه ،

(١) سورة ق ١٩ . (٢) سورة النجم ٩ .
(٣) الميداني ٢ : ٤١٧ . (٤) ط : « أبا » ، وهو خطأ .

قَالَ : « ضَيِّعْنِي صَغِيرًا ، وَحَلَّتْ دُمِي كَبِيرًا ، لَا صَحْوَ الْيَوْمِ ، وَلَا شُرْبَ غَدًا ،
الْيَوْمَ خَر ، وَغَدًا أَمْر » . ثُمَّ شَرِبَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَلَمَّا أَصْبَحَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ
أَرْتَحِلُ ، وَقَامَ بِسْمِي لِأَخَذِ الثَّأْرِ .

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني :

قَالُوا غَدًا تَنْدَمُ مِنْ لَشْمَةٍ فِي ثَغْرِهِ إِذْ يَغْلِبُ الشُّكْرُ
قَالَ لِي مَبْسُومُهُ : دَعَهُمُ الْيَوْمَ خَرَّ وَغَدًا أَمْرُ

وما أحسن قول ابن الحجاج :

يَا صَاحِبِي ذَرَا لَوْ مَيِّ وَمَعْتَبَتِي
وَبَادِرَا غَفْلَةَ الْأَيَّامِ وَاعْتَنِمَا
قُمْ نَصْطَبِخْ خَمْرَةً مِنْ خَيْرِ مَا ذَخَرُوا
فَالْيَوْمَ خَرَّ وَيَبْدُو فِي غَدٍ خَيْرٌ

وقال ابن طباطبا :

يَا مَنْ يَخَافُ أَنْ يَكُو نَ ، مَا يَكُونُ سَرْمَدًا
أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَهُمْ : « إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا »

وما أحسن قول معن بن أوس المزني :

وَلَئِنْ أَخَوَكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ لَمْ أَحُلْ
وَلِإِنْ سُوِّتَنِي يَوْمًا صَفَحْتُ إِلَى غَدٍ
أَنْ إِزَاكَ خَصَمٌ أَوْ نَبَاكَ مَنْزِلٌ
لِيَعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ أَوَّلُ

وقول علي بن الجهم لما حبسه المتوكل من أبيات :

صَبْرًا فَإِنَّ الْيَوْمَ يَعْقِبُهُ غَدٌ
وَلِكُلِّ خَيْرٍ مُعَقِّبٌ وَارْتِمَا
وَيَدُ الْخِلَافَةِ لَا تُطَاوِلُهَا يَدُ^(١)
أَجَلِي لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا يُحْمَدُ
لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ تَفَرُّجِ كَرْبَةٍ
خَطْبَ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأَنْكَدُ
كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخْطَاهُ الرَّدَى
فَنَجَا ، وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْعُودُ

وقال غيلان بن خَرْشَةَ الثَّقَفِيُّ :

أَنَاةٌ وَحِلْمًا وَأُنْتَظَارًا بِهِمْ غَدًا
أُظُنُّ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي تُخَافُ عَزَائِي
وَإِنِّي وَإِيَاهُمْ كَمَنْ نَبَّهَ الْفَطَا
فَمَا أَنَا بِالْوَانِي وَلَا الضَّرْعَ الْعَمِيرِ
سَتَحْمِلُهُمْ مِنِّي عَلَى مَرْكَبٍ وَغَيْرِ
وَأَنَّ قَنَاتِي لَا تَلِينُ عَلَى الْقَسْرِ
وَلَوْ لَمْ تُنْذِرْهُ بَاتَتْ اللَّيْلُ لَا تَسْرِي
وقول ابن مُقْبِل :

خَلِيلِي لَا تَسْتَعْجِلْ وَأَنْظُرَا غَدَا

على أن يكون المَكْتُبُ في الأَمْرِ أَرْشَادًا^(١)

وقال الأمير تَمِيمُ بْنُ الْمُعِزِّ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَدَّتْ مَفَاقِدُهَا
كُذِّبَ الدَّهْرُ إِنْ جَاءَتْ فَوَادِحُهَا
يُفَرِّجُ اللَّهُ مِنْهَا كُلَّ مَا وَرَدَا^(٢)
فِي الْيَوْمِ فَارْجُ لَهَا أَلَّا تَدُومَ غَدَا

وقول منصور بن الحَاكِمِ أَبِي مَنْصُورِ الْهَرَوِيِّ :

لَا تُعْسَاتِبْ زَمَانَنَا إِنْ عَرَانَا جَفَاؤُهُ
شِدَّةُ اللَّهِ تَنْقِضِي ثُمَّ يَأْتِي رَخَاؤُهُ
كَدُرُ الْعَيْشِ لِلْفَتَى بِقَضِيهِ صَفَاؤُهُ
وَكَذَا الْمَاءُ يَسْبِقُ الصَّفْوُ مِنْهُ جَفَاؤُهُ

وقول الْبُحْتَرِيِّ :

يَسْرُكُ الشَّيْءُ قَدْ يَسُوءُ وَكَمْ
لَا يَبْأَسُ الْمَرْءُ أَنْ يُنْجِيَهُ
نَوَّهُ يَوْمًا بِخَامِلٍ لِقَبْهِ^(٣)
مَا يَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّهُ عَطْبُهُ

٢٣ - وقوله : لَهُ الْحَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ ، وَلَا عَثْبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ .

الحمد نقيض الذم ، وقيل : إِنَّ الفرق بين الحمد والشكر أن الحمد يكون في الخير والشر ، والشكر لا يكون إلا في الخير فقط ؛ لأنه ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه ما يُحِبُّه قال : الحمد لله على نعمه ، وإذا جاءه ما يكرهه قال : الحمد لله على كل حال .

والاهْتِبَالُ : الأغترام والأفتراس والاحتبال ؛ واهْتَبَلَتْ غفلته ، أي تحيَّفتها وأغترمتها ، والهِبَالُ : الصياد الذي يتحَيَّنُ الصيد .

والإغفال مصدر أغفله ، أغفلت الشيء ، إذا تركته على ذكر منك ، أخذ بجمعه على إبطائه عنه ، وعلى تلبُّثه فيما يطلبه منه ، قال الفرزدق :

وإِنِّي وَسَمْدَا كَالْحُسَّارِ وَأُمِّ إِذَا وَطِئْتُهُ لَمْ يَضُرَّهُ اعْتِمَادُهَا^(١)

وما أحسن قول الجنون - وقيل لإبراهيم بن العباس :

تَهَلَّعُ مِنْ نَفْسِي إِلَيْكَ نَوَازِعٌ

عَوَارِفُ أَنَّ النَّاسَ مِنْكَ تُصِيبُهَا

وَزَالَتْ زَوَالُ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا

فَمَنْ تُخْبِرِي فِي أَيِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا

حَلَالٌ لِلَّيْلِ أَنْ تَرُوعَ فُؤَادُهُ

بِهَجْرٍ وَمَقْفُورٌ لِلَّيْلِ ذُنُوبُهَا

وقال آخر :

إِنْ أُمْتُ وَجَدًا فَلِي قَدَمٌ بِي إِلَى حَتَفِ الْمَسْوِي سَقَتِ

أَوْ تُرْقِنَ تِلْكَ الْحَاضِ دَمِي فَعَيَ فِي حِلٍّ وَفِي سَقَةٍ

(١) ديوانه ١ : ٢١٦ ، واعتمادها ، أي اتكأها عليه . والحوار : التفصيل أول ما ينتج .

وما أحسن قول البهاء زهير :

ومن شَفَفِي فيكم ووجدتُ أنِّي أهوُّ ما ألقاهُ وهو هَوَانُ^(١)
ويحسنُ قبحُ الفعلِ إن جاءَ منكمُ كاطابَ ريحُ العودِ وهو دُخانُ

وقوله أيضا :

أبدًا أزيدُ مع الوصالِ تَلَهُّفًا كالعقدِ في جِدِّ المَلِيحَةِ بَمَلَقٍ^(٢)
ويزيدُنِي كَلَفًا فأشكرُ فعله كالمِسكِ تَسْحَقُهُ الأَكْفُ فيَغْبِقُ

وقول الرشيد محفوظ المراقبيّ مما يُقاربُ هذا :

فرقتُ بيننا الحوادثُ لكنَّ لِي نَفْسٌ إليكمُ أدنِيا
فكأنَّ في الفؤادِ فَاَرَةً مِسْكٍ أفرغوها ونفحةَ الطَّيِّبِ فيها
وذُكِرْتُ أنا ما قلتُ هنا في هذا المعنى ، وهو :

مَنْ منصفِي مِنْ زَمَانٍ قد منيتُ به فقد غَدَوْتُ بما أَلقاهُ منه لَقَى
يَضُوعُ عَرَفُ أَصْطَبَارِي أن يَضَيِّعَنِي والعُودُ يَزُودُ طِيبًا كلما اخْتَرَقَا

وقال الأمير محمد بن قرطاي الإزبلي :

أما وأشتياقي عند حضرة ذكرِكمُ
وذا قَسَمٌ أن لو تعلمونَ عَظِيمٌ
لأنتم وإن عذبتُموني بهجرِكمُ
على كلِّ حالٍ جَنَّةٌ ونعيمٌ
سَلِمْتُمْ من الوجدِ الذي بي عَلَيْكُمْ
ومن مهجةٍ فيها أَسَى وكُلُومٌ

فلا ذَقْتُمْ ما ذَقْتُ مِنْكُمْ فِلي بَكْمُ
رَسِيدُ غَرَامٍ مَقْعِدُ وَمَقِيمُ
وقال مؤيد الدولة أسامة بن مُنْقِذ :

إِذا أَدَمْتُ قَوَارِصُكُمْ فَوَادِي صَبَرْتُ على أَذَاكُمْ وَأَنْطَوَيْتُ
وَجِئْتُ إِلَيْكُمْ طَلَقَ الْحَيَا كَأَنِّي ما سَمِعْتُ ولا رَأَيْتُ

٢٤ - وقوله :

فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرْنَ أُلُوفُ

أُخِذَ في تأييد ما تقدّم من حمده له ، وصبره على إبطائه ، فقال : وإن كان
هذا الفعل الذي تأتية في هذه الفترة واحداً ، فَلَكَ أفعال قد سَرَرْنَ وهي أُلُوفُ ،
فلا عبرة بهذا الفعل الواحد الذي ساء مع اعتبار الأفعال السارة وهي أُلُوفُ .

وهذا البيت لأبي الطيّب ، من أبيات كتّبت بها إلى أبي العشائر الحسين
ابن خُذّان يُعَاثِبُهُ على سبب جرى عليه من غِلْمَانِهِ ، وهي :

وَمُنْتَسِبٌ عِنْدِي إِلَى مَنْ أُحِبُّهُ	وَالنَّبِيلُ حَوْلِي مِنْ يَدَيْهِ خَفِيفٌ ^(١)
فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِي وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ	جَنَيْتُ ، وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أُلُوفُ
وَكُلُّ وَدَادٍ لَا يَدُومُ عَلَى الْأَذَى	دَوَامَ وَدَادِي لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفُ
فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا	فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَرْنَ أُلُوفُ
وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءَ لِنَفْسِهِ	وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنيفُ

ومن هذه المادّة :

إِذا ما صَدِيقُ أَسَا مَرَّةً وَقَدْ كَانَ فِيما مَضَى مُجَمَّلاً

(١) ديرانه : ٢٩٢ ، وحفيف ، أى صوت يحف بزى .

ذَكَرْتُ الْمَقْدَمَ مِنْ فِعْلِهِ فَلَا يَنْقُصُ الْآخِرُ الْأَوَّلَا

وقال الأديب أبو محمد بن مالك المغربي من جملة رسالة كتب بها إلى ابن صمادح : ولئن أعقب يوماً من الدهر بحرمان - وحاشاه - فلقد سبق بمعروف ، ولئن ساءنى يوماً فِعْلُهُ ؛ فأفضاله اللآلئ سررن أوف .

وهذا البيت الذى استشهد به ابن زيدون فى رسالته ، بشبه قول القائل :

وَإِذَا الْمَلِيحُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

وقال أبو البركات محمد بن أحمد المنقرى ، وعُرف بالمؤيد :

مَا ذَلَّتْ فِي حُبِّكُمْ وَخُضُوعِي عَارٌّ ، وَلَا شَفَقِي بِكُمْ بِبَدِيعِ
دِينِ الْهَوَى ذُلٌّ وَجِسْمٌ نَاحِلٌ وَسُهَاذُ أَجْفَانٍ وَفَيْضُ دُمُوعِ
كَمْ قَدْ لَحَانِي فِي هَوَاكُمْ لَا تُمُّ فَذَلَّتْ عِطْفِي عَنْهُ غَيْرَ سَمِيعِ
مَا يُحْدِثُ التَّقْبِيحُ عِنْدِي سَلَوَةٌ لَكُمْ وَلَوْ جِسْمٌ بِكُلِّ فَطِيعِ
وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ

* * *

٢٥ - وَقَوْلُهُ : وَأَعُودُ فَأَقُولُ : مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسَعَهُ

عَفْوُكَ ، وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ حِلْمُكَ !

رجع بعد أن وطن نفسه فى مخاطبته على الصبر والأختار ، التفاتاً منه إلى ما فى ضميره من بقايا العتب ، فقال يستفهم منه : ما هذا الذى صدر منى ، حتى إن عفوك لم يسعه ، وهو صغير بالنسبة إلى كبير عفوك ؛ وما هذا الجهل فى حق حتى وقع ما وقع ، ولم يأت من ورائه حلمك وعقلك !

أَمَّا الْعَفْوُ فَإِنَّهُ أَمْرٌ نَهَى بِهِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ ، وَوَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ ، وَحَثَّ عَلَيْهِ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ^(١) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ ^(٢) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ ^(٣) . وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ .

وَمَنْ قَدَّرَ وَعَفَا ، وَصَفَّ لَالِي غُفْرَانِهِ وَصَفَا ، سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَانُوا يُؤْذُونَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَيَقْصِدُونَ نَكَايَتَهُ فِي أَهْلِهِ ، قَتَلُوا أَعْمَامَهُ ، وَعَذَّبُوا أَصْحَابَهُ ، وَأَلْبَسُوا عَلَيْهِ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَدَخَلَهَا بِغَيْرِ تَحَدٍّ ، وَظَهَرَتْ كُلُّتُهُ بِهَا عَلَى رَغْمِهِمْ ، قَامَ فِيهِمْ خُطْبِيًّا ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَشَكَرَهُ عَلَى مَا مَنَحَهُ مِنَ الظَّهْرِ ، ثُمَّ قَالَ : أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(٤) .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْبَلِيلِ [ابْنِ عَبْدِ كَلَالٍ] ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بَقَرْنِ الثَّعَالِبِ ^(٥) ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظْلَمَتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ ، فَنَادَانِي ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَارَدُوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ . قَالَ : فَنَادَانِي مَلَكَ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكَ الْجِبَالِ ، قَدْ بَعَثَنِي رُبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ

(١) الأعراف ١٩٩

(٢) الحجر ٨٥

(٣) آل عمران ١٣٤

(٤) يوسف ٤٢

(٥) قرن الثعالب ، من مواقيت أهل نجد ، وفي الأصل : «قرية» ، وصوابه من صحيح مسلم .

[فما سئلت] ^(١)؟ إن سئلت أطعته عليهم الأخشبين ^(٢)؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويؤحده ، ولا يشرك به . متفق عليه ^(٣) .

وعنها رضى الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله . وما نيل منه شيء قط ، فينتقم من صاحبه ، إلا أن يُنهك شيء من محارم الله تعالى ، فينتقم الله تعالى . رواه مسلم .

وعن ابن مسعود قال : كأتى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحكي أن نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون . متفق عليه .

قيل لخالد بن صفوان : أي إخوانك أحب إليك ؟ قال : الذي يسد خللي ، ويفغر زللي ، ويقبل علي .

حكى أن المأمون كان يوصته غلامه ، ففعل عن شأنه ، فنزلت الميضاة من يده على جبهته فشجته ، فنظر إليه المأمون مفضباً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ﴿والكاظمين الغيظ﴾ ، قال : كظمت غيظي ، قال : ﴿والءافين عن الناس﴾ ، قال : قد عفوت عنك ، قال : ﴿والله يحب المحسنين﴾ ^(٤) ، قال : اذهب فأنت حر .

وقال عبد الله بن طاهر : كنت عند المأمون ثانی اثنين ، فنادى : يا غلام ، يا غلام ! بأعلى صوته ، فدخل غلام تركي فقال : لا ينبغي للأغلام أن يأكل أو

(٢) الأخشبان : جبلا بركة .

(٤) آل عمران ١٣٤ .

(١) من صحيح مسلم .

(٣) صحيح مسلم ١٤٢٠ .

يَشْرَبُ ، أَوْ يَتَوَضَّأُ أَوْ يَصَلِّي ! كَلَّمَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ تَصِيحُ : يَا غَلَامُ ،
يَا غَلَامُ ! إِلَى كَمْ يَا غَلَامُ ، يَا غَلَامُ ! فَتَكْسُ الْمَأْمُونُ رَأْسَهُ طَوِيلًا ، فَمَا شَكَّكَتُ
أَنَّهُ يَأْمُرُنِي بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا حَسَنَتْ أَخْلَاقُهُ
سَاءَتْ أَخْلَاقُ خَدَمِهِ ، وَإِذَا سَاءَتْ أَخْلَاقُهُ حَسَنَتْ أَخْلَاقُ خَدَمِهِ ، وَلَا نَسْتَطِيعُ
أَنْ نُنْسِيَ أَخْلَاقَنَا لِنَتَحَسَّنَ أَخْلَاقُ خَدَمِنَا .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَقَدْ حُبَّبَ إِلَيَّ الْعَفْوُ ، حَتَّى لَقَدْ خِفْتُ إِلَّا أُوجَرَ عَلَيْهِ .
قَالَ : لَعَلَّهُ أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ مِنْ قَصِيدَةٍ مَدَحَهُ بِهَا ، جَاءَ مِنْهَا :
لَوْ يَعْلَمُ الْعَافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ أَوْ قَرَحَةٍ لَمْ يُخْمدِ (١)
وَقَالَ ابْنُ الْخَلِّيَاطِ الدَّمَشْقِيُّ :

مِنَ الْكَاطِمِيِّ الْعَفِيفِ وَالْمُحْسِنِينَ إِذَا بَرَحَتْ بِالضُّدُورِ الْخُقُودُ
فَمَتَّ بِجُرْمٍ إِلَى عَفْوِهِ يَبْنُكَ مَعَ الْعَفْوِ بَرٌّ وَجُودُ
إِذَا كُنْتَ سَيِّدَ قَوْمٍ وَلَمْ تَسْفُهمْ بِجَلْمٍ فَأَنْتَ الْمَسُودُ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ فِي الرَّشِيدِ :

بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ مَا أَنْدَى يَدًا وَأَبْرَ مِيثَاقًا . وَمَا أَرْكَكَ كَا (٢)
يَقْدُو عَدُوُّكَ خَائِفًا فَإِذَا رَأَى أَنْ قَدْ قَدَّرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَا كَا
وَمَا أَحْسَنَ مَا كَتَبَ بِهِ ابْنُ عَمَّارٍ إِلَى الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ يَسْتَعِظُفُهُ :

سَجَّابَاكَ إِنْ عَابَتْ أَنْدَى وَأَسْمَحُ وَعُذْرُكَ إِنْ عَاقَبْتَ أَنْدَى وَأَوْضَحُ
وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الْخَطِئَتَيْنِ مِنْهُ مَزِيَّةٌ فَأَنْتَ إِلَى الْأَذْنَى مِنَ اللَّهِ أَجْنَحُ
حَنَانُكَ فِي أَخَذِي بِرَأْيِكَ لَا تُطِيعُ عِدَاتِي وَإِنْ أَثْنَوْا عَلَيَّ وَأَفْصَحُوا
فَإِنَّ رَجَائِي أَنْ عِنْدَكَ غَيْرُ مَا يَخُوضُ عَدُوِّي الْيَوْمَ فِيهِ وَيَمْرَحُ

ولم لا وقد أسلفت وُدًا وحُرمةً
وهبني وقد أعقتُ أعمالَ مُفسدٍ
وماذا عسى الأعداء أن يزيّدوا
فهم لي ذنبٌ غير أنّ حلمي
أقلني بما بيني وبينك من رضا
ولا تلتفت قول الوشاة وزورهم
وقالوا سيجزيه فلان بسقيهِ
ألا إنّ بطشًا للمؤيد يُتقى
بكرّان في ليلِ الخطوب فيسبّحُ
أما تُفسد الأعمال ثمت تصلحُ !
سوى أنّ ذنبي واضح متضخّض
صفاء يرلّ الذنب عنها فينزعُ
له نحو بابِ الله روحٌ مفتّحُ
فكلّ إناء بالذي فيه ينضجُ
فقلت وقد يعفو فلان ويصفحُ
ولكنّ حلمًا للمؤيد أرجحُ

وما أحسن ما وصّف به الحلم أبو تمام في قوله :

رقيقٌ حواسي الحلم لو أنّ حلمه
بكفّيك ما ماريت في أنّه بُردُ^(١)

وقال محمد بن غالب الرصافي من أبيات :

كنا إلى الملاء الأعلى بنسبتيه لو ناسب للملاء العلويّ إنسانُ
يُغضّي عن الذنب عفوًا وهو مُقتدرٌ
ويتركّ البطش حلمًا وهو غضبانُ

وقال أبو الفرج البهلاء :

أعدها إلى عادات عفوكم محسنًا كما عودتها قبل آباؤك الشّم
فإن ضاق عنها المذر عندك في الذي
جفتها فما ضاق التفضل والحلمُ

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الخازن :

وأحسن إنني أحسنت ظنًا وأرجو أنّ ظني لا يحيبُ
فأية طربة للعفو إن الـ كريمة وأنت معناه طروبُ

(١) ديوانه ١٢١ - بيروت ، وف ط : « لو أن حلمه » .

وكان الأحنفُ بنُ قيس يقول : لا شيء أثقل من حمل الغضب .
وقال الجاحظ : قيل لأبي عباد وزير المأمون - وكان أسرع الناس غضباً :
إنَّ ابنَ لقمان قال لأبيه : ما أَلْجَمُ الثَّقِيلُ ؟ قال : الغضب . قال أبو عباد :
لكِنَّه والله أخَفُ من الرِّيش ، فقيل له : إنَّما عَنَى لقمانُ أنَّ احتمالَ الغضب
ثَقِيلٌ ، فقال : لا والله ما يَقْوَى على احتمالِ الغَضَبِ إلَّا الجَل .
وقال زياد : تأخير جزاءِ المُحْسِنِ لَوْمٌ ، وتَعْجِيلُ عِقوبةِ المُسِيءِ دَناءَةٌ ،
والتَّثَبُّتُ في العقوبةِ ربما أدَّى إلى السَّلامةِ منها ، وتأخيرُ الإحسانِ ربما أدَّى
إلى نَدَمٍ لم يمكن صاحِبُه أن يتلافاه .

حدَّث أبو هريرة الشاعر المصري ، قال : خرجتُ يوماً إلى بركةٍ لَحَبَشٍ
بمصرَ متنزّهاً في أيامِ الرَّبيعِ ، حين أخذتِ الأرضُ زُخْرُفَها وأزْيَنْتُ .
ومعى آنيةُ شرابٍ - وكانت تلكَ عادتي في كلِّ سَمَةِ - فجعلتُ أَشْرَبُ وأنادمُ
كُتَّابِي طولَ يَوْمِي ، فلمَّا كادت الشمسُ تَغْرُبُ وتلَمَعُ في أجْضحةِ الطيرِ ،
أخذتُ في الانصرافِ إلى منزلي وأنا نَعْلٌ ؛ فبينما أنا أمشي وإذا بفارسٍ خَرَجَ
من مصرَ متلثماً ، لا يبينُ من وَجْهِهِ غيرَ عَيْنَيْهِ ، فسَلَّمُ وقال : من أينَ أَقْبَلَ
الشيوخُ ؟ فقلتُ في نفسي : أَجُنَّ الرَّجُلُ ! ومن يرى معي ؟ والتفتُ وإذا
خَلْفِي دَوْدُ ثِيُوسٍ وراعي يسوقه ، فقلتُ : حضرنا إِمْلَاكُ^(١) الوالدة ، يَرَحِمُكَ
الله ! فضحك وأنصرف .

ولما كان بعد أيام دخلت على الأمير تسكين في حاجة ، فقضاها وأمرَ
لي بألفِ دِرْهَمٍ . وقال لي : هذا حقُّ حضورِكَ ذلكَ الإِمْلَاكِ ، فقلتُ : إنَّه
الَّذِي لَقِيتَنِي ذلكَ اليومَ ، فأخذتها وانصرفتُ خَجَلًا .

وحكى محمد بنُ أَرْدَشِيرٍ قال : كنتُ بالشَّيرِجانِ^(٢) مع الوزيرِ أبي غالبِ
الحسن بن منصور ، الملقَّبِ بذي السَّعَادَتَيْنِ ، فاتفق أن شربتُ عنده يوماً .

(١) الإِمْلَاك : التزويع . (٢) الشيرجان : قصة كرماني .

فسكرت سُكراً ، فسقطت معه سُفْتَجِي^(١) من كمي ، وفيها رِقَاعٌ قد أعطانيها
أربابها لأنَّجَزَ عليهم توقيعات ، ومن بُجِّلَتْها رُقَمَتَانِ بِخَطِّي ، قد كتبتُ في
أحدهما :

يا قليلَ الخيرِ مَوْفُورَ الصِّلَفِ وَالَّذِي فِي الْبَنَى قَدْ حَازَ الشَّرَفَ
كُنْ لَيْثِيَا وَتَوَاضَعْ تُحْتَمَلْ أَوْ كَرِيماً يُحْتَمَلْ مِنْكَ الصِّلَفُ

وفي الأخرى :

يَا قَارِعَ الْبَابِ عَلَى عَبْدِ الصَّمَدِ لَا تَقْرَعِ الْبَابَ فَمَا نَمَّ أَحَدٌ

فَأَخَذَ السُّفْتَجَةَ وَفَتَحَهَا ، وَوَقَفَ عَلَى الرَّقَاعِ بِجَمِيعِ مَا فِيهَا ، وَوَقَعَ
عَلَى الرُّقْمَةِ الَّتِي فِيهَا الْبَيْتَانِ : « يُطْلَقُ لَهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ » ، وَعَلَى الْأُخْرَى الَّتِي فِيهَا
الْبَيْتُ الْوَاحِدُ : « يُوجِبُ لَهُ كُلُّ شَهْرٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ » ، مِنْ اتِّصَالِ الشَّهْرِ الَّذِي نَحْنُ
فِيهِ ، وَرَدَّ الْجَمِيعَ إِلَى السُّفْتَجَةِ ، وَجَعَلَهَا فِي كُمِّي ، وَأَصْبَحْتُ مِنَ الْفِدَاةِ وَلَا
عِلْمَ لِي بِمَا جَرَى ، فَاسْتَدْعَانِي إِلَى الطَّعَامِ وَقْتَ الظَّهْرِ ، فَلَمْ يَرَ عِنْدِي أَثَرًا لِفَعْلَتِهِ
الَّتِي فَعَلَهَا ، وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ، وَلَا سَمْعَ مَنِّي شُكْرًا عَلَى الصَّنِيعَةِ ، فَقَالَ لِي :
وَقَفْتَ عَلَى الرَّقَاعِ ؟ فَقُلْتُ : لَا ، أَيُّهَا الْوَزِيرُ ، ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ فِي الْأَوْرَاقِ
فَتَصَبَّبْتُ عَرَقًا ، وَاشْتَدَّ قَلْبِي لِمَا وَجَدْتُ فِيهَا بِخَطِّي ، فَهَضَمْتُ إِلَى الرَّقَاعِ
وَتَأَمَّلْتُهَا ، وَعَدْتُ إِلَيْهِ وَشُكْرَتُهُ ، وَاعْتَذَرْتُ مِمَّا وَجَدَ ، فَقَالَ : لَا تَعْتَذِرْ ،
فَإِنَّا نَسْتَحِقُّهُ إِنْ لَمْ نَقْضِ وَاجِبًا ، وَلَمْ نَزَعْ صَاحِبًا .

* * *

(١) في القاموس : « السفتجة أن يعطى مالا لآخر والآخر مال في بلد المعطى فيوفيه
إياه ثم فيستفيد أمن الطريق » .

٣٦ — وقوله : وَالتَّطَاوُلُ الَّذِي لَمْ يَسْتَفْرِقْهُ تَطَوُّلُكَ ، وَالتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ أَحْتِمَالُكَ !

التطاولُ : تفاعلٌ من الطَّوْل ، وهو ضدُّ العَرْصِ ، يستفريقُ : يستفعلُ ، من الإغراق . والتطاولُ تفعُّلٌ من الطَّوْل بفتح الطاء ، وهو المُنُّ والفضلُ . والتحامُلُ ، « تفاعلٌ » من الحمل ، تقول : تحمَّلت على نفسي ، أى تسكَّفت الشيءَ على شِقَّةٍ .

لم يَفِ به ، لم يَقم به ، والاحتمالُ : مصدرٌ احتمَلَ ، إذا تسكَّفت فوق طاقته وقدرته .

يقال : إنَّ العَجَّاجَ دخل على عبدِ الملكِ ابنِ مَرْوان ، فقال له : بلغنى أنك لا تُحسِّنُ الهجاءَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ قدر على حُسْنِ تشييدِ الأَبْنِيَةِ أمكنه خراب الأَخْبِيَةِ ، قال : فما يَمْنَعُكَ من ذلك ؟ قال : إنَّ لنا عِزًّا يَمْنَعُنَا من أن نُظْلَمَ ، وحِلْمًا يَمْنَعُنَا أن نُظْلِمَ . فقال : كَلِمَاتُكَ هَذِهِ أَحْسَنُ مِنْ شِعْرِكَ .

استأصَلَ الحَجَّاجُ بِالْقَتْلِ أُسَارَى ، فقال أَحَدُهُمْ : وَاللَّهِ يَاحَجَّاجُ لئن كُنَّا أَسْأَنًا فِي اقْتِرَافِ الذَّنْبِ لَمَا أَحْسَنْتَ أَنْتَ فِي تَرْكِ الْعُفْوِ ، فقال : أَفَ لِهَذِهِ الْجِيفِ ! أَمَا كَانَ فِيهِمْ مَنْ يُحْسِنُ مِثْلَ هَذَا : وَأَمْسَكَ عَنْ قَتْلِ الْبَاقِينَ .

ومن الاحتمال ما وُردَ في قِصَّةِ العَبَّاسِ بنِ مِرْدَاسِ السَّلَمِيِّ ، لَمَّا أُعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعِينَ مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَعْطِيَ الْمُوَافَّةَ قُلُوبَهُمْ خَمْسَمِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، فقال العَبَّاسُ :

أَتَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهْجَ الْعُمِيِّ لِي بَيْنَ عُمَيْيَنَةَ وَالْأَقْرَعِ (١)

وما كان حصن ولا حابس يفوقان مزداس في مجتمع
 العبيد : فرسه ، وحصن هو أبو عيينة بن حصن بن خديفة بن بدر ،
 سيد فزارة ، وحابس : أبو الأقرع بن حابس ، فأمر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بإحضاره ، وقال : أنت القائل : « أَتَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهْجَ الْعَبِيدِ بَيْنَ
 الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ » — وكان صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ
 الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ ^(١) — يا علي ، قُمْ فَأَقْطَعْ لِسَانَهُ ، فقال العباس : وإني
 لقاطع لساني ! قال : إني لمض فيك ما أمرتُ به ، قال : فضي بي حتى
 أدخني الخطائر ، وقال : اعتد ما بين أربمين إلى مائة ، قال : فقلت : بأبي أنت
 وأمي ! ما أعلمكم وأحلمكم وأحكمكم وأكرمكم ! فقال : إن رسول الله
 أعطاك ، وجملك من المهاجرين ، فإن شئت نخذها ، وإن شئت خذ مائة ،
 وكن مع المؤلفه ، فقال : أشر علي ، فقال : إني آمرك أن تأخذ ما أعطاك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتها .

واحتمال رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهور إلى الغاية ؛ معروف مشهور .

• • •

٢٧ — وقوله : وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا فَأَيْنَ عَدْلُكَ ،
 أَوْ مُسِيئًا فَأَيْنَ فَضْلُكَ !

لَا أَخْلُو : لَا أكون خاليًا من أحد القسمين : إمَّا بَرِيئًا إمَّا رُمِيْتُ به ،
 فأين كان عدلُكَ — والعدل ضدُّ الجور — وإمَّا مُسِيئًا فأين كان ^(٢) فَضْلُكَ !
 والفضل ضدُّ النقص ، وهو الاتصاف بالحامد ، وهذا ألزم للمخاطب بأن
 اعترف له بأحد القسمين . وهذا هو الذي يسميه أربابُ البديع صحَّةَ التقسيم ،

(١) سورة يس ٦٩ .

(٢) ساقط من ط .

(٧ — تمام المتن)

وقد جاء منه في القرآن العظيم قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوِيفًا وَطَمَعًا ﴾ ^(١) ، فإنه ليس في البرق إلا الخوف من الصواعق ، أو الطمع في سفيا الفيت .

وقال زهير :

فإنَّ الحقَّ مَقْعَلُهُ ثَلَاثٌ يمينٌ أوْ شُهُودٌ أوْ جِلَاءٌ ^(٢)

حتى إنَّ عمرَ بن الخطَّاب رضَى الله تعالى عنه لمَّا سمع هذا قال :
لو أدركته لوليته القضاء .

وما أحسن قول الإمام العلامة جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى
لمَّا ادَّعى في مقدمته أنَّ الكلمة ثلاثة أقسام ، ولا رابع لها ، قال : لأنها
إمَّا أن تدلَّ على معنى في نفسها أو لا ، الثاني الحرف ، والأوّل إمَّا أن
يقتَرِنَ بأحدِ الأزمنة ^(٣) أو لا ، الثاني الاسم ^(٤) ، وهذا الذي يسمّيه الأصوليون
دليل السبَرِ والتقسيم .

والإمام فخر الدين الرّازي في هذا الباب أمره عجيب ؛ لأنّه إذا تسكّم
في المسألة يذكّر تقسيمها ، وتفاريع التقسيم ، فلا يفوته بذلك شيء من
أحوالها .

ولمّا قدّم قُتَيْبَةُ خُرَاسَانَ قال : من كان في يده من مال عبد الله بن
خازم شيء فلينبذه ، أو كان في فيه فليلفظه ، أو في صدره فلينفثه ؛ فتمجّب
الناس من حُسن ما قسم وفضّل .

(٢) ديوانه ٧٥ ، والجلاء : الأمر الجلي .

(٤) بعدها في د : « والأوّل الفعل » .

(١) الرعد ٢٢ .

(٣) ط : « الأزمنة الثلاثة » .

وقال رجلٌ من أهل الشام للمنصور : يا أمير المؤمنين ، من أُنْتَقِمَ فقد شَفَا غَيْظَه ، ومن عفا فقد تَفَضَّل ، ومن أخذ حقّه لم يَجِبْ شُكْرَه ، ولم يُذكر فضله ، وكظم الغَيْظَ حِلْمٌ ، والنشْفُ طرفٌ من العَجْزِ .

وقال بعض السُّكَّانِ لرئيسه ، وقد عَتَبَ عليه : إذا كنتَ لم تَرْضَ مِنِّي بالإساءة ، فلمَ رَضِيتَ من نفسك بالكفاة !

وحدَّثَ الزَّيَادِيُّ قال : تحدّث رجلٌ من الأعراب ، قال : نزلت برجلٍ من طيءٍ فنحرتُ ناقةً ، فأكلتُ منها ، فلما كان الغدُ نَحَرَ أخرى ، فقلتُ : إن عندك من اللحم ما يُغْنِي ويَكْفِي ، فقال : إني والله ما أُطِعمُ ضيفي إلا أَلْحَا عَيْطاً . قال : وقَمَلْ ذلك في اليوم الثالث ، وفي كلِّ يومٍ آكُلُ شيئاً ، وبأَكُلُ الطَّائِي أكلَ جماعة ، ثمَّ بُوتِي بِاللَّيْلِ فأشرب منه شيئاً ، ويشربُ عامَّةُ الوَطْبِ ، فلما كان في اليوم الثالث ارتَقَبْتُ غَفَاتِهِ ، فاضطجعتُ ، فلما امتلأُ نوماً استَقَمْتُ قُطِيعاً من إبله ، فأقبأته الفَجَّ^(١) ، فانقبه ، واختصر على الطريق حتَّى وقف في مَضِيقٍ منه ، فألقم وَتَرَهُ فوق سَهْمِهِ ، ثم ناداني : لِيَطْلُبْ نَفْسُكَ عنها ، قلتُ : أرني آيَةً ، قال : انظر إلى ذلك الضَّبِّ ، فإني واضعٌ سَهْمِي في مَعْرُزِ ذَنْبِهِ ، فرماه فَأَنْدَرَ^(٢) ذَنْبَهُ ، فقلتُ له : زدني ، قال : فانظر إلى أعلى قَفَارِهِ ، فرماه فَأَثْبَتَ سَهْمَهُ في الموضع ، ثم قال لي : الثالثة والله في كَيْدِكَ . قال : فقلتُ له : شأنك بِإِيْلِكَ ! فقال : كلا حتَّى تسوقها إلى حيث كانت ، فلما أَسْتَقَمْتُهَا قال : فَكَّرْتُ فيكَ فلم أجِدْكَ عندى تَرَةً تُطَالِبُنِي بِهَا ، وما أجِدُ أَنَّ الَّذِي حَمَلَكَ على أَخْذِ إِيْلِي إلا الحاجة ، قال : قلتُ : هو والله ذاك . قال : فاعمد إلى عشرين من خيارها^(٣) نخذاً ، قال : فقلتُ : إذا والله لا أفعل حتَّى تَسْمَعَ مَدْحَكَ ؛ والله ما رأيتُ رَجُلًا أكرم ضِيافَةً ،

(١) الحج : الطريق .

(٢) أندر : قطع .

(٣) د : « جيادها » .

ولا أهدى سبيل ، ولا أرزى كفاً ، ولا أوسع صدرا ، ولا أربّ خوفاً ،
ولا أكرم عفواً منك . قال : فاستحيا وصرف^(١) وجهه عني ، ثم قال :
انصرف بالقطيع [نكته]^(٢) مباركا لك فيه .

وأحسن من هذا وأعجب وأطرب ، ما حكاه الوزير سليمان بن وهب
ابن سعيد بن عمرو بن حصين ، قال : كنت قد نشأت بالحضرة ، وتصرفت
في خدمة الخلفاء ، فلما تطلت مصر سرت إليها ، وإلىها محمد بن خالد
الصريفيني - وكان في غاية العفاف والنزاهة - فقبضت عليه لما وصلت إلى
مصر ، وكان قد بلغني أن عنده ستين بطلاً من بقال مصر المنتخبة ، فطالبت
بإحضارها^(٣) إلى فلم يعترف لي بها ، وكان أكثر أهل مصر يميلون إليه لحسن
سيرته ، فاجتهدت في الكشف عليه والتبصير ، فلم أقف له على خيانة ولا ارتفاق ،
فأقام في حبسي مدة . ثم إن أخاه أحمد بن خالد الصريفيني ، أصلح حاله في
الحضرة ، وكان متمكناً منها ، فأخذ العمل لأخيه محمد كما كان ، وأخذ الكتب
إليه ، وسبق بها كل خبر . فبعث محمد بن خالد الصريفيني إلى عند ذلك يقول :
ما هذا ! قد طال حبسي ، وكشفت عليّ فلم تجد لي خيانة ، وأشتهى أن
تحضرنى مجلسك ، وتسمع حجتي ، وتزيل الشراء بيني وبينك ، على أن تنفق
على أمر . فطمعت فيه ، وقدّرت في نفسي الإيقاع به ، فأمرت بإحضاره ،
فلما دخل رأيت من كثرة شعره ، ووسخه وتأذيه بالحبة الصوف والتقييد
ما غنني ، فأجلسته بحضرتي وقلت : أذكر ما تريد ، فقال : خلوة ، فصرفت
الناس ، فأخرج إلى الكتاب بالظرف ، وقال : هذا كتاب بعض إخوانك
فاقرأه . فلما قرأته وددت أن أمي لم تلدني ، وعرفت من فرقي^(٤) إلى قدمي ،
وأظلمت الدنيا في عيني ، ولم أشك في لبس جبة الصوف والتقييد والمصير
إلى تلك الحال . فلما قرأت الكتاب قت إليه ، وجلست معه ، قال :

(١) د ، م : « وضرب » .

(٢) نكته من م .

(٣) ط : « بإحضارها » .

(٤) ط : « فرقي » .

لا تشغل قلبك ، وابعث من يأخذ ما في رجلي . ففعلت ، وأحضرت المزين ،
 فأخذ من شعره ، ودخل الحمام وخرج ، وقال : هات طعامك ، فتعدينا جميعا ،
 وأنا أنظر إليه وهو لا يكتمني بحرف في العمل ، ثم قال لي : أتأذن لي بالانصراف ؟
 فقلت : ياسيدي ، هذه الدار وما فيها بأمرك ، فقال : لا ، ولكن أنصرف
 الساعة وأستريح ، وأغدو إليك . ومضى ، فحتم على الديوان وعلى ما فيه ،
 وسير إلى نوابي ، فأحضرهم ، ووكل بهم ، وقال : ليس بك حاجة أن
 تذكر لي شيئا من أمر البلد ، فأني أحتفظه وأعرفه ، وقد صار إليك من
 البلد كذا وكذا ، فأحضر الجهابذة وأمرهم بتسليم ذلك إلي — وأحضر لي
 البغال التي كنت طلبتها منه وأنا لا أفتح الديوان ولا أنظر في شيء من
 أحواله — وأنت في مصر ، فانصرف في حفظ الله ، وفي كلاءته . ثم إنه خرج
 معي مشيعا ، فخرجت وأنا من أشكر الناس له ، وأشدّهم حياء منه ، لما عاملته
 به ، وما عاملني به .

وقال إبراهيم السراق^(١) ، مولى أبي المهلب :

هينني يامعدّتي أسأت وبالهجران قبلكم بدأت
 فأين الفضل منك فدتك نفسي على إذا أسأت كما أسأت

وهذا مأخوذ من قول الحماسي :

هينني ظلوما زلت به بساءة قصاصا ، فأين الأخذ يا عزّ بالفضل !
 ومن هذا البيت أخذ ابن زيدون ، وإياه حل .

وقال بعض الأقدمين :

هينني أمرا : إماما بريئا ظلمته وإماما مسينا تاب منه وأعتبا
 أقول التماس العذر لما ظلمتني وحمّلتني ذنبا وما كنت مذنباً
 ليهنك إثمات العدو بهجرنا وقطعك حبل الود حتى تفصبا

وقال بعضُ المحدثين :

فإن عاقبتني فِدِسْوَ فِعْلِي وما ظَلَمْتُ عَقوبَةً مُسْتَقِيمِدِ
وإن تَغْفِرْ فأِحْسَانٌ جَدِيدٌ دَعَوْتُ به إلى شُكْرٍ جَدِيدِ

وقال آخر :

فَهَبْنِي مَسِيئًا كَالَّذِي قَلْتَ ظَالِمًا فَعَفُوا أَجْمِلًا كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
فإن لم أكنْ لِلْعَفْوِ مِنْكَ إِسْوَاءَ مَا أَتَيْتُ بِهِ أَهْلًا ، فَأَنْتَ لَهُ أَهْلُ

وقال البُخْتَرِيُّ من قصيدة :

أَقْرُبُ بِمَا لَمْ أَجْنِبْ مَغْفِرًا إِلَيْكَ عَلَى أَنْتَى إِخْلَاكَ أَلْوَمًا ^(١)
لِي الذَّنْبُ مَعْرُوفًا وَإِنْ كُنْتُ جَاهِلًا

به وَلَكَ الْمُسْتَبَى عَلَى وَأَنْعَمًا

وَمِثْلُكَ إِنْ أَبْدَى الْجَمِيلَ أَعَادَهُ وَإِنْ بَدَأَ الْمَعْرُوفَ عَادَ وَتَمَمًا

ومن كلام القاضي الفاضل : يا من أنا عبده ، للسَّيِّئَةِ أَنَا مُعْتَرِفٌ بِأَنِّي
كسبتها ، والخطيئة قد أحاطت بي حكمًا ، وأحاط بها الناس علمًا ، وقد
أُسْتُوجِبْتُ نارَ غَضَبِكَ ، وتَنَقَّيْتُ أَدَبَكَ ، فإن عَفَوْتَ فَبِحَقِّكَ ، فإنك
سَيِّدُ عَافٍ ، وَإِنْ عُوِّقْتُ فَبِحَقِّي لِأَنِّي عَبْدٌ هَافٍ ، فحَاكَمْنِي إِلَيْكَ ، وَلَا تَحَاكَمْنِي
إِلَيَّ ، وَ[إِنْ] أَخْطَأْتُ فَاعْذِرْنِي ، فَإِنِّي ابْنُ آدَمَ .

٢٨ - وقوله :

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَمَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ

إِلَّا بِكسر الهمزة ، أصله «إِنْ لَا» ، مركب من إن الشرطية ، ولا النافية ،
فادغمت النون في اللام ، ولهذا جاءت الفاء في الجواب في قوله : « فمدلك » .
وهذا البيت من قول البخترى ، من قصيدة أولها :

شوقٌ إِلَيْكَ تَفِيضٌ مِنْهُ الْأَذْمُوعُ وَجَوَى عَلَيْكَ تَضْيِيقٌ عَنْهُ الْأَضْلَعُ

ومن هذه القصيدة قوله :

بِعَمَادَتِي طَرَبِي إِلَيْكَ فَيَقْتَلِي^(١) وَجَدِي وَيَدْعُونِي هَوَاكَ فَأَتَّبِعُ

وقال نصيب يمدح مولاه المهدى :

تَلَمَّسْتُ : هَلْ مِنْ شَافِعٍ لِي فَلَمْ أَجِدْ سَوَى رَحْمَةِ أَعْطَاكَهَا اللَّهُ تَشَفُّعُ
لَنْ جَلَّتْ الْأَجْرَامُ مِنِّي وَأَفْظَمْتُ لَعَنُوكَ عَنْ جُرْمِي أَجَلَ وَأَوْسَعُ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي للفضل بن الربيع :

لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِي سِوَى أَمَلِي
فِي حُسْنِ صَفْحِكَ عَنْ جُرْمِي وَعَنْ زَلَلِي
فَإِنْ يَكُنْ ذَاوَدَا فِي الْقَدْرِ قَدْ عَظُمَا

فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِي وَمِنْ أَمَلِي

وما أحسن قول الشريف أبي الحسن علي بن الحسين العقبلي :

يَا طَاعِنِي بِمَتَابٍ كَادَ يَنْقُذُنِي لَوْلَمْ أَكُنْ لَا بَسًا دِرْعًا مِنَ الْأَمَلِ^(٢)

اخْلَعْ عَلَى جَدِيداً مِنْ رِضَاكَ فَقَدْ
رَقَمْتَ بِالْمَذَرِ مَا خَرَقْتَ بِالزَّلَالِ

وما أحسن قول الإمام الشافعي رضي الله عنه :

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ الرَّجَا - رَبِّي - لَعْفُوكَ سُلْماً^(١)
تَعَاظَمَتْنِي ذُنُوبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بَعْفُوكَ - رَبِّي - كَانَ عَفْوُكَ أَهْظَمًا

وقول أبي نواس :

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بَأْنَ عَفْوِكَ أَعْظَمُ^(٢)
إِنْ كَانَ لَا يَرِجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْمَجْرَمُ !
وَكُلُّ هَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

بَنِي هَاشِمٍ عَفَّوْا ، عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَ تَوْبِي حَشَوَ ثَنِيَّتِيهِ مُجْرِمُ
لَكُمْ حَرَمُ الرَّحْمَنِ وَالْبَيْتِ وَالصَّفَا

وَجُمِعَ ، وَمَا ضَمَّ الْإِطْمِئْنَانُ وَزَمَزَمُ
فَإِنْ قَلِمْتُ بِأَهْتِنَا بِعَظِيمَةٍ فَأَحْلَامُكُمْ مِنْهَا أَجَلٌ وَأَعْظَمُ
وَأَحْسَنَ الَّذِي قَالَ :

اغْتَنِمْ زَلَّتِي لَتَحْرِزَ فَضْلُكَ مَعْفُو عَنِّي وَلَا يَمُوتُكَ سُكْرِي
لَا تَسْكِنَنِي إِلَى التَّوَسُّلِ بِالْمَذَرِ رِ لَعَلِّي أَلَّا أَقُومَ بِمُذَرِّي

وقال إبراهيم بن المهدي يخاطب المأمون :

فَإِنْ لَا أَكُنْ أَهْلًا لِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَأَنْتَ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - لَهُ أَهْلُ
فَفَضْلُكَ أَرْجُو لَا الْبَرَاءَةَ إِنَّهُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ الْفَضْلُ

(١) ديوانه ٥٩ . (٢) ديوانه ١٩٩ ، « وفيه فن يلوذ ويستجير المحرم » .

وما أحسن قول السَّلامِيِّ :

تَبَسَّطْنَا عَلَى الْآثَامِ لَمَّا رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ تَعَرِّ الذُّنُوبِ

وقول ابن قَلَّاس :

وغيرُ عَجِيبٍ أَنْ أَوْفِيكَ مُجْرِمًا أُنِيبُ وَأَرْجُو فِي ذَرَاكَ مَتَابًا ^(١)
فَأَسِيلُ رِداءِ الْعَفْوِ مِنْكَ تَكَرُّمًا فَحَسْبِي كَوْنِي غِيْبَتُ عَفَاكَ عِقَابًا
وهو مأخوذٌ من قول الأوَّل :

ارْضَ لِمَنْ غَابَ عَنْكَ عَيْبَتُهُ فذاك ذَنْبٌ عِقَابُهُ فِيهِ
لَوْ لَمْ يَنْلَهُ مِنَ الْعِقَابِ سِوَى بُعْدِكَ عَنْهُ لَكَانَ يَكْفِيهِ
ولقد زاد ابنُ رَيْدُونَ فِي هَذَا الْمَقَامِ ، وَأَفْرَطَ فِي الْخُضُوعِ وَالْتِمَاسِ ،
وما أحسنهُ أَنْ يَنْشِدَ قولَ الْمُؤَمِّلِ بْنِ أَمِيلٍ :

إِذَا مَرَضْتُمْ أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُذَنِّبُونَ فَنَأْتِيَكُمْ وَنَعْتَذِرُ ^(٢)
وقول مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُوَلَّى :

وَأَبْكِي فَلَا لَيْلِي بِكَتٍ مِنْ صَبَابَةٍ لِذَاكَ وَلَا لَيْلِي لِذِي الْوَدِّ تَبَدُّلُ
وَأَخْضَعُ بِالْعُتْبِيِّ إِذَا كُنْتُ مَذْنِبًا وَإِنْ أَذْنِبْتُ كُنْتُ الَّذِي أُتَوَسَّلُ

وما أحسن قول مُسْلِمِ بْنِ الْوَالِيدِ :

وَيُخْطِئُ عِذْرِي وَجْهَهُ جُرْمِي عِنْدَهَا
فَأَجْنِي إِلَيْهَا الذَّنْبُ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي ^(٣)
إِذَا أَذْنِبْتُ أَعْدَدْتُ عُمْذًا لِذَنْبِيهَا
وَإِنْ سَخِطَتْ كَانَ اعْتِذَارِي مِنَ الْعُذْرِ

(١) لم أجد ههما في ديوانه . (٢) خاص الخاص ٩١ . (٣) ديوانه ٣٢ .

وقال العباس بن الأحنف :

إذا رَضِيتُ لم يَهِنِي ذلك الرِّضا لصِحَّةِ عَلَيٍّ أَنْ سَيَدْبُهُ عَتَبُ^(١)
وَأَبْكِي إذا ما أَذْنَبْتُ خَوْفَ عَتَبِهَا فَأَسْأَلُهَا مَرْضَاتَهَا وَلَهَا الذَّنْبُ

وقال أبو فراس بن سَعدان :

وَكُنِّي الرَّسُولُ غِنِ الْجَوَابِ تَهَرُّقًا

ولئن كُنِّي ، فلقد عَلِمْنَا مَا عَنِّي^(٢)
قل يا رسولُ ولا تُحَاشِ فَإِنَّهُ لا بدَّ منه أَسَاءَ بِي أَمْ أَحْسَنًا
الذَّنْبُ لِي فِيمَا جَنَاهُ لَأَنْتَ مَكَّنْتُهُ مِنْ مُهْجَتِي فَتَمَكَّنَا

قلتُ : مقتضى الكلام كله أن يقول : « مَكَّنْتُهُ مِنْ مُهْجَتِي فَتَمَكَّنَا »
أو فَتَحَرَّمَا ، أو فَتَرَعْنَا ، وتركه لأجل الغافية .

وما أحسن قول مِيار :

لا وَالَّذِي لو شاءَ لم أَعْتَذِرْ في حُبِّهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَذْنِبِ^(٣)
ما حَدَرْتُ رِيحَ الصَّبَا بَعْدَهُ لثَامِهَا عَنْ نَفْسٍ طَيِّبِ

وما أحسن قول البُحتري :

عَفَا اللهُ عَنْكَ أَمَا حُرْمَةُ تَعُودُ بِعَفْوِكَ أَنْ أَبْعَدَا^(٤) !
أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ وَمَوَلًى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى !
وَمَفْسِدٍ أَمْرٍ تَسْلَافِيَتَهُ فَمَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا
أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيكَ وَيَعْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى

(١) ديوانه ١٩

(٢) ديوانه ١ : ٧٦

(٣) ديوانه ٤٠٣ .

(٤) لم ترد هذه الآيات في ديوانه

وقوله أيضا :

إِنَّ دُونَ السُّؤَالِ وَالْإِعْتِدَارِ خَطَّةٌ صَعْبَةٌ عَلَى الْأَحْرَارِ^(١)
فَارِضَ السَّائِلِ الْخَضُوعَ وَلِلْمُذْنِبِ ذَنْبًا غَضَاظَةُ الْإِحْتِقَارِ
وَاسْتِعْدَ مِنْهُمَا فَبَيْسَ الْمَقَامِ نِ لَالِ الْمُقُولِ وَالْأَخْطَارِ

* * *

٢٤- وقوله : حَنَانِيكَ قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبِّي ، وَاللَّيْ مَا حَسْبِي بِهِ
وَكَفَى .

حَنَانِيكَ : تَنْثِيَّةٌ حَنَانٍ ، وَهُوَ الرَّحْمَةُ ، يُقَالُ : حَنَّ عَلَيْهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا ﴾^(٢) ، أَيْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ، وَذَكَرَ عِكْرَمَةُ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : مَا أَذْرِي مَا الْخَفَانُ ؟ وَقَوْلُهُمْ : حَنَانِيكَ ، أَيْ حَنَانًا
يَعْدُ حَنَانٌ ، وَهُوَ نَصَبٌ عَلَى مَعْنَى « نَطْلُبُ » ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : حَنَانِيكَ يَا رَبِّ ،
أَيْ نَطْلُبُ رَحْمَتَكَ .

قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَيْجَى بْنِ جَرْمٍ مَعِيرَهُمْ . . . حَنَانِكَ ذَا الْخَفَانِ^(٣)
وَعَالِبٌ مَا جَاءَ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى لَفْظِ التَّنْثِيَةِ .

وَقَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْذَيْتَ فَاسْتَبَقِي بِمَضْنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ^(٤)
قَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ هَذَا حِينَ أَمَرَ النَّمِئَانَ بِقَتْلِهِ ؛ يَضْرِبُ عِنْدَ ظُهُورِ تَفَاوُتِ
مَا بَيْنَ الشَّرِّينِ ، وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ : « إِنَّ مِنَ الشَّرِّ خِيَارًا » ، وَقَوْلُهُ : « بَلَغَ السَّيْلُ
الزُّبِّي » ، جَمْعُ زُبْيَةٍ ، وَهِيَ حُمْرَةٌ تُحْفَرُ لِلْأَسَدِ إِذَا أَرَادُوا صَيْدَهُ ، وَأَصْلُهَا

(٢) سورة مريم : ١٣

(٤) ملحقي ديوانه ٢٠٩

(١) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه

(٣) ديوانه ١٤٣

الرَّابِية لَا يَعْلَمُهَا الْمَاءُ ، فَإِذَا بَلَغَهَا السَّيْلُ كَانَ جَارِفًا مَجْجِفًا ، وَهَذَا الْمَثَلُ مُضَرَّبٌ لِمَا تَجَاوَزَ الْحَدَّ .

قَالَ الْمَوْرِجُ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ السَّمَاكِ بَيْنَ حَرْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ الْمُعْتَمِرِ ، قَالَ : أَتَى مُمَازُ بْنُ جَبَلٍ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ قَتَلَهُمْ أَسَدٌ فِي زُبَيْةٍ ، فَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ بَفْتِهِمْ ، فَسَأَلَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ مُحْتَبَبٌ بِفِئَاءِ الْكَاهِلَةِ ، فَقَالَ : قُضُوا هَلَى خَبَرِكُمْ ، قَالُوا : صَدَّنَا أَسَدٌ فِي زُبَيْةٍ ، فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ ، فَتَدَفَّعَ النَّاسُ عَلَيْهَا ، فَرَمَيْنَا بَرَجْلٍ فِيهَا فَتَمَلَّقَ الرَّجُلُ بَاخِرَ ، وَتَعَلَّقَ الْآخَرُ بَاخِرَ ، فَهَوُوا فِيهَا ثَلَاثَتُهُمْ ، فَقَضَى عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ لِلأَوَّلِ رُبْعَ الدِّيَةِ ، وَلِلثَانِي النِّصْفَ ، وَلِلثَالِثِ الدِّيَةَ كُلَّهَا ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : لَقَدْ أُرْشِدَكَ كَمَ اللَّهُ لِلْحَقِّ .

وَمِثْلُ هَذَا الْمَثَلِ : « قَدْ بَلَغَ الشُّطَاظُ الْوَرَكِينَ ^(١) » . الشُّطَاظُ : عُودٌ يُجْعَلُ فِي عُزْوَةِ الْجُودِاقِ . وَكَذَا قَوْلُهُمْ : « قَدْ جَاوَزَ الْحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ ^(٢) » ، الطُّبْيُ - بَضْمُ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ سَاكِنَةً - لِلْحَافِرِ وَالسَّيَّارِ كَالضَّرْعِ لغيرِهَا ، وَكَذَا قَوْلُهُمْ : « اتَّعَقَتْ حَلَقَتَا الْبِطَانِ ^(٣) » وَالْبِطَانُ لِلْقَلْبِ كَالْحِزَامِ لِلتَّسْرِجِ ، وَفِيهِ حَلَقَتَانِ ، وَكَذَا قَوْلُهُمْ : « التَّقَى الْبِطَانُ وَالْحَقَبُ » ، الْبِطَانُ بِمَنْزِلَةِ التَّصْدِيرِ ، وَالْحَقَبُ : الْحَبْلُ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ تَمِيلِ الْبَعِيرِ ، وَالتَّمِيلُ بِالنَّاءِ الْمُثَنَّى الْمَكْسُورَةِ ، وَالْيَاءِ آخِرَ الْحُرُوفِ سَاكِنَةً وَاللَّامُ - وَعَاءٌ قَضِيبُ الْبَعِيرِ .

حَسْبِي بِهِ وَكَفَى ، الْحَسْبُ : الْكَفَايَةُ ، تَقُولُ : حَسْبِي وَحَسْبُكَ دَرَاهِمُ ، أَيْ كَافِيكَ ، قَالَ امْرَأُ الْقَيْسِ :

أَلَا إِنَّ لَا تَكُنْ إِبِلٌ فِعْزَى كَأَنَّ قُرُونَ جَلَّتْهَا الْعَصِي ^(٤)
فَتَمَلَّأُ يَتَمَنَّا أَقِطًا وَسَمَنًا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِي

(٢) الميذاني ١ : ١٦٦ .

(١) الميذاني ٢ : ١٢٤ .

(٣) الميذاني ٢ : ١٨٦ . (٤) الميذاني ٢ : ٢٠٩ . (٥) ديوانه ١٣٦ .

قال أبو عبيدة : وهذا يحتمل معنيين : أحدهما يقول : أعط كل ما كان لك وراء الشَّبع والرّى ، والآخَر القناعة باليسير يقول : اكتف بهولا تطلب ما سوى ذلك ، والأوّل الوجه لقوله :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنِي مَعِيشَةً كَفَانِي - وَلَمْ أَطْغَبْ - قَائِلٌ مِنَ اللَّالِ (١)
ولكنّا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُوْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُوْتَلُ أَمْثَالِي

وفي أمثال العرب : « حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ » (٢) ، أى اكتف من الشرِّ بِسَمَاعِهِ وَلَا تَعَايِنَهُ ، ويجوز أن يكون المراد : يَكْفِيكَ سَمَاعُ الشَّرِّ وَإِنْ لَمْ تُقْدِمْ عَلَيْهِ ، وَلَمْ تُنْسَبْ إِلَيْهِ .

وقال أبو عبيدة : أخبرنى هشامُ بن الكلبي أن المثل لأُمِّ الرِّبيع بن زياد العبسيّ ، وذلك أن ابنها ، كان أخذ من قيس بن زهير بن جَدِيمة درعا ، فَعَرَضَ قيسٌ لأُمِّ الرِّبيع وهى على راحلتها فى مَسِيرِهَا ، فَأَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ لِيَرْتَمِيَهَا فى الدَّرْعِ ، فقالت : أين عَزَبَ عَنْكَ عَقْلُكَ يَا قيس ، أترى بنى زياد مُصَالِحِينَ ، وقد ذهبتَ بِأَمْرِهِمْ يَمِينًا وَشِمَالًا وقال الناس ما قالوا أو شاءوا !
إِنَّ حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ ، فذهبتَ كَلِمَتُهَا مِثْلًا .

وقالت بعض النساء الشَّواعِر :

سَائِلٌ بِنَا فى قَوْمِنَا وَلَيْسَ كَفٍ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ

وما أحسن قولَ خالد بن المهاجر :

إِذَا حُجِبَتْ لَمْ يَكْمِكَ الْبَدْرُ فَقَدْهَا وَتَكْفِيكَ فَقَدْ الْبَدْرُ إِنْ حُجِبَ الْبَدْرُ
وَحَسْبُكَ مِنْ خَيْرِ يَفُوتِكَ رِيْقَهَا وَوَاللَّهِ مَا مِنْ رِيْقَهَا حَسْبُكَ الْخَيْرُ

(١) ديوانه ٣٩ .

(٢) الميداني ١ : ١٩٤ .

وما أحسن قولَ أبي تمام الطائي :

نامتْ هُمُومِي عَنِّي حِينَ قُلْتُ لَهَا حَسْبِي أَبُو دُلَافٍ حَسْبِي بِهِ وَكُنِّي^(١)

وقال القاضي أبو بشر الفضل بن محمد :

رَفَرْتُ فَوْقَنَا سَحَابٌ نَعْمَى أَمْطَرْنَا الشُّرُورَ فِي كُلِّ حَالٍ
حَسْبِيَ اللَّهُ فِي الْأُمُورِ نَصِيرًا ثُمَّ حَسْبِيَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الْمَعَالِي

وقال شمس الدين محمد بن التلمساني :

بِاللَّهِ يَا لَيْلِي الطَّوِيلَ لَقَدْ قَصَّصْتَ نَوْمِي وَلَمْ تَعُدْ بِفَدْيِي
حَسْبِي وَحَسْبُ الْهَوَى وَحَسْبُكَ مَا يَفْعَلُهُ الْهَجْرُ بِي فَلَا تَزِدْ
وقال المباس بن الأخنف :

إِنْ كَانَ يُرْضِيكُمْ عَذَابِي وَأَنْ أَمُوتَ بِالْهَجْرَانِ وَالْكَرْبِ^(٢)
فَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ مِنِّي لَكُمْ حَسْبِي بِمَا تَرْضَوْنَ لِي حَسْبِي

* * *

٣٠ - وقوله : وما أَرَانِي إِلَّا لَوْ أَمِرْتُ بِالسُّجُودِ لَأَدِمَ فَأَيَّتِ
وَأَمْسَتْ كَبِيرَةٌ .

يشير بهذا إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ ﴾^(٣) ، يعني لو كان ذنبي إليك ذنب إبليس لما أمره الله بالسُّجُود لآدم ، فأبى عن السُّجُود واستكبر على آدم ، وقال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾^(٤) ، وهذا ذنبٌ عظيم ،

(١) ديوانه ٢٠٤ .

(٢) ديوانه ٥٧ .

(٣) سورة البقرة ٣٤ .

(٤) سورة الأعراف ١٢ .

سقطت به درجة إبليس بعدما وصل إلى ما وصل ، وتقرب بالعبادة إلى أن حظي بين الملائكة ، ثم لعن وأبعد وأهبط إلى الأرض ، وأخرج من الجنة وجعلت اللعنة عليه إلى يوم الدين ، وصار عدواً لآدم وبنيه من الأنبياء والصالحين والأولياء والشهداء ، ولا يذكر إلاّ مقروناً بالخنزى واللعنة ، وأعد الله له في الآخرة العذاب المؤبد ، والخنزى السرمد .

ويقال : إن إبليس أخزاه الله تعالى - أول من أحدث القياس لأنه قاس الطين على النار ، فلم يرض بالسُّجود لآدم ، ولهذا قال بشار بن بُرْد - قبحه الله تعالى !

إِبْلِيسُ خَيْرٌ مِنْ أَيْكُمُ آدَمَ . فَتَنَّبَهُوا بِامْعَشَرَ الْفَجَّارِ
إِبْلِيسُ مِنْ نَارٍ وَآدَمُ طِينَةٌ وَالطِّينُ لَا يَسْمُو سُمُوَّ النَّارِ

ثم إن إبليس اتصف في هذه القصة بثلاث صفات : هنّ أردأ ما تكون وهى : الإباء ، أى امتنع من فعل ما أمر به ، والاستكبار ، وهو فعل الجبارين ، والكفر وهو شرُّ الثلاث . وكان يمكنه الإباء دون الاستكبار والكفر والإباء والاستكبار دون الكفر ، فقال تعالى : ﴿ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) .

• ثلاثة كلّها تجرى على نسق •

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في أول كتابه الملل والنحل ، عن شارح الأناجيل الأربعة ، وهى مذكورة في التوراة صورة مناظرة جرت بين الملائكة وبين إبليس بعد الأمر بالسُّجود .

قال إبليسُ للملائكة : إني أسلم أن إلهي هو خالق ومُوحِدِي ، وهو حائقُ الخلق ؛ لكن لي على حكمة الله أسئلة : الأول ، ما الحكمة في الخلق ، لا سيما وقد كان عالمًا أن الكافر لا يستوجب عند خلقه إلا الآلام ؟ الثاني ما الفائدة في التكليف مع أنه لا يعود إليه منه نفع ولا ضرر ؟ وكل ما يعود إلى المكلفين ، فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف . الثالث ، هب أنه كلفني بطاعته ومعرفته ، فلماذا كلفني بالسجود لآدم ؟ الرابع ، لما عصيته في ترك السجود ، لم لعني ، وأوجب عقابي ، مع أنه لا فائدة له ولا لغيره فيه ، ولي فيه أعظم الضرر ؟ الخامس ، ثم لما قتل ذلك ، لم مكنتني من دخول الجنة ، ووسوسة آدم ؟ السادس : ثم لما قتل ذلك ، لم سبطني على أولاده ، ومكنتني من إغوائهم وإضلالهم ؟ . السابع : لما استمهلت المدة الطويلة لم أمهاني ، ومعلوم أن العالم لو كان خاقياً من الشر لكان ذلك خيراً ١

قال شارح الأناجيل : فأوحى الله إليه من سرادقات العظمة والكبرياء ، يا إبليس ، إنك ما عرفتني ، ولو عرفتني ، لعلمت أنه لا اعتراض على في شيء من أفعالي ، فإنني أنا الله ، لا إله إلا أنا ، لا أسأل عما أفعل ، وربك يخلق ما يشاء ٢ (١) .

قال الإمام فخر الدين - قدس الله روحه - : واعلم أنه لو اجتمع الأولون والآخرون من الخلائق ، وحكموا بتحسين العقل وتبجيحه لم يجدوا من هذه الشبهات مخلصاً ، وكان الكل لازماً .

قلت : قال بعضهم : إن سيف الدولة بن حمدان خرج يوماً على جماعة ، فقال

(١) الملل والنحل ١ : ٢٤ ، ٢٥ ، بتصرف .

قَدْ عَلِمْتُ بَيِّنًا ، وَمَا أَحْسَبُ أَحَدًا يَعْمَلُ بَيْنَنَا آخَرَ إِلَّا إِنْ كَانَ سَيِّدِي
أَبَا فِرَاسٍ ، وَأَنْشَدَهُمْ :

لَكَ جِسْمِي تَمَلُّهُ فِدَمِي لِمَنْ تَحِلُّهُ

فَأَبْتَدَأَ أَبُو فِرَاسٍ فَقَالَ :

أَنَا إِنْ كُنْتُ مَا لَكَ فَلَئِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ (١)

وَعَكْسُ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ :

قَرِيبٌ غَيْرُ مُقْتَرَبٍ وَمُؤْتَلِفٌ مُلْحَقَبٍ

لَهُ وَدَى وَلِي مِنْهُ دَوَاعِي الْهَمِّ وَالْكَرَبِ

أَوَاصِلُهُ عَلَى سَبَبٍ وَيَهْجُرُنِي بِلَا سَبَبٍ

وَيَظْلُمُنِي عَلَى ثِقَةٍ بِأَنْ إِلَيْهِ مُنْقَابِي

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ مَنْ قَالَ: جَلَّ جَنَابُ الْجَلَالِ ، أَنْ يُوزَنَ بِمِيزَانِ الْأَعْتَرَالِ .
وَقَدْ اخْتَلَفَ قَوْمٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ (٢) : إِنْ إِبْلِيسَ - أَخْزَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَوَّلُ كَافِرٍ
بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ ، وَهُمْ مَعْصُومُونَ
مِنَ الذَّنُوبِ .

وَاخْتَلَفُوا أَيْضًا فِي إِبْلِيسَ - أَخْزَاهُ اللَّهُ - هَلْ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوَّلًا ؟
وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ
الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ (٣) .

وَقَالَ الْأَقَلُّونَ : إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ (٤) ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَتَخَافُ عَنْ
السَّجُودِ ، لَسَكَانَ لَا لَوْمْ عَلَيْهِ ، وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي جَمَلَةِ الْمَأْمُورِينَ
بِالسَّجُودِ ، وَلِهَذَا فَهَمُّهُ هُوَ الْأَمْرُ ، وَاحْتِجَّ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ .

(١) ديوانه ٤٥٤ . (٢) كذا في ط ، م ، وفي الأصل : « قوم » .

(٣) سورة الكهف ٥٠ . (٤) سورة البقرة ٣٤ .

(٨ = تمام التتوي)

قال محب الدين بن النجار : قرأتُ على أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد الأديب بأصبهان ، عن أبي طاهر بن أبي نصر التاجر ، أنبأنا عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده ، أخبرنا محمد بن عبد العزيز بن عبد الله اللّيبان الشيرازي يقول : سمعتُ أبا الحسن أحمد بن عبد الله الهاشمي ، يقول : سمعتُ أبا القاسم الجنيد بن محمد الصوفي ببغداد يقول : ما زلتُ أطلبُ من الله في صلواتي خمسَ عشرة سنةً أن يُرِيَني إبليسَ ؛ فلما كان يومُ نصف النهار في صَيفٍ ، وأنا قاعدٌ بين الباينين أَسْبَحُ ، إذ دُقَّ البابُ عليّ ، فقلتُ : مَنْ ذا ؟ فقال : أنا ، قلتُ ثانیَ مرّةً : مَنْ أنتُ ؟ قال : أنا ، قلتُ الثالثة : مَنْ أنتُ ؟ قال : أنا ، قلتُ : لا يكون إلا إبليس ! قال : نعم ، فضيَّتُ ففتحتُ البابَ ، فدخل عليّ شيخٌ عليه بُرُنسٌ من الشَّعر ، وقَميصٌ من الصوف ، وبِيده عُكَّازة ، فَحَيَّا ، فجلُستُ أقعد مكانی بین الباينين ، فقال لی : قم من مجلسی ، فإنّ بین الباينين مجلسی . فقمْتُ وقعدتُ ، فقلتُ : بِمِ تَضِلُّ الناسَ ؟ فأخْرَجَ لی رغيفاً من كُمِّهِ وقال لی : بهذا ، فقلتُ : بِمِ تحسِّنُ إليهم أفعالهم ؟ فأخْرَجَ لی مِرآةً ، فقال : أريهم سيئاتهم حسناتٍ بهذه المِرآة ، ثمَّ قال لی : قل ما تريد وأوجِزني كلامك ، فقلتُ : حيثُ أمرك الله بالشُّجود لآدم ، لمَ لمَ تَسْجُد ؟ فقال : غيرَةُ مني عليه أن أسجُدَ لغيره . وغاب عني فلم أره .

وقال ثابت البناني : بلغنا أنّ إبليسَ قال : ياربّ ، إنّك خلقتَ آدم وذريّته وجعلتَ بيني وبينهم عداوةً ؛ فسأطِنُ عليها ، فقال الله تعالى : قد جعلتُ صدورهم مساكن لك ، فقال : ياربّ ، زدني ، قال تجرّي منهم مجرّي الدّم ، فقال : ياربّ ، زدني : فقال : ^(١) لا يولد لآدم ولد إلا ويولد منك عشرة ، فقال : يارب زدني ^(٢) ، فقال : ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَلِيلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكُهُم فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ ^(٣) . فشكا آدمُ إبليسَ فقال : ياربّ ، إنّك

خلقت إبليس ، وجمعت بيني وبينه عداوة ، وسلطته عليّ ، وأنا لا أطيعه إلا بك . قال الله تعالى : إنه لا يولد لك ولدٌ إلا وكُلتُ به مأكِلينَ يحفظانه من قرناء السوء ، فقال : يارب زدني ، قال : الحسنفة بعشرة أمثالها ، فقال : يارب زدني ، قال : لا أحجبُ عن أحدٍ من أولادك التوبة ما لم يُغزِغَر .

وقد سأل بعضهم فقال : وكيف يؤمر بالسجود لآدم وذلك شرك ، فإن السجود لا يكون لغير الله ! والجواب أن السجود كان لله تعالى ، وإنما كان آدم قبلة السجود .

وما أحسن قول ظافر الحداد الإسكندرّي :

أنت المرادُ بنظمِ كلِّ قصيدةٍ بُنيت على الأفهامِ في تبجيلِهِ
كسجودِ أملاكِ السماءِ لآدمٍ وسجودِهِمُ لله في تأويلِهِ
وقال ابن السبيل البغدادي :

ولا تحتقرِ ضعف^(١) العدو ولا نقلٍ على كيده أسطو بكلِّ مُساعدٍ
فلو أنَّ أهلَ الأرضِ صافوك ما وفوا

بفرصةٍ كيدٍ من عدوٍّ مُعاندٍ
كما يسجدِ الكلُّ لم ينجُ آدمُ

وقد ضرَّه منهم تمنُّعُ واحدٍ
فبدله بُعداً بقربٍ ، ورَحْشَةً بأنسٍ ، وبالجناتِ دارَ الشدائدِ
ولم ينجِه أنْ صوَّرَ الله خلقه وعلمه الأسماءِ من كيدٍ حاسدٍ
واقْدُظْرف أبو نُواسٍ في قوله ، وهو أوَّلُ من ابتدَعَ هذا المعنى ،

فقال :

(١) ط ، م فر « كبد » .

وليلةٍ قَصَّرَهَا طُولُهَا بالكَرْخِ إِذْ مُتَّعْتُ مِنْ خُلُوتِهِ
أَشْرَبُ مِنْ رَيْقَتِهِ رَرَةً وَمَرَّةً أَشْرَبُ مِنْ فَضْلَتِهِ
فِي مَجْلِسٍ بَضَحَكَ تَفَاحُهُ مِنَ الرَّيَاحِينِ إِلَى خُضْرَتِهِ
لَيْسَ يَرَى خَلُوتَنَا ثَالِثٌ إِلَّا الَّذِي يَشْرَبُ مِنْ خَمْرَتِهِ
حَتَّى إِذَا أَلْقَى قِنَاعَ الْحَيَا وَدَارَتْ أَلْخَمْرَةُ فِي وَجْنَتِهِ
مَكَّنَ مِنْ حَلِّ سَرَاوِيلِهِ وَكَانَ لَا يَأْذُنُ فِي قُبْلَتِهِ
دَبَّ لَهُ إِبَائِسُ فَاقْتَادَهُ وَالشَّيْخُ نَقَاعٌ عَلَى لَعْنَتِهِ
نَاةً عَلَى آدَمَ فِي سَجْدَةٍ وَصَارَ قَوَادَا لِدُرِّيَّتِهِ

وفي قوله أيضا :

سَوْءَةٌ يَا لَعِينُ أَنْتَ اخْتَلَسْتَ الْفُتَا غَيْظًا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَا
نَهَتْ لَمَّا سَجَدْتَ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ وَفَارَقْتَ زُمَرَةَ السَّاجِدِينَا
عِنْدَمَا قُلْتَ : لَا أُطِيقُ سُجُودًا لِمِشَالِ خَلْقَتِهِ - رَبِّ - طِينَا
حَسَدًا إِذْ خُفِّتَ مِنْ مَارِجِ النَّارِ رِلْمَنَ كَانَتْ مَبْدَأُ الْعَالَمِينَا
نَمْ قَدْ صَرَّتْ فِي الْقِيَادَةِ تَسْعَى يَا مَجِيرَ الزُّنَاةِ وَاللَّائِطِينَا

وقوله من أبيات :

أَبَى السُّجُودَ لَهُ مِنْ فَرْطِ نَخْوَتِهِ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي مِسْلَاخِ قَوَادِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي إِسْحَاقَ الْغَزَمِيِّ هَجْوًا :

خَلَقْتَ لِلذَّنْبِ إِبَائِسَ أَعْتَذَارًا فِتْنَةً وَقَالَ فُزْتُ وَحَقُّ جِيدِي
إِذَا كَانَ ابْنُ آدَمَ مِثْلَ هَذَا فَكَيْفَ أَلَامُ فِي تَرْكِ السُّجُودِ !

ومثل هذا قول ابن نباتة الأعرور الموصلي :

شَرِيفٌ أَصْلُهُ أَصْلُ حَمِيدٍ وَابْنُ فِعْلِهِ غَيْرُ الْحَمِيدِ
وَلَمْ يَخْلُقْهُ رَبُّ الْعَرْشِ إِلَّا لَتَنْقَطَ الْقُلُوبُ عَلَى يَزِيدِ

وقال عبدُ الصَّمد بن بابك :

وقالوا تَوَحَّيْتَ مَدْحَ الصَّغِيرِ وَقَصَّرتَ بِالرَّجُلِ الْخَنَسَمِ
وإِبْلِيسُ أَكْبَرُ مِنْ آدَمَ وَلَكِنْ عَصَى رَبَّهُ فَانْتَقَمَ
قال الحسن بن رَشِيق : كان إبراهيم بنُ علي بن تميم الحَصْرِيُّ قد
أخذ في عمل طبقات الشعراء على الأُسنان ، وكنتُ أصفرُ القوم سِنًا ،
فكُفِّتُ إليه :

مهلاً أبا إسحاقَ بالعالمِ وقعتُ في أَضيقَ مِنْ خاتمِ
لو كان فَضْلُ السَّنِ مَنْدُوحَةً فَضَّلَ إبليسُ على آدَمَ
فلَمَّا بلغه هذان البيتان ، أَمَسَكَ عَنْهُ ، واعتَذَرَ مِنْهُ ، وماتَ وقد مُدِّدٌ
عليه بابُ الفِكرَةِ ، ولم يَهْضَمْ شَيْئاً . وقلتُ أنا في هذا المعنى :
تَقَدَّمُ الْمَوْلِدُ لَمْ يُعْتَبَرْ لَأَنَّهُ فِي الْفَضْلِ تَدْلِيسُ
لو اعتَبَرْنَا السَّنَ يَوْمَ الْعَلَا رَقَى على آدَمَ إبليسُ
وقال صرَدَر :

جَلَسْتُ فِي الْجَحِيمِ أَحْرَى وَأَوْلَى مِنْ رَحِيلٍ يُفْضَى إِلَى تَدْلِيسِ
فِرَاراً مِنَ الْمَذَلَّةِ فِي آ دَمَ كانَ المَهْيانُ مِنْ إبْلِيسِ
وقال ابنُ الصَّقر الواسِطِيُّ :

كُلُّ رِزْقٍ تَرْجُوهُ مِنْ مَخْلُوقٍ يَعْتَرِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّمْثِيلِ
وأنا قائلٌ - وأستغفرُ اللَّهَ - مقالَ المَجَازِ لا التَّحْقِيقِ :
لستُ أَرْضَى مِنْ فِعْلِ إبْلِيسِ شَيْئاً غَيْرَ تَرْكِ السَّجُودِ لِلْمَخْلُوقِ

٣١ - وقواه : وقال لي نوحٌ : اركب معنا ، فقلت : سأوى إلى جبلٍ يفيضُ من الماء .

يشير بهذا إلى قصة نوح عليه السلام لما جاء الطوفان ، وصعد نوح في السفينة بمن آمن معه ، وقال لابنه : ﴿ يا بُنَيَّ اركب معنا ﴾ قال : ﴿ سأوى إلى جبلٍ يفيضُ من الماء ^(١) ﴾ .

قيل : إن اسم ابن نوح كنعان ، أو يام - وكان كافراً ؛ وقيل : إنه كان ابن امرأته ، فلما أحسن نوح عليه السلام بالطوفان ، ركب هو ومن آمن معه ، وكانوا ثمانين آدمياً - واختلف في ذكرائهم وإناثهم - وتحمّل معه من كل زوجين اثنين ، ﴿ ونادى نوحُ ابنه وكان في معزل ﴾ أى فى مكانٍ منقطعٍ عن السفينة ، أو عن دين الله ، ﴿ يا بُنَيَّ اركب معنا ولا تسكن مع الكافرين ﴾ قال سأوى إلى جبلٍ يفيضُ من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله ، أى من عذاب الله ﴿ إلا من رحم ﴾ وحال بينهما الموج فكان من المفرقين ^(١) ، لأن الطوفان عمّ الأرض جميعاً ، وعلا الجبال قدر أربعين ذراعاً ، وقيل : خمسة عشر ذراعاً .

وقيل : إنه قال له نوح : يا بُنَيَّ اركب معنا بشرط الإيمان . قال الحسن : إنه كان منافقاً فى إيمانه . وروى أنه قيل : لو رحم الله أحداً يومئذٍ أرحم أم الصبي ، فإنها كانت تحبه حباً شديداً ، فخافت عليه ، فخرجت به إلى الجبل حتى باغت ثلثه ، فبلغها الماء ، فبلغت به ثلثى الجبل ، فبلغها الماء ، ثم استوت به إلى أعلى الجبل ، فبلغ الماء رقبتهم ، فرفقته يديها ، فذهب بهما الماء .

وَمِنْ شَعْرِ الْفَرَزْدَقِ بِمَرَضِ الْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسَفَ فِي مَدْحِ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :

فَلَمَّا طَنَى الْحِجَّاجُ حِينَ طَفَى بِهِ غَنَى قَالَ إِنِّي مُرْتَقٍ فِي السَّلَامِ^(١)
وَقَالَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحٍ سَارَتْ قِيَّ إِلَى جَبَلٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَاءِ عَاصِمٍ

* * *

٣٢ - وقوله : وأمرتُ ينسأ صرْح لعلِّي أُطْلَعَ إِلَى
إِلَهِ مُوسَى .

يشير بذلك إلى فرعون حين أمر هامان أن يبني له صرحاً ، لِيُطْلَعَ إِلَى
إِلَهِ مُوسَى ، لأنَّ موسى عليه السلام لما جاء إلى فرعون وأدى رسالة ربه ،
وأمره بالإيمان ، قال فرعون : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي
فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَّعَلِّي أُطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى
وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^(٢) .

الصرح : القصر ، وفرعون أوَّل من طَبَّحَ الْآجُرَّ بِالْفَارِ ، وَبَنَى بِهِ .
وذكروا أنَّ هامان جمع خمسين ألف بَنَاءٍ سِوَى الْأَتْبَاعِ وَالْأَجْرَاءِ ، وَمَنْ
يَطْبِخُ الْآجُرَّ ، وَيَعْمَلُ الْحِصَّ ، وَيَنْتَحُ الْخَشَبَ وَالْأَبْوَابَ ، وَيَضْرِبُ
الْمَسَامِيرَ ، حَتَّى ارْتَفَعَ الْقَرْحُ ارْتِفَاعًا لَمْ يَبْلُغْهُ بَنِيَانُ أَحَدٍ مِّنَ الْخَلْقِ ، جَعَلَهُ اللَّهُ
فَقْنَةً لَهُمْ ، وَلَمَّا فَرَّغَ ارْتِفَاعَهُ ، وَرَمَى نُشَابَةً نَّحْوَ السَّمَاءِ ، فَهَادَتْ مُلْطَخُهُ بِدَمٍ ، فَقَالَ
فِرْعَوْنُ : قَتَلْتُ إِلَهَ مُوسَى - أَوْ إِلَهَ السَّمَاءِ - وَكَانَ يَهْتَدِ إِلَى أَعْلَاهُ عَلَى الْبَرَّادِينَ ،

(١) ديوانه ٨٥٣

(٢) سورة القصص ٣٨

فَبَعَثَ اللَّهُ غَزًّا وَجَلَ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَضَرَبَ الصَّرْحَ بِجَنَاحِهِ ، فَتَقَطَّعَ ثَلَاثَ قِطَعٍ ، فَلَمْ يَمَيِّضْ أَحَدٌ مَن عَمِلَ فِيهِ شَيْئًا إِلَّا هَلَكَ .

وقيل : إِنَّهُ وَقَعَتْ قِطْعَةٌ عَلَى عَسْكَرِ فِرْعَوْنَ ، فَتَقَطَّعَتْ مِنْهُمْ أَلْفُ أَلْفِ رَجُلٍ ، وَوَقَعَتْ قِطْعَةٌ فِي الْبَحْرِ ، وَوَقَعَتْ قِطْعَةٌ فِي الْمَغْرِبِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لآخر : إِلَى أَيْنَ يَا هَامَانَ ؟ قَالَ : أَيْبُنِي لَكَ صَرْحًا يَا فِرْعَوْنَ !

وما أحسن قولَ عُمارة اليماني يذكر مصرَ :

هِيَ الصَّرْحُ إِلَّا أَنَّ هَامَانَ لَمْ يَشِدْ بِنَاهُ ، وَلَا اسْتَمَطَاهُ فِرْعَوْنُ لِلْكَفْرِ
تَنَزَّهَتْ عَنْ فَخْرِ بِمِصْرَ وَمَلِكِهَا وَقَدْ عَدَّه فِرْعَوْنُ قَاضِيَةَ الْفَخْرِ

* * *

٣٣ - وقوله : وَعَكَفْتُ عَلَى الْعِجْلِ .

يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَدَنِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ﴾ (١) .

لَمْ وَاْعَدَ اللَّهُ مُوسَى لِيَقَامَنَهُ وَهُوَ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً ، كَانَ قَوْمُ مُوسَى قَدْ أَمِنُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ وَدَخَلُوا مِصْرَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كِتَابٌ وَلَا شَرِيعَةٌ يَنْتَهَوْنَ إِلَيْهَا ، فَوَاعَدَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ ، فَقَالَ مُوسَى اقْرَأْهُ : إِنِّي أَذْهَبُ إِلَى رَبِّي ، لَأَتِيَكُم بِكِتَابٍ فِيهِ بَيَانُ مَا تَأْتُونَ وَمَا تَذَرُونَ ، وَوَاْعَدَهُمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ؛ ثَلَاثِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَعَشْرًا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ أَخَاهُ

هارون ، فلما جاء الوعد أتى جبريلُ على فرَس الحياة ، لا يمرُّ على شيءٍ إلَّا حَيَّ ، فلما جاء رآه السامريُّ — وكان رجلاً صائفاً يقال اسمه منحا ، من أهل كَرْمان أو من أهل باجَرْمى ، أو كان من بنى إسرائيل من قبيلة يقال لها : سامرة ، فرأى مواضع الفرس تحضر ، وكان منافقا ، من قومٍ يَعْبُدُونَ البقرَ — فقال : إنَّ لهذا الشأن ، فأخذ قبضةً من تربة حافرِ فرسِ جبريل ، وأتى في رُوعِ السامريِّ أنه إذا ألقى في شيءٍ غيره . وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حُلِيًّا كثيرةً من قومِ فرعون حين أرادوا الخروجَ من مصرَ بمِلَّةِ عُرْسٍ لهم . ولما أَهْلَكَ اللهُ فرعونَ وقومَه ، بقيت تلك الحُلِيُّ في أيديهم ، فقال السامريُّ لِبني إسرائيل : إنَّ الحُلِيَّ التي استعمرتموها غنيمة لا تحِلُّ لكم ، فاحفروا حُفْرَةً وادفِنوها فيها حتَّى يرجع موسى من مِيقَاتِ رَبِّهِ ، فيرى رأيَه فيها ، أو أنَّ هارونَ أمرهم أن يُبلِّغوها في حُفْرَةٍ ، فلما اجتمعت الحُلِيُّ صاعها السامريُّ عِجْلاً في ثلاثة أَيَّام ، ثُمَّ ألقى القبضة التي أخذها من أثرِ حافرِ فرسِ جبريل ، فخرج عِجْلاً من ذهبٍ ، مرصَّماً بالجواهر ، من أحسن ما يكون ، وخارَ حَوْرَةً ، وكان يمشى ويخُور ، فقال السامريُّ : هذا إلهكم وإلهُ موسى نَسِيَهُ هاهنا وخرج يَطْلُبُهُ . وكان بنو إسرائيل قد أخلفوا المَوعِدَ ، وعدُّوا اليومَ مع اللَّيْلَةِ ، حتَّى مَضَى عشرون يوماً ولم يرجع موسى ، فوقفوا في الفِتْنَةِ في العِشرين ، فعكف على عِبَادَةِ العِجْلِ ثمانية آلافٍ يَعْبُدُونَهُ — أو كلُّهم عَبدُوا العِجْلَ إلَّا هارونَ مع اثني عَشَرَ رجلاً ، وهو الصَّحِيحُ ، أو عَبدوه أَجْمَعِينَ إلَّا هارونَ — فأوحى اللهُ إلى موسى : إِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ ، فَرجِعْ إِلَيْهِمْ غَضَبَانَ أَسِيفًا ، وقال ﴿ يَا قَوْمَ إِنَّا ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ

التَّوَابِ الرَّحِيمِ^(١) أَي لِيَقْتُلَ الْبَرِيءُ مِنْكُمْ الْمُجْرِمَ . فَقَالُوا : نَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَجَلَسُوا فِي الْأَفْنِيَةِ مُحْتَبِينَ وَقَالَ لَهُمْ : مَنْ حَلَّ حَبْوَتَهُ ، أَوْ مَدَّ طَرْفَهُ إِلَى قَاتِلِهِ ، أَوْ اتَّقَاهُ بِيَدِهِ أَوْ بَرَجَلَهُ فَهُوَ مَلْعُونٌ غَيْرُ مَقْبُولِ التَّوْبَةِ ، فَأَضَلَّتِ الْقَوْمُ عَلَيْهِمُ الْخَنَاجِرَ . وَكَانَ الرَّجُلُ يَرَى ابْنَهُ أَوْ أَبَاهُ ، أَوْ أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ ، أَوْ جَارَهُ يُقَاتِلُ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُدَافِعَ عَنْهُ ، وَقَالُوا : يَا مُوسَى ، كَيْفَ نَفْعَلُ ؟ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ سَحَابَةً سَوْدَاءَ ، وَأَصْبَحُوا لَا يُبْصِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَكَانُوا يَقْتُلُونَهُمْ إِلَى الْمَسَاءِ . وَلَمَّا كَثُرَ الْقَتْلُ دَعَا مُوسَى هَارُونَ وَبَكِيًّا ، وَتَضَرَّعَا إِلَى اللَّهِ وَقَالَا : يَا رَبِّ ، هَلَسْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، فَكَشَفَ اللَّهُ السَّحَابَةَ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكْفُوا عَنِ الْقَتْلِ ، وَكَانَ عَدَدُ الْقَتْلَى سَبْعِينَ أَلْفًا ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى : أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ أَدْخِلَ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ الْجَنَّةَ !

وقال بعض الشعراء :

سئلتُ عن موسى وموسى ما الخبرُ ؟ فقلت : شَيْخَانِ كَقِسْمَى الْقَدَرِ
الفرقُ بينَ الموسيينِ قد ظهرَ موسى بنُ عمرانَ ومُوسَى بنَ الظَّفَرِ
موسى بنَ الظَّفَرِ هو السَّامِرِيُّ .

* * *

٣٤ - وقوله : واعتدَيْتُ فِي السَّبْتِ .

يشير بذلك إلى ما أَعْتَمَدَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي السَّبْتِ مِنْ أَتْمَاكِ حُرْمَتِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾^(١) ، اعْتَدُوا ، أَي جَارُوا .

كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي زَمَنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : أُيْلَةُ^(٢) ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيْدَ السَّمَكِ يَوْمَ السَّبْتِ ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ السَّبْتُ لَمْ يَبْقَ

(١) البقرة ٦٥ . (٢) في الطبري : « قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين » .

حُوتٌ إِلَّا اجْتَمَعَ هُنَاكَ ، يَخْرُجْنَ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى لَا يَرَى الْمَاءَ مِنْ كَثَرَتِهَا ، فَإِذَا
مَفَى السَّبْتِ تَفَرَّقْنَ فَلَا يَرَى مِنْهَا شَيْءٌ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ (١) .

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْطَانَ وَسَّوَسَ لَهُمْ وَقَالَ : إِنَّمَا نُهُيْتُمْ عَنْ أَخْذِهَا يَوْمَ السَّبْتِ ، فَعَمَدَ
رِجَالٌ ، فَحَفَرُوا حَيَاضًا نَحْوَ الْبَحْرِ ، وَشَرَعُوا (٢) مِنْهَا إِلَى الْأَنْهَارِ ، فَإِذَا كَانَ
عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ فَتَحُوا تِلْكَ الْأَنْهَارَ ، فَأَقْبَلَ الْمَوْجُ بِالْحِيتَانِ إِلَى الْحَيَاضِ ، فَلَا تَقْدِرُ
عَلَى الْخُرُوجِ لِبُعْدِ عُقْمِهَا ، وَقِلَّةِ مَائِهَا ، فَيَأْخُذُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ . وَكَانُوا يَسْقُونَ
الْحِيتَانِ إِلَى الْحَيَاضِ يَوْمَ السَّبْتِ ثُمَّ يَأْخُذُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَكَانُوا يَنْصَبُونَ آلَاتِ
الْعَتِيدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَيُخْرِجُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَقَعَلُوا ذَلِكَ مَدَّةً ، فَلَمْ يُنْزَلْ بِهِمْ
عُقُوبَةٌ ، فَقَالُوا : مَا نَرَى إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَحْلَلْنَا السَّبْتَ ، فَأَخَذُوا وَأَكَلُوا وَمَلَّجُوا
وَبَاعُوا ، وَكَثُرَ مَا لَهُمْ ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ صَارَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ - وَكَانُوا نَحْوَ سَبْعِينَ
أَلْفًا - ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ : صِنْفٌ أَمْسَكَ وَنَحَى ، وَصِنْفٌ أَمْسَكَ وَلَمْ يَنْهَ . وَصِنْفٌ
انْتَهَكَ الْحَرَمَةَ . وَكَانَ التَّاهُونَ اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا ، وَلَمَّا أَبَى الْأَجْرِمُونَ قَبُولَ نُصْحِهِمْ
قَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَسَاكِنُكُمْ ، فَفَسَمُوا الْقَرْيَةَ بِجِدَارٍ ، وَتَحَيَّزُوا كَذَلِكَ سَنَتَيْنِ ،
فَلَقَنَهُمْ دَاوُدُ ، وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ، فَخَرَجَ التَّاهُونَ ذَاتَ يَوْمٍ
مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْجُرْمِينَ أَحَدٌ ، وَلَمْ يَفْتَحُوا لَهُمْ بَابًا ، فَلَمَّا أَبْطَأُوا
تَسَوَّرُوا عَلَيْهِمُ الْحَائِطُ ، فَإِذَا هُمْ جَمِيعًا قِرْدَةٌ لَهُمْ أَذْنَابٌ يَتَعَاوَنُونَ .

وَقِيلَ : صَارَ الشَّبَابُ قِرْدَةً ، وَالشُّيُوخُ خَنَازِيرَ ، فَكَثَبُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ،
ثُمَّ هَلَسُوا ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ مُسَخٍّ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَلَمْ يَتَوَالِدُوا (٣) .

قَالَ مُجَاهِدٌ : مُسِخَتْ قُلُوبُهُمْ دُونَ هَوَورِهِمْ ، وَهَذَا خِلَافُ الْإِجْمَاعِ وَمَا نَطَقَ

(١) الْأَعْرَافُ ١٦٣

(٣) الْخَبَرُ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٢٦٩ .

(٢) ط : « شَقُوا » .

به القرآن العظيم . وفي الأمثال المولدة : عليه ما على أصحاب السبت - ينفون
بذلك اللعنة .

كان ابن الرومي متهوماً في الأكل ، وكان يُعجبه السّمك ، فوعده
أبو العباس أحمد المزبدي^(١) أن يبعث إليه كل يوم سبت وظيفّة من السّمك ،
لأنّ قطع عنه ، ثمّ قطع ، فقال :

ما لحيتائياً جفّتنا وإن أخذت الزّأرين منتظريهم
جاء في السبت زورهم فأتدنا من حفاظٍ عليه ما يكفيهم
وجعلناه يوم عيدٍ عظيمٍ فكأنّا اليهود أو نخسّكهم
وأراهم مصمّمين على الهجـ ر فلم يسخّطون من يرضيهم !
قدسّدتنا وما أتدنا وكانوا يوم لا يسديتون لا تأنيهم

ولما وقع أبو فراس بن خندان في أسر الروم أمر الملك أن الأسرى
يتزاورون يوم السبت ، فقال :

جملوا الالتقاء في كلّ سبت فجعلناه للزيارة عيدا
وشرّكنا اليهود فيه فكدنا رغبة فيه أن نعود يهودا
وقال علاء لدين الوداعي فيمن رعدّه سمك :

يامالكاً صدق مواعيده خلّى لنا في جوده مَطَمَا
لم نعد في السبت فسا بالنسا لم تأتينا حيتاننا شرعا
وقال ابن الزقاق الأندلسي :

وحسب يوم السبت عندي أني يناديني فيه الذي أنا أحب^(٢)

ومن عَجَبِ الأشياءِ أَنِّي مُسْلِمٌ حَنِيفٌ ، ولكن خَيْرُ أَيَّامِي السَّبْتُ

٣٥ - وقوله : وَتَعَايَيْتُ فَمَقَرْتُ .

بشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مُرْسَلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ۚ وَنَبِّئِهِمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ۚ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَمَقَرَّ ۙ ﴾^(١) .

كانت ثمود هذه هي عادُ الأخرى ، وتسمى عاداً الصَّفْرَى ، وكان الله سبحانه وتعالى قد أهلك عاداً الأولى . ثم إنَّ الله سبحانه استخلف عاداً الأخرى ، وكانوا قوماً عرباً ، وكانوا يسكنون الحِجَازَ بَيْنَ الْحِجَارِ وَالشَّامِ إلى وادي القُرى ، فانتشروا في تلك الأرض وكفروا ، وعبدوا غيرَ الله ، فبعث إليهم صالحاً ، غلاماً شاباً ، فدعاهم حتى شبط ولم يتبعه منهم إلا قليلٌ مستضعفون ، فسألوه أن يُريهم آية ، فقال : « أَى آيةٍ تُريدون ؟ قالوا : تخرج معنا إلى عيِّدنا وندعو آلِهَتَنَا ، وتدعو أنت إلَهَكَ ، فمن استجيب له اتبعناه . فخرجوا بأوثانهم إلى عيِّدِهِمْ ، وخرج صالحٌ إلى الله تعالى ، فقال له جندع بن عمرو سيِّد ثمود : يا صالح ، أخرج لنا من هذه الصَّخْرة ناقةً جوفاء ، وبراءَ عَشْرَاءَ^(٢) ، فإن فعلت ذلك صدَّقناكَ ، وآمنا بك . فأخذ مواثيقهم على ذلك ، وصلى ركعتين ، ودعا ربَّه ، فتمخضت الهَضْبَةُ ، فلما نظروا إليها وقد انتفضت تصدَّعت عن نالةٍ كما وَصَفُوا : جَوْفَاءَ ، وبراءَ عَشْرَاءَ ، بين جنبَيْهِمَا مَا يَعْلَمُهُ اللهُ تعالى . فأمن به جندع ومن كان معه من رَهْطِهِ ، وأرادت أشرافُ ثمود أن تؤمن ، فنهَّاهم ذُوَابُ بن عمرو ومن شايعه ، وردَّهم عن الإسلام ، وكان لابن عمرو هذا ابن عمِّه يقال له : شهاب ، عزيز منيع أراد أن يُسلم فنهَّاه ذُوَابُ ، ورباب والحباب ، وصاحباً الأبرنان^(٣) ، وفي ذلك قال شاعرهم^(٤) :

(١) سورة القمر ٣٧ - ٢٩ . (٢) حاشية الأصل : « العشراء لني تشبه البخت »

(٣) في ابن كثير : « ذُوَابُ بن عمرو والحباب صاحباً أوثانهم ، ورباب بن صهمر » .

(٤) ابن كثير : « مهرش بن غنمة بن الذمیل » .

وكانت عُصْبَةٌ مِنْ آلِ عَمْرِو إِلَى دِينَ النَّبِيِّ دَعَوْا شِهاباً^(١)
 عَزِيزٌ ثُمُودٌ كُلُّهُمْ جَمِيعاً فَهَمَّ بَأْسٌ يَجِيبُ وَلَوْ أَجَابَا
 لِأَصْبَحَ صَالِحٌ فِينَا عَزِيزاً وَمَا عَدَلُوا بِصَاحِبِهِمْ ذُؤَابَا
 وَلَكِنَّ الْفُؤَادَ مِنْ آلِ حُجْرٍ^(٢) تَوَلَّوْا بَعْدَ رَشْدِهِمْ ذِبابَا

ويقال : إنَّ الناقةَ تَمَخَّضَتْ بَعْدَ انْفِصَالِهَا ، وَوَلَدَتْ سَقْبَا ، فَكَثَّتْ فِي
 أَرْضِهِمْ تَرَعَى الشَّجَرِ ، وَتَشْرَبُ الْمَاءَ ، وَأَخْبَرَهُمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْمَاءَ
 قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ، لَهَا يَوْمٌ مِنَ الشَّرْبِ وَلَهُمْ يَوْمٌ . وَكَانَتْ تَدْخُلُ رَأْسَهَا فِي بئرِ
 لَهُمْ ، يَقَالُ لَهَا : بئرُ الناقةِ ، فَإِذَا رَفَعَتْ رَأْسَهَا تَفَاحَجَّتْ لَهُمْ ، فَيَحْلِبُوهَا
 وَيَشْرَبُونَ وَيَدْخِرُونَ ، وَكَانَتْ تَصِيفُ بِظَهْرِ الْوَادِي ، فَتَهْرَبُ مِنْهَا الْمَوَاشِي ،
 وَتَشْتَمُوا بَيْطَانَ الْوَادِي فَتَهْرَبُ مِنْهَا الْمَوَاشِي . وَكَانَتْ تَرَعَى بَوَادِي الْحَجَرِ ،
 وَكَانَتْ فِيهِ امْرَأَةٌ يَقَالُ لَهَا : عَنِيزَةُ ، لَهَا بَنَاتٌ حَسَنَاتٌ وَمَالٌ ، وَامْرَأَةٌ أُخْرَى
 يَقَالُ لَهَا : صَدُوقُ ، بِنْتُ الْحَمِيَا صَاحِبِ أَوْثَانِهِمْ ، وَكَانَتْ مِنَ أَشَدِّ النَّاسِ لَثْمُودَ
 عِدَاوَةٍ لَصَالِحٍ ، وَكَانَ زَوْجُهَا أَسْلَمٌ ، وَأَنْفَقَ مَالَهَا عَلَى مَنْ آمَنَ بِصَالِحٍ ، فَدَعَتْ مُصَدِّعَ
 ابْنِ مِهْرَجِ بْنِ الْحَمِيَا^(٣) ، وَجَعَلَتْ لَهُ نَفْسَهَا عَلَى أَنْ يَغْرِقَ الناقةَ . وَدَعَتْ عَنِيزَةَ قُدَّارَ
 ابْنِ سَالِفٍ - وَكَانَ رَجُلًا أَحْمَرَ أَرْزَقَ الْعَيْنَ ، وَوُلِدَ لَهَا غَيْرُ رَشْدَةٍ - فَانْطَلَقَا وَاسْتَنْشَدَا
 غَوَاةَ ثُمُودَ ، فَاتَّبَعَهُمَا تِسْعَةُ نَفَرٍ ، فَرَصَدُوهَا حِينَ صَدَرَتْ عَنِ الْمَاءِ ، وَكُنَّ لَهَا قُدَّارُ
 فِي أَصْلِ صَخْرَةٍ ، وَمُصَدِّعُ فِي أَصْلِ أُخْرَى ، فَرَمَاهَا مُصَدِّعُ ، فَانْقَضَمَ عَضْلَةُ سَاقِهَا ،
 وَخَرَجَتْ عَنِيزَةُ ، وَأَهْرَتْ بَنَاتُهَا فَسَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا لَقُدَّارُ ، ثُمَّ أَمَرَتْهُ فَشَدَّ عَلَى
 الناقةِ بِسَيْفِهِ ، فَكَشَفَ عَنْ قَوَائِمِهَا ، فَخَرَّتْ ، وَرَغَتْ رَغَاةً وَاحِدَةً ، تَحْذَرُ سَقْبَهَا ،
 ثُمَّ طَمَعْنَ فِي لَبَّتِهَا فَخَرَّهَا ، وَانْطَلَقَ سَقْبُهَا حَتَّى أَتَى جَبَلًا ضَيِّقًا ، ثُمَّ أَتَى صَخْرَةً
 فِي أَعْلَى الْجَبَلِ . فَأَتَاهُمُ صَالِحٌ ، فَمَا رَأَى الناقةَ قَدْ عُقِرَتْ بِكَيْ ، وَقَالَ : أَنْتُمْ كُنْتُمْ

(٢) ط : « آل عمرو » .

(١) البداية والنهاية ١ : ١٣٤ .

(٢) ابن كثير « مصدع بن مِهْرَج » .

حرمة الله فأبشروا بعباد الله، ثم اتبع السَّعْبُ أربعة نفرٍ من التسعة، فرماه مصدع
فانظَّم قلبه، ثم جرَّه برجله فأنزله، ثم ألقوا لحمه مع لحمها، وقالوا الصالح: متى
يكون ذلك؟ كالمستهزئين به، وما آيته؟ فقال: تُصْبِحُونَ غداً مؤنس — يعني يوم
الخميس — وجوهكم مصفرة، وتُصْبِحُونَ يومَ العُروبَةِ — يعني يومَ الجمعة —
وجوهكم حمرة، ثم تُصْبِحُونَ يومَ شِيَار — يعني السبت — وجوهكم
مسودة، ثم يصبِّحكم العذاب يومَ أوَّل — يعني الأحد — ثم إنَّ هؤلاء
التسعة همُّوا بأن يبيِّتوا صالحاً، وقالوا: إن كان صادقاً كنَّا قتلناه، وإن كان
كاذباً كنَّا ألحقناه بفاقته. فأقوه ليلاً وقد منعهم الملائكة بالحجارة، فلما
أبطأوا جاءت أسياعهم، فوجدوهم مشدَّخين، فقالوا: يا صالح، أنت قتلتهم!
وهمُّوا به، فمنعهم عشيرته. وأصبحوا صبيحة ليلة نذ مصفرة وجوههم، فملأوا
أنه صدقهم، فلما كانت ليلة الأحد، خرج صالحٌ ومن آمنَ معه من بينهم
إلى أرض الشام، فنزل رَملةً بفلسطين، فلما كان ضحى يوم الأحد أخذتهم
الصَّيْحَةُ، فلم يبقَ منهم كبيرٌ ولا صغيرٌ إلَّا هلك، إلَّا جارية مُقَمَّدة
كافرةً بصالح، أطلق لها رجلها بعد ما عاينت العذاب، فأخبرت بما حلَّ
بشمود. ثم إنها استسقت الماء فشربت وماتت. وفيها قال بعض شعرائهم:

يا فَمَلَّةُ ما أَنتَ قوماً بِمُرْدِيَةٍ كانوا شِراراً وما كانوا بأخيارِ
كانوا بأنعمِ عيشٍ غيرِ مكْتَنَعِ في مجلسٍ بين جناتٍ وأنهارِ
لا يَرْهَبُونَ مِنَ الأعداءِ بائِقَةٍ وقع السُّيُوفِ ولا نَبْضاً بأوتارِ
فماجلوا ناقةً لله راتمةً قد أنذروها وكانوا غيرَ أبرارِ
إذا تَذَكَّرْتُها رَقَّتْ على كَيْدِي حرارةٌ مِثْلَ لَذْعِ السَّكِيِّ بالنارِ
قادُوا قُدَّاراً ولحمُ السَّعْبِ بيْنَهُمْ هل للعجولِ وهَلْ للسَّعْبِ من نارِ!
فهاضَ دَمْعِي ولم أملكْ له عبْرًا إلَّا الدَّعاءَ وتَصَوُّيتاً بأسْجارِ
وقيل: إنَّ الصَّاعِقةَ لما أخذتهم، صارت وجوههم كأنَّها طُلِيَتْ بالقار،
وكانوا يَقْلَبُونَ أَبْصارَهُمْ إلى السَّماةِ مرَّةً، وإلى الأرضِ مرَّةً، ولا يَدْرُونَ من

أَيْنَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ! وَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ ، وَلَمْ يُسَلِّمْ غَيْرُ الْجَارِيَةِ الْمَقْتَدَةِ الَّتِي أَتَتْ تُخْبِرُ أَهْلَ وَادِي الْقَرْيَةِ ، وَرَجُلٌ كَانَ بِالْحَزْمِ اسْمُهُ أَبُو رِغَالٍ ، مَنَعَهُ الْحَزْمُ مِنَ الْعَذَابِ ، فَلَمَّا خَرَجَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ ، فَدُفِنَ بِهِ وَمَعَهُ غَضَنٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرِهِ ، فَابْتَدَرُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ ، فَحَفَرُوا عَنْهُ ، فَوَجَدُوا الْفُضْنَ .

وقيل إن صالحاً ابتغشه الله لهم ، وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، فأقام في دعوتهم عشرين سنة .

وقيل : إنَّ صالحاً لما قيل له : أدرك الناقة فقد عُقِرَتْ ، فأُقبِلَ ، وخرجوا يَمْتَدِرُونَ إِلَيْهِ ، ويقولون : إِنَّمَا قَتَلَهَا فَلَانٌ ، فقال لهم : أدركوا سَمَقَهَا ، فَإِنْ أَدْرَكْتُمْوه فمسي أن يرفع العذاب عنكم ، فأدركوه ، فرغاً ثلاثاً ، وانفجرت له الصَّخْرَةُ فَدَخَلَهَا ، فقال صالح : قد أنذركم ثلاثاً ، ويحُلُّ بكم العذاب ، فلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَفَعَّ بِهِمُ الْعَذَابُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ ^(١) ، وقوله تَعَالَى : ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ ^(٢) ، أصلُ الانبعاثِ الإسراع ، وأشقاها ثمود . أَى أَشَقَى ثَمُودَ ، لِأَنَّهُ الَّذِي بَاشَرَ الْعَقْرَ .

وقيل : في قوله تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ ^(٣) ضمير يرجع إلى قَدَارِ ابْنِ سَالِفٍ عَاقِرِ النَّاقَةِ ، معناه فَعَلَ فَعَلْتَهُ الذَّمِيمَةَ ، وما خافَ عَاقِبَتَهَا . وقوله تَعَالَى : ﴿ فَمَا طَافِي فَعَقْرَى ﴾ ^(٤) ، أَى أَتَى أَمْرًا عَظِيمًا ، يقال : فلانٌ يَتَطَايى الْمُسْكِرَ . قيل : إنَّ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ كَانَ شَدِيدَ الْبُخْلِ عَلَى الطَّعَامِ ، فَرَفِعَتْ الْمَائِدَةُ يَوْمًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَفِيهَا دَجَاجَةٌ ، فَوَثَّبَ عَلَيْهَا بَعْضُ بَنِيهِ فَأَكَلَ مِنْهَا ، وَأَعِيدَتْ مِنَ الْغَدِ ، فَامَارَآهَا وَقَدْ أَكَلَ مِنْهَا ، قَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي تَطَايى فَعَقْرَى ؟ قَالُوا : ابْنُكَ فَلَانٌ ، فَقَطَعَ أَرْزَاقَ بَنِيهِ كُلِّهِمْ ، فَامَا طَالَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ قَالَ :

(٣) سورة الشمس ١٥ .

(٤) سورة القمر ٣٩ .

(١) سورة هود ٦٥ .

(٢) سورة الشمس ١٢ .

بعضُ بنيه : أَقْهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ؟ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بَعْضُ أَرْزَاقِهِمْ .
وقال عُمَارَةُ اليمَنِيّ :

لَا تَعَجِبَا لِقُدَارِ نَاقَةِ صَالِحٍ فَلَسَكَلْ عَصْرِي نَاقَةً وَقُدَارُ

* * *

٣٦ - وقوله : وَشَرِبْتُ مِنَ النِّهْرِ الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ جُنُودُ طَالُوتَ .

يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ ^(١) .

لَمَّا خَرَجَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ - أَوْ ثَمَانُونَ أَلْفًا - لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ إِلَّا كَبِيرٌ لَهُرْمَةٌ ، أَوْ مَرِيضٌ ، أَوْ ذُو عُدْرَةٍ . لِأَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا الثَّابُوتَ لَمْ يَشْكُوا فِي النَّصْرِ ، وَتَسَارَعُوا ^(٢) إِلَى الْجِهَادِ ، فَقَالَ طَالُوتُ : لَا حَاجَةَ لِي فِي كُلِّ مَا أَرَى ، لَا يَخْرُجُ مَعِيَ رَجُلٌ بَنَى شَيْئًا لَمْ يَفْرُغْ مِنْهُ ، وَلَا صَاحِبُ تِجَارَةٍ يَسْتَفِلُّ بِهَا ، وَلَا رَجُلٌ عَلَيْهِ دَيْنٌ ، وَلَا رَجُلٌ تَزَوَّجَ امْرَأَةً وَلَمْ يَنْبِئْ بِهَا ، وَلَا أَبْتغِي إِلَّا الشَّابَّ ^(٣) النَّشِيطَ الْفَارِغَ ^(٤) .

فاجتمع له ثمانون ألفاً من شَرَطَهُ ، وَكَانَ حَرٌّ شَدِيدٌ ، فَشَكُّوا إِلَيْهِ قَوْلَهُ لَمَّا دَنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ ، وَقَالُوا : إِنَّ الْمِيَاهَ لَا تَحْمِلُنَا ، فَادْعُ اللَّهَ يُجَرِّبْنَا . فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يُخْتَبِرُكُمْ بِنَهَرٍ - وَهُوَ نَهْرٌ بَيْنَ الْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ - عَذَّبَ ﴿ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ ، أَيْ مِنْ أَهْلِ ذِمَّتِي ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ ، قِيلَ : كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ - أَوْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبَضْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا - وَهُوَ الصَّحِيحُ ، وَلَمْ يَتَجَاوَزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ .

(٢) م : « فسارعوا » .

(١) سورة البقرة ٢٥٠ .

(٤) تفسير الطبري ٥ : ٣٤٨

(٣) ط : « الشباب » .

(٩ - تمام المتن)

ولما وصلوا النهر وقد ألقى عليهم العطش ، شرب الكل إلا هذا العدد القليل ؛ ثم اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى . فقوى قلبه ، وصح إيمانه ، وكففته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوايه . والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم ، وغلبهم العطش ، ولم يردوا ، ووقفوا على شاطئ النهر ، وجبنوا عن لقاء العدو ، فلم يجاوزوا ولم يشهدوا الفتح ، أوجازوا ونسكهم لم يحضروا القتال ، إلا الذين لم يشربوا ، قال الله تعالى : ﴿ فلما جاوزوه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ﴾ . أي الذين خالفوا أمر الله ، وشربوا ولم يتجاوزوا . ﴿ قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ﴾ ^(١) .

ومن أبيات ربانية لشيخ الإسلام ابن دقيق العيد - قدس الله روحه في الجنة :

ويارب من أوفى على بعض قصده
يُنَادِي لِمَنْ قَدْ أَمَّ بِحَرِّ جَنَابِهِ :
كُنَّا وَرَدْنَا نَهْرَ طَالُوتَ فِي الْهَوَى
وقال أبو إسحاق المَعْرِي :

ومن حسنات الوارد البحر أنه
ولو كنت في أحباب طالوت مبتلي
وقال أبو العلاء المَعْرِي :

سَقِيًّا نَدِجَةً وَالْدُّنْيَا مَفْرَقَةً
وَبَعْدَهَا لَا أُرِيدُ الشَّرْبَ مِنْ نَهْرٍ
حَتَّى يَعُودَ أَجْمَاعُ النَّجْمِ تَسْتَمْتًا ^(٢)
كُنَّا أَنَا مِنْ أَصْحَابِ طَالُوتَا

٣٧ - قوله : وَقَدْتُ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ .

يشير بذلك إلى ما أخبر الله تعالى عن أهل الفيل الذين قصدوا خراب مَكَّةَ ، وذلك أن أبرهة بن الصَّباح أبا يَكْسُوم ، بنى كنيسة بصنعاء لأصمة النجاشي ، لأنه كان ملك اليمَن من قبل النجاشي ، وأراد صرف الحاج عن الكعبة إليها ، فخرج رجل من كنانة ، فأحدث فيها ، واطَّخها بالعذرة احتقاراً لشأنها . أو أن رُقَعة من قريش خرجوا في تجارة حتى نزلوا قريباً من تلك الكنيسة ، واحترقوا ناراً واشتقوا ، ثم ارتحلوا ، فهبت ريح فأحرقتها النار . فعضب النجاشي لذلك ، فقال أبرهة وحُجر بن شراحيل : لا تحزن ، فنحن نهدم الكعبة . فطلب أبرهة من النجاشي فيله المعروف بمحمود ، وكان عظيماً جسيماً لم ير مثله ، فبعثه إليه ومعه غيره من الفيلة ، وجيشاً ليسير إلى الكعبة ، فلما قرب أبرهة من مَكَّة أمر بالفارة على أهل الحرم ، فأخذوا لعبد المطلب مائتي بعير . وجهز أبرهة برسول إلى شريف مكة يقول : لم آت لقتال ، وإنما أتيت لهدم هذه البنية . فجاء الرسول إلى عبد المطلب ، وبلغه الرسالة ، فقال : هذا بيت الله وبيت إبراهيم خليل الله ، ونحن مالنا يد أن نقاتل هذا الملك . وتوجه مع الرسول إلى أبرهة ، ودخل عليه بعد ما عرفوه بشرفه - وكان وسيماً جسيماً - فأكرمه أبرهة وعظمه ، ونزل عن سريره وجلس معه على البساط ، وقال لترجمانه : قل له يسأل حاجته ، فقال : قل للملك يرُد عليّ الأباعر التي أخذها ، فقال أبرهة : قل له قد زهدت فيك بعد رغبتى . أنا جئت إلى بيت - هو دينك ودين آبائك ، وهو شرفكم وعصمتكم - لأهدمه . لم تكلمني فيه ، وتسلني في ردّ مائتي بعير ! فقال عبد المطلب : أنارب هذه الإبل ، ولهذا البيت رب سيمنه . فقال أبرهة : ما كان ليمنعني منه فقال : دونك^(١) فردّ عليه إبله ،

(١) ط : « دونك » .

فعاد عبد المطلب إلى مكة ، وأمر قومه أن يتفرقوا في رؤوس الجبال ، وأتى هو إلى البيت وأخذ بحلقه الباب ، وقال :

يَارِبُّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبُّ فَاْمَنْعْ مِنْهُمْ حِمَاكَ
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ اْمَنْعُهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قُرَاكَ

وقال أيضاً :

يَارِبُّ إِنَّ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاْمَنْعْ رِحَالَكَ ^(١)
لَا يَفْلِتَنَّ صَلِيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَاً مِحَالَكَ
جَمْعُوا جِهْوَاعَ بِلَادِهِم وَالْفِيلَ كَيْ يَسْبُجُوا عِيَالَكَ
عَمَدُوا حِمَاكَ بِجَهْلِهِمْ كَيْدَاً وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَمْ بَلَّغْنَا فَأْمُرٌ مَا بَدَا لَكَ ^(٢)

ثم خرج عبد المطلب مع قومه إلى رؤوس الجبال ، وأصبح أبرهة بجيشه وقد عبّاه في فيلته - قيل : كانوا ثمانية أفيلة ، أو اثني عشر ، أو ألف فيل . وقيل : لم يكن معه غير الفيل المدعو محموداً ^(٣) - فقدّموا الفيل المذكور وبعثوه إلى نحو الحرم فلم يذنبعت ، فضربوه بالعمول في رأسه فأبى ، فوجهوه نحو اليمن فقام وهزول ، ووجهوه نحو الشام فهزول ، ونحو المشرق فهزول ، فوجهوه نحو الكعبة فبرك .

وزعموا أن عبد المطلب لم يزل آخذاً بحلقة الباب حتى نشأ من قبل اليمن من البحر طير ؛ عن أبي سعيد الخدري ، أنه سأل عن الطير ، فقال :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٥١ وفيها : « فامنع حلالك » . والحلال : جمع حلة - وهي جماعة البيوت .

(٢) ابن هشام : « وقلنا » . (٣) ط : « محمود » .

حمام مكة ، مع كل طير ثلاثة أحجار ، أكبر من العدسة ، وأصغر من الحصاة .
وعن ابن عباس رضى الله عنه ، أنه قال : رأى منه عند أم هانئ من ذلك
نحو قفيز ، مخططة بحمرة كالجزع^(١) الظفاري ، على كل حصاة اسم من يرمى
بها ، أو كان الحجر كراس الرجل^(٢) .

وروى أن عبد المطلب لما رأى الطير ، قال : أرى طيراً ما أعرفها ، ما هي
نجدية ولا يمامية ، ولا عريية ولا شامية ، أشباه اليعاسيب^(٣) قد أقبلت يكسع
بعضها بعضاً ، أمام كل دُفعة طائر يقودها ، أحمر المنقار أسود الرأس ، طويل
العنق . فجاءت الجيش وألقت على كل واحد حصاة ، وكانت الحصاة تقع على
بيضة أحدهم فتخرقها حتى تقع في دماغه ، وتخرق الفيل والدابة وتغيب
في الأرض من شدة وقعها ، وكانت تقع على رأس الرجل ، وتخرج من دبره .
وروى أنه من أصابته منهم ، فكأنه أصابه جدرى ، وهو أول جدرى
ظهر في الأرض ، فهلكوا .

وأما أبرهة فإنه كانت أعضاؤه تتساقط ، فسقطت أناملته أولاً ، وتبعها
مدة ودم وقيح ، حتى وصل صنعاء فيمن بقي كفرخ طير ، ومامت حتى
انصدع صدره .

وعن بعض المفسرين أنه لم ينبج منهم إلا أبرهة . فسار فوق الفيل ، وهو
لا يشعر به حتى أتى النجاشي ، فقص عليه القصة ، فلما انتهى ألقى الطائر عليه
الحصاة ، فمات بين يدي النجاشي .

وأخذ عبد المطلب وأبو مسعود الثقفي من أموالهم شيئاً كثيراً .

(١) الجزع : الخرز اليابس . وظفاري : منسوب إلى ظفار من بلاد اليمن .
(٢) ط : « الرجال » . (٣) اليعاسيب : جمع يعسوب وهو أمير النحل .

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : رأيتُ قائدَ الفيلِ وسائمةَ أجمعينِ
يَسْتَطِيعَانِ بِمَكَّةَ .

وروى أن أبرهة كان جسدَ النَّجَاشِيِّ الَّذِي كان في زمنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلم ، وكانت هذه القصة في العام الَّذِي وُلِدَ فيه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه
وسلم عند الأكرين .

وقال السكبي : قبل مولده بمشرين سنة ، أو بثلاثٍ وعشرين ، وقال
مقاتل : بأربعين سنة .

وهذه القصة دالة على شرفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، ومُعْجِزَةٍ له في
كون الله عزَّ وجلَّ صدَّ الفيلَ وأصحابه عن بلدٍ سَيَظْهَرُ منه . والصحيح أن
المعجز يتقدم على زمان البعثة تأسيساً للنبي المرسل فيما بعد ، ولذلك كانت
الغامة تُظَلِّه قَبْلَ مَبْعَثِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، وذلك خلافاً للمعتزلة ، فإنهم لم
يُجَوِّزُوا ذلك ، ولذلك قالوا : لا بدَّ أن يكون في ذلك الزمان نبي ، كخالد
ابن سنان أو قس بن ساعدة .

وفي قصة أصحابِ الفيل ، قلتُ أنا من جملةِ قصيدةٍ مدحتُ بها النَّبِيَّ
صَلَّى اللهُ عليه وسلم :

والبيت صارحني إذ كان مظهره	وكل من رامه بانثوءٍ مخدول
فصان ساحتَه ^(١) من كيدِ أبرهة	لما أتاه وفي أصحابه الفيل
بادؤا بأحجارٍ سجّيل وما رجموا	لما رمتهم بها الطائرُ الأبايل

(١) ط : « صاحبه » .

٣٨ - وقوله : وعاهدت قريشاً على مافي الصحيفة .

يشيرُ بذلك إلى الصحيفة التي تعاهدت قريشٌ على كتابتها ، وذلك أن كُفَّار قريشٍ لما رأوا أن أصحابَ النبي صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا إلى الحبشة قد نزلوا بلدًا ، وأصابوا قدرًا وأمنًا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه قد أسلم ، وأصبح هو وحمزة رضى الله عنهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وصار الإسلام يُفشو في القبائل ، اجتمع المذكورون من كُفَّار قريش ، واثمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب ، على ألا ينكحُوا إليهم ولا يُنكحُوهم ، ولا يبيعُوهم شيئًا ، ولا يبتاعوا منهم .

ولما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وتوافقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شعبه وخرج من بني هاشم أبو لهبٍ إلى قريش فظاهرهم ، ولقي هنداً بنت عُتبة ابن ربيعة حين فارق قومه ، وظاهر^(١) عليهم قريشاً ، فقال لها : يا بنت^(٢) عُتبة ، هل نصرتُ اللاتَ والمزى ، وفارقتُ من فارقمنا ، وظهرتُ عليهم ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عُتبة ؛ وفي ذلك يقول أبو طالب :

ألا بلغنا عني على ذاتِ يميننا لؤيًّا وخُصًّا من لؤيِ بني كعب^(٣)
ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبياً كوسى خطَّ في أوَّل الكتبِ
وأنَّ عليه في العبادِ محبةً ولا خيرَ ممن خَصَّه الله بالحُبِّ

(٢) م : « يا ابنة » .

(١ - ١) ساقط من ط

(٣) ديوانه ٢٠

وَأَنْ الَّذِي الصَّقَمُوا مِنْ كِتَابِكُمْ لَكُمْ كَائِنْ نَحْسًا كَرَاغِيَةِ السَّقَبِ^(١)
أَفِيقُوا أَفِيْقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ النَّزَى

وَيُصْبِحُ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذَى الذَّنْبِ

وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقَطُّعُوا أَوَاصِرَنَا بِمَسَدِ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ
وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوَانًا وَرُبَّمَا أَمَرَ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَلْبُ الْحَزْبِ^(٢)
بِمُعْتَرِكٍ ضَيْقٍ تَرَى كِسْرَ الْقَنَآ

بِهِ وَالنُّسُورِ الطُّخْمِ يَمَكُنُ كَالشَّرْبِ^(٣)

أَلَيْسَ أَبُوْنَا هَاشِمٌ شَدَّ أَرْزَهُ وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطَّعَامِ وَبِالضَّرْبِ!
وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَرْبَ حَتَّى تَمَلَّنَا وَلَا نَتَشَكَّى مَا يَنْوُبُ مِنَ النَّسَبِ
وَلَكِنَّا أَهْلَ الْخَفَائِظِ وَالنَّهْيِ إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُهَّانَةِ مِنَ الرُّغْبِ^(٤)

وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، حَتَّى جَاهِدُوا أَلَّا يَصِلَ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ
إِلَّا سِرًّا ، مُسْتَخْفِيًّا بِهِ مَنْ أَرَادَ صِلَتَهُمْ مِنْ قَرِيضٍ .

وقد كان أبو جهل - فيما يُذكر - لقي حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ ، ومعه غلام
يَحْمِلُ لِحْمًا بِرِيْدُهُ بِهِ عَمَتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وهى مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى السَّعْبِ ، فتعلَّقَ بِهِ وَقَالَ : أَتَذْهَبُ بِالطَّعَامِ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ؟ وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ
أَنْتَ وَطَعَامُكَ حَتَّى أَفْضَحَكَ بِمَكَّةَ ، فَنَجَاءَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ فَقَالَ : مَا لَكَ وَلَهُ !
فَقَالَ : يَحْمِلُ الطَّعَامَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ، فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ : طَعَامٌ كَانَ لِعَمَّتِهِ
عِنْدَهُ بِمَعْتِ إِلَى هَاشِمٍ ، أَفَتَمْنَعُهُ أَنْ يَأْتِيَهَا بِطَعَامِهَا ! خَلَّ سَبِيلَ الرَّجُلِ ،
فَأَبَى أَبُو جَهْلٍ ، حَتَّى نَالَ أَحَدُهَا مِنْ صَاحِبِهِ . فَأَخَذَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ لَحْيَ بَعِيرٍ

(١) السَّقَبُ : وَلَدُ النَّاقَةِ ، قِيلَ إِنَّهُ خَاسٌ بِالذِّكْرِ .

(٢) الْحَرْبُ الْعَوَانُ : هِيَ الَّتِى قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

(٣) الطُّخْمُ : السُّودُ . وَالشَّرْبُ : الْجَمَاعَةُ الشَّارِبُونَ .

(٤) الْكُهَّانَةُ : الشَّجْعَانُ ، جَمْعُ كَمَى .

فَضَرَبَهُ فَشَجَّهُ ، وَوَطَّئَهُ وَطْئًا شَدِيدًا ، وَحَمَزَهُ بَنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ قَرِيبٌ يَرَى ذَلِكَ ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ ، فِشَمَتُوا بِهِمْ ، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [صَابِرٌ] ^(١) عَلَى ذَلِكَ ، يَدْعُو قَوْمَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَسِرًّا وَجِهَارًا .

ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ نَفَرٌ مِنْ قُرَبَشٍ . وَلَمْ يُبَيِّلِ ^(٢) فِيهَا أَحَدٌ أَحْسَنُ مِنْ بِلَاءِ هِشَامِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حُبَيْبِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَسَلٍ - وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ ابْنُ أَخِي نَضْلَةَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ لَأُمِّهِ - وَكَانَ هِشَامُ ابْنُ هَاشِمٍ وَاصِلًا ، وَكَانَ يَأْتِي بِالْبَعِيرِ قَدْ أَوْقَرَهُ طَعَامًا ؛ حَتَّى إِذَا أَتَيْتَهُ فَمِ الشَّعْبِ خَلَعَ خِطَامَهُ ^(٣) مِنْ رَأْسِهِ ، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى جَنْبَيْهِ ، فَيَدْخُلُ الشَّعْبَ عَلَيْهِمْ ، وَيَأْتِي بِهِ وَقَدْ أَوْقَرَهُ بُرًّا ^(٤) ، يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مَرَارًا .

ثُمَّ إِنَّهُ مَشَى إِلَى زُهَيْرِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ - وَأُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - فَقَالَ : يَا زُهَيْرُ ، أَرْضَيْتَ بَأْنَ تَأْكُلُ الطَّعَامَ وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ ، وَتَنْكِحَ الذَّسَاءَ ، وَأُخْوَالُكَ حَيْثُ عَلِمْتَ ، لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ ، وَلَا يَنْكِحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ ! أَمَا إِنِّي أُحْلِفُ بِاللَّهِ لَوْ كَانَ أُخْوَالُ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، ثُمَّ دَعَوْتَهُ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَدًا . فَقَالَ : وَيَحْكُ يَا هِشَامُ ! فَمَاذَا أَصْنَعُ ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ رَجُلٌ آخَرُ ثَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا حَتَّى أَنْقُضَهَا . فَقَالَ : قَدْ وَجَدْتَ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ أَنَا ، قَالَ زُهَيْرُ : ابْنُنا ثَالِثًا . فَذَهَبَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا مُطْعِمُ ، أَرْضَيْتَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ ، مُوَافِقٌ لِقَرِيشٍ فِيهِ ! أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أُمَكَّتُمْهُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدُنَّهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ سِرَاعًا ، قَالَ : وَيَحْكُ ! مَاذَا أَصْنَعُ ؟ إِنَّمَا أَنَا

(١) تَسْكُمَةُ مِنْ م

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ يُبَيِّلْ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ م ، ط ، وَابْنُ هِشَامٍ .

(٣) الْخِطَامُ : حَبْلٌ يُشَدُّ بِهِ عَلَى فَمِ الْبَعِيرِ . (٤) أَوْقَرَهُ : حَمَلَهُ .

رجلٌ واحد . قال : قد وجدتُ ثانيا . قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال : ابْنِي
ثالثا ، قال : قد فعلتُ ، قال : مَنْ هو ؟ قال : زهير بنُ أَبِي أُمَيَّة . قال :
ابْنِي رابعا . فذهب إلى أَبِي الْبَخْتَرِيِّ ، فقال له نحواً ممَّا قالَ الْمُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ .
قال : وهل من أحدٍ يُمِينُ على هذا ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ هو ؟ قال : زُهيرُ
ابنُ أَبِي أُمَيَّةَ والمُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ ، وأنا معك . قال : ابغنا خامسا . فذهب
إلى زَمْعَةَ بنِ الْأَسْوَدِ بنِ الْمَطْلَبِ بنِ أَسَدٍ ، وكَلَّمَهُ ، وذكرَ له قِرابَتَهُمْ وَحَقَّهُمْ ،
فقال : وهل على هذا الأمرُ الَّذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سَمَّى له
القومَ ، فاتمَدوا حَظَمَ الْحُجُونُ^(١) كَيْلًا بأعلى مَسْكة .

فاجتمعوا هنا لك ، وأجمعوا أمرهم ، وتعاهدوا على القيام في نقضِ الصَّحِيفَةِ .
قال زُهير : أنا أَبْدَوْكُمْ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ . فلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَى أُنْدِ يَنْهَمُ ،
وغدا زُهير عليه حُلَّةٌ ، فطاف بالبيت سبعا ، ثمَّ أَقْبَلَ على الناس ، فقال : يا أَهْلَ مَسْكَةَ ،
أنا كُلُّ الطَّعامِ ونلبس الثياب ، وبنوها شَمَّ هَسْكَى لا يُبَاعُونَ ولا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ !
والله لا أَعِدُّ حَتَّى تُشَقَّ هذه الصَّحِيفَةُ القاطعة الظالمة . فقال أَبُو جَهْلٍ - وكان
في ناحية المسجد : كَذَبْتَ وَالله لا تُشَقُّ ! قال زَمْعَةُ بنُ الْأَسْوَدِ : أنتَ وَالله
أَكْذَبُ ، مارضينا كتابتها حيثُ كُتِبَتْ . قال أَبُو الْبَخْتَرِيِّ : صَدَقَ زَمْعَةُ ،
لا تَرْضَى ما كُتِبَ فيها ولا تُقَرِّبُهُ . قال الْمُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ : صَدَقْنَا وَكَذَبَ مَنْ
قال غيرَ ذلك ، نَبْرَأُ إلى الله مِنْهَا وَمِمَّا كُتِبَ فيها ! وقال هِشَامُ بنُ عَمْرٍو نحواً
من ذلك . فقال أَبُو جَهْلٍ : هذا أمرٌ قُضِيَ بَلِيلٍ ، تُشَوُّور فيه بغير هذا
المكان ! وأبو طَالِبٍ جالِسٌ في ناحية المسجد^(٢) ، فقام الْمُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ إلى
الصَّحِيفَةِ لِيَشُقَّهَا ، فوجد الأَرْضَةَ قد أَكَلَتْهَا إِلَّا « بِأَسْمِكَ اللَّهُمَّ » . وكان كاتبُ
الصَّحِيفَةِ مَنصُورُ بنُ عِكْرَمَةَ ، فَشَلَّتْ يَدَهُ - فَمَا يَزْعُمُونَ .

(١) الحجون : مكان بمكة .

(٢) ط : « المجلس »

وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ السَّيَرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي طَالِبٍ :
يَا عَمُّ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَطَ الْأَرْضَ عَلَى صَحِيفَةِ قُرَيْشٍ ، فَلَمْ تَدْعُ فِيهَا اسْمًا لِلَّهِ إِلَّا أَثْبَتَتْهُ
فِيهَا ، وَنَفَتِ الْقَطِيعَةُ وَالظُّلْمُ وَالْبَهْتَانُ . قَالَ : أَرُبُّكَ أَخْبَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ،
قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ أَحَدٌ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ،
إِنَّ أَبْنَائِي أَخْبَرُونِي بِكَذَا وَكَذَا ، فَهَلُمَّ صَحِيفَتَكُمْ ، فَإِنْ كَانَتْ كَمَا قَالَ فَاتَّبِعُونَهَا
عَنْ قَطِيعَتِنَا ، وَإِنْ كَانَ كَذَا دَفَعْتُ إِلَيْكُمْ ابْنَ أَخِي . قَالَ الْقَوْمُ : رَضِينَا ؛
فَتَمَاقَدُوا عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ نَظَرُوا فَإِذَا هِيَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَزَادَهُمْ ذَلِكَ شَرًّا .

وَلَمَّا مَزَقَتِ الصَّحِيفَةُ وَبَطَلَ مَا فِيهَا قَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ قَامُوا فِي تَمْزِيقِهَا يَمْدَحُهُمْ عَلَى فِعَالِهِمْ :

أَلَا هَلْ أَتَى بِحَرْبِنَا صَنَعَ رَبَّنَا عَلَى نَائِبِهِمْ ، وَاللَّهُ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ^(١)
فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مَزَقَتْ وَأَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللَّهُ مَفْسَدُ
تَرَاوَحَهَا إِفْكٌ وَسِحْرٌ مُجْمَعٌ
وَلَمْ يُنْفَ سِحْرُ آخِرِ الدَّهْرِ يَصْعَدُ
جَزَى اللَّهُ رَهْطًا بِالْحُجُونِ تَتَابَعُوا^(٢)

عَلَى مَلَأَ يَهْدَى لِحَزْمٍ وَيُرْشِدُ
قَمُودًا لَدَى حَطَمِ الْحُجُونِ كَأَنَّهُمْ
مَقَاوِلَةٌ ، بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَجْدُ

(١) ديوانه ٦٣ ، والبحري : المنسوب إلى البحر ، والمراد به هنا من هاجر إلى مكة من
الصعابة . وأرود ، أى غالب على أمره يفعل ما يشاء .

(٢) حطم الحجون : اللوح الذى حطم منه .

أَعَانَ عَلَيْهَا كُلَّ صَقَرٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا مَشَى فِي رُفْرِ الدَّرْعِ أَحْرَدُ^(١)
 جَرَى عَلَى جُلِّ الْخُطُوبِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بِكَفِّي قَابَسٍ يَتَوَقَّدُ
 مِنَ الْأَكْرَمِينَ مِنْ لُؤْيِ بْنِ غَالِبٍ إِذَا سَمِ خَسَفًا وَجْهَهُ يَتَرَبَّدُ
 طَوِيلُ النِّجَادِ، خَارِجُ نَصْفِ سَاقِهِ، عَلَى وَجْهِهِ يُسْقَى الْغَمَامُ وَيَسْمَعُ
 عَظِيمُ الرَّمَادِ، سَيِّدُ وَابْنُ سَيِّدٍ

يَحْضُ عَلَى مَقَرِّ الضِّيُوفِ وَيَحْشُدُ
 وَيَبْنِي لِأَفْنَاءِ الْعَشِيرَةِ صَالِحًا إِذَا نَحْنُ طُنْفَنَا فِي الْبِلَادِ، وَيَمْنَعُ
 أَلْظَّ بِهَذَا الصُّلْحِ كُلِّ مَبْرَأٍ عَظِيمُ الْوَاءِ، أَمْرُهُ نَمَّ يَحْمَدُ^(٢)
 قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لَيْلِهِمْ نَمَّ أَصْبَحُوا

عَلَى مَهَلٍ، وَسَاثُرُ النَّاسِ رُقْدُ
 هُمْ رَجَعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءٍ رَاضِيًا وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَتَحْمَدُ
 مَتَى شَرَكِ الْأَقْوَامِ فِي جُلِّ أَمْرِنَا وَكُنَّا قَدِيمًا قَبْلَهَا نَتَوَدَّدُ!
 وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُفْقِرُ ظِلَامَةً وَتَرَكْنَا مَا شِئْنَا وَلَا نَنْشَدُّ
 فَيَا لِقُصَى هَلْ لَكُمْ فِي نَفْسِكُمْ وَهَلْ لَكُمْ فِيمَا يَحْيِي بِهِ غَدُ!
 فَيَا وَيَا لَكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَسَكَّاتِ، أَسْوَدُ^(٣)

أَسْوَدُ: اسْمُ جَبَلٍ، كَانَ قَدْ قُتِلَ فِيهِ قَتِيلٌ لَمْ يُعْرِفْ قَاتِلَهُ، فَقَالَ أَوْلِيَاءُ
 الْمَقْتُولِ هَذِهِ الْمَقَالَةُ: يَعْْمُونَ بِهَا أَنَّ الْجَبَلَ لَوْ تَسَكَّمْ لَأَبَانَ عَنِ الْقَاتِلِ، وَلَعَرَفَ
 بِالْجَانِي، وَلَسَكَنَهُ لَا يَتَسَكَّمُ؛ فَذَهَبَتْ مَقَالَتُهُمْ مَثَلًا.

* * *

(١) الأحرَد في الأصل: الذي و مشبه تناقل . (٢) أَلْظَّ، أَى أَلَح .

(٣) أَسْوَدُ، أَى يَأْسْوَدُ، حَذَفَ مِنْهُ حَرْفُ التَّنَادِ .

٣٩ - وقوله : وتاولتُ في بيعة العقبة .

هكذا قاله ابنُ زَيْدُون ، وهكذا أثبتَه ابنُ بَسَّام عنه في « الذَّخِيرَة »
وكذا نقلته من خطِّ ابنِ ظافرٍ رحمة الله ، في كتاب « نفائس الذَّخِيرَة » .

بَيْعَاتُ الْعَقَبَاتِ ثَلَاثٌ : الْأُولَى خُرُوجُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
الْمَوْسَمِ الَّذِي لَقِيَ فِيهِ النَّفَرُ مِنَ الْأَنْصَارِ ؛ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ ،
وَكَانُوا رَهْطًا مِنَ الْخَزْرَجِ ، أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا ، فَقَالَ لَهُمْ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا :
نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ . قَالَ : أَمِنْ مَوَالِي يَهُودٍ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : أَفَلَا تَجْلِسُونَ
أَكَلَمَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، فَجَاسُوا مَعَهُ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَرَضَ
عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : تَعْلَمُوا وَاللَّهِ أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي كَانَ تَوَعَّدُكُمْ
بِهِ الْيَهُودُ ، فَلَا يَسْبِقَنَّكُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَأَجَابُوهُ وَصَدَّقُوهُ . وَقَالُوا لَهُ : إِنَّا كُنَّا
تَرْكْنَا قَوْمَنَا ، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ ، فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ
عَلَيْكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزَّ مِنْكَ . ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ ، قَدْ آمَنُوا
وَصَدَّقُوا ، وَكَانُوا سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْخَزْرَجِ .

وَأَمَّا الْعَقَبَةُ الثَّانِيَّةُ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ قَدِيمَ مَكَّةَ مِنَ الْأَنْصَارِ اثْنَا عَشَرَ
رَجُلًا ، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ مِنَ السِّتَّةِ الَّذِينَ ذُكِرُوا أَوَّلًا ، فَتَلَّاهُمْ آيَةَ النَّسَاءِ
« لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا » ، ثُمَّ قَالَ : « وَمَنْ أَوْفَى فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ
مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، فَهُوَ طُهْرٌ لَهُ - أَوْ قَالَ : أَوْ كَفَّارَةٌ -
وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ ؛ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ
وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ » .

وَأَمَّا الْعَقَبَةُ الثَّالِثَةُ فَإِنَّهُ خَرَجَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْأَنْصَارِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَوْسَمِ مَعَ
حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ ؛ حَتَّى إِذَا قَدَمُوا مَكَّةَ ، وَاعْدُوا رَسُولَ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم للعقبة ، من أوسط أيام التشريق ، فلما مضى ثلث الليل
اجتمعوا في الشعب ، وهم ثلاثة وتسعون رجلاً وأمرأتان : أم عمارة^(١) إحدى
بنى مازن بن النجّار وأسما بنت عمرو بن عدى ، فجاءهم النبي صلى الله عليه
وسلم ومعه العباس بن عبد المطلب — وهو على دين قومه إلا أنه أحب
أن يظهر على أمر ابن أخيه ويتوثق له — فلما جلس كان أول متكلم ، فقال :
يا معشر الخزرج ، إن محمداً منا حيث علمتم ، وقد مّنعناه من قومنا ممن هو
على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا
الأحياز إليكم والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه
إليه ، وما نموه ممن خالفه فأتهم وما تحمّلتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم
مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة
من قومه وبلده . فقالوا : قد سمعنا ما قلت ، فتكلّم يا رسول الله ، فنخذ لنفسك
ولربك ما أحببت . فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعا إلى
الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : « أبايكم على أن تمنعوني مما تمنعون
منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم » . فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال :
والذي بعثك بالحق لتنمّعتك [مما تمنع]^(٢) منه أزرنا . وبايعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

وقال أبو الهيثم بن التّيهان : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال
جبالاً ، وإنّا قاطعوها — بمعنى اليهود — فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ،
ثمّ أظهر لك الله ، أن ترجع إلى قومك وتدعنا ! فتبسّم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثمّ قال : « بل الدّم الدّم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب
من حاربتم ، وأسلم من سلمتم ، أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ، يكونون

(١) في عيون الأثر : « هي نسيبة بنت كعب » .

(٢) تسكّلة ن م .

على قومهم بما فيهم » . فأخرجوا سمّة من الخُزرج وثلاثة من الأوس .

ولما انتهت البيعة صرّخ الشيطانُ من رأس العقبة : يا أهل الجباب ، هل لكم في مذمم والصّيانة ^(١) معه ، قد أجمّوا على حربكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أربُّ العقبة ^(٢) ، اتّسمعُ أي عدوّ الله ! أما والله لأفرغنَّ لك . فاستأذنه العباس بن عبادَة في القتال ، فقال : لم نؤمر بذلك . ولما قدموا المدينة أظهرُوا الإسلام .

فهذه بيّعات العقبات الثلاث ، حدّثني بها شيخنا الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيّد الناس اليّهمريّ ، مختصراً من سيرته ^(٣) .

وأما أنا فلم أقف ممّا علمته على أنّ أحداً من أهل العلم بالسّير تأوّل في بيعة من البيعات ، أو صدرَ منه بعد المبايعة فصلٌ يخالف قوله ، ولم أعلم لقول ابن زيدون وجهاً فيما ذكره مع هذه الوقائع التي سردها ، وأشار إليها ، وما بقي إلا أن يُتأوّل كلامه ، فنقول : إنّه لاشكّ أنّ الذي يضعُ يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبايعه على نصرته على عدوّه ، والإيمان بما جاء به ، هذه أعظم درجات الإيمان ، فإذا ناقضَ بعد ذلك وخالفَ فعله قوله يكون قد أتى بأمرٍ عظيم ، وخطأ كبيراً ، فكأنّه قال : « أو تأولتُ بعد مبايعتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخالفْتُ قولي بفعل ناقض ما بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وهذا ولاشكّ من الكبائر الموقّات .

(١) الصباة : جمع صابئ ، وفي ابن هشام : « الصباء » .

(٢) أرب العقبة : اسم شيطان .

(٣) هي السيرة المعروفة بعنوان الأثر ، نقل المؤلف عنها باختصار ، وانظر الجزء الأول

صفحة ١٥٥ وما بعدها .

٤٠ - وقوله : ونهزت إلى العيرِ بِبدر .

يشير بذلك إلى وقعة بدر الكبرى ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع أن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام ، في عيرٍ لقريش عظيمة ، فندب الناس وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم ، فأخرجوا إليها لعل الله ميملكهموها . فانتدب الناس ^(١) ، وكان أبو سفيان لما دنا من الحجاز يتحسس الأخبار من الزكبان ، فأصاب من بعضهم أستمطار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس له ، فحذر عند ذلك ، وأستأجر ضمضم بن عمرو الفخاري ، فبعثه إلى مكة ليخبر قريشاً بذلك ، ويستففرهم إلى أموالهم . فخرج ضمضم سريعاً ، ولما أتى إلى مكة صرخ ببطن الوادي واقفاً على بعير ، قد جده ، وحول رجليه وشق قيصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة ^(٢) ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ؛ الغوث الغوث ! فتجهز الناس سراعاً ، فكانوا بين رجلين ؛ إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً ، ولم يتخلف من أنراف قريش أحدٌ إلا أبو لهب ، تخلف وبعث مكانه العاصم بن هشام بن المغيرة ، وأجمع أمية بن خلف على القمود - وكان شيخاً جليلاً - فأتاه عتبة بن أبي معيط ، وهو جالس في المجلس بين ظهراني قومه وبجمرة فيها نار ، فوضمها بين يديه ، وقال : يا أبا علي ، استجمر ، فإنما أنت من النساء ! فقال : فبجل الله ، وقبح ما جئت به ! ثم تجهز وخرج مع الناس . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليالٍ مضت من شهر رمضان في أصحابه ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أبيض ، وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، إحداهما مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والأخرى مع بعض الأنصار ، وجعل على السافه قيس بن أبي صمصمة ، أخا بني مازن بن النجار . وكانت

(٢) اللطيمة : الإبل تحمل الطيب .

(١) انتدب الناس ، أي حموا للقتال .

راية الأنصار مع سعد بن مُعَاذٍ فِي قَوْلِ ابْنِ هِشَامٍ^(١) ، فَلَمَّا كَانُوا قَرِيبًا مِنْ الصَّغْمَاءِ بَعَثَ بَسْبَسُ بْنُ عَمْرِو وَعْدِيَّ بْنَ أَبِي الرَّغْبَاءِ إِلَى بَدْرٍ بِتَحْصِصَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَغَيْرِهِ ، فَضَيًّا حَتَّى نَزَلَ بَدْرًا ، وَتَقَدَّمَ أَبُو سُفْيَانَ الْغَيْرَ حَذْرًا ، حَتَّى وَرَدَ الْمَاءَ ، فَأَخَذَ مِنْ أَمَارِ بَهَيْرَى بَسْبَسُ وَعْدِيَّ وَقَتَهُ ، فَإِذَا فِيهِ النَّوَى ، فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَانِيَةُ يَثْرِبُ ، فَأَسْرَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَضَرَبَ وَجْهَ غَيْرِهِ عَنْ الطَّرِيقِ وَسَاعَلَ بِهِمَا ، وَتَرَكَ بَدْرًا بَيْسَارَ .

ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَتَى وَادِيًا يُقَالُ لَهُ : ذَفِرَانُ ، فَجَزَعَ فِيهِ^(٢) ، ثُمَّ نَزَلَ . وَأَنَاهُ الْخَبْرُ عَنْ قُرَيْشٍ ، فَاخْتَبَرَ النَّاسَ وَاسْتَشَارَهُمْ . فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ وَأَحْسَنُ ، ثُمَّ قَامَ الْمُقَدَّادُ بْنُ عَمْرِو فَقَالَ وَأَحْسَنُ ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، امْضُ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ ، فَنَحْنُ مَعَكَ ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾^(٣) وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ ، فَوَالَّذِي بِيَمْنِكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَوْ سِرْتُ بِنَا إِلَى بَرِّكَ الْغَمَادِ^(٤) لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْدِفَهُ . فَقَالَ لَهُ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : سِيرُوا . أَبْشُرُوا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَاللَّهِ لَسْكَأَنِي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مُصَارِعِ الْقَوْمِ .

ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْ ذَفِرَانَ وَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ . وَلَمَّا أَمْسَى بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزَّيْبِرَ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَلْتَمِسُونَ الْخَبَرَ ، فَصَابُوا زَاوِيَةَ لُقَيْرِيشَ فِيهَا أَلَامَانُ لِبَعْضِهِمْ ، فَأَتَوْا بِهِمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَا : هُمُ وَرَاءَ الْكَثِيبِ الَّذِي تَرَى ، قَالَ : كَمْ الْقَوْمُ ؟ قَالَا : كَثِيرٌ . قَالَ : كَمْ عِدَّتُهُمْ ؟ قَالَا : لَا نَدْرِي ، قَالَ : كَمْ يَنْتَعِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ قَالَا : يَوْمًا تِسْعًا ، وَيَوْمًا عَشْرًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥١ .

(٢) جزع فيه ، أى قطعه .

(٣) سورة المائدة ٢٤ .

(٤) برك الغماد : موضع باحثة أمين .

(١٥ - تمام المتن)

صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين السماء والألف ، ثم قال : من فيهم من
أشراف قريش ؟ قالوا : عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام
وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر ، وطعيمة بن عدي ،
والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن
خلف ، ونبیه ومنبه أبنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمر بن عبد ود .
فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، وقال : « هذه مكة ، ألتقت
إليكم أفلاذ كبدها » .

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيَّره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما
خرَجْتُم لتتمتعوا بعزكم ورجالكم وأموالكم وقد نَجَّاهَا اللهُ ، فارْجِعُوا . فقال
أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدرًا - وكان موسماً للعرب - ففقيم عليهم ثلاثاً
فمننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقي الحمر ، وتغزينا القيان ، وتسمع
بنا العرب بمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعد هذا ، فأمضوا .
وقال الأخنس بن شريق : يا بني زهرة - وكان حليفاً لهم - قد نجى الله
أموالكم ، وخلص لكم أصحابكم تحرمته بن نوفل ، وإني أنفرتهم لتمتعوه
[وماله] ^(١) فأرجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة ،
لأما يقول هذا - يعني أبا جهل - فرجعوا ، ولم يشهد بدرًا زهري واحد .
ولم يكن من قريش بطن إلا وقد نفر منهم ناس إلا بني عدي بن
كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد .

ورجع طالب بن أبي طالب إلى مكة مع من رجع ، ومضت قريش فنزلت
بالمدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل ^(٢) ، والقباب بيدر في المدوة الدنيا
إلى المدينة . وبعث الله عز وجل السماء - وكان الوادي دهساً ^(٣) - فأصاب

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) العقنقل في الأصل : السكيب من الرمل .

(٣) الدهس : المكان اللين لم يبلغ أن يكون رملاً .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماءً لَبَدَ لهم الأرض ، ولم يَمْنَعَهُمْ من تَلْسِير ، وأصاب قريشا منها ماء لم يقدرُوا على أن يرتحلوا معه . فخرَج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُبَادِرُهُم إلى الماء حتى إذا جاءوا إلى أدنى ماءٍ من بدر نَزَلَ به . فذكرُوا أَنَّ الحُبَابَ بنَ المُنْذِرِ بنَ الجَوْح الأنصاريَّ قال : يا رسول الله ، أَرَأَيْتَ هَذَا المنزِلَ ، أَمَنْزَلًا أَنْزَلَكَ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَزْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ قال : « بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ » . قال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فانهَضُ بنا حتى نَأْتِيَ أدنى ماءٍ من القوم ، فننزل به ، ثُمَّ نَعْمُورُ^(١) مَعَادَاهُ مِنَ الْقَلْبِ ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمَؤُهُ ماءً ، ثُمَّ نَقَاتِلُ الْقَوْمَ ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ أَشْرَتَ بِالرَّأْيِ » ، وَهَضُ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَنَزَلَ عَلَى أدنى ماءٍ مِنَ الْقَوْمِ ، وَأَمَرَ بِالْقَلْبِ فَعُورَتْ ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ . وَمِئَاءُ ماءً ، وَقُدِفَتْ فِيهِ الْآثِيَّةُ ، وَبُنِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشٌ ، فَكَانَ فِيهِ .

وأقبلتُ قريش حين أصبحتُ ، فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نَصَوْبُ مِنَ السَّكَنِيبِ الَّذِي جَاءُوا مِنْهُ ، قال : « هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِحَيْلَائِهَا وَفَخَرَهَا ، تَحَادَّكَ وَتَكْذِبُ رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ فَنَصُرْكَ الَّذِي وَعَدْتَنِي بِهِ ، اللَّهُمَّ أَخْهِمُ^(٢) الْغَدَاةَ ! »

ولما نزل الناسُ أَقْبَلَ نفرٌ من قريش فيهم حَكِيمُ بنُ حِزَامٍ ، حتى وَرَدُوا حَوْضَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : « دَعُوهُمْ » . فَمَا شَرَبَ مِنْهُ أَحَدٌ يَوْمَئِذٍ إِلَّا قَتِلَ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَكِيمِ بنِ حِزَامٍ فَإِنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَكَانَ إِذَا اجْتَمَعَ فِي يَمِينِهِ قَالَ : لَا وَالَّذِي نَجَانِي يَوْمَ بَدْرٍ .

(١) نَمُورُ ماوراءَ مِنَ الْقَلْبِ ، أَيْ نَفْسُهَا ، وَالْقَلْبُ : جَمْعُ قَلْبٍ ، وَهُوَ الْبَيْتُ .

(٢) أَخْهِمُ : أَهْلِكُهُمْ ، مِنْ الْحَيْنِ وَهُوَ الْهَلَاكُ .

ولما اطمان القوم بَعَثُوا عُثَيْرَ بْنَ وَهَبَ الْجُحَنِيَّ ، فقالوا : اخْزَرْ لنا أصحاب محمد ، كم هُم ؟ فدار بفروسه حول العسكر ، ثم رَجَعَ فقال : إن القوم ثلثائة رجل ، يَزِيدُونَ قَلِيلًا أَوْ يَنْقُصُونَ قَلِيلًا ، ولكن رأيتُ يا معشر قريشِ البَلَاءَ يا تحمِلُ المنايا ، نَوَاضِحَ يَثْرِبَ تحمِلُ الموتَ النافعَ ^(١) ، قوم ليس لهم مَلَجٌ ولا مَنعةٌ إلا سيوفُهم ، والله ما أرى أن يُقْتَلَ رجلٌ منهم حتَّى يَقْتَلَ مِنْكُمْ رجلاً مِنْكُمْ ، فإذا أصابوا بأعدادهم مِنْكُمْ فما خيرُ في العيشِ بعد ذلك ! [فَرَوْا رَأْيَكُمْ] .

ولما سمع بذلك حكيمُ بْنُ حِزَامٍ ، أَيْ عُتْبَةُ وقال : يا أبا الوليد ، إنك كبيرُ قريشٍ وسيِّدُها والمطاعُ فيها ، هل لك إلى ألا تزال تُدْكَرُ فيها بخيرٍ إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذلك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالفاص وتحمِلُ أمرَ حليفك عمرو بنِ أَخْضَرِيٍّ ، قال : قد فعلتُ ، أنت على بذلك ؛ إنما هو حليفني فقلِّ عَقْلُهُ ، وما أصيبُ مِنْ مَالِهِ ؛ فَأَتَى ابْنَ الْخَنْظَلَةِ ^(٢) - بمعنى أبا جهل - .

ثم قام عُتْبَةُ خَطِيبًا فقال : يا معشرَ قريش ، إنكم والله ما تَصْنَعُونَ بَأَن تَأْتِمِرَ أَحْمَدُ وَأَصْحَابُهُ شَيْئًا ، والله لئن أَصْبَحْتُمُوهُ لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَنْظُرُ في وجه رجلٍ يكره النظرَ إليه ، قتلَ أبْنُ عَمِّهِ أَوْ ابْنُ خَالِهِ ، أَوْ رجلاً مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَارْجِعُوا وَخَلُوا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَسَائِرِ الْعَرَبِ ، فَإِنْ أَصَابُوهُ فَذَلِكَ الَّذِي أُرِدْتُمْ ، وإن كان غيرَ ذلك أَلْفَاكُمْ وَلَمْ تَتَعَرَّضُوا مِنْهُ لِمَا تُرِيدُونَ .

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رأى عُتْبَةَ في النومِ على جَمَلٍ أَهْمَرٍ ، فقال : « إِنْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ صَاحِبِ الْجَمَلِ الْأَهْمَرِ ، إِنْ يُطِيعُوهُ يَسُدُّوا » .

ثم انطلقَ حكيمُ بْنُ حِزَامٍ إلى أَبِي جَهْلٍ ، فقال له ما قاله عُتْبَةُ ، فقال :

(١) البَلَاءُ : جم بلية ، وهى الدابة تربط على قمر الليث فلا تملف ولا نسف حتى تموت . والنواصح : الإبل التى يسقى عليها الماء .

(٢) قال ابن هشام : « والخَنْظَلَةُ أمُّ أَبِي جَهْلٍ ، وهى أسماء بنت مخزومة ، أحد بنى نُهَيْل بن دارم .

نَتَفَخَ وَاللَّهُ سَحْرُهُ حِينَ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، وَمَا بَعَثَهُ مَا قَالُوا ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكَلَةَ جَزْورٍ ، وَفِيهِمْ ابْنُهُ ، وَقَدْ تَخَوَّفَكُمْ عَلَيْهِ .

ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الْحَضَرَمِيِّ فَقَالَ : هَذَا حَلِيفُكَ يَرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ بِالنَّاسِ . وَقَدْ رَأَيْتَ ثَارَكَ بَعِيْنِيكَ ، فَقُمْ فَاشْهَدْ خُفَرَتَكَ ^(١) وَمَقْتَلَ أَخِيكَ . فَقَامَ عَمْرُو بْنُ الْحَضَرَمِيِّ ، ثُمَّ صَرَخَ : وَاعْمَرَاهُ ! وَاعْمَرَاهُ ! فَحَمِيَّتِ الْحَرْبُ . وَآلَا بَلَّغَ عُتْبَةُ قَوْلُ أَبِي جَهْلٍ : « انْتَفَخَ وَاللَّهُ سَحْرُهُ » ^(٢) قَالَ : سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ اسْتِهِ ؛ مَنْ انْتَفَخَ سَحْرُهُ ؛ أَنَا أَمْ هُوَ !

وَخَرَجَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ — وَكَانَ شَرِّ سَائِيءِ الْأَخْلَاقِ — وَقَالَ : أَعَاهَدُ اللَّهَ لِأَشْرَبِ مَنْ حَوْضِهِمْ ، أَوْ لَأَهْدِمَنَّه ! أَوْ لَأَمُوتَنَّ دُونَهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ خَرَجَ إِلَيْهِ حِمْيَرٌ ، فَلَمَّا التَّمْيَا ضَرْبَهُ حِمْزَةً ، فَأُطِنَ قَدَمُهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ ، وَهُوَ دُونَ الْحَوْضِ ، فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ تَشْخُبٌ ^(٣) رَجُلُهُ دَمًا ، ثُمَّ حَبَا إِلَى الْحَوْضِ يَرِيدُ أَنْ يَبْرُكَ بِيَمِينِهِ ، فَأَتْبَعَهُ حِمْزَةٌ فَضَرْبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ .

ثُمَّ خَرَجَ جَدُّهُ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ وَابْنِهِ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ ، وَدَعَا إِلَى الْمُبَارَاةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَنْصَارِ عَوْفٌ وَمَعُوذُ ابْنَا الْحَارِثِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : رَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالُوا : مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ ، ثُمَّ نَادَى مُنَادِيَهُمْ : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَ نَا مِنْ قَوْمِنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ ، قُمْ يَا حِمْزَةُ ، قُمْ يَا عَلِيٌّ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُمْ قَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَدَسَّوْا لَهُمْ ، فَقَالُوا : نِعْمَ الْأَكْفَاءُ الْإِسْكَرَامُ . فَبَارَزَ عُبَيْدَةُ عُتْبَةَ ، وَبَارَزَ حِمْزَةُ شَيْبَةَ ، وَبَارَزَ عَلِيُّ الْوَلِيدَ .

فَأَمَّا حِمْزَةُ فَلَمْ يُيْهِلْ شَيْبَةَ أَنْ قَتَلَهُ ، وَأَمَّا عَلِيُّ فَلَمْ يُيْهِلْ الْوَلِيدَ أَنْ قَتَلَهُ ، وَاخْتَلَفَ عُبَيْدَةُ وَعُتْبَةُ بَيْنَهُمَا ضَرْبَتَيْنِ ، كَلَامَاهَا أَثْبَتَ صَاحِبَهُ ، وَكَرَّ عَلِيُّ

(١) الحفرة : العهد .

(٢) السحر : البرنة وما حولها .

وحزرة بأسيا فيهما على عتبة ، فذفقا^(١) عليه ، واحتسلا صاحبهما ، فحازاه إلى أصحابه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم^(٢) عنكم بالنبل ، ورسول الله يومئذ في العريش ومعه أبو بكر . وكان شعار رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحد أحد » ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُناشد ربه ما وعدّه من النصر ويقول فيما يقول : « اللهم إن تلك هذه العصاة اليوم لا تُقْبَد » ، وأبو بكر يقول : يانبي الله ، بعض مُفادتك لربك ، فإن الله سيُنجز لك وعدك .

وخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة^(٣) وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر ، أنك نصر ربك ، هذا جبريل آخذ بمنان فرس يقوده ، على ثنياه النقع » - يريد الغبار .

ورمي مہجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ، وكان أول قتيل من المسلمين ، ثم رمي حارثة بن سراقة أحد بني عدي بن النجار ، وهو يشرب من الخوض بسهم فأصاب نحره فقتله . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس يحرضهم ، فقال : « والذي نفس محمد بيده لا يُقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مُقبلا غير مُدبر إلا أدخله الله الجنة » . فقال عُمير بن الحمام - من بني سلمة - وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ! فابيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلاني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل حتى قُتل .

وقال عوف بن الحارث ، وهو ابن عَفراء : يارسول الله ما يُضحك الزب من عبده ؟ قال : « غمسه يده في العدو حاسرا » ، فنزع درعا كانت عليه فذفها ، وأخذ سيفه وقاتل حتى قُتل .

(١) ذفقا عليه : أجهزا .

(٢) انضحوهم : ادفعوهم .

(٣) خفق خفقة : نام نوما يسيرا .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفْنَةً من الخَضْبَاءِ ، فاستقبل بها قُرَيْشًا ثم قال : شاهدت الوجوه ، ثم نَفَحَهُمْ ^(١) بها ، وأمر أصحابه فقال : شدُّوا ، فكانت الهزيمة ، وجعل الله تلك الخَضْبَاءِ عَظِيمًا شَأْنُهَا ، لم تترك رجلا من المشركين إلَّا ملأت عينيه ، وأستولى عليهم المسلمون يُقَتِّلُونَهُمْ ويأسِرُونَهُمْ ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسیر من أسیر أشرافهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني قد عرفت رجلا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كُرْها لا حاجة لهم بقتال ، فن لقيَ منكم أحداً من بني هاشم فلا يَقْتُلْهُ ، ومن لقيَ أبا البَخْتَرِيَّ بنَ هشام فلا يَقْتُلْهُ ، ومن لقيَ العَبَّاسَ عمَّ رسول الله فلا يَقْتُلْهُ ؛ فإنه إنما أخرج مُسْتَكْرَها » .

فقال : حذيفة : أنقذ آباءنا وأبناءنا وإخواننا ، وعشيرتنا وترك العَبَّاس ! والله إن وجدته لألْحَمَنَهُ ^(٢) السيف ؛ فبانت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر فقال : يا أبا حفص - قال عمر : وإنه لأوَّلُ يوم كُنَّا فيهِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص - أضرِب وجهُ عمِّ رسول الله بالسيف ! فقال عمر : دَعْنِي يا رسول الله أضرِبْ عُنُقَهُ بالسيف ، فوالله لقد نَأَفَى . فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمينٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذ ، ولا أزالُ منها خائفا إلَّا أن تُكفِّرَها عني الشهادة ، فقتل يومَ اليمامةَ شهيداً رضي الله عنه .

وقاتلت الملائكة يومَ بدر ، ولم تُقاتِلْ إلَّا فيه وفي يومَ حُنين ، ولما يكونون عدداً ومدداً لا يضرُّون . وكانت سيماهم يومَ بدرَ عمامُ بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم . وفي يومَ حُنين عمامُ حمراء . وفي حديثٍ على رضي الله عنه : « إنَّ جبريل كانت عليه عمامة صفراء » . وقال بعض بني ساعدة بعد أن ذهب بصره ، وكان قد شهدَ بدرًا : لو كنتُ اليومَ ببدر ، وبصري

(١) نفحهم بها : رماهم .

(٢) قال ابن هشام : « ويقال : ألحجته » .

معى لأرئيتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة ، لأشكت فيه ولا أتمارى .
ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، أمر أبى جهل أن
يلتمس فى القتلى ، وقال : « انظروا - إن خفى عليكم - فى القتلى إلى أثر جرح
فى ركبته ؛ فإنى أزدحمت يوماً أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جُدعان ،
ونحن غلامان ، وكنت أسن منه ييسير ، فدفعته ، فوقع على ركبته ، فنجحشت
إحدهما جرحاً ؛ بزل أثره به .

قال هُماذ بن عمرو بن الجُموح : جعلت أبى جهل من شانى ، فقصدت
نحوه ، وجمت عليه ، وضربت ضربة أطمت قدمه بصف ساقه ، فضربنى
أبنة عكرمة على عاتقى ، قطرح بدى ، فمعلقت بجِلْدَةٍ من جنبي ، وأجهمضنى ^(١)
القتال عنه ، فلقد قاتلت عامة بؤى وإنى لأسعجها ، فلما آذنتى وضعت عليها
قدمى ، ثم تمطّيت بها عليها حتى طرحتها . وعاش بعد ذلك مُعاداً إلى زمن عثمان .
ومر معوذ بن عَنزَاء أبى جهل وهو فقير ، فضر به حتى أثبتته وتركه
وبه رَق ^(٢) . وقاتل معوذ حتى قُتل . فمر عبدُ الله بن مسعود أبى جهل حين
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتماسه ، فوجده بأخر رمق ، فوضع رجله
على عنقه ، وقال : أخزأك الله يا عدو الله ! قال : وبماذا أخزأتى ؟ أخبرنى لمن
الدائرة ؟ قال : لله ولرسوله ، ثم جزّ رأسه وجاء به إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فحمد الله تعالى . وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى
أن يطرحوا فى القلب ، فطرحوا إلا ما كان من أمية بن خلف ؛ فإنه
انتفخ فى درعه فملاها ، فذهبوا ليحرقوه ، فزأيل ، فالتقوا عليه من الحجارة
والتراب ماغييه .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على القلب وقال : « يا أهل
القلب ، بئس عشيّة لى كنتم ! كذبتمونى وصدّقنى الناس ، وأخرجتمونى

(١) أجهضى : علبى (٢) الرق : بقية الحياة .

وَأَوَانِي النَّاسِ ، وَقَاتِلْتُمُونِي وَنَصَرْتَنِي الْغَاسِ . يَا أَهْلَ الْقَلْبِيبِ ، هَلْ وَجَدْتُمْ
مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ، فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ! » .

فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُكَلِّمُ قَوْمًا مَوْتَى ؟ فَقَالَ لَهُمْ : لَقَدْ
عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمُ رَبُّهُمْ حَقٌّ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ قَالَ : مَا أَنْتُمْ بِأَتَمِّ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَسْ كُنْتُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ
أَنْ يُجِيبُونِي .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ^(١) :

عَرَفْتُ دِيَارَ رَبِّكَ بِالْكُتَيْبِ	كَخَطِّ الْوَحْيِ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ ^(٢)
تَدَاوَلَهَا الرِّيحُ وَكَلَّ جَوْنِ	مِنَ الْوَسْمِيِّ مُنْهَرِ سَكُوبِ ^(٣)
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلْقًا وَأَمْسَتْ	كَيْبَابًا بَعْدَ سَاكِنِهَا الْحَيْبِ
فَدَعَّ عَنْكَ التَّدَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ	وَرَدَّ حَرَارَةَ الصَّدْرِ الْكُتَيْبِ
وَحَبَّرَ بِالَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ	بَصْدَقٍ غَيْرِ أَخْبَارِ الْكُذُوبِ
بِمَا صَنَعَ الْمَالِكُ غَدَاةَ بَدْرِ	لِفَسَافِ الْمَشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حَرَاءُ	بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الْغُرُوبِ
فَلَا قِيْنَاهُمْ مِنْهَا بَجَمْعٍ	كَأَسَدِ الْغَابِ مُرْدَانٍ وَشَيْبِ
أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ آزَرُوهُ	عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي لَفْحِ الْخُرُوبِ
بَأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٍ	وَكُلُّ مُجْرِبٍ مَاضِي الْكُعُوبِ ^(٤)
بَنُو الْأَوْسِ الْغَطَارِفِ وَازَرَتْهَا	بَنُو الْأَجَارِ فِي الدِّينِ الصَّلِيبِ
فَقَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيحًا	وَعُتْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ ^(٥)
وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا فِي رَجَالٍ	ذَوِي نَسَبٍ إِذَا نُسِبُوا حَسِيبِ

(١) ديوانه ١٤ (٢) الكُتَيْب : القطعة من الرمل . والوحى : الكتابة .

(٣) الوسمي : مضر الربيع ، والجون : السحاب الأسود .

(٤) الديوان : «فاطى الكموب» ، أى أن كموبه غليظة صلبة .

(٥) الجبوب : الأرض الغليظة .

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ كِبَاكِبَ فِي الْقَلْبِيبِ^(١)
 أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا وَأَمَرَ اللَّهُ بِأَخْذِ الْقُلُوبِ
 فَمَا نَطَقُوا ، وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا صَدَقْتَ وَكَفْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبٍ
 وَذَكَرَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ فِي دَلَالِهِ ، أَنَّ قَرِيشًا لَمَّا تَوَجَّهَتْ لِبَدْرٍ ، مَرَّهَا تَفٍّ
 مِنَ الْجَنِّ عَلَى مَكَّةَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَوْقَعَ بِهِمُ الْمَسَامُونَ ، وَهُوَ يُنْشِدُ بِأَنْفَذِ
 صَوْتٍ لَا يُرَى شَخْصُهُ :

أَرَادَ الْخَنِيفِيُّونَ بَدْرًا وَقِيعةً سَيْفَ قَضْمَارٍ كُنْ كَيْسَرِي وَقِيَصْرًا
 أَبَادَتْ رَجَالًا مِنْ لُؤَيٍّ وَأَبْرَزَتْ خِرَائِدَ قَصْرِ بَيْنِ التَّرَائِبِ حُسْرًا
 فَيَا وَبَيْحَ مَنْ أَمْسَى عَدُوًّا مُحَمَّدٍ لَقَدْ حَادَ عَنْ قَصْدِ الْهُدَى وَتَجَبَّرَا
 فَقَالَ قَائِلُهُمْ : مَنْ الْخَنِيفِيُّونَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى
 دِينِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيفِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جَاءَهُمُ الْخَبَرُ الْيَقِينُ .

وَقَالَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَشْعَارًا كَثِيرَةً فِي يَوْمِ بَدْرٍ ، مِنْهُمْ حَمْرَةُ بْنُ
 عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَكُتُبُ بْنُ مَالِكٍ أَخُو بَنِي سَلِمةَ ، وَضَرَارُ
 ابْنُ الْخَطَّابِ الْفِهْرِيُّ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .
 وَكَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ،
 سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ .

وَفِي الْمَثَلِ : « لَا فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ » ، أَوَّلَ مَنْ قَالَهُ أَبُو صَفْيَانَ لِبَنِي
 زُهْرَةَ ، لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى مَكَّةَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، فَلَقِيَهُمْ أَبُو صَفْيَانَ فَقَالَ : يَا بَنِي زُهْرَةَ
 أَنْتُمْ لَا فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ ، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

وَتَلَاخَى يَوْمًا خَالِدُ بْنُ يُزَيْدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فِي قِصَّةٍ
 فِيهَا طُولٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ لَخَالِدٍ : اسْكُتْ ، فَوَاللَّهِ مَا تُعَدُّ لَا فِي

(١) كِبَاكِبَ : جَمْعُ كَبْكَبَةٍ ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ .

العير ولا في النفير ، فقال خالد لعبد الملك : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل على الوليد وقال : وَيَحْكَمْ ! مَنْ فِي الْعِيرِ وَالنَّفِيرِ غَيْرِ جَدِّي أَبِي سَفْيَانَ صَاحِبِ الْعِيرِ ، وَجَدِّي صَاحِبِ النَّفِيرِ عُثْمَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، فَهَذَا الْمَثَلُ نَحْنُ أَصْلُهُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ . وَلَكِنْ لَوْ قُلْتُ : غَنِيَّاتٌ وَحَبِيلَاتٌ وَالطَّائِفُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ عُمَانَ ، لَقُلْنَا : صَدَقْتَ .

قلت : يَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْحُكْمِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَدَهُ إِلَى الطَّائِفِ ، فَكَانَ هُنَاكَ يَرَعَى غُنْيَاتٍ ، وَيَأْوِي إِلَى حَبَلَةٍ - وَهِيَ الْكَرْمَةُ - وَأَنَّ عُمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَدَّ الْحُكْمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ . وَشِبْهُ هَذَا الْمَثَلِ قَوْلُهُمْ : لَا فِي أَسْفَلِ الْقَدْرِ وَلَا فِي أَعْلَاهَا .

وَذَكَرْتُ هَاهُنَا بَيْتَيْنِ فِي مَلِيحٍ بَجَالٍ :
أَحْبَبْتُ بَجَالًا كَبْدَرِ الدُّجَى بِقَوْلِ لَمَّا عَادَ عَنْهُ السَّمِيرُ
لَا تَنْفَسِبُ يَوْمًا إِلَى عَشَقَتِي مَا أَنْتَ فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ
وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ يُحَرِّضُ قَرِيشًا بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، وَكَانَ يَرْتِي مِنْ قَتْلِ مَنْ قَرِيشَ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

مَاذَا بَبَذَرِ وَالْقَمَقْنَقِلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَعَّاجِجٍ ^(١)
وَهِيَ قَصِيدَةٌ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رِوَايَتِهَا .

* * *

٤١ - وَقَوْلُهُ : وَانْخَزَلْتُ بُلْثَ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ .

يَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْ سَكُولٍ رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا رَجَعَ مِنْ بَدْرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ قَتَلَ الْمُشْرِكُونَ وَأَبُو سَفْيَانَ إِلَى مَسَكَةٍ ، فِي رَجَالٍ مِّنْ أَصِيبِ آبَائِهِمْ وَأَبْنَاؤِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ يَوْمَ

بدر ، كَلِّمُوا أَبَا سَمِيَّانَ فِي ذَلِكَ ، وَقَالُوا مَنْ كَانَتْ لَهُ تِجَارَةٌ فِي تِلْكَ الْعِيرِ : إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَكُمْ ، وَقَتْلَ خِيَارِكُمْ ، فَأَعْيِنُوا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ ، لَعَلَّنَا نُدْرِكُ ثَارَنَا بِمَنْ أَصَابَ مِنَّنَا .

فَوَافَقُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَقَالُوا : نَحْنُ قَدْ طَابَتْ نَفُوسُنَا بِأَنْ تُجَهَّزُوا بِرَبْحِ هَذَا الْعِيرِ جَيْشًا إِلَى مُحَمَّدٍ - وَكَانَتْ أَلْفَ بَعِيرٍ ، وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارًا - فَتَسَلَّمَ أَهْلُ الْعِيرِ رُءُوسَ أَمْوَالِهِمْ ، وَأَخْرَجُوا أَرْبَاحَهُمْ ، وَكَانُوا يَرْجُونَ فِي تِجَارَتِهِمْ فِي كُلِّ دِينَارٍ دِينَارًا ، وَحَزَرُوا لِذَلِكَ مَنْ أَطَاعَهُمْ مِنَ الْقَبَائِلِ ، وَخَرَجُوا بِجَدْمِهِمْ وَعَبِيدِهِمْ وَأَحْيَائِهِمْ ، وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ ، وَخَرَجُوا بِالطَّمُنِ التَّمَّاسِ الْحَفِيفَةِ^(١) . وَالْأَثَرُ يَفْزُوا .

وَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي مَنَاقِبِهِ بَقَرًا يُذْبَحُ ، وَرَأَى فِي ذُبَابٍ سَيْفَهُ تَلْمَأُ ، وَأَنَّهُ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ : فَأَوْهَلَهَا أَنَّ الْبَقَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقْتَلُونَ ، وَالتَّلْمُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يُقْتَلُ ، وَالذَّرْعُ الْحَصِينَةُ الْمَدِينَةُ . فَقَصَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَذَكَرَ التَّأْوِيلَ لَهُمْ ، وَقَالَ : « فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا » . وَكَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُوَافِقًا لِرَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ فَاتَهُ يَوْمَ بَدْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا ، لَا يَرَوْنَ أَنَّا جَبَنَّا عَنْهُمْ وَضَعَفْنَا . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقِمْ بِالْمَدِينَةِ وَلَا تَخْرُجْ مِنْهَا ، فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوِّ لَنَا إِلَّا أَصَابَ مِنَّنَا ، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَبْنَا مِنْهُ .

وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَخَلَ فَلَيْسَ لَأُمَّتِهِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ، وَخَرَجَ النَّاسُ وَقَدْ نَدِمُوا ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَكَرْ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَقْمِدْ ، فَقَالَ

(١) الطَّمُنُ : جَمْعُ طَمِينَةٍ ؛ وَهِيَ الْمَرَأَةُ فِي الْيُودِجِ . وَالْحَفِيفَةُ : الْأَثَرُ وَالْعُضْبُ .

صلى الله عليه وسلم : « ليس للنبي إذا ليس لأُمَّته ^(١) أن يَصْعَها حتى يُقَاتِلَ » .
 فخرج في ألف من أصحابه ، حتى إذا كنوا بين المدينة وأحد ، انحَزَلَ عنه عبدُ الله
 ابن أبي بَثْثَ الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علامَ نَقْتُلُ أنفُسنا
 هاهنا أيها الناس ! ورجع عن اتبعه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبدُ الله
 ابنُ عمرو بن حرام يقول : يا قوم ، اذْكُرْكم الله ألاَّ تَخْذُلُوا قَوْمَكُمْ وَبُيُوكُمْ
 عند مَنْ حضر من عدوِّهم ! قالوا : لو نعلم أنكم تُقاتلون لما أسلمناكم ، وأبوا
 عليه ، واستعصَوْا ، فقال : أبعدكم الله ؛ أعداء الله ، فسيُفني الله نبيَّه عنكم !
 ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى سَلَكَ في حَرَّةِ بنى حارثة ، فذَبَّ
 فرسَ بَذَنبِه ^(٢) فأصاب كَلَّابَ سيفِ استَلَّه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
 « شِمَّ سَيْفُكَ ؛ فَإِنِّي أَرَى السُّيُوفَ سَتُسَلَّ الْيَوْمَ » .

ونَهَبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القتال وهو في سبعمائة رجل ،
 وأَمَرَ على الرماة عبدَ الله بنَ جُبَيْر ، أَخا بنى عمرو بنِ عوف ، وهو مُعَلِّم
 يومئذ بثيابٍ بِيض ، والرماة خمسون رجلا ، فقال : انْضَحْ ^(٣) الخيلَ عِنا
 بالتَّبَل ، لا يأتونا من خَلْفِنَا إِن كانت لِنَا أو عَلِمْنَا ، اثْبُتْ مَكَانَكَ لَا تُؤْتِيَنَّ
 مِنْ قِبَلِكَ . وظاهر ^(٤) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ، ودفع اللِّوَاءَ
 إلى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ أَخِي عَبْدِ الدَّارِ .

وتعمَّات قريش وهم على ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فرس قد جَنَّبُوها ^(٥) ، وخالد
 ابن الوليد على مِئْمَنَةِ الخيل ؛ وعلى اللَّيْسَرَةِ عِكرمة بنُ أبي جهل ؛ واقتتل

(١) الأُمَّة : الدرع

(٢) ذب فرس بَذَنبِه : حرك ذنبه ليَطِيرَ عنه الدباب .

(٣) انضحوا الخيل : ادفعوهم

(٤) ظاهر بين درعين : ابس درعا فوق درع .

(٥) جَنَّبُوها : هادوها .

الناس، حَتَّى حَمَيْتِ الْحَرْبَ . وَقَاتَلَ حَمْزَةُ عُمُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِتَالًا شَدِيدًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَكَانَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ قَدْ وَعَدَ غَلَامَهُ وَحْشِيًّا بِالْعِتْقِ إِنْ قَتَلَ حَمْزَةَ . قَالَ وَحْشِيٌّ : فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ - وَكُنْتُ رَجُلًا حَبَشِيًّا ؛ أَقْدَفُ الْحَرْبَةَ قَذْفَ الْحَبْشَةِ قَلَمًا أَخْطَى ؛ - فَلَمَّا التَقَى النَّاسُ خَرَجْتُ أَنْظُرَ حَمْزَةَ حَتَّى رَأَيْتُهُ فِي عُرْضِ النَّاسِ مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ ؛ يَهْدِدُ النَّاسَ بِسَيْفِهِ ^(١) هَدًّا ؛ مَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ ؛ فَجَعَلْتُ أُسْتَتِرُ مِنْهُ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ ؛ حَتَّى مَرَّ عَلَيَّ ، فَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا قَدْ قَتَلْتُهَا فَوَقَعْتُ فِي ثُلْمَتِهِ حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رِجْلِهِ . ثُمَّ إِنَّ وَحْشِيًّا أَسْلَمَ بِنِيَابَةٍ بَعْدُ ؛ فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِسْلَامَهُ بَعْدَ مَا حَدَّثَهُ كَيْفَ قَتَلَ عَمَّهُ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ! غَيَّبَ وَجْهَكَ عَنِّي . وَكَانَ وَحْشِيٌّ بِمَوْضِعٍ لَا يَرَاهُ إِلَى أَنْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ثُمَّ إِنَّهُ قَتَلَ مُسَيْلِمَةَ بِحَرْبَتِهِ تِلْكَ ، وَكَانَ يَقُولُ : قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ وَثَمَرَ النَّاسِ ، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَاتَلَ مُصَهَّبُ بْنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَفَعَهَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ رَايَةِ الْأَنْصَارِ ، وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَصَدَّقَهُمْ وَعْدَهُ ، بَعْدَ مَا حَمَلَتْ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . وَلَمَّا أَبْصَرَ الزُّمَامَةُ الْخَمْسُونَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ لِإِخْوَانِهِمْ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا نَجْلِسُ هُنَا ، قَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ الْمَدَنِيَّ ، وَإِخْوَانُنَا فِي عَسْكَرِ الْمُشْرِكِينَ ! فَتَرَكُوا مَقَامَ لِهْمِ الَّتِي عَاهَدُوا إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآلَ يَتْرَكُونَهَا وَتَنَازَعُوا وَفَشِلُوا ، وَعَصَوْا الرَّسُولَ ، فَأَوْجَفَتْ الْخَيْلُ فِيهِمْ قِتْلًا ، وَلَمْ تَكُنْ تَقَالُ مِنْهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِهَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ لَهُمْ ، وَصَرَخَ صَارِخٌ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، وَكَانَ الصَّارِخُ الشَّيْطَانُ ، وَخَلَصَ الْمَدُونُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقُدِفَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى وَقَعَ لِسْقَهُ ، فَأَصِيبَتْ رُبَاعِيَتُهُ

(١) يَهْدِي النَّاسَ : يَهْدِيهِمْ .

وَكَلِمَتِ شَفَقَتُهُ ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ ، وَجَعَلَ الدَّمُ يُسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ ؛ فَجَعَلَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ الدَّمَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ : « كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ
نَبِيِّهِمْ بِدَمِهِ ! ؛ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ » ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : ﴿ لَيْسَ لَكَ
مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ^(١) .

وَكَانَ الَّذِي جَرَحَ شَفَقَتَهُ ؛ وَكَسَرَ رِبَاعِيَّتَهُ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ . وَشَجَّهَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شُهَابٍ الزُّهْرِيُّ فِي وَجْهِهِ ، وَجَرَحَ ابْنَ قُمَيْتَةَ وَجَنَّتَهُ ؛ فَدَخَلَتْ حَلَقَتَانِ
مِنْ حَلَقِ الْمَغْفَرِ فِي وَجَنَّتِهِ ؛ وَوَقَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَفْرَةٍ مِنْ الْخُفَرِ الَّتِي
عَمَلَهَا أَبُو عَامِرٍ لِيَقَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ . فَأَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِيَدِهِ
وَرَفَعَهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ حَتَّى اسْتَوَى قَائِمًا . وَمَصَّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ وَالِدُ
أَبِي سَمِيدٍ الْخُدْرِيُّ الدَّمَ مِنْ وَجْهِهِ ثُمَّ اِزْدَرَدَهُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« مَنْ خَالَطَ دَمَهُ دَمِي لَمْ تُصَيِّبْهُ النَّارُ » . وَنَزَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِحْدَى الْحَلَقَتَيْنِ مِنْ وَجْهِ
الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَقَطَتْ نَثْيَتُهُ . ثُمَّ نَزَعَ الْأُخْرَى فَسَقَطَتْ
نَثْيَتُهُ الْأُخْرَى .

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا حَرَصْتُ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ قَطُّ
حَرَصِي عَلَى قَتْلِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ - وَهُوَ أَخُوهُ . وَلَمَّا غَشِيَهُ الْقَوْمُ ، قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ رَجُلٌ يَشْتَرِي لِنَا نَفْسَهُ ؟ » ، فَقَامَ زِيَادُ بْنُ
السَّكَنِ فِي خَمْسَةِ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عِمَارَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ -
فَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا بَعْدَ رَجُلٍ ، يُقَتِّلُونَ دُونَهُ حَتَّى
كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادٌ أَوْ عِمَارَةُ ؛ فَقَاتَلَ حَتَّى أَتَخَنَّقَهُ الْجُرَاحَةُ . ثُمَّ فَاَتَتْ ^(٢) فَتَةٌ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ فَأَجْهَضُوهُمْ ^(٣) عَنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَدْنُوهُ مِنِّي » .
فَوَسَدَ قَدَمُهُ ، فَمَاتَ وَخَذَهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَتَرَمَسَ

(١) أَجْهَضُوهُمْ : أَزَالُوهُمْ .

(٢) فَاتَتْ : رَجَعَتْ

(٣) آلُ عِمْرَانَ ١٢٨

أبو دُجَانَةَ الْأَنْصَارِيُّ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَقِعَ النَّبَلُ فِي ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنَحْنٍ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبَلُ .

وَرَحَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ قَوْسِهِ ، حَتَّى انْدَقَتْ سَيْتُهَا ، وَأَصِيبَتْ يَوْمُهُ عَيْنُ قَتَادَةَ ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بَعْدَ أَنْ سَالَتْ عَلَى خَدِّهِ ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِيهِ وَأَنْظَرَاهَا ، وَجُرِحَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْفٍ عَشْرُونَ جِرَاحَةً ، وَهُشِمَ فَمُهُ .

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِأَنَّهُ قَدْ قُتِلَ ، كَذَبَ بَنُ مَالِكِ الْأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : عَرَفْتُهُ بِعَيْنِيهِ تَزْهَرَانُ^(١) تَحْتَ الْمَغْفَرِ ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَنْصَتَ . وَلَمَّا عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ نَهَضُوا بِهِ ، وَنَهَضَ مَعَهُمُ نَحْوُ الشَّعْبِ ، مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَالْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ وَرَهْطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَأَمَّا أَسْمَدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّعْبِ ، أَدْرَكَهُ أَبِي بَنُ خَلْفٍ وَهُوَ يَقُولُ : أَيْنَ مُحَمَّدٌ ؟ لَا نَجُوتُ إِلَّا نَجَا ! فَقَالَ الْقَوْمُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَبْعَاطُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا ؟ فَقَالَ : دَعُوهُ ، فَلَمَّا دَنَا تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُرْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَّةِ ، وَانْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً تَطَايَرُ عَنْهُ النَّاسُ تَطَايُرَ الشَّعْرَاءِ^(٢) عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ بِهَا فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَاعَى مِنْهَا عَنْ فَرْسِهِ . وَكَانَ أَبِي يُبَايِعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، عِنْدِي فَرَسٌ أَغْلِقُهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا^(٣) مِنْ ذُرَّةٍ أَقْتُلُكَ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ وَقَدْ خُدِشَ فِي عُنُقِهِ خَدَشًا غَيْرَ كَبِيرٍ ، فَقَالَ : قَتَلَنِي مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ لَهُ : ذَهَبَ وَاللَّهِ فَوَادُكَ ، وَاللَّهِ مَا بَكَ مِنْ بَأْسٍ ، قَالَ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ

(١) تَزْهَرَان : تَضِيئَان . (٢) الشَّعْرَاء : ذَبَابٌ لَهُ لَذَعٌ .

(٣) الْفَرَق : نَوْعٌ مِنَ الْمَسْكِيلِ .

قال لي بكّة : أبا أفتأتك فوالله لو بصق عليّ لفتّاني ، فأت بـسرف^(١) وهم قائلون به . وعأت عالية من قریش ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني لا ينبغي لم أن يفتنونا ، فقاتل عمرُ ورهطُ من المهاجرين حتى أهبّطوهم ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ قاعداً من الجراحة ، وصلى للمسلمون حلقه قودا .

وفي الصحيح من حديث البراء ، أن أبا سُفيان قال : إن لنا العِزَّ ولا عِزَّ لكم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجيئوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : « الله مولانا ولا مولى لـكم » .

وفيه أيضا أن أبا سُفيان أشرَف فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : لا تجيئوه . فقال : أفي القوم ابنُ أبي قُحافة ؟ قال : لا تجيئوه . قال : أفي القوم ابنُ الخطّاب ؟ فلمّا لم يجيئه أحد قال : إن هؤلاء قد قُتِلوا ، ولو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمرُ نفسه ، فقال : كذبت يا عدوّ الله ، قد أبقى لك ما يُخزيك ، فقال أبو سُفيان : هلمّ إليّ يا عمر ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : آتِه فانظر ما شأنه ، فجاءه ، فقال له أبو سُفيان : أنشدك الله يا عمر ! قتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإني به بسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندي من ابنِ قُتَيْبَة وأبرّ .

وأنصَرَف أبو سُفيان ومن معه ، وقال : موعِدكم بدّر للعام القابل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل : نعم ، هو بيننا وبينك موعِد » . وتوجّه المشركون إلى مكّة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة في القتلى ، فوجده ببطن الوادي ، قد بُقِر بطنه عن كبده ، وجُدِعَ أنفه وأذناه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى ما رأى : « لولا أن تحزن

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

صفية ، وتكون سنة من بعدى ، لركته حتى يكون فى بطون السماع وهو اصل الطير ، واثن أظهر فى الله على قريش فى موطن من المواطن لأئمة ثلاثين رجلا منهم » ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصّابرين * واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما ينكرون ﴾ (١) .

فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصبر ونهى عن المثلة ، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسجى بريدة حبرية ، ثم صلى عليه ، فكبر سبع تكبيرات . ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى جنب حمزة ، وصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى اثنتين وسبعين صلاة .

وأنصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة راجعا ، وكان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ، سنة ثلاث من الهجرة ، وكان لما أنزل الله عز وجل من القرآن فى شأن أحد ستون آية من آل عمران ، فى طاعة من أطاع ونفاق من نافق وصفته . واستشهد من المسلمين فى يوم أحد من المهاجرين أربعة ، ومن الأنصار أحد وستون رجلا ، وقتل من المشركين اثنتان وعشرون رجلا .

وقال حسّان بن ثابت يحب عبد الله بن الزبعرى عن كلمة قالها يومئذ ، وهو مشرك قبل إسلامه :

أشافتك من أمّ الوليد ربوع	بلاقم ما من أهلين جميع ^(٢)
عفاهن صيفى الرياح وكف ^(٣)	من الدلو رجاف السحاب هموع ^(٤)
فلم يبق إلا موقد النار حوله	رواكد أمثال الحمام كنوع ^(٥)

(٢) ديوانه ٢٥٧ .

(٤) الدلوها : برج من بروج السماء .

(١) سورة النحل ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الديوان : صيفى الربيع .

(٥) الديوان : « وقوع » .

فَدَعْ ذَكَرَ دَارٍ بَدَّدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا نَوَى فَرَّقَتْ بَيْنَ الْجَمِيعِ قَطْلُوعُ
وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمًا بِأَحَدٍ يَبْعُدُهُ سَقِيهْ فَإِنَّ الْحَقَّ سَوْفَ بِشَمِيعُ
فَقَدْ صَابَرَتْ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلِّهِمْ

وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرُ هُنَاكَ رَفِيعُ
وَحَامِي بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَصَابَرُوا ^(١) وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي لِقَاءِ جَزُوعِ
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَخْذُلُونَهُ لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعُ
وَفَرُّوا إِذَا كَفَرْتُمْ يَا سَخِيرَ بَرِّكُمْ وَلَا يَسْتَوِي عَبْدٌ عَصَا وَمُضْمِيعُ ^(٢)
بَأَيْدِيهِمْ بِيضٌ إِذَا حَمَشَ الْوَغَى ^(٣) فَلَا بَدَّ أَنْ يَرْدَى لَهُنَّ صَرِيعُ
كَمَا غَادَرَتْ فِي النَّقْعِ عَقَبَةٌ ثَاوِيَا ^(٤) وَسَعْدًا صَرِيحًا وَالْوَشِيحُ شُرُوعُ ^(٥)
وَقَدْ غَادَرَتْ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ مُسْنَدًا أَبْيَا وَقَدْ بَلَ الْقَمِيصِ نَجِيعُ ^(٦)
بَكْفٍ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى تَلْفَفَتْ عَلَى الْقَوْمِ تَمَّا قَدْ يُبْزَنُ نَقُوعُ
أُولَئِكَ قَوْمٌ سَادَةٌ مِنْ فُرُوعِكُمْ وَفِي كُلِّ قَوْمٍ سَادَةٌ وَفُرُوعُ
بَيْنَ يَمِينِ اللَّهِ حِينَ يُعِزَّنَا وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ يَاسَخِينُ فَطَظْمُ
فَإِنْ تَذَكَّرُوا الْقَتْلَى وَحِمَزَةَ فِيهِمْ فَتَمِيلُ نَوَى اللَّهِ وَهُوَ مُطْمِيعُ
فَإِنَّ جَنَابَ الْخُلْدِ مَنَزَلَةٌ لَهُ وَأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيعُ
وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ حَبِيبٌ مِمَّا فِي جَوْفِهَا وَضَرِيعُ ^(٧)

(١) الديوان : « وضاربوا » . (٢) الديوان : « سخين » ، أصله سخينة ، والسخينة : حساء يتخذ من دقيق وتمر ، وكانت قريش تكثر من أكلها ، فسميت به على طريق الزبر .
(٣) حش الوغى : اشتد وقوى . (٤) الديوان : « عثمان ثاويا » .
(٥) الوشيح : الرماح ، وشروع : مائلة للظعن . (٦) العجاجة : القبرة . والنجيع : الدم .
(٧) الحميم : الحار ، والضريع : نبت بالحجاز ذو شوك .

٤٢ - وقوله : وتَخَلَّفْتُ عن صَلَاةِ الْعَصْرِ في بنى قُرَيْظَةَ .

يشير بذلك إلى مَنْ تَخَلَّفَ عن صَلَاةِ الْعَصْرِ في بنى قُرَيْظَةَ ، لأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما انصَرَفَ عن الْخَلْدَقِ راجعاً إلى المدينة ، والمسلمون معهم وقد عَصَوْهُمُ الْحِصَارَ ، ورجعوا مجبورين ، فوضعوا السِّلَاحَ ، فلما كان وقت الظُّهْرِ أتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم معجراً بهيئةٍ من إِسْتَبْرَقٍ^(١) ، على بَغْلَةٍ عليها رِحالَةٌ ، وعليها قُطَيْفَةٌ من دِيبَاجٍ ، فقال : غَفَرَ اللهُ لَكَ ، أَوْقَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ يا رسولَ الله ؟ قال : نعم ، قال جبريل : فما وَضَعْتَ الْمَلَأْسَكَةَ السِّلَاحَ بعد ، وما رَجَعْتَ الْآنَ إِلَّا من طَلَبِ الْقَوْمِ ، إِنَّ اللهَ بِأَمْرِكَ ، يا محمد بالمَسِيرِ إلى بنى قُرَيْظَةَ .

فقدَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بَنِ أَبِي طَالِبٍ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ - بِرَأْيَتِهِ إلى بنى قُرَيْظَةَ ، وأبتَدَرَهَا النَّاسُ ، فسار على رِضَى الله عنه حتَّى إذا دَنَا من الْحِصُونِ ، سَمِعَ منها مَقَالََةً قَبِيحَةً على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتَّى لَقِيَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بالطَّرِيقِ ، فقال : يا رسولَ الله ، لَا عَلَيْكَ إِلَّا تَدْنُو من هؤلاء الْأَخَابِثِ . قال : « لَمْ ؟ أَظَنَّاكَ سَمِعْتَ لى مِنْهُمْ أذى ؟ » قال : نعم ، قال : « لَوْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا من ذَلِكَ شَيْئاً » . ولما دَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من حِصُونِهِمْ قال : « يَا إِخْوَانَ الْفِرْدَةِ ، هَلْ أَخْزَاكُمُ اللهُ ، وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ ؟ » قالوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، مَا كُنْتَ جَهُولاً .

ومَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنَفَرٍ من أَصْحَابِهِ في طَرِيقِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلى بنى قُرَيْظَةَ ، فقال : « هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ ؟ » قالوا : يا رسولَ الله ، مَرَّ بِنَا

(١) الاعتجار : أن يعمم الرجل دون أن يلحق ، أى من غير أن يضم من عمامته شيئاً تحت لحية . والإستبرق : نوع من الحرير .

دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ عَلَى بَغْلَةٍ بَيْضَاءَ عَلَيْهَا رَحَالَةٌ ، وَعَلَيْهَا قَطِيفَةٌ مِنْ دِيْبَاجٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَلِكَ جَبْرِيلُ ، يُبَشِّرُ إِلَى بَنِي قُرَيْبَةَ يُزِيلُ بِهِمْ حَصُونَهُمْ ، وَيَقْذِفُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ » .

وَتَلَاَحَقَ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَى رَجُلًا مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ لَمْ يُصَلُّوا الْعَصْرَ ، لَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَصَلِّتَيْنِ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْبَةَ » ، فَصَلُّوا الْعَصْرَ بِهَا مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ ، فَمَا عَابَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ ، وَلَا عَنَّفَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَقِيلَ : إِنَّ الْعَصْرَ أَدْرَكَتْ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ ، فَصَلَّاهَا بَعْضُهُمْ ، وَلَمْ يَصَلِّهَا بَعْضُهُمْ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْبَةَ بَعْدَ أَنْ غَابَتِ الشَّمْسُ ، وَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يُعْنَفْ أَحَدًا مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ .

وَحَامَرِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي قُرَيْبَةَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً حَتَّى جَاهَدَهُمُ الْخِصَارُ ، وَقَدْ قُذِفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ . ثُمَّ لَانَهُمْ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَحْرَزُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ^(١) .

* * *

٤٣ — وقوله : وَجِئْتُ بِالْإِفْكِ عَلَى عَائِشَةَ الصَّدِيقِيَّةِ

يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى وَاقِعَةِ الْإِفْكِ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَقْبَلَ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي الْمُضْطَلِقِ حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ ، قَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ فِي الصَّدِيقِيَّةِ الْمَطْهَرَةِ الْبَرَّةِ مَا قَالُوا . وَحَدِيثَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ السَّفَرَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ ، فَأَتَيْنَهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي الْمُضْطَلِقِ خَرَجَ سَهْمِي عَلَيْنَّ مَعَهُ ، فَخَرَجَ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم ، وكان النساء إذ ذاك خيفاً ؛ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعَلَقَ ^(١) ، لم يُهَيِّجَنَّ اللَّحْمَ
فِيَقْتَنَ . وكنت إذا رُحِّلَ لي بميري جلستُ في هُودَجِي ، ثمَّ يَأْتِي الْقَوْمُ
وَيَحْمَلُونِي ؛ يأخذون بأسفل الهُودَجِ ويرفعونه ، ويضعونه على ظهر البعير ،
فيشدُّونه بحباله ، ثمَّ يأخذون برأس البعير وينطلقون به . فلما فرَّغ رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجَّه قاهلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة
نزل منزلاً ، فبات به بمض الليل ، ثمَّ أذن في الناس بالرحيل ، فأرتحل
الناس ، وخرجتُ لبعض حاجتي ، وفي عُنُقِي عِقْدٌ لِي فِيهِ جَزْعٌ ظَفَارِي ، فلما
فرغت انسلتُ من عُنُقِي ولأدري ، فلما رجعتُ إلى الرَّحْلِ ذهبتُ أَلْتَمِسُهُ فِي
عُنُقِي فلم أجده ، وقد أخذ الناسُ في الرَّحِيل ، فرجعتُ إلى مكاني الَّذِي
ذهبتُ إليه فُالْتَمِسْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُهُ ، وجاء القومُ الَّذين كانوا يرحلون لي
البعير ، وقد فرَّغوا من رحلته ، فأخذوا الهُودَجَ ، وهم يظنون أنَّني فيه
كما كنتُ أصنع ، فاحتملوه وشدُّوه على البعير ، ولم يشكوا أنَّني فيه . ثمَّ أخذوا
برأس البعير وأُظْلَقُوا بِهِ ، ورجعتُ إلى المعسكر وما فيه من داعٍ ولا محجب .
فتلقتُ بحبابي ، ثمَّ اضْطَجَعْتُ فِي مَكَانِي ، وَعَرَفْتُ أَنَّ لَوْ أَفْتَقَدْتُ
لُرَجِّعَ إِلَيَّ . فوالله إِنِّي لُضْطَجِعْتُ إِذْ مَرَّ بِي صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِ السَّامِيُّ . وكان
قد تخلف عن المعسكر لبعض حاجاته ، فلم يَبْتَ مع الناس - فرأى سَوَادِي ،
فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ ، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْنَا الْحِجَابُ ، فَلَمَّا
رَأَنِي قَالَ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! طَعِينَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ !
وَأَنَا مُتَلَفِّفَةٌ فِي ثِيَابِي . ثمَّ قَالَ : مَا خَلَّفَكَ ، رَحِمَكَ اللَّهُ ! قَالَتْ : فَمَا كَلَّمْتُهُ ،
فَقَرَّبَ الْبُعِيرَ ثُمَّ قَالَ : ارْكَبِي ، واستأخر عني فركبتُ ، وأخذَ برأس البعير
وَأُظْلِقَ سَرِيعاً يَطْلُبُ النَّاسَ ، فوالله ما أدركنا الناس ، ولا أَفْتَقَدْتُ حَتَّى
أَصْبَحْتُ ، وَنَزَلَ النَّاسُ ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّنَا طَلَعَ الرَّجُلُ يَقودُنِي فَقَالَ أَهْلُ الْإِهْلِكِ

(١) العلق ، جمع علقه ، وهي ما فيه بلعة من الطعام إلى وقت الغذاء ؛ تريد أن طماهن كان قليلاً .

ما قالوا ، فارتجّ الصكر ، والله ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدِمنا للدينة ، فلم ألبث أن اُشْتُكيتُ شَكْرَى شديدة ، ولا يُلْفَنِي من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديثُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي موسى ، ولا يذْكَرُ أن لي منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنني قد أنكرتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم بهِضَ أُطْفِه بي ، كنتُ إذا اُشْتُكيتُ رَجِمَنِي وَلَطَفَ بي ، فلم يفعل بي ذلك في شكواي تلك ، فأنكرتُ ذلك منه ، وكان إذا دخل على وعندي أُمِّي تَمَرَّضَنِي قال : كيف تَبِكُكُمْ ؟ لا يزيد على ذلك ، حتى وَجَدْتُ في نفسي حين رأيتُ ما رأيتُ من جَفائِهِ ، فقلت : يا رسول الله ، لو أذنت لي فَأَنْتَقَلْتُ إلى أُمِّي فَمَرَّضَتْنِي ! قال : لا عليكِ ، قالت : فانتقلتُ إلى أُمِّي ، ولا علم لي بشيء مما كان حتى نَقِهْتُ من وجعِي بَمَدِّ بَضْعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ؛ وَكُنَّا قَوْمًا غُرَبَاءَ ، لَا نَتَّخِذُ فِي بُيُوتِنَا هَذِهِ السُّكُنُفَ الَّتِي تَتَّخِذُهَا الْأَعَاجِمُ ، نَعَاظُهَا وَنَكْرَهُهَا ، إِنَّمَا كُنَّا نَذْهَبُ فِي فُسْحِ الْمَدِينَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ النِّسَاءُ يَخْرُجْنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي حَوَائِجِهِنَّ ، فَخَرَجْتُ لَيْلَةً فِي بَعْضِ حَوَائِجِي ، وَمَعِيَ أُمُّ مِسْطَحَ ^(١) ، فَلَمَّا فَرَّغْنَا مِنْ شَأْنِنَا وَأَقْبَلْتُ ، عَثَرْتُ أُمَّ مِسْطَحَ فِي مِرْطِهَا ^(٢) ، فَقَالَتْ : تَعِسَ مِسْطَحُ ! قَالَتْ : فَقَالَتْ : بئس ما قَلَّتْ لِرَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ! قَالَتْ : أَوْ مَا بَلَغَكَ الْخَبْرُ يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : وَمَا الْخَبْرُ ؟ فَأَخْبَرَتْنِي بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْإِنْفَكِ . قَالَتْ : قُلْتُ : أَوْ كَانَ هَذَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَقْضِيَ حَاجَتِي وَرَجَعْتُ ، فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَبْكِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ الْبِكَاءَ سَيَصْدَعُ كَبِدِي ، وَقُلْتُ لِأُمِّي : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ! تَحَدَّثَ النَّاسُ بِمَا تَحَدَّثُوا بِهِ وَلَا تَذْكُرِينَ لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ! قَالَتْ : أَيْ بُدَيْتِي ؛ خَفَضَ عَلَيَّ الشُّانَ ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ أَمْرًا حَسَنًا عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا ، وَلَهَا ضَرَارَتٌ ، إِلَّا أَكْثَرْنَ وَأَكْثَرَ النَّاسُ عَلَيْهَا !

(٢) المرط : الكساء .

(١) أم مسطح كانت خالة أبي بكر الصديق .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحق ! والله ما علمت منهم إلا خيرا ! ويقولون ذلك في رجل ، والله ما علمت منه إلا خيرا ، وما يدخل بيتنا من بيوتى إلا وهو ممي » . قالت : وكان كبير ذلك عند عبد الله بن أبي ، في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمئة بنت جحش — وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة ، ثم أصبني في المنزلة عنده غيرها . فأما زينب فعمها الله بدنيها ، فلم تقل إلا خيرا ، وأما حمئة فأشاعت بذلك ما أشاعت تضادني لأختها — فسقيت بذلك . فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قام أسيد بن حضير ، فقال : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكمهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فؤرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم . فقام سعد بن عبادة فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ! أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين . قالت : وتناور^(١) الناس حتى كاد يكون بين هذين الحليين من الأوس والخزرج شر .

قالت : ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا علي بن أبي طالب وأسماءة بن زيد واستشارهما . فأما أسماءة فأثني على خيرا ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ، ولا نعلم إلا خيرا ، وهذا الكذب والباطل . وأما علي فإنه قال : يا رسول الله ، إن النساء لكثير ، وإنك لتقدر أن تستخلف ، وسل الجارية ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها ، فقام لها علي وهو يقول :

(١) تناور الناس ، أي تار بعضهم إلى بعض .

أصدق رسول الله ، فقالت : والله ما أعلم إلا خيرا ، وما كنت أعيبُ على عائشة شيئا ؛ إلا أتى كنت أعجبن عجيبى ؛ فأمرُها أن تحفظه ففنام عنه ، فتأتى الشاةُ فتمأكله .

— قلتُ : نقلتُ من خطِّ الشيخ شمس الدين محمد بن قيم الجوزية : أنَّ بريرةَ إنما اشترتها عائشةُ وأعتقتها بعد ذلك —

قالت : ثمَّ دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى أبواى ، وعندى امرأةٌ من الأنصار ، وأنا أبكى وهى تبكى معى ، فجلس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمَّ قال : يا عائشة ؛ إنَّه قد كان ما بَلَغَكَ من قولِ الناس ، فاتَّقى الله ، فإن كنتِ قارفتِ^(١) سوءا ، ممَّا يقول الناسُ فتُوبى إلى الله ، فإنَّ الله يقبلُ التوبةَ عن عباده . قالت : فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص^(٢) دمعى حتى ما أحسَّ منه شيئا ، وانتظرتُ أبوى أن يُجيئَا عنى رسول الله فلم يتكَلَّما .

قالت : وأيمُ الله لأنَّا كنْتُ أحقرَ فى نفسى وأصغرَ شأنًا من أن يُنزلَ اللهُ فى قرآننا يُتلى فى المساجد ، ويصلى به ؛ واسكن كنت أرجو أن يَرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومِهِ شيئا يكذبُ الله به عَنى ، وبما يَعلَم من برأتى ، أو يخبر خبراً ، فأَمَّا قرآننا ينزله الله فى : فوالله كَلَفْتُ كَانَتْ عندى أحقرَ من ذلك .

قالت : فلمَّا رأيتُ أبوى لم يتكَلَّما ، قلتُ لها : ألا تُجِيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه ! قلت : والله ما أعلم أهلَ بَيْتٍ دخل عليهم ما دخل على آلِ أبى بكرٍ فى تلك الأيام ! فلَمَّا استعْجَبَا على استعْجَبْتُ فبكيتُ ، ثم قلت : والله ما أتوبُ إلى الله مَسَا ذَكَرُوا أبداً ، والله إِنى لأَعْلَمُ لئن أقررتُ بما يقول الناسُ - والله يَعلَمُ أنى بريئة منه - لأفوان ما لم

(١) فارفت سوءا ، أى أتيت ذنباً . (٢) قلص الدمع : ارتفع .

يكن ، ولئن أنا أنكرتُ ما يقولُ الناسُ لا تصدَّقوني . ثمَّ التمسْتُ اسمَ يعقوبَ فما ذكرته . فقلتُ : ولكنى أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ .

قالت : فوالله ما برح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ، حتَّى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بشوبه ، ووُضعتْ له وِسادةٌ أدَمَ تحت رأسه . فأما أنا حينَ رأيتُ من ذلك ما رأيتُ ، فوالله ما فزعت ولا باليت ، قد عرفتُ أنى بريئةٌ ، وأنَّ اللهَ غيرُ ظالمٍ ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ما سُرِّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتَّى ظننتُ اتخرجن أنفسها فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، ثم سُرِّى عن رسول الله وجلس ، وأنه ليمتدِّر منه مثلُ الجُمان فى يومٍ شاتٍ ، فجعلَ يمسح العرق عن جبينه ويقول : أبشرى يا عائشة ، قد أنزل الله على من القرآن فى ذلك .

ثم أمرَ بسطح بنِ أئانة وخمئة بنت جحش وحنان بن ثابت — وكانوا ممَّن أفصح بالفاحشة — فضرَبوا حدَّهم . قال الله تعالى : ﴿ إنَّ الذين جاءوا بالإفك عُصبةٌ منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل أمرىء منهم ما اكتسب من الإثم والأذى تولى كibre منهم له عذابٌ عظيم ﴾ (١) .

قيل : إنَّه حسنُ وأصحابه ، ثم قال : ﴿ لو لا إذ سمعتموه ظنَّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفكٌ مبين ﴾ . أى هلا قُلتم إذ سمعتموه كما قال أبو بَ الأَنْصارى ، وصاحبه أم أيوب — وذلك أنَّها قالت لزوجها : يا أبا أيوب ، ألا تسمع ما يقول الناسُ فى عائشة ؟ فقال : بلى ،

(١) سورة النور ١١ ، وما بعدها .

ذلك الكذب ، أكننت يا أم أيوب فاعلمته ؟ قالت : لا والله ، ما كننت لأفعله . قال : فعائشة والله خير منك — ثم قال تعالى : ﴿ إِذْ نَلَقَوْهُ بِالْأَيْدِيكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

فلما نزل هذا في عائشة قال أبو بكر — وكان يُنفق على مسطح لقربته وحاجته : والله لا أنفق على مسطح أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذي قال في عائشة ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ : فقال أبو بكر رضى الله عنه : بلى والله ، إني والله لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان يُنفقها عليه ، وقال : والله لا أنزعها عنه أبداً .

وكان حسان قد عرض بصنوان بن المعطل بقوله :

أمسى الجلابيبُ قد عزّوا وقد كثروا

وأبن الفريعة أمسى بيضة البلد^(١)

فلما بلغ ذلك صنوان أعترض حسان فضره بالسيف ، ثم قال :

تلق ذباب السيفِ عنك فإنني غلامٌ إذا هوجيت لست بشاعر^(٢)

قالت عائشة : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا عائشة أما والله ، فقد برأك ؛ فقالت أمي : قومي إياه يا عائشة ، فقالت : والله لا قت إليه ، ولا أهد إلا الله .

(١) ديوانه ١٠٤ . والجلابيب : جمع جلباب ، وهو الإزار ؛ كنى بذلك عن النلة . وبيضة البلد ، أى واحدها .

(٢) سيرة ابن هشام ٣ : ٣٥٢ .

وعن أبي إسحاق ، أن أبا بكر قال لمسطح ، واسمه عوف :

يا عوف ، وبذلك هلا قلت عارفة من الكلام ولم تتبع بها طمما
أو أدركتك حميا معشر أنف ولم تكن قاطعا يا عوف مقطما
أما جربت من الأقوام إذ حشدوا ولا تقول ولو عابته قدعا
لما رميت حصانا غير مفرقة أمينة الجنب لم نعلم لها خصما
فمن رماها وكنتم معشرا أفكا

في سبب القول من لفظ الخنى سرعا
فأنزل الله وحيا في براءتها وبين عوف وبين الله ما صمما
فإن أعش أجز عوقا عن مقاتله شر الجزاء إذا ألقته نبما
ولما أنزل الله الآية : ﴿ وَلَا يَأْتِلْ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ . . .
إلى آخرها ، قال أبو بكر : بلى ، والله أحب أن يغير الله لى ، وعاد إلى ما كان
عليه من البر لمسطح .

وما أحسن ما نقلته من خط أبي الحسين الجزار مما نظمته ، وأشار إلى هذه
الواقعة بقوله :

لا تقطن عادة بر ولا تجعل عقاب المرء في رزقه
واصف عن الجاني فإن الذى ترجوه عفو الله عن خلقه
وإن بدت من صاحب زلة فاستره بالإغضاء واستنقه
فإن إثم الإفك من مسطح يحط قدر النجم عن أفقه
وقد جرى منه الذى قد جرى وعوتب الصديق في حقه
وقد روى أنه سئل عن صفوان ، فوجد رجلا حصورا لا يأتى السماء .
وقال بعض المسلمين في ذلك الوقت بذكر حسانا وصاحبيه في فريتهم
على عائشة رضى الله عنها :

تقد ذاق حَسَنُ الَّذِي كَانَ أَهْلُهُ وَحَمَّةٌ إِذْ قَالُوا هَجِرَا وَمِسْطَحُ
تَعَاظَرُوا بِرَجْمِ الْغَيْبِ زَوْجِ نَبِيِّهِمْ
وَسَخَطَةُ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَبْرَحُوا
وَأَذَوْا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا لَحْلُوا مَخَازِي تَبْقَى عَمُّوْهَا وَفَضَحُوا
فَصَبَّتْ عَلَيْهَا مَحْصَبَاتُ كَأَنَّهَا
شَايِبُ قَطْرِ مِنْ ذَوِي الْمِزْنِ سُمِّعُ

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر أن قوما أنكروا أن يكون
حَسَنٌ خَاضَ فِي الْإِهْلِكِ وَجُلِدَ فِيهِ . وروى عن عائشة رضي الله عنها أنها
برأته من ذلك .

قلت : وحَسَنٌ هو القائل في عائشة رضي الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تَزَنُ بَرِيَّةٌ وَتَصْبِحُ غَزَنِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ^(١)
عَفِيلَةٌ حَيٍّ مِنْ لَوْيَ بْنِ غَالِبٍ كَرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلٍ
مَهْدُبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلٍ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ فُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ

فَلَا رَفَعْتُ صَوْتًا إِلَى أَنَايِلِي !

وحُكِيَ أَنَّ الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ الْبَاقِلَانِي ، تَوَجَّهَ رَسُولًا إِلَى بَعْضِ مُلُوكِ
النَّصَارَى ، فَسَأَلَهُ بَعْضُ الْأَفِيَاءِ بِحَضْرَةِ الْمَلِكِ : مَا قِيلَ فِي أَمْرَةِ نَبِيِّكُمْ ؟ فَقَالَ
بَدِيهَا : هِيَ أَمْرَتَانِ قِيلَ فِيهِمَا مَا قِيلَ ، أَنْتَ إِحْدَاهُمَا بَوْلَدٌ ، وَلَمْ تَأْتِ الْأُخْرَى
بَوْلَدٌ ؛ أَوْ كَمَا قَالَ .

(١) ديوانه ، ٣٢ . والرزان : الملازمة موضعها ، ذات الثبات والوقر ، ما تزن : ما هم .
والغوافل : جم غافلة ؛ يريد أنها لا ارتفع في أعراض النساء

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : أراد القاضي أبو بكر بهذا أن ظهور
براعة عائشة أنوى من براءة مريم ، وكلاهما بريئتان رضى الله عنهما .

وحسبى أن مساماً ناظر نصرانياً ، فقال له النصراني في خلال كلامه :
يا مسلم ، كيف كان وجه زوجة نبيكم عائشة في تخلفها عن الركب عند نبيكم
معتذرة بضياح عقدها ؟ فقال المسلم : يا نصراني ، كان وجهها كوجه بنت
عمران لما أتت بعيسى تحمله من غير زوج .

وقال الأرجاني :

ما في جفائكم إذا أنا لم أحن سبب يعاف حديثه ويعاب
سخط النبي على البريء وما درى مما جناه الآفك الكذاب
حتى استبان له بوحي نارل أن الذي قال الوشاة كذاب

* * *

٤٤ — قوله : وأنفِتُ من إمارة أسامة بن زيد .

يشير بذلك إلى أسامة بن حارثة رضى الله عنهما . وذلك أنه لما كان يوم
الاثنين لأربع ليلٍ بقين من صفر ؛ سنة إحدى عشرة . أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس بالتهوض لغزو الروم . فدعا أسامة بن زيد . فقال له : سير إلى
موضع مقتل أبيك ؛ فأوطئهم الخيل . فقد وليتُك هذا الجيش فأغز صباحاً
على أهل أبي ؛ وحرقت عليهم ، وأسرع السير لتسبق الأخبار ؛ فإن أظفرك
الله ، فأقل اللبث فيهم ، وخذ معك الأدياء ، وقدم العيون والطلائع .

فلما كان يوم الأربعاء بدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحم ، فحتم
وصدع ، فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسامة لواء
بيده ، ثم قال : « أغز باسم الله وفي سبيل الله ؛ وقاتل من كفر بالله » ؛ فخرج

بلوائه معقودا ، فدفعه إلى بُرَيْدَةَ بن الخَصِيبِ الأَسَمِيِّ ، وعسكرَ بالجَرْفِ ، فلم يبقَ أحدٌ من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزاة ، منهم : أبو بكر ، وعمر ، وأبو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاح ، وسعد بن زيد ، وقتادة بن النعمان ، وغيرهم ، فتكلم قوم وقالوا : يَسْتَعْمِلُ هذا الغلامَ على المهاجرين الأولين ! فغَضِبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، وخرج وقد عَصَبَ رأسه بمصاصة ، وعليه قطيفةٌ ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أما بعد ، أيُّها الناس ، ما قالَ بَلَقَتْنِي عن بعضكم في تأميري أسامة ! ولئن طَعَنَتم في إمارة أسامة لقد طَعَنَتم في إمارة أبيه من قبله . وإيمُ الله ! إنَّه كان خَلِيقاً للإمارة ، وإن ابنه من بعده خَلِيقٌ للإمارة ، وإنه كان بمن أحبَّ الناس إلىَّ ، وأنهما لخلان لـسكلٍ خير . فاستوصوا به خيراً ؛ فإنَّه من خياركم » .

ثم نزل فدخل بيته ، وجاء المسلمون بخرُجون مع أسامة ، يودِّعون رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتقلَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في المرض ، فجعل يقول : أَنْفِذُوا بَنِيَّ أسامة . فلما كان يومُ الأحد اشتدَّ الوجع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل أسامة من مُعَسَّكِهِ ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم مَقْمُورٌ ، وهو اليومُ الَّذِي لُدَّ^(١) فيه ، فطأطأ أسامةُ قَبْلَهُ ، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم لا يتكلم ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما ، ثم دخل يومُ الاثنين ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُفِيقٌ ، فقال له : اغدُ على بركة الله ، وودَّعه أسامةُ وخرج ؛ فأمرَ الناسَ بالرحيل ، فبينما هو يريدُ الرُّكُوبَ إذا أنته أُمُّ أَيْمَن تقول : إِنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يموت ، فأقبلَ ومعه عمرُ وأبو عُبَيْدَةَ ، فانتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيموت ، فتَوَفَّى حينَ زَاغَتِ الشمس يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلةً خلت من شهر

(١) أى جعلوا الدواء في جانبفه .

ربيع الأول ، فدخل المسكر إلى المدينة ، ودخل بُرَيْدَةُ بِاللَّوَاءِ حَتَّى أَتَى بِهِ
بَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ففَرَزَهُ عَنْهُ ، وَلَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ أَمْرُ بُرَيْدَةَ
ابْنُ الْحَصِيبِ أَنْ يَذْهَبَ بِاللَّوَاءِ إِلَى بَيْتِ أَسَامَةَ لِيَمْضِيَ لَوْجِهِ ؛ فَلَمَّا ارْتَدَّتْ
الْعَرَبُ كُلُّهُمْ أَبُو بَكْرٍ فِي حَبْسِ أَسَامَةَ ، فَأَبَى (١) .

وَلَمَّا كَانَ هَالِلُ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ ، سَمِعَ إِحْدَى عَشْرَةَ ، خَرَجَ أَسَامَةُ إِلَى
أَهْلِ أُبْنَى فِي عِشْرِينَ لَيْلَةً ، فَشَنَّ الْغَارَةَ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ شِعَارُهُمْ : « يَا مَنْصُورُ أَمْتُ » ،
فَقَتَلَ مِنْ أَشْرَفَ لَهُ ، وَسَبَى مِنْ قَدِيمٍ عَلَيْهِ ، وَحَرَّقَ فِي طَوَائِفِهَا بِالنَّارِ وَحَرَّقَ
مَنَازِلَهُمْ وَحَرَّتْهُمْ وَنَحَلَتْهُمْ ، وَصَارَتْ أَعَاصِيرُ مِنَ الدَّخَاخِينَ ، وَأَجَالَ الْخَيْلَ فِي
عَرَصَاتِهِمْ ، وَأَقَامُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ فِي قَسَمَةٍ مَا أَصَابُوا مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَكَانَ أَسَامَةُ
عَلَى فَرَسٍ أَبِيهِ سَبْحَةً ، وَقَتَلَ قَاتِلَ أَبِيهِ فِي الْغَارَةِ ، وَلَمَّا أَمْسَى أَمَرَ النَّاسَ
بِالنَّحِيلِ ، ثُمَّ أَغْذَى السَّيْرَ ، فَوَرَدَ وَادِيَ الْقُرَى فِي تِسْعِ لَيَالٍ ، ثُمَّ بَعَثَ
بَشِيرًا إِلَى الْمَدِينَةِ بِسَلَامَتِهِمْ ، وَوَصَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِعَدَسَةٍ ، وَمَا أَصِيبَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَتْلِقُونَهُمْ سُرُورًا
بِسَلَامَتِهِمْ ، وَدَخَلَ عَلَى فَرَسِ أَبِيهِ سَبْحَةً ، وَاللَّوَاءُ أَمَامَهُ يَحْمِلُهُ بُرَيْدَةُ حَتَّى
انْتَهَى إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ
انْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ .

قلت : قوله : « أُبْنَى » - بضم الهمزة ، وسكون الباء ، وبعدها نون مفتوحة ، وألف
مقصورة - على وزن فُرُبَى . وبعضهم يقول : يُبْنَى - بياء آخر الحروف بدل الهمزة -
قال أبو داود : وسمعتُ ابْنَ أَبِي عَمْرٍاءَ الْمَدَنِيَّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُورٍ ، قِيلَ لَهُ : أُبْنَى -
قَالَ : نَحْنُ أَعْلَمُ ، هِيَ يُبْنَى فِلَسْطِينَ ، وَهِيَ الَّتِي بَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم زيدا أبا أسامة مع جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة ، فقتلوا جميعا . انتهى .

قلت : الذي في الحديث يردّ هذا القول ، وإنما هي أُنْبَى البَنَاء ؛ لأنّ لفظ الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دَعَا أسامة بن زيد وقال : « سِرْ إِلَى أُنْبَى مَوْضِعَ مَقْتَلِ أَبِيكَ » .

وبعضهم قال : أُنْبَى باللام مكان النون ، وليس بشيء ، وإنما يُنْبَى بالنون ، فإنّها بساحِلِ عَمَقْلَان ، وهي المشهورة الآن بأن فيها قبر أبي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه .

وقد ذكر المسعودي^(١) في شرح المقامات : أنّ المهديّ لما دخل إلى البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبيّ ، وحلّفه وقُدّامه أربعائة طليسان من العلماء وغيرهم ، فقال المهديّ : أفٍ لهذه العتّارين ؛ أما كان فيهم شيخٌ يتقدّمهم غيرُ هذا الحدث ! ثمّ قال له المهديّ : كم سنّك ؟ فقال : سنّي - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - سنّ أسامة بن زيد بن حارثة لما ولّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر . فقال : تقدّم ، بَارَكَ اللهُ فيك ، وكانت سنّه سبع عشرة سنة .

قلت : هذا غيرُ صحيح ؛ لأنّ إياسا توفّي في دولة بني أميّة سنة إحدى وعشرين ومائة ، والمهديّ تولّى الخلافة ، وبُويعس عليها بمكّة في المسجد الحرام عند وفاة المفصور في ذى الحِجّة ، سنة ثمان وخمسين ومائة ؛ والذي يصحّ في مثل هذا أن يحيى بن أكثم وَلِيَ القضاء في زمن المأمون ببغداد وله عشرون سنة ، ولما ولي قضاء البصرة استصغروه ، فقال أحدهم : كم سنّ القاضي ؟ فقال : أنا أكبرُ من عتّاب بن أسيد الذي ولّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكّة ، وأكبرُ من مُعاذ الذي وجّه به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

(١) هو الإمام محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي الفنجديّ المتوفى سنة ٥٨٤ .
وانظر كشف الظنون .

قاضيا على أهل اليمَن ، وأكبرُ من سوار بن كعب الذي وجه به عمر قاضيا على اليمَن !

* * *

٥٤ — وقوله : وزعمتُ أن بيعة أبي بكرٍ كانت فلتة .

يشير بذلك إلى ماورد في كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . روى الزُّهْرِيُّ عن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت أقرئُ عبدَ الرحمن بن عوف في خلافة عمر بن الخطاب ، فلما كان في آخر حَجَّةِ حَجَّهَا عمر ، أنانا عبدُ الرحمن بنُ عوف ذات ليلة ، ونحن بمنى ، فقال : لورأيت أمير المؤمنين ؛ وقد أتاه رجل وقال : إن رجلا يقولون : لو قدمات أمير المؤمنين بابعنا فلانا ، فقالَ عمر : إني قائمٌ في الناس فحذِّروهم هؤلاء الرَّهط الذين يريدون أن يفصبوا الناس ببيعتهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الحجَّ يَجْمَع رعاة الناس وغوغاءهم الذين يَغْلِبُونَ على مجلسك ، وإن قلت قولاً فهم القومُ مقالةً لم تُحفظ ولم يَؤوها ، ولم يَضَمُّوها مواضعها ، فيطرون بذلك كلَّ مَطِيرٍ ، فلو أمهلت حتى تُقدِّم المدينة وتنفرد بالمهاجرين والأنصار ، فقلت ماقات متمكنا ، كان أجدر بأن يحفظوا مقالتك ، وأن يعضوها مواضعها . فقال : أما والله إن شاء الله تعالى ، لئن قدمتُ للمدينة لأقومن بها في أول مُقامٍ أقومُه بالمدينة .

قال : فقدِمنا المدينة في عقب ذى الحِجَّة ، فلما جاءت الجمعة هَجَرْتُ لِأَدَى حَدَّثَنِي ابن عوف ، ولا أرى أن أحداً قد سبقني ، فوجدت سميد بن عمرو ابن نُفَيْل قد سبقني بالتهجير ، جالسا إلى جنب المنبر ، فصليتُ ، ثم جلستُ إلى جنبه تحكُّ ركبتى ركبتَه ، فقلت : أما والله ليقولَنَّ أمير المؤمنين على هذا المنبر مقالةً لم يقلها أحدٌ قبله ! فضضب سميد ، وقال : أيَّ مقالة عسى

أن يقولها أصيرُ المؤمنين لم يقلها أحدٌ قبله ! فلما زالت الشمسُ خرج عمر رضى الله عنه ، وجلس على المنبر ، وأذن المؤذن في أذانه . فلما فرغ قام عمر فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

أما بعد ، أيها الناس ، فإنى قائلُ مقالةٍ قد قدَّر لي أن أقولها ، ولملها تكونُ بين يدي أجلى ، فمن حفظها أو عقلها أو وعّاها ، فليحدِّث بها حيث أتمت به راحلته ، ومن لا فإنى لا أحلّ لأحد أن يكذبَ على .

إن الله بعث محمداً وأنزل عليه الكتاب ، وكان فيما نزل عليه آية الرّجم ، فقرأناها ووعيناها ، فرّجهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا بعده ، فأخشي أن يطول بالناس زمان ، فيقول قائل : لا نجد الرّجم في كتاب الله عزّ وجلّ ، فيضِلُّوا بترك فريضة أنزلها الله . ألا إن الرّجم حقٌّ على من زنى إذا أحصين ، وقامت البينة ، أو كان الخبل ، أو الاعتراف .

ألا وإننا كنّا نقرأ : لا ترغبوا عن آباءكم ، فإنه كفرٌ بكم ، أن ترغبوا عن آباءكم . ألا وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُطرونى كما طُرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبده ورسوله » وقد بلغنى أن قاتلاً يقول : لو مات عمرُ بايعتُ فلانا ، فلا يفتَرَنَ امرؤٌ منكم أن يقول : كانت بيعةُ أبى بكرٍ فلتنه ، وليس فيكم من تُقَطَّع الأُعنافُ إليه مثل أبى بكر ، وأنه كان من خيرنا ؛ حين تُوفَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، وتخلَّف علىّ والزبير ومن معهم في بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتخلَّد الأنصار في سقيفة بنى ساعدة مع سعد بن عبادة . فقلتُ : يا أبا بكر ، انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار ، فانطلقت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح تؤمُّهم ، ولقينا رجلاً صالحاً من شهد بدراً : عويمر بن ساعدة ومن بن عدى ، فقالا : أين

تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا الأنصار . فقالوا : لا عليكم ألا تأتوهم ، وأبرموا أمركم بينكم . فقلت : والله لأأتينهم ، فأتيناهم في سقيفة بني ساعدة ؛ فإذا هم مجتمعون على رجل مزمل بالثياب ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عُبادة ، فقلت : ماله ؟ قالوا : مريض . فجلسنا وقام خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فنحن الأنصار ، وكتيبة الإيمان ، وأتم معاشر المهاجرين رهطٌ منا ، وقد دَقَّتْ إلينا دافّةٌ ^(١) منكم .

قال عمر : وإذا هم يريدون أن يختزلونا من أضلنا ، ويختصوا بالأمر دوننا . قال عمر : فلما سكّت أردت أن أتكلم بمقالةٍ قد كانت أعجبني بين يدي أبي بكر ، فقال أبو بكر : على رسلك ! وكنتُ أعرف منه الجدّ ، فكرهتُ أن أغضبه ، وهو كان خيرا مني وأرفق ، وأوقر وأحكم . ثم تكلم ، فوالله ما ترك كلمةً أعجبني مما قد زوّرتُ في نفسي إلّا وقد قالها ، وأفضلَ منها حتى سكّت ، ثم قال :

أما بعد ، فما ذكرتم من خيرٍ فهو فيكم معشر الأنصار وأنتم أهله وأفضل منه ، ولن تعرف العربُ هذا الأمرُ إلّا لهذا الحَيِّ من قريش ، فهم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم هذين الرّجّلين ، فبايعوا أيّهما شئتم .

وأخذ بيدي ويد أبي عُبيدة بن الجراح ، فما كرهتُ شيئا مما قال غيرها ؛ وكان والله لأن أؤدّم فتضرب عنقِي لأبقر بني ذلك إلى إثم ، أحبّ إلى من أن أنامر على قومٍ فيهم أبو بكر ، اللهم إلّا أن تغفّر نفسي عند الموت .

قال : ثمّ قدم الحُباب بن المُنذر (رجلٌ من الأنصار) ، فقال : أنا جدُّ يلها

(١) الدافّة : التّوم يسرون جماعة . وانظر اللسان .

«مُحَكِّكٌ ، وَعُذِّقُهَا الْمَرْبِّبُ» ^(١) ، مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ يَامُشَرَّ الْمُهَاجِرِينَ ،
وإِنْ شِئْتُمْ أَتَدْنَا الْحَرْبَ جَذْعَةً ^(٢) .

قال : وكثُرَ اللَّغَطُ ، وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف . فقلتُ :
ابْسُطْ يَدَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، فَبَسَطَ يَدَهُ ، فَبَايَعْتُهُ ، وَبَايَعَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ ، وَبَايَعَهُ
الْمُهَاجِرُونَ وَبَايَعَهُ الْأَنْصَارُ ، وَنَزَلْنَا عَلَى سَعْدٍ ، فَقَالَ قَائِلٌ : قَتَلْتُمْ سَعْدًا . فقلتُ :
قَتَلَ اللَّهُ سَعْدًا . قال عمر : فَوَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا فِيْمَنْ حَضَرْنَا أَوْفَى مِنْ مَبَايَعَةِ أَبِي
بَكْرٍ ، وَخَشِينَا إِنْ نَحْنُ فَارِقْنَا النَّوْمَ وَلَمْ تَسْكُنْ بَيْعَةَ أَنْ يَحْدُثُوا بَعْدَنَا بَيْعَةً ؛
فَأَمَّا بِاِبْعَانِهِمْ عَلَى مَا لَا نَرْضَى ، وَإِنَّمَا خَالَفْنَاهُمْ فَيَسْكُونُ فِسَادٌ .

رواه يونس بن يزيد بن الزهري مطوَّلاً ، وزاد فيه :

قال عمر : فَلَا يَفْتَرِّنْ أَمْرُؤُا أَنْ يَقُولَ : إِنْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَتْلَةً فَتَمَّتْ ،
فَأَيُّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ إِلَّا أَنْ اللَّهَ وَفَى شَرَّهَا ، فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ
فَإِنَّهُ لَا يُبَايِعُ هُوَ وَلَا الَّذِي يُبَايِعُهُ تَفَرَّةً يَقْتُلَا .

* * *

ومن أدلة القرآن على خلافة أبي بكر قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَاقِبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي
اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ . ظهر تأويلُ هذا حين انقلب أهل الردّة على أعقابهم ،
فلم يضر ذلك دين الله ولا أمة نبيه صلى الله عليه وسلم . وكان أبو بكر يسمّى
أَمِيرَ الشَّاكِرِينَ لذلك ؛ وفي هذه الآية دليلٌ على صحّة خلافته ؛ لأنّه هو
الَّذِي قَاتَلَ الْمُتَقَلِّبِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ؛ حَتَّى رَدَّهُمْ إِلَى الدِّينِ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ .
وَكَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ دليلٌ على أنّهم سيُظْفَرُونَ

(١) جذيل : تصغير جذل ، وهو عود ينصب الابل الجربى تحتك به فتستشفى . والمحكك
الذي كثر الاحتكاك به حتى صار أملس : والمرجب المدعوم بالرجبة ، وهي خشبة ذات شعبتين
والمراد أنه من أصحاب الرأي الشديد .

(٢) الجذعة : الشابة الفتية ، يريد : الحروب والغارات .

بمن ارتدّ ، وتكفل النعمة عليهم فيشكرون ، فتعريضه إِيَّائِهِمْ عَلَى الشُّكْرِ
وَالشُّكْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى نِعْمَةٍ - دليلٌ عَلَى أَنَّ بَلَاءَ الرُّدَّةِ لَا يَطُولُ ، وَأَنَّ
الظُّفْرَ بِهِمْ سَرِيعٌ كَمَا كَانَ .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ ^(١) دليلٌ عَلَى صِحَّةِ خِلَافَتِهِ .
لأنَّهُ هُوَ الَّذِي دَعَا الْأَعْرَابَ إِلَى جِهَادِ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَكَانُوا أَوْلَى بِأَسِ
شَدِيدٍ ، وَلَمْ يَقَاتِلُوا الْجَزِيَّةَ ، وَإِنَّمَا قَاتَلُوا لِيُسَلِّمُوا ، وَكَانَ قِتَالُهُمْ بِأَمْرِ أَبِي بَكْرٍ
وَفِي سُلْطَانِهِ .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَطَيَّرُوا بِؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ ^(٢) ، أَوْجِبَ
عَلَيْهِمُ الطَّاعَةَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْآيَةِ كَالنَّصِّ عَلَى خِلَافَتِهِ .
وَفِي زَوَاجِ عَلَى رَضَى اللَّهِ بِالْحَنْفِيَّةِ أُمِّ وَلَدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ - وَهِيَ مِنْ
سَبَابَا عَسْكَرِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ - دَلِيلٌ قَوِيٌّ فِي الرَّدِّ عَلَى
الرَّافِضَةِ ؛ فَإِنَّ عَدِيًّا لَوْ لَمْ يَمْتَقِدْ صِحَّةَ خِلَافَتِهِ لَمْ يَتَزَوَّجْ مِنْ سَبِيهِ .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٣) .
وَقَدْ بَيَّنَّ فِي سُورَةِ الْحَشْرِ مِنَ الصَّادِقُونَ ؟ فَأَمْرُ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ
أَنْ يَكُونُوا مَعَهُمْ تَبَعًا لَهُمْ ، فَخَصَّ لِلْخِلَافَةِ فِي الصَّادِقِينَ هَذِهِ الْآيَةُ ، فَاسْتَحَقُّوْهَا
بِهَذَا الْأَسْمِ ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الصَّادِقِينَ مَنْ سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى الصَّدِيقَ إِلَّا
أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةٌ ، ثُمَّ لِلصَّادِقِينَ مِنْ بَعْدِهِ .

وَلَا بِنَ زَنْجُوْبِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُصَنَّفٍ كَبِيرٍ فِي فِضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ ، جَوَّدَ فِيهِ
مَاشَاءَ ، وَمَا أَحَقَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ بِقَوْلِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي الْجُنُوبِ فِي التَّوَكُّلِ :

كَانَتْ خِلَافَةُ جَعْفَرٍ كَنَبْوَةٍ جَاءَتْ بِهَا طَلَبٌ وَلَا يَتَبَخَّلُ

وَهَبَ الْإِلَٰهُ لَهُ الْخِلَافَةَ مَهْلًا وَهَبَ الرِّسَالَةَ لِلنَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
 وَقَالَ عَلَىٰ بَنِ سَرَّاجٍ : كَانَ جَوَارِي جَارِيَّتَهُمْ بِالنَّشِيعِ ، وَمَا بَانَ ذَلِكَ
 عَلَيْهِ فِي حُلٍّ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي هَجَاءِ امْرَأَتِهِ ، فَإِنَّهُ قَالَ وَقَدْ طَلَّقَهَا :
 مَا كُنْتُ مِنْ شَكْلِي وَلَا كُنْتُ مِنْ

شَكْلِكَ يَا طَالِقَةَ الْبَيْتِ
 غَلَطْتُ فِي أَمْرِكَ أَعْلُوطةً فَأَدْرَكْنِي بِيَمَّةُ الْفَلَتَةِ
 وَأَنْسَدَنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً صَفَى الدِّينُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ سَرَايَا الْحَلِّيُّ ،
 مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى صَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ الْقَاسِمِ السَّلَامِيِّ :

فَلْتَهُ كَانَ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ يَا أَبَا بَكْرٍ عَقْدَ بَيْعَةٍ وَدَى
 فَلِهَذَا إِذَا تَقَادَمَ عَهْدٌ بَيْنَنَا حَلَّتْ عَنْ وَفَائِي وَعَهْدِي
 وَمَا أَخْرَجَهُ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيُّ مَخْرَجَ الْأَفَازِ ، قَوْلُهُ :

شَهِدْتُ أَنَّ السَّكْبَ لَيْسَ بِفَاحٍ
 يَقِينًا وَأَنَّ اللَّيْثَ فِي الْغَابِ مَا زَارُ^(١)
 وَأَنَّ قَرِيْشًا لَيْسَ فِيهِمْ خِلَافَةٌ

وَأَنَّ أَبَا كَرٍّ شَكَا الْخَيْفَ مِنْ عُمَرُو
 وَتَفْسِيرُ هَذَا الْكَلَامِ : السَّكْبُ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ خَلْفَ الْجُوزَاءِ يُسَمَّى
 كَلْبُ الْجَبَّارِ ، وَالْكَلْبُ مِسْمَارٌ فِي قَائِمِ السَّيْفِ ، إِلَى جَانِبِهِ مِسْمَارٌ آخِرُ يُقَالُ
 لَهُ الْمَجْزُورُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَعَجُوزٌ رَأَيْتُ فِي فِمْ كَلْبٍ جَمَلِ السَّكْبِ لِلْأَمِيرِ جَمَالًا
 وَالْكَلْبُ أَيْضًا مِسْمَارٌ فِي الرَّحْلِ ، وَاللَّيْثُ : ضَرْبٌ مِنَ الْعَنَّاكِبِ قَصِيرٌ

(١) هَذَا الشَّعْرُ مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ فِي الدِّيَوَانِ ، وَذَكَرَهُ الْقَنْطُ فِي إِنْبَاءِ الرِّوَاةِ : ٧٩ ،
 وَذَكَرَ بَعْدَهَا :

وَأَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَصْلَ بِصَحْبِهِ وَمَا هُوَ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنَ الْبَشَرِ

الأرْجُلُ ، كبيراً لعيون ، يَصِيدُ الذُّبَابَ وَثَباً ، وَقُرَيْشُ : دَابَّةٌ مِنْ دَوَابِّ
الْبَحْرِ ، جَمِيعُ دَوَابِّ الْبَحْرِ خَاضِعَةٌ لَهَا ، وَبِهَا سَمِيَتْ الْقَبِيلَةُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
وَقُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ الْبَحْرَ بِهَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشاً
وَالْبَسْكَرُ : الْفَتَى مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَبُوهُ الْجَمَلُ . وَعُمَرُ جَمْعُ عُمَرَةَ ، وَهِيَ زِيَارَةُ
الْبَيْتِ . وَيُقَالُ : رَجُلٌ عَمِرَ إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْعَتَمَارِ ، وَرَجُلٌ عَمَرَ إِذَا كَانَ
طَوِيلَ الْعُمَرِ .

قال الباسخرزي صاحب الدُّمِيَّة^(١) : كَتَبْتُ إِلَى الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ
الْإِسْفَرَايِينِي :

أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ فِي الْعَهْدِ مُؤَنِّسِي
إِذَا غَارَ بِي خَوْفُ الْمَعَادِينِ فِي الْفَارِ
عَرَضْتُ عَلَيْهِ دِينَ وَدَّى فَمَا نَأَى
وَلَمْ يَتَلَقَّ مِنْ جُحُودٍ وَلِإِنْكَارِ
وَلَمْ تَكْ مِنْ بِيَمَّةِ الْوُدِّ فَلْتَةً
فَيَزْعُمُ أَنَّ الْأَمْرَ مَتَّفِقٌ طَارِ
لِذَلِكَ لَمْ أَمْنَعَهُ مِنْ خَالِصِ الْهُوَى عِقَالاً وَإِخْلَاصِ الْهُوَى رَمِيّاً الْجَارِ
وَبَابِعٍ يَرَوِي قَبْلَ هَذَا مُدَاهِناً عَلَى أبا بَكْرٍ وَرَاوِيهِ فِي النَّارِ
وَقَدْ صُدْتُ عَنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ بَيِّمَتِي
فَفِي النَّصْحِ إِعْلَافِي مُوَافِقِي إِسْرَارِي

قلت : فَكَتَبَ هُوَ إِلَيَّ :

سَمَاءَ عَلِيٍّ فِي سَمَاءِ الْعَلَاءِ وَغَيْرُهُ مُلْتَصِقٌ بِالرَّغَامِ
أَنَا أَبُو بَكْرٍ سَوَى أَنْفِي [مَعْتَقِدٌ أَنَّ عَلِيّاً إِمَاماً]^(٢)

(١) الدُّمِيَّةُ ١٦٩ . (٢) تَسْكُوتُ مِنَ الدُّمِيَّةِ ، وَهَذَا الشَّطْرُ سَقَطَ مِنْ جَمِيعِ الْأَصُولِ .

وقال علاء الدين الكلبي :

خَضْرُكُ يَامَنْ حَوَى بِهَيْجَتِهِ مُحَاسِنًا مَا اجْتَمَعْنَ فِي الْبَدْرِ
أَضْعَفُ مِنْ حُجَّةِ النَوَاصِبِ فِي أَنْ إِمَامَ الْهُدَى أَبُو بَكْرٍ
وقال القاضي زَيْن الدِّينِ بْنِ الْوَرْدِيِّ رَدًّا عَلَيْهِ :

خَضْرُكُ يَامَنْ حَوَى بِهَيْجَتِهِ مُحَاسِنًا مَا اجْتَمَعْنَ فِي عَبْدِ
أَضْعَفُ مِنْ حُجَّةِ الرَّاوِفِضِ فِي دَعَا
وَاهُمْ أَنْ مِنْهُمْ الْمَهْدِيُّ

* * *

٤٦ — وقوله : ورويتُ رمحي من كتيبة خالد .

يشير بذلك إلى قول أبي شجرة الشلبي ، وهو بيتُ قاله في شعرٍ له :

ورويتُ رمحي من كتيبة خالدٍ وإني لأزجو بمدّها أن أُعَمَّرَا

وذلك أن العربَ لما ارتدت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
تقدّم أبو بكرٍ إلى خالدِ بنِ الوليد ، وجّهه في جماعةٍ من المهاجرين والأنصار
والعرب لقتال أهل الردّة ، وتوجه خالدٌ إلى بني حنيفة ، وقاسى في قتالهم
شدائد ، وقتل مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّاب ، وقُتِلَ من المسلمين جماعةٌ ، وبافت الأخبار
أبا بكر ، فكتب إلى خالدِ بن الوليد :

أما بعد ، فإن أظفرك الله ببني حنيفة فأقلل اللبث فيهم حتى تنحدر إلى
بني سليم ، فتطأهم بها رِطَاةٌ يعْرِفون بها مأمعوا ، فإنه ليس بطن من العرب
أنا أعِظُ عليه مني عابهم ؛ قدِمَ قادمهم يذكُرُ إسلاما ، ويريد أن أعينه ؛ فأعنته
بالظنِّ والصلاح ، ثم جعل يعترض الناس . فإن أظفرك الله فلا ألومك
فيهم أن تحرّفهم بالنار ، وتهول فيهم بالقتل حتى يكونوا نكالا لهم .

قالوا : فجعل ابن الوليد يبعث الطلاب أمامه ، وسمعت بنو سليم
ياقبال خالد ، فاجتمع منهم بشر كثير يعترضون له ، وهاهم بنو عَصِيَّة
فاسعجلبوا من بقي من العرب مرتدًا ، وكان الذي يجمعهم أبو شجرة بن عبد
العزيز ، فاتمى خالد إلى جمعهم بالجوامع مع الصنيع ، فصاح خالد في أصحابه ،
وأمرهم بلبس السلاح ، ثم صفهم ، وضمت بنو سليم . وقد كل المسلمون
وعجف كراعهم وخفهم ، وجعل خالد يلي القتال بنفسه حتى أنخن فيهم
القتل . ثم إنه حمل عليهم حملة واحدة فهربوا ، وأسر منهم كثيرا ، فجعل
يضرب أحدهم على عاتقه فيجزله ، ويضرب الآخر في وسطه .
وفي حديث سُفْيَانَ بْنِ أَبِي العُجَّاء : أنه حطّر لهم حظائر ، فأحرقهم
بالبقر ، وأصاب أبو شجرة السلمي يومئذ في المسلمين ، وجرح حراحت كثيرة ،
وفي ذلك يقول شعره الذي من جملته :

* وَرَوَيْتُ رُنْجِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ *

وأما آدم خالد بن الوليد على أبي بكر رضي الله عنه ، كان أول ما سأل
عنه خبر بني سليم ، فأخبره خالد بما اتفق ، فحمد الله وأثنى عليه . ثم إن
أبا شجرة بعد ذلك أسلم ، ودخل فيما دخل فيه الناس ، وجعل يبعثر ويحمد
أن يكون هو الذي قال الشعر المذكور .

وكان أبو شجرة السلمي من فتاك العرب ، أتى إلى عمر بن الخطاب بعد
الردة يستحمله ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا أبو شجرة السلمي ، فقال له عمر :
أي عدو نفسه ، ألسن القاتل حين ارتدت :

وَرَوَيْتُ رُنْجِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَهَا أَنْ أُعْرَأَ^(١)
وَعَارَضْتُهَا شُهَبَاءُ تَخْطُرُ بِالْقَنَسَا تَرَى الْبَيْضَ فِي حَافَاتِهَا وَالسَّنَوْرَا^(٢)

(١) من مقطوعة له في تاريخ الطبري ٣ : ٢٦٦ ، والبيتان في كامل المبرد ١ : ٣٨٨ .

(٢) شهباء ، من الشبهة ، وهو بياض في خلاله سواد ، ونخطر من الخطران ، وهو
الاهتزاز ، والسنور : كل سلاح فيه حديد .

ثم انحنى عليه عمر بالدرة ، فسمى إلى ناقته فحلّ عقالها ، وأقبلها حرةً
بني سليم ، بحث السير هرباً من الدرة ، وهو يقول :

قد ضنّ عتّا أبو خنصٍ بفائله وكلّ مخمبطٍ يوماً له ورق^(١)
ما زال يضرّ بني حتى خذبت له وحال من دون بعض الرغبة الشنق^(٢)
ثم التفت إليها وهي جاثية^(٣) مثل الطريدة لم ينبت لها ورق^(٤)
أوردتها الخلل من شوران صادرة^(٥) إني لأزرى عليها وهي تنطقي
يُطير مرواً خطاها عن مناسمها كما تنوقد عند الجهد الورق
إذا يمارضها خرق تعارضه ورهأ فيها إذا استعجلتها خرق
ينوء آخرها منها بأولها سرح اليتيم بها نهضة العنق^(٦)

* * *

٧٤ - وقوله : ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه .

يشير بذلك إلى قتل عمر بن الخطاب ، قال عبد الله بن الزبير ، عن أبيه :
غدوت مع عمر بن الخطاب إلى السوق وهو متكئ على يدي ، فلقني
أبو لؤلؤة ، غلام المغيرة بن شعبة ، فقال : ألا تكلم مولاي أن يضع عني
من خراجي ؟ قال له : كم خراجك ؟ قال : دينار ، قال : ما أرى أن أفعل ،
إنك لعامل محسن ، وما هذا بكثير . ثم قال له عمر : ألا تعمل لي رحي ؟
قال : بلى . فلما وثق قال أبو لؤلؤة : لأعملن لك رحي يتحدث بها ما بين
المشرق والمغرب . قال : فوقع في نفسي قوله ، فلما كان وقت النداء للصلاة
الصبح ، خرج عمر إلى الناس يؤذنه للصلاة .

قال ابن الزبير : وأنا في مصلاي ، وقد اضطجع عدو الله أبو لؤلؤة ،

(١) الأبيات في تاريخ الطبري ٣ : ٢٦٧ والمخطوط : ضرب ورق الشجر حتى ينحى عنه .

(٢) الشفق : الخوف وهو الإشفاق .

(٣) الطبرى : ثم ارضوت إليها وهي جاثية .

(٤) الطريدة : أصل العنق . (٥) حرة شوران ، من حرار الحجارة

(٦) وفي البيت إقواء .

فضر به بالسكّين ستّ طعّفات ، إحداهنّ من تحت سرّنه وهي التي قتلتّه ، فصاح عمر : ابنَ عبد الرحمن بن عوف ؟ فقالوا : ها هوذا ، فأمره أن يُصلّى بالناس ، واحتَمَلوا عمرَ ، فدخلوا به منزله ، فقال لابنه عبد الله : اخرج فانظر من قتلتني ، فخرج فقال : من قتل أمير المؤمنين ؟ فقالوا : أبو لؤلؤة غلامُ المميرة بن شُعبة . فرجع فأخبر عمرَ ، فقال : الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد رجلٍ يحاجّني بـ « لا إله إلا الله » .

وقال غيره : جاءه بسكّين له طَرَفان ، وطعن معه اثني عشر رجلاً . فقال عمر : دونكم السكّيب ، فإنه قد قتلني . وماج الناسُ بعضهم في بعض ، فرمى عليه رجل من أهل العراق برنسا ، ثم برك عليه ، فلما رأى أنه لا يستطيع أن يتحرك وجأ نفسه فقتلها .

وكان أبو لؤلؤة مجوسياً ، وقيل : نصرانياً أزرق ، واسمه فيروز .

وقال ابن عبد البرّ عن عمر إنّه قال حين احتضر ، ورأسه في حجر عبد الله ابنه :

ظَلَمْتُ لِنَفْسِي غَيْرَ أَنِّي مُسْلِمٌ أَصَلَّى صَلَاتِي كُلَّهَا وَأَصُومُ
وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : نَاحَتْ الْحَنَّةُ عَلَى عَمَرَ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ
بِثَلَاثٍ ، فَقَالَتْ :

أَبْعَدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ	لَهُ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الْعِضَاهُ بِأَوْقِي !
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ إِمَامٍ وَبَارَكْتَ	يَدُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْأَدِيمِ الْمُرَقِي
فَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبَ جَنَاحِي نِعَامَةٍ	لِيُدْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَمْسِ يُسَبِّحِي
قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا	بَوَاقِي فِي أَكْلامِهَا لَمْ تُفَتِّحِي
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتِهِ	بِكُفِّ سَبْنَتِي أَزْرَقَ الْعَيْنِ مُطْرِقِي ^(١)

(١) السبّتي : النمر الجريء . والمطرق : الخنق . والبيت في اللسان منسوب إلى الشماخ . وانظر الاستيعاب ١١٥٧ .

وما أحسن ما نقلت من خط علاء الدين الكندي الوداعي ، على
لسان صديق يسمى عمر يهوى مليحاً في أذنه لؤلؤة :

قد قلتُ أما مرَّ بي مُقَرَّطٌ يحكي القمرَ
هذا أبو لؤلؤةٍ منه خذوا ثأر عمرَ

وقالت عائكة ابنة زيد بن عمرو بن نفيل ؛ امرأة عمر بن الخطاب
ترثيه :

وأبجعي فيروز لادرّ دره بأبيض تالٍ للكتاب منيب
رءوف على الأذن غليظ على العـدا

أخي ثقة في النائبات مجيب
متى ما يقل «لا» يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب

* * *

٤٨ - وقوله : وضحيّت بالأشمط الذي عنوان الشُّجود به .

يشير بذلك إلى قتلة عثمان بن عفّان ، وسبب ذلك أنّه قد كان وفد عليه
قومٌ من مصرَ ، فيهم محمد بن حذيفة بن عتبة بن ربيعة في جُند ، وكفانة بن
بشر التَّجِيبِيّ في جُند ، وابن عدس البلويّ في جُند ، ومن أهل البصرة حَكِيم
ابن جبلة العبديّ ، وسدوس بن عيسى السنيّ ، ونفَرٌ من الكوفة ، منهم
الأشتر بن الحارث النَّخَعِيّ ، فاستمَعَبُوهُ فأعتَبَهُمْ وأرضاهم ، ثمّ لَمَسَهُمْ وَجَدُوا
بعد أن انصرفوا إلى مكة كتاباً من عثمان ، عليه خاتمه إلى أمير مصر : إذا
أتاك القومُ فأضرب أعناقَهُمْ .

فعادوا به إلى عثمان رضى الله عنه ، فخلف لهم أنّه لم يأْمُرْ به ولم يَعْلَمْ ؛ قالوا :
إنّ هذا عليك شديد ، يؤخّذ خاتمك من غير علمك ! فإن كنت غلبت على
أمرِك فاعتزل .

فَأَبَى أَنْ يَنْزِلَ وَأَبَى أَنْ يُقَاتِلَهُمْ ، وَنَهَى عَنْ ذَلِكَ ، وَأَغْلَقَ بَابَهُ ،
فَحُوصِرَ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِينَ يَوْمًا وَهُوَ فِي الدَّارِ ، فِي سِتْنَةِ رَجُلٍ ، وَقَالَ لِمَبِيدِهِ :
مَنْ أَغْمَدَ سَيْفَهُ فَهُوَ حُرٌّ . ثُمَّ لَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ مِنْ دَارِ بْنِ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ ،
فَضَرَبَهُ نِيارُ بْنُ عِيَاضِ الْأَنْصَارِيِّ بِمِشْقَصٍ فِي وَجْهِهِ ، فَسَالَ الدَّمُ عَلَى مَصْحَفٍ
فِي حِجْرِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِلَحِيَّتِهِ ، فَقَالَ : دَعِ لِي لَحِيَّتِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ
كَانَ أَبُوكَ بِكَرَمِهَا ! فَاسْتَحْيَا وَخَرَجَ . ثُمَّ دَخَلَ رُومَانُ بْنُ سِرْحَانَ ، أَزْرَقُ
قَصِيرٍ مَعَهُ خِنْجَرٌ ، فَاسْتَقْبَلَهُ بِهِ ، وَقَالَ : عَلَى أَيِّ دِينٍ يَا نَعْمَلُ ؟ فَقَالَ لَهُ :
لَسْتُ بِنَعْمَلٍ ؛ وَلَكِنِّي عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَأَنَا عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

قال : كَذَبْتَ ، وَضَرَبَهُ فِي صُدْغِهِ الْأَيْسَرِ فَقَتَلَهُ ، وَأَدْخَلَتْهُ امْرَأَتُهُ نَائِلَةً
بَيْنَهَا وَبَيْنَ رِيَابِهَا .

وَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ مَعَهُ السَّيْفُ مَصْلَمًا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَقْطَعَنَّ
أَنْفَهُ ، فَعَالَجَ الْمَرْأَةَ ، فَكَشَفَ عَنْ ذِرَاعَيْهَا ، وَقَبِضَتْ عَلَى السَّيْفِ ، فَقَطَعَ لَهَا مِخْلَافَهَا ،
فَقَالَتْ لِغُلَامٍ لِعُثْمَانَ مَعَهُ سَيْفٌ ، يَقَالُ لَهُ رِبَاحٌ : أَعْنِي عَلَى هَذَا ، فَضَرَبَهُ
بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ . وَأَقَامَ عُثْمَانُ يَوْمَهُ ذَلِكَ مَطْرُوحًا إِلَى اللَّيْلِ .

وقيل : إِنَّ الَّذِي قَتَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِمِشْقَصٍ : وَقِيلَ : بَلْ قَتَلَهُ سُودَانُ
ابْنُ حِرَانَ . قِيلَ : بَلْ رُومَانُ الْيَمَانِيُّ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ .

وقال ابن عبد البر^(١) : وَأَكْثَرُهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ قَطْرَةَ مِنْ دَمِهِ وَقَعَتْ عَلَى
المَصْحَفِ ، عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾^(٢) . انْتَهَى .

وقيل : أَخَذَ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ بِلَحِيَّتِهِ بِرُزَّاهَا وَيَقُولُ : مَا أَغْنَى عَنْكَ مَعَاوِيَةُ !
مَا أَغْنَى عَنْكَ ابْنُ أَبِي مَرْحٍ ! مَا أَغْنَى عَنْكَ ابْنُ عَامِرٍ !

(١) الاستيعاب ١٠٤٦ (٢) سورة البقرة ١٣٧ .

وقال كنانة مولى صفية بنت يحيى : شهدت مقتل عثمان ، فأخرج من الدار في أربعة من شباب قريش ، مضرّجين بالدّماء ، كانوا يذبّون عن عثمان : الحسن بن عليّ وعبد الله بن الزبير ومحمد بن حاطب ومروان ابن الحُكم .

وقال أبو هريرة : إنني لمحصور مع عثمان في الدار ، فرمى رجل منا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، الآن طاب الضراب ، فتلّوا منا رجلا ، قال : عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت سيفك ، فرمته ولا أدري أين هو حتى الساعة ! وكان معه في الدار من يدافع عنه : عبد الله بن عمر وعبد الله بن سلام وعبد الله بن الزبير والحسن بن عليّ وأبو هريرة ومحمد بن حاطب وزيد بن ثابت ومروان بن الحُكم ، في طائفة .

وعن مالك ، أن عثمان لما قتل ، ألقى على المذبة ثلاثة أيام ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

من ستره الموت صرّ فالامزاج به فليأت مأذبة في دار عثمان^(١)
ومنها :

ضحوا بأشمة عنوان السجود يقطع الليل تسبيحا وقرآنا^(٢)
لتسمن وشيكا في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمان
وفيه يقول أيضا :

إن تمس دار بني عثمان موحشة^(٣)
باب صريع وباب موحش خرب^(٤)

(١) ديوانه ٤٠٩ ، وفيه : « مأسدة » . (٢) الأشمط : أبيض الشعر .

(٣) الديوان : « دار ابن أروى » . (٤) ديوانه ٢٢ ، وفيه : « وباب محرق » .

فقد يصادف باغى الخبر حاجته فيها ويأوى إليها الجود والحسب
وقيل : إنه كتب وهو محصور إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :
أما بعد ، فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطيبين^(١) ، وطمع في من
لا يدفع عن نفسه ، ولم يعتزك كنيم ، ولم يبلغك كعلب ، فأقبل إلى علي أتت
أمر بك أحببت :

فإن كنت ما كولا فكن حيرا كل وإلا فأدركني ولما أمرت^(٢)
ومثل هذا البيت قول الآخر :

فإن كنت مقتولا فكن أنت قاتلي فبعض منايا القوم أكرم من بعض
وقال ابن عمر : أذنب عثمان دنبا عظيما يوم التقى الجمعان بأحد ، فعفا
الله عنه ، وأذنب فيكم دنبا صغيرا ، فقتلتموه .
وقال الحسن : سمعت عثمان يقول : يا أيها الناس ، ما تنقمون علي ، وما من
يوم إلا وأنتم تنقسمون فيه خيرا .

قال الحسن : شهدت مناديه ينادى : يا أيها الناس ، اغدوا على
أعطياتكم فيغدون ، فيأخذونها وافية . يا أيها الناس ، اغدوا على أرزاقكم
فيأخذونها وافية ، اغدوا على أكسيتكم فيغدون ، فيأخذون الحلل . اغدوا على
السمن والسمل . أرزاق دارة ، وخير كثير .

ومن البين أن ما على وجه الأرض مؤمن يخاف مؤمنا إلا يوده وينصره
ويألفه ، فلو صبر الأنصار على الأمر لو سقمهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق ،
ولكنهم لم يصبروا ، فستوا السيف فصار عن الكفار مفهودا ، وعلى المسلمين
مسؤولا إلى يوم القيامة^(٣) .

(١) الألباء للخيول : موضع الأخلاف في الناقة .

(٢) البيت للمزق العبدى ، واسمه شأس بن نهار ، وانظر المؤلفات المختلفة لأحمدى ١٨ ،

وكامل المبرد ١ : ١٧ . (٣) الاستيعاب ٤١ : ١ .

قلت : يراد بهذا الكلام في الإسلام ، وإلا فقد تزوج بمقبوب عليه السلام
بنتي خاله لابان بن سهرارز وراحيل هي أم يوسف وأخيه بنيامين .

وعثمان هو ذو الثورين ، وذو زوج الأبتن ، وصاحب الهجرتين .

ولما دُفن دُفن نياحه في دِمَائِهِ لم يُعَسَل ، ودُفن بالبقيع . وقيل :
صلى عليه مروان ، ونائلة وأم البنين زوجاته ؛ وهما اللتان دَأَمَا في حُفْرَتِهِ
على الرجال الذين نَزَلُوا في قَبْرِهِ ، ولَحَدُوا لَهُ ، وغَيَمُوا قَبْرَهُ .

وكانت قَتْلُهُ بالمدينة يومَ الْجُمُعَةِ لثمان عشرة - أو سبع عشرة - خلت
من ذى الحِجَّة ، سنة خمس وثلاثين للهجرة ، وكانت ولايته اثنتي عشرة سنة
إلا اثنتي عشرة ليلة .

وفي ذلك يقول أيمن بن خريم بن فالك الأسدي :

تَعَاقَدَ الْفُتَّاحُ عُمَانَ ضَاحِيَةً فَأَيَّ ذَبْحٍ حَرَامٍ وَيُلْهِمُ ذَبْحُوهَا !^(١)
ضَحَّوْهُا بِعُمَانَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَمْ يَخْشَوْهُا عَلَى مَطْمَحِ الْكَفِّ الَّذِي طَمَحُوا
فَأَيَّ سَنَةٍ كَفَرُ^(٢) سَنَ أَوَّلُهُمْ وَبَابُ كَفَرٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ فَتَحُوا !
مَاذَا أَرَادُوا أَهْلَ اللَّهِ سَقَمَهُمْ بِسَقَمِكَ ذَاكَ الدَّمِ الزَّاكِي الَّذِي سَفَحُوا
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَهُ سَقَمًا أَقْوَا أَنَامًا وَخُسْرَانًا وَمَا رَبِحُوا
وقال بعضهم :

كَعَمْرُ أَبِيكَ فَلَا تَكْذِبَنَّ لَقَدْ ذَهَبَ الْخَيْرُ إِلَّا قَلِيلًا^(٣)
لَقَدْ سَفِهَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ وَخَلَّى ابْنُ عَقَّانٍ شَرًّا طَوِيلًا
وَدَخَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَالنَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ عَلَى أَمِيرٍ

(١) الاستيعاب ١٠٥١ وروايته : « ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ضحى » .

(٢) الاستيعاب : « سنة شر » .

(٣) الاستيعاب ١٠٥٢ ونسبهما إلى بعض بني نهشل .

للمؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال كعب بن مالك : أخبرنا عن عثمان : أقتل ظالما فنقول بقولك ، أم قُتلَ مظلوما فنقول بقوانا ، أو نكلك إلى الشبهة ؟ فالتعجب من يقيننا وشكك ، وقد زعمت العرب أن عندك علم ما اختلفنا فيه ، فهاتِه نعرفه ، ثم قال :

فَكَفَّ يَدَيْهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَيَقَنَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِضَافِلٍ ^(١)
وَقَالَ لِمَنْ فِي دَارِهِ لَا تُقَاتِلُوا عَنَّا اللَّهُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ لَمْ يُقَاتِلِ
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ صَبَّ عَلَيْهِمُ السَّمَدَاوَةَ وَالْبَغِضَاءَ بَعْدَ التَّوَاصِلِ
وَكَيْفَ رَأَيْتَ أَخْلِيْرَ أَدْبَرَ عَنْهُمْ وَوَلَّى كِدَابَارَ الدُّعَامِ الْجَوَافِلِ ^(٢)

فقال لهم علي رضي الله عنه : لكم عندي ثلاثة أشياء : استأثر عثمان فأساء الأثرة ، وجزعتم فأسأتم الجزع ، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة . فقالوا : لا ترضى بهذا العرب ، ولا تعذرننا به . فقال علي رضي الله عنه : أترد علي بين ظهراني المسلمين بلا نية صادقة ، ولا حجة واضحة ! اخرجوا عني فلا تجاوروني في بلدنا فيه .

فخرجوا في يومهم حتى أتوا معاوية ، فقال : لكم الكفاية والولاية . وأعطي حسان ألف دينار وكعب بن مالك ألف دينار ، وولى الزمان بن بشير حصص ، ثم نقله إلى الكوفة بعدد .

قال إسحاق بن عيسى : أعيد سليا بالله أن يكون قتل عثمان ، وأعيد عثمان بالله أن يكون عليا قاتله .

قلت : ذهب إلى معنى الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم : « أشدُّ أهل النار عذابا من قتل نبيا ، أو قتل نبي » .

(١) الاستيعاب ١٠٥٠ ، وقال : « وتنسب لحسان أو للوايد بن عقبة » .

(٢) الاستيعاب : « كدإبار السحاب الجوافل » .

قال ياقوت في مُعْجَم البلدان : وَجِدَ عَلَى خَشْبَةٍ مِنْ خَشَبِ عُمدَانِ لما هدمه
عُمانُ مَكْتُوبٌ بِرِصَاصٍ مُصْبُوبٍ فِي خَشْبَةٍ : « اسلم عُمدَانِ ، هادِمْكَ مَقْتُولٌ »
فهدمه عُمانُ فَقُتِلَ (١) .

وَحُكِيَ أَنَّهُ أَتَى بِهِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِسُكْرَانَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا شَرَبْتَ ؟ فَقَالَ :
مَعْتَمَةً كَانَتْ قَرِيشٌ تَمَافُهَا فَلَمَّا اسْتَحَلَمَتْ قَتَلَ عُمانَ حَلَّتِ
فَقَالَ : مع من شربت ؟ فقال :
شَرَبْتُ مَعَ الشُّعْرَاءِ بِكَامٍ رَوِيَّةٍ وَأُخْرَى مَعَ الْجُوزَاءِ لَمَّا اسْتَقَلَّتِ
وَقَالَ لَهُ : فَلِمَ عَرَبَدْتَ ؟ فَقَالَ :
سَقَوْنِي وَقَالُوا : لَا تُغْنٍ وَلَوْ سَقَوْا جِبَالَ حُنَيْنٍ مَاسَقَوْنِي لَأُنْتُ
وَقَالَ ابْنُ عَبْدُونَ فِي رَأْيَيْتِهِ :

وَحَضَبْتُ شَيْبَ عُمانَ دَمًا
وَحَطَّطْتُ إِلَى الزَّيْرِ وَلَمْ تَسْتَحْيِ مِنْ عُمرِ (٢)

* * *

٤٩ - وقوله : وبذلتُ لِقَطَامٍ :

ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقِينَةً وَضَرَبَ عَلِيٌّ بِالْحُسَامِ الْمُسَمِّمِ

يشير بذلك إلى قَتْلَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا لما
قَاتَلَ الْخَوَارِجَ بِالْهَرَوَانِ ، وَاسْتَأْصَلَ جُمْهُورَهُمْ ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْيَسِيرُ ،

(١) مُعْجَم البلدان ٦ : ٢٠٣ .

(٢) البسامة ٣٠٠ .

انقلب له من بقاياهم عبد الرحمن بن ملجم ، و تعاقد الخوارج على قتل علي بن أبي طالب ومعاوية وعمر بن العاص رضى الله عنهم ، و خرج منهم ثلاثة نفر لذلك ، و دخل ابن ملجم الكوفة فاشترى لذلك ^(١) سيفاً ، و سقاء السم - فيما زعموا - حتى لفظه . ف قيل ذلك لعلي رضى الله عنه ، فأحضره ، فقال له : لم تسقى سيفك السم ؟ قال : لعدوى وعدوك . فحلى عنه ، وكان في حلال ذلك يأتي علياً فيسأله ويستحمله ، إلى أن وقعت عينه على قطام - وكانت جميلة رائحة - فأعجبته ، فخطبها ، فقالت : لقد آليتُ ألا أتزوج إلا على مهر لا أريد سواه ، فقال : ما هو ؟ فقالت : ثلاثة آلاف وعبد وجارية ، وقتل علي ابن أبي طالب ، فقال : والله ما أتيتُ إلا للفتك به ، ولا أقدمنى هذا المهر غير ذلك ؛ ولكن لما رأيتك آثرت تزويجك ، فقالت : ليس إلا الذى قلت لك . فقال : وما بُقيت منك ! إن أنا قتلت علياً أعلم أنى لم أفت ، فقالت : إن قتلتَه ونجوت ، فهو الذى أردت من تمليح شفاء نفسى ، وتهنئتك العيش منى ، وإن قُتلتُ فما عند الله خير من الدنيا وما فيها ، فقال لها : لك ما تشرط ، ثم قال :

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالחסام المستم ^(٢)
فلا مهر أعلى من علي وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

فقالت : أرى من يشد ظهرك ، فبعثت إلى ابن عم لها يدعى وردان ابن مجالد ، فأجابها . ولحق ابن ملجم شبيب بن شجرة الأشجعي ، فقال له : يا شبيب ، هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما هو ؟ قال : تساعدنى على قتل علي بن أبي طالب ، فقال : شكلتكم أمك ! لقد جئت شيئاً إدا !

(١) ساقطة من ط

(٢) الاستيعاب ١١٣١ ، وفيه : « المصم » ، وقبله هناك :

قَلَمْ أَرَّ مَهْرًا سَأَلَهُ ذُو سَمَاحَةٍ كَمَهْرٍ قَطَامٍ فِي فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ

كيف تقدر على ذلك؟ قال : إنه رجل لا حرس له ، ويخرج إلى المسجد منفردا فتتمكن منه ، وقد كنّا له في المسجد فدفقته ، فإن نجونا نجونا ، وإن قتلنا فقد سمّدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة ؛ فقال : ويلك ! إنّ عليا ذو سابقة في الإسلام مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ والله ما تنشرح نفسى لقتله ، فقال : ويلك ! إنه حكم الرجال في دين الله ، وقُتل إخواننا الصالحين ، فنقتله ببعض من قتل : فلا تسكن في دينك . فأجابه ، وأقبل حتى دخلا على قطّام ، وهي معتكفة في المسجد الأعظم ، في قبة ضربتها لنفسها ، فدعت لها ، وأخذتا سيفهما ، وجلسا قبالة السّدة التي يخرج منها على رضى الله عنه . فخرج إلى صلاة الصبح ، فبدره شبيب فضربه فأخطأه ، وضربه ابن ملجّم على رأسه وقال : الحكم لله يا عليّ ، لا لك ولأصحابك ! فقال عليّ : فزت ورب الكعبة^(١) لا يفوتنكم الكلب .

فشدّ الناس عليه من كل جانب فأخذوه ، وهرب شبيب خارجا من باب كندة ، فقال عليّ رضى الله عنه : فإن متّ فاقتلوه ولا تمشوا به ، وإن لم أمت فالأمر لي في العفو أو القصاص .

واختلف أهل العلم بالأخبار : هل قتله في الصلاة ، أو قبل الدخول فيها ؟ وهل استخلف من أتمّ بهم الصلاة ، أو هو أتمّها ؟ والأكثر على أنّه استخلف جمعة بن هبيرة ، فصلى بهم تلك الصلاة .

وعن عثمان بن صهيب أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعليّ : « من

(١) بعدها في ط : « قوله رضى الله عنه : « فزت » يحتمل أن يكون من قولهم : فاز الرجل ، إذا مات ، ويحتمل : من قولهم : فزت بالشهادة ، وأصل المفازة الهلاك ، وسميت المفازة بذلك على التنازل ، كما يقال للدهم : سليم . »

أَشَقَى الْأَوَّلِينَ ؟ » قال : الذي عَقَرَ الدَّاقَةَ ، قال : « فن أشقى الآخرين ؟ »
قال : لا أدري قال : « الذي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذَا ^(١) » - بمعنى نافوخه -
« فَيَخْضِبُ هَذِهِ » ، بمعنى لِحِيَّتِهِ .

وكان على رضى الله عنه إذا رأى ابن ملجم قال :

أَرِيدُ حَيَاتَهُ وَيَرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ ^(٢)

وكان على رضى الله عنه كثيراً ما يقول : مَا يَمْنَعُ أَشَقَاها أَنْ يَخْضِبَ هَذِهِ
مِنْ هَذَا - ويشير إلى لِحِيَّتِهِ وَرَأْسِهِ - خَضَابَ دِيمٍ لَا خَضَابَ عِطْرِ وَعَنْبَرٍ .
وعن سُكَيْنَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ : جَاءَ ابْنُ مُلْجَمٍ يَسْتَحْمِلُ
عَلَيًّا ، فَحَمَلَهُ ثُمَّ قَالَ :

أَرِيدُ حَيَاتَهُ وَيَرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَى مِنْ خَلِيلَى مِنْ مُرَادٍ

أَمَا إِنْ هَذَا قَاتِلِي ؟ قِيلَ : فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْهُ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْنِي بَعْدَ .

وقال بكر بن حماد يَرِنِي عَلِيًّا بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَهَزَّ عَلَىِّ بِالْعِرَاقَيْنِ لِحْيَةً مُصْبِيئَهَا جَلَّتْ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ^(٣)
وَقَالَ سَيِّئَاتُهَا مِنَ اللَّهِ حَدِيثٌ يُخْضِبُهَا أَشَقَى الْبَرِيَّةِ بِالْدَمِ -
فَبَاكَرَهُ بِالسَّيْفِ شَلَّتْ يَمِينُهُ لَشَوْمَ قِطَافٍ عِنْدَ ذَاكَ ابْنِ مُلْجَمٍ
فِيَا ضَرْبَةً مِنْ خَاسِرٍ خَلَّ سَعْيُهُ تَبَوَّأَ مِنْهَا مَقْعَدًا فِي جَهَنَّمَ !

وَأَجْتَمَعَ الْأَطْبَاءُ لِمَتَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ أَبْصَرَهُمُ بِالطَّبِّ أَثِيرُ بْنُ
عَمْرِو اللَّهِ كُوفِيٌّ ، وَكَانَ صَاحِبَ كَسْرَى يَقْطُطُّ لَه - وَهُوَ الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ

(١) د: « يضرب على هذا » . (٢) لعمر بن ميمون بكرب ؛ وانظر اللالكى ١٣٨

(٣) الاستيعاب ١١٣١ .

صَحْرَاهُ أَثِيرٌ^(١)، فَأَخَذَ أَثِيرُ رُتَّةَ شَاةٍ حَارَّةٍ ، فَتَذَبَّعَ عِرْقًا مِنْهَا فَاسْتَخْرَجَهُ ، فَأَدْخَلَهُ فِي جِرَاحِهِ عَلَى ، ثُمَّ نَفَخَ الْعِرْقَ فَاسْتَخْرَجَ بِهِ ، فَإِذَا عَلَيْهِ بَيَاضُ الدَّمَاعِ ، وَإِذَا الضَّرْبَةُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى أُمِّ رَأْسِهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعْمَدَ عَهْدُكَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ .

وَلَمَّا مَاتَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ ، أَحْضَرَ ابْنُ مُلْجَمٍ ، وَجَاءَ النَّاسُ بِاللَّنْظِ وَالْبُورَارَى ، وَقُطِّعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ ، وَكُحِلَتْ عَيْنَاهُ ، ثُمَّ قُطِعَ لِسَانُهُ ، ثُمَّ أُحْرِقَ فِي قَوْصَرَةٍ .

وَقِيلَ إِنَّهُ قُطِّعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ وَلَمْ يَبْقَاوَهُ ، بَلْ أَخَذَ بِقُلُوِّ الْقُرْآنِ ، فَلَمَّا أَرَادُوا قَطْعَ لِسَانِهِ ، أَمْتَنَعَ عَنْ إِخْرَاجِهِ ، فَتَمَبَّجُوا فِي ذَلِكَ ، فَقِيلَ لَهُ : قُطِّعْ يَدَاكَ وَرِجْلَاكَ وَلَا نَأَلْتِ . وَمَا أَمْتَنَعْتَ ؛ فَمَا هَذَا الِامْتِنَاعُ عِنْدَ قَطْعِ لِسَانِكَ ؟ قَالَ : لَنَلَا يَفُوتَنِي مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ شَيْءٌ وَأَنَا حَيٌّ . فَشَقُّوا شِدْقَهُ ، وَأَخْرَجُوا لِسَانَهُ بِكَلَّابٍ وَقَطَّعُوهُ .

وَكَانَتْ قِتْلَةُ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ لَيْلَةَ الْأَحَدِ لِإِحْدَى عَشْرَةِ لَيْلَةٍ بَقِيَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ ، عِنْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ .
وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَارِيخِ قِتْلِهِ وَسَيِّمِهِ ، فَقِيلَ : لثَلَاثَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ الْجُمُعَةِ . وَقِيلَ : ثَمَانِ عَشْرَةٍ . وَقِيلَ : أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنَ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ . وَقِيلَ : وَعَمْرُهُ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً . وَقِيلَ : ثَمَانِ وَخَمْسُونَ سَنَةً . وَقِيلَ : ثَلَاثَ وَسِتِّينَ ، وَقِيلَ : خَمْسَ وَسِتِّينَ . وَقِيلَ : أَرْبَعَ وَسِتِّينَ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ - وَقِيلَ : أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا .

وَاخْتُلِفَ فِي مَكَانِ قَبْرِهِ ، قِيلَ : فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ بِالْكُوفَةِ ، وَقِيلَ : فِي رَحْبَةِ الْكُوفَةِ ، وَقِيلَ : فِي نَجْفِ الْخَيْرَةِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ وُضِعَ فِي صَنْدُوقٍ ، وَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّكَافُورِ ، وَجِئَ عَلَى بَعِيرٍ يَرِيدُونَ بِهِ الْمَدِينَةَ ، فَلَمَّا كَانُوا

(١) صحراء أثير ، بالنصير ، بالكوفة ، ذكره ياقوت وأورد الخبر .

بيلاد طيّبٍ أناخوا البمير،^(١) فأخذته طييء^(٢)، ودفنوه بأرضهم.

وقال المبرد عن محمد بن حبيب: أوّل من حوّل من قبرٍ إلى قبرٍ على بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقالت عائشة لما بلغها قتله: لتصنع العرب ماشاءت بعده، فليس لها من ينّهاها.

وكان ابن ملجّم قد قرأ القرآن على معاوية بن جبل - وكان من العبّاد. قيل إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن قرّب الناس إلى دار عبد الرحمن بن ملجّم؛ ليعلم الناس القرآن والفقه. فوسّع مكان داره، ثم كان من شيمته على، وشهد معه صيفين، ثم فعل بعد هذا كلّ ما فعله.

وعند الخوارج أنّ ابن ملجّم من أفضل الأئمة، وكذلك النصيرية يعظمونه. قال أبو محمد بن حزم: يقولون إنّ ابن ملجّم أفضل أهل الأرض؛ لأنه خلّص روح اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره.

وعند الروافض أنّه أشقى الخلق في الآخرة؛ وهو عند أهل السنة ممن ترجوه النار، ويجوز أن الله تعالى يتجاوز عنه، وحُكمه حكم قاتل عثمان والزبير وطلحة وسعيد بن جبير وعمار وخارجة والحسين؛ فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبفضهم في الله تعالى، ونسكل أمورهم إلى الله تعالى.

وفيه يقول عمران بن حطان:

يا ضربةً من بقيّ ما أراد بها — إلا ليبلغ من ذى المرش رضوانا^(٣)

(١-١) ساقط من ط

(٣) كامل المبرد ٣ : ١٦٩ ، وفي زيادات طبعة أوروبا : «فله الفقيه الطبرى فقال : =

إني لأذكره يوماً فأحسبه
وقال بكر بن حماد :

قل لابن ملجم والأقدار غالبية :
قتلت أفضل من يشي على قدم
وأعلم الناس بالإسلام ثم بما
صهر النبي وهولاه وناصره
وكان منه على رغم الحود له
وكان في الحرب سيفاً ماضياً ذكراً
ذكرت قاتله والدع منحدراً
إني لأحسبه ما كان من بشر
أشقى مراد إذ عدت قبائلها
كما قر الفاقة الأولى التي جلبت
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها
فلا عنا الله عنه ما تحمله
أقوله في شقي ضل مجترما
يا ضربة من بقي ما أراد بها

هدمت وبلك للإسلام أركاناً^(١)
وأول الناس إسلاماً وإيماناً
سن الرسول لما شرعاً وتدياناً
أضحت مناقبه نورا وبرهاناً
مكان هارون من موسى بن عمران
ليثاً إذا لقي الأقران أقراناً
فقلت سبحان رب العرش سبحاناً
يحتسب للمعاد والكن كان شيطاناً
وأخسر الناس عند الله ميزاناً
على ثمود بأرض الحجر حسراناً
قبل النبوة أزماناً وأزماناً
ولا سقى قبر عمران بن حطاناً
ونال ما ناله ظلماً وعدواناً :
إلا لنبيل من ذى العرش رضواناً

يا ضربة من شقي ما أراد بها
إني لأذكره يوماً فالعنسه
وقال محمد بن أحمد الطيب يرد على عمران بن حطان :

يا ضربة من غدور صار ضاربها
إذا تفكرت فيه ظلت ألعنه
أشقى البرية عند الله إنساناً
والعن الكلب عمران بن حطاناً

بل ضربة من غويٍّ أوردته لظيٍّ فسوف يلقى بها الرحمن غضباناً
كأنه لم يرد قصداً بضربته إلا ليصلي عذاب الخلد ميزاناً

وما أحسن قول ابن عبدون في قصيدته :

وليتنهما إذ فدتُ حمراً بخارجة فدتُ علياً بمن شاءت من البشر^(١)

وقال البحتري :

ولا عجب للأشد إن ظفرت بها كلاب الأعادي من فصيح وأعجم^(٢)
فجربة وحشي سقت حمزة الردى وموت علي من حسام ابن ملحجم

وقال عماره اليماني يذكر الأربعة :

أودى عليٌّ وعثمانٌ بمخالبها ولم يقيها أبو بكرٍ ولا عمرُ
ومن أراد التأمي في مصيبته فليسوري برسول الله مقتبرُ

وما أحسن قول شيخ الشيوخ شرف الدين :

أدرك كاسَ خمرٍ صرفاً فني حياة المدام حياة الفؤاد
ولا تفتننا تـكـن ثائلاً لأشقى نـمـودَ وأشقى مُراد
وأنشدني من لفظه شيخنا الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
الذهبي فقال :

إذا قرأ الحديث على شخصٍ وأخلى موضعاً لوفاءٍ مثلي
فما جازي بإحسانٍ لأني أريدُ حياته ويريدُ قتيلى
فغبتُ عنه وجئتُه فأشدته نفسي :

خليك ماله في ذا مُرادٍ فدُم كالشمس في عليا محللٍ

وَقُضِيَ أَنْ تَعِيشَ مَدَى الْأَيَّامِ وَأَنْتَ لَا تَمَلُّ وَأَنْتَ تَمَلُّ
فَأُحِبُّهُ قَوْلِي :

• خَلِيلُكَ مَالَهُ فِي ذَا مَرَادٍ •

لأنَّه تمام البيت الذي ضمَّته .

• • •

٥٠ - وقوله : وكتبْتُ إلى عمر بن سعد أن جمعَ الحسين .

يشير بذلك إلى قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وذلك أنه لما أُخِذَ
البيمةُ يزيد بن معاوية لم يُبايِعه الحسين ، وكان أهل الكوفة كتبوا إلى
الحسين بدعونه إلى الخروج زمن معاوية وهو بأبى ، فقدم قومٌ منهم إليه ،
ثم غلب على رأيه ، فخرج ومعه من أهل المدينة تسعة عشر رجلاً من نساء
وصبيان ، وتبعه محمد بن الحنفية ، وأعلمه أن الخروج ليس برأى . فأبى الحسين ،
فحبس محمد ولده ، وخرج من مكة متوجهاً إلى العراق في عشر ذي الحجة ،
سنة [ستين]^(١) .

فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد : إن حسينا صائرٌ إلى الكوفة ،
وقد أُبْعِلَ به زمانُك من بين الأزمان ، وبلدك من بين البلدان ، وعندها
تعتق أو تعود عبداً .

فندب له عبيد الله بن زياد وعمر [بن سعد] بن أبي وقاص ، فقاتلهم ،
فقال الحسين : يا عمر ، اختر مني إحدى ثلاث : أما تركتني أرجع ، أو سَيرتني إلى
يزيد فأضع يدي في يده ، فيحكم في بما يرى ؛ فإن أبيت فسَيرني إلى الترك
فأقاتلهم حتى أموت .

فأرسل^(٢) عمر بذلك إلى ابن زياد ، فهم أن يسيره إلى يزيد ، فقال شمر

(٢) د . « فأوصل » .

(١) من ط

ابن ذى الجوشن : لا أيها الأمير ، إلا أن ينزل على حُكِّكَ ، فأرسل إليه ، فقال الحسين : والله لا أفعل . وأبطأ عمر عن قتاله ؛ فأرسل إليه ابن زياد أن جمع بالحسين -- قال الأصمعي : معناه أحبسه ، وقال ابن الأعرابي : صَيَّقَ عليه .

وجَهَزَ إليه شمرًا وقال : إن تَقَدَّمَ عمرُ وقَاتِل وإلا فاقْتُلْهُ ، وكن مكانه . فقاطعه إلى أن أصابه سهمٌ في حَقِّكَ ، فسَقَطَ عن فرسه ، فنزل إلى الحسين ^(١) شمر بن ذى الجوشن - وقيل غيره - فاحتزَّ رأسه . إنا لله وإنا إليه راجعون !

وقُتِلَ معه يوم عاشوراء إخوته بنو أبيه : جعفر وعقيل ومحمد والمباس الأكبر بنو علي ، وابنه الأكبر علي ، وهو غير عليّ زين العابدين ، وابنه عبد الله بن الحسين ، وابن أخيه القاسم بن الحسن ، ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وأخوه عون ، وعبد الله وعبد الرحمن ابنا مسلم بن عقيل رضى الله عنهم .

ونَحَلَ رأسُ الحسين إلى يزيد ، فوضعه في طست ، وجعل يَسْكُتُ ثَمَانِيًا بقضيب في يده ، ويقول : إنه كان حَسَنَ الشَّعْرِ ، فقال زيد بن أَرْقَم : ارفع قضيبك ، فطأنا رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَلْثَمُ موضِعَهُ ، فقال : إنا نك شَمِيعٌ قد خَرِفْتُ ، فقام زيدٌ يَحْرُثُ ثَوْبَهُ .

وعن محمد بن سُوْقَةَ ^(٢) بن عبد الواحد القرشي ، قال : لما أُتِيَ يزيدُ برأسِ الحسين ، تناوَلَهُ بقضيب ، فكشَفَ عن ثَمَانِيَا ، فوالله ما الدُّرُءُ بأبرد من ثَمَانِيَا ، ثم قال :

(١) م : « فنزل إليه شمر بن ذى الجوشن » .

(٢) ط : « سراقفة »

نَفَلْتُ هَامًا مِنْ رَجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا^(١)

فَقَالَ رَجُلٌ كَانَ عِنْدَهُ : يَا هَذَا ارْتَفِعْ قَضِيَّتَكَ ، فَوَاللَّهِ لَرُبَّمَا رَأَيْتَ شَفَقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَهُ ، فَرَفَعَهُ مِنْذَمَا مَضُوبًا .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَرَفُ الدِّينِ الْمُبَارَكِ مَسْمُوفِي إِزْبِيلَ ، مِنْ حِمْلَةِ قَصِيدَةٍ :

أَتَجِدُّ قَتْلَهُ وَتَرَاهُ إِثْمًا وَقَدْ أَقْبَلْتَهُ بِالطَّفِّ ثَمَرًا
وَتَسْرِعُ بِالْقَضِيبِ ثَنِيَّتَيْهِ أَرَاكَ أَبْدَيْتَهَا نَكْرًا بَكْرًا

وَذَكَرَ أَنَّ سَعْدَ : أَنَّ جَسَدَهُ دُفِنَ حَيْثُ قُتِلَ ، وَأَنَّ رَأْسَهُ كَفَنَهُ يَزِيدُ ، وَأُرْسَلَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَدُفِنَ عِنْدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

قَالَ شَيْخُنَا شَمْسُ الدِّينِ الذَّهَبِيُّ : وَعُلِقَ الرَّأْسُ - عَلَى مَا قِيلَ - بِدِرْمَشَقٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَمَكَثَ الرَّأْسُ فِي خَزَائِنِ السَّلَاحِ حَتَّى وَلَّى سَلِيمَانُ ، فَبِمَثَلِهِ فَجِئَ بِهِ ، وَقَدْ بَقِيَ عَظْمًا أَبْيَضَ ، فَجَعَلَهُ فِي سَقَطٍ وَطَيَّبَهُ وَكَفَنَهُ ، وَدَفَنَهُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا دَحَلَتِ الْمَسْوَدَةُ نَبَشُوهُ وَأَخَذُوهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَكَانِهِ الْآنَ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ .

وَرَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْمَعِزِّ ، أَنَّهُ قَالَ : لَوْ كُنْتُ فِي قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ ، وَأُمِرْتُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ لِمَا فَعَلْتُ ؛ حَيَاءً أَنْ تَقَعَ عَيْنِي عَلَى مُحَمَّدٍ^(٢) .

لَمْ يَقْتُلْ قَالَتْ مَرْجَانَةُ ابْنَةُ عُمَيْدِ اللَّهِ مِنْ زِيَادٍ : يَا خُبَيْثُ ، قَاتِلَ ابْنِ بَنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) لَا يَرَى الْجَمَّةَ أَبَدًا .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : انْظُرُوا ابْنَ دَعِيَّاهُ ، قَتَلَ ابْنَ نَفِيَّاهُ .

(١) للحصين بن الحجاج المري ، ديوان الخامسة ١٩٩ - بشرح الرزوقي .

(٢) ط : « حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقع عيني على عينيه » .

(٣) م : « يا خبيث ، قتل ابن بنت رسول الله »

وعن رأس الجالوت أَنَّهُ قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّ بَنِي وَبَيْن دَاوُدَ سَبْعِينَ
أَبَا ، وَإِنَّ الْيَهُودَ كَلْتَلَفَانِي فَتَعَظُمَنِي ، وَأَنْتُمْ لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّكُمْ إِلَّا آبَ
وَاحِدٌ ، وَقَتَلْتُمْ وَلَدَهُ .
وقيل : إِنَّ الْحُسَيْنَ رَمَى بَدَمَهُ ^(١) نَحْوَ السَّمَاءِ ، وَقَالَ : أَطْلُبُ بَدَمَ ابْنِ بَنِي
نَبِيِّكَ .

وَكَانَ قَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ النَّارَاتِ ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ ، وَحَالُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ . وَأَشَارَ
بِذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَبَانَ بْنِ دَارِمٍ ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : اللَّهُمَّ أَظْمِئْهُ ؛ فَمَا
لَبِثَ الْأَبَانِيُّ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى رَأَى وَإِنَّهُ لَيُؤْتِي بَعْضَ يُرْوَى عِدَّةً ، فَيَشْرِبُهُ ، فَإِذَا
نَزَعَهُ عَنْ فِيهِ قَالَ : اسْقَوْنِي فَقَدْ قَتَلَنِي الْعَطَشُ ، فَأَنْقَذَ بَطْنُهُ كَأَنْقَذَادِ الْبَعِيرِ .

وَقَالَ الزَّيْبِرُ : قَتَلَهُ سَنَانُ بْنُ أَبِي أُنْسٍ النَّجْفِيُّ ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ خُوَلَّى بْنُ يُزَيْدَ
الْأَصْبَحِيِّ مِنْ حَمِيرٍ ، وَقَتَلَ مَعَهُ سَبْعَةَ عَشَرَ شَابًّا . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ : كَلَّمَهُمْ
قَدْ أَرْتَكُضُوا فِي رَحِمِ فَاطِمَةَ .

وقيل : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي نَوْمِهِ كَأَنَّ كَلْبًا أَهْبَعَ وَلَغَ فِي
دَمِهِ ؛ فَلَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ - وَكَانَ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ بِهِ وَضَحَ - فَفَسَّرَتْ رُؤْيَاهُ .
وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ - وَيُرْوَى الْغُبَرِيُّ :

أَيْرَجُو مَمَشَرٌ قَتَلُوا حُسَيْنًا شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ
وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

عَبْدُ شَمْسٍ قَدْ أَضْمَرْتُ لِبَنِيهَا شَمَّ حَرَبًا يَشِيبُ مِنْهُ الْوَلِيدُ
فَأَبْنُ حَرْبٍ لِلْمُصْطَفَى ، وَابْنُ هَنْدٍ لِعَلِيِّ ، وَلِلْحُسَيْنِ يُزَيْدُ
وَقَالَ الْخَلْفَاجِيُّ مِنْ أَيْيَاتِ :

يَا أُمَّةَ كَفَرْتَ وَفِي أَفْوَاهِهَا الْقُرْآنُ فِيهِ ضَلَالُهَا وَرَشَادُهَا
أَطْلَى النَّابِرَ تُمَلِّنُونَ بِسَبِّهِ وَبَسِيفَهُ نُصِيبَتْ لِسُكِّ أَحْقَادُهَا

(١) د : « رَمَى يَدَيْهِ » . (٢) م ، ط : « أَضْمَعَهُ » .

تلك الضمائمُ بينكمْ بَدْرِيَّةُ قُتِلَ الحُسَيْنُ وما حَبَّتْ أَحقادُها
وقال أبو الحسين الجزار :

وبعودُ عاشوراءَ يذكُرُنِي رُزءُ الحُسَيْنِ فَلَيْتَ لَمْ يَعودِ
وَلَيْتَ عَيْنًا فِيهِ قَدْ كَحَلْتُ بِمَسَرَّةٍ لَمْ تَخْلُ مِنْ رَمَدِ
ويبدأ به لثمانية خُضِبَتْ مقطوعةً من زَنْدِها بِبَيْدِي
يومٌ سبيلي حينَ أَذْكَرُهُ ألاَّ بدور الصبرِ في خَلَدِي
أما وقد قُتِلَ الحُسَيْنُ به فأبو الحُسَيْنِ أحقُّ بالكَمَدِ

ولقد أحسن في البَيْتِ الثالث والخامس كلَّ الإحسان .
وقال أحمد بن عيسى الهاشمي من ولد الواثق ، يَعْتَذِرُ من الكحل في يوم
عاشوراء :

لَمْ أَكْتَحِلْ في صباحِ يومٍ أَرِيقَ فِيهِ دَمُ الحُسَيْنِ
إِلَّا لِحُزْنِي وَذَلِكَ أَنِّي سَوَدْتُ حَتَّى بَيَاضَ هَيْئِي
وقال عمارة اليماني :

غصبت أمةً لِزُثْ آلِ مُحَمَّدٍ سَفَهًا ، وَشَنَّتْ غَارَةَ الشَّانِ
وَعَدَّتْ تَخَالَفَ فِي الْخِلَافَةِ أَهْلَهَا وَتَقَابَلَ الْبِرْهَانُ بِالْبَهْتَانِ
لَمْ يَقْتَنِعْ حُكَّامُهُمْ بِرُكُوبِهِمْ ظَهَرَ التَّفَاقُ وَغَارَ الْمُذْرَانِ
وَقَعُودُهُمْ فِي رُتْبَةِ نَبَوِيَّةٍ لَمْ يَبْذِنِهَا لَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ
حَتَّى أَضَافُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخَذُوا بِثَأْرِ الْكُفْرِ فِي الْإِيمَانِ
فَأَتَى زِيَادٌ فِي التَّقْبِيحِ زِيَادَةً تَرَكْتُ يَزِيدَ يَزِيدُ فِي الضُّعْفَانِ
وقيل لابن الجوزي وهو على المنبر : كيف يقال إنَّ يَزِيدَ قَتَلَ الحُسَيْنِ
وهو بِدِمَشْقَ ، والحُسَيْنُ قُتِلَ بِكَرْبَلَاءَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ ! فَأَنْشَدَ :

سَتَهُمْ أَهْلُ آبِ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ مَنْ بِالْعِرَاقِ لَقَدْ أَمْعَدَتْ مَرَمَاكَ^(١)

وقد رثاه من المتقدمين والتأخرين خَلْقٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، وخسوا فيه القصائد المشهورة ، فمنهم الموفق الحكيم المعروف بالورل ، خمس الدريدية مرثية فيه ، والسراج الوراق خمس فيه قصيدتي أبي تمام إحداها قوله :
أَضَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعًا^(١)

والأخرى قوله :

أَيُّ الْقُلُوبِ عَالِمَكَ لَيْسَ تَنْصَدِعُ^(٢)

وقال رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز الحنبلي : اجتمعت بمحمد المرأة - يعني أبا العلاء المَعْرِي - فقال لي : ^(٣) سمعت في مرائي الحسين بن علي رضي الله عنهما مرثية تكتب ؟ ، فقلت : قد قال بعض فلاحي بلادنا أبياتا تمجز عنها شيوخ تنوخ ، فقال : ماهي ؟ قلت : قوله ^(٤) :

رَأْسُ ابْنِ بَنْتٍ مُحَمَّدٍ وَوَصِيَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى قَنَاقَةٍ يُرْفَعُ
وَالْمُسْلِمُونَ بِمَنْظَرٍ وَبِمَجْمَعٍ لَا جَاوِزَ فِيهِمْ وَلَا مُسْتَرْجَعُ
أَبْقَظَتْ أَجْفَانًا وَكَنَتْ أُنْمَتَهَا وَأُنْمَتٌ عَيْنًا لَمْ تَكُنْ بِكَ تَهْجَعُ
مَارُوضَةً إِلَّا تَمَتَّتْ أَنْتَ ——— لَكَ رُبَّةٌ وَيُخَطُّ قُرْبُكَ مَوْضِعُ
فَقَالَ الْمَعْرِي : مَا سَمِعْتُ أَرْقَ مِنْ هَذِهِ .

* * *

٥١ — قوله : وتمثلت عندما بلغني ما بلغني من وقعة الحرة :

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَذَرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الْخُرْجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ

(١) ديوانه ٣٧٤ وبقينه :

* وَأَصْبَحَ مَفْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَمًا *

(٢) ديوانه ٣٧١ ، وبقينه :

* وَأَيَّ دَمْعٍ عَلَيْكُمْ لَيْسَ بِمَنْعٍ *

(٣ - ٣) ساقط من ط .

يشير بذلك إلى يزيد بن معاوية وما فعله بأهل المدينة في واقعة الحرة ، وسبب ذلك أن أهل المدينة أخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، عامل يزيد بن معاوية من المدينة ، وخلصوا يزيد ، وابعوا عبد الله بن حنظلة [الغسيل] ، وحاصروا بني أمية ومن رأى رأيهم من قريش ، وكانوا نحو (١) من ألف رجل ؛ حاصروهم (٢) في دار مروان . فكتب بنو أمية كتابا إلى يزيد على يد حبيب بن كثره ، وهو : أما بعد ، فإننا حصرنا في دار مروان بن الحكم ، ومنعنا من العذب ، ورمينا بالجيوب (٣) ، فياغوثاه ! ياغوثاه !

قال حبيب : فوصلت إلى يزيد ، فأدخلت عليه وهو على كرسي ، واضع رجله في ماء في طست من وجم النقرس ، فقرأه وقال :

لقد بدّلوا الحِلْمَ الَّذِي مِنْ سَجِيَّتِي فَبَدَلَتْ قَوْمِي غِلْظَةً بِإِيمَانٍ
ثم بعث إلى عمر بن سعد ، فأقرأه الكتاب ، وأمره بالسير إليهم ، فقال :
إنما هي دماء قريش تهراق بالصعيد ، فلا أحب أن أتولى ذلك ؛ يتولاها من هو
أبعد منها مني .

فبعث إلى مسلم بن عوفية - وهو شيخ كبير ضعيف - وخرج مُنادي يزيد
بالفاس : أن سيروا إلى الحجاز . وبعث مع مسلم اثني عشر ألف رجل ،
وخرج يزيد يتصفّح الخيل ويُبشّد :

أبلغ أبا بكرٍ إذا الليلُ سرى وهبطَ القوم على وادي القرى
عشرون ألفاً بين كهلٍ وفتى أجمع سكران من القوم ترى
أمّ جَمَعٍ يقظان نفي عنه الكرى يا عجباً من ملحد يا عجباً !
* مُخادِع بالدين يَفْقَو بالقرى *

(١) الجيوب : الأرض الغليظة ، وفي الأصول : « الجيوب » ، وما أثبتته من تاريخ الطبري

وجَهَّزَ الجيش، وقال لمسلم بن عُقبة : أدع القومَ ثلاثاً ، فإن هم أجابوك وإلاّ فمقاتلتهم ؛ فإذا ظهرت فأبْحِها ثلاثاً بما فيها من مالٍ أو زينة ^(١) أو سلاح أو طعام فهو للجهنم . فإذا مضت الثلاث فكُفِّ عن الناس ، وأنظر إلى عليّ بن الحسين فكُفِّ عنه ، وأسْتَوْصِ به خيراً ، وأذن مجلّسه ، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه . ولما بلغ الجيشُ المدينة ، خرج بنو أمّية بأثقالمهم ؛ حتّى لقوا مسلماً بن عُقبة بوادى القرى ، وأنوا المدينة من قتل الحرّة . ولما أصبح نادى : يا أهل المدينة ، إن أمير المؤمنين يزعم أنكم الأصل ، ويقول : إني أكره هِرَاقَةَ دِمَائِكُمْ ، وإني أوجِّلُكُمْ ثلاثاً ، فمن أَرعوى ورَحَمَ قبلنا منه ، وانصرفت عنكم ، وسِرْتُ إلى هذا المُلْجِدِ الَّذِي كان بمَكَّةَ ، وإن أُبَيِّتُمْ كذا . قد أَعَدَرْنَا إِلَيْكُمْ .

ولما انقضت المدة قال : أَسْأَلُونَ أَمْ تُحَارِبُونَ ؟ قالوا : بل نُحَارِبُ ، وتقابل المرِيقان ؛ فقتل عبد الله بن الفسيل وأخوه لأُمّه محمد بن ثابت ابن قيس بن شماس ، ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصارى وجماعة من كبار الصحابة وغيرهم .

وكان مسلم بن عُقبة ضعيفاً ؛ فكان يجلس على كرسيّ ويحمله الغلمان بين أنصفين يحرض الناس على القتال ، إلى أن كلَّ أهل المدينة ، وتفقأ أكابرهم ، وأباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثاً ، يَفْتُلُونَ [الناس ^(٢)] رباحدون الأموال . ثمّ لأنه بايعَ الناسُ ليزيد ، ومن تَأبَّى أو تَلَسَّكَ قتلَه ^(٣) .

ولما فرغ مسلم بن عقبة من أهل المدينة ، توجه إلى مكّة لقتال عبد الله بن الزبير ، وخلف على المدينة رَوْح بن زِنْبَاع الجُدَامِيّ . فوصل مكّة ، وحاصر ابن الزبير ، وأدركته الوفاة فقال : اللَّهُمَّ إني لم أعمل عملاً صالحاً قطّ بعد شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله

(١) الطبرى . « أورقة » ، والرفقة : الدراهم . (٢) من الطبرى .

(٣) انظر خبر الوقعة في تاريخ الطبرى ٥ : ٤٨٢ - ٤٩١ .

أحبَّ إلى من قُتِلَ أهل المدينة ، ولا أرجى عندي في الآخرة . ومات ، فكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلة ثالثة من ذى الحجة سنة ثلاثٍ وستين .
وقال محمد بن أسلم الأنصاري الساعدي يوم الحرة :

إن تقتلونا يومَ حَرَّةٍ واقِمْ فنحنُ على الإسلامِ أوَّلُ من قَتَلَ^(١)
ونحنُ تركناكم بِبَذَرٍ أَذِلَّةٍ وأبنا بأسلابٍ لدا فيكمُ نفلُ
فإن ينج مَنّا عائدُ البيتِ سالما فما نالنا منكم وإن شئنا جَلَلُ
وكان يزيد قد كتب إلى أهل المدينة :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد يا أهل المدينة ، فإنني أنظر تسكماً حتى
لا نظرة ، ورفقت بكم حتى عجزت عنكم ، وحملتكم على رأسي ثم على
عيني ثم على نحري . وإني والله إن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأةً
أجملكم فيها أحاديث ترتل مع أحاديث عادٍ ونمود . ثم قال :

أظنَّ الحِلْمَ دَلٌّ عَلَى قَوَمِي وقد يُستجِيلُ الرَّجُلُ الحَلِيمَ^(٢)
ومارستُ الرجالَ ومارسُوني فمَع—وَجَّ عَلَى وَمُسْتَقِيمُ

وقيل : إن هذا البيتين لماوية رضى الله عنه ، قالها متمثلاً بهما
في بعض وقائعه^(٣) .

ولما استكمل يزيد ، حرّض جنده ، وأركبهم برية الحجاز ؛ وكتب ورقة
لطيفة ، وأرسل بها رسولا إلى ابن الزبير مفردا ، يسبق القوم ، وفيها
من شعره :

اِسْتَقْدِرْ رَبَّكَ فِي السَّمَاءِ فَإِنِّي أدعو إليك رجال عاكٍ وأشمر^(٣)

(١) معجم البلدان ٣ : ٢٦٣ ، وحرّة واقم ، إحدى حرقى المدينة .

(٢) الصواب أن الشعر لقيس بن زهير العبسي من مقطوعة له في ديوان الحماسة ١ : ٣٩٧

(٣) المسعودي ٣ : ٧٩ ، وفيه « ادعوا لملك في السماء فإنني » .

ورجال كلب والسكون ونحوها وجُذام تقدمها كتابُ حُسَير
كيف النجاة أبا خبيب منهم فاحتل لفسيك قبل باقي عسكري

وبالغ أبو بكر الخوارزمي فيما كتب به إلى جماعة الشيعة بنيسابور ، لما
قصدهم واليهما محمد بن إبراهيم ، من جملة رسالة مطوّلة . قال أمير المؤمنين
ويعسوب الدين عليه السلام : المَحَنُ إلى شِيعَتِنَا أَسْرَعَ من الماء إلى الخَدُورِ ^(١) .
هذه مَقَالَةٌ أُسِّسَتْ على الحن ، وولّد أهلُها في طالع الهَزَاهِزِ والْفِتَنِ ، خِيارُ
أهلها نَفْسٌ ^(٢) ، وقلوبُهم حَشَوُها غَصَصٌ ، والأَيَّامُ عليهم متَحامِلَةٌ ، والدُنْيَا
عنهم مائِلَةٌ ، وإذ كنّا شِيعَةً اُتْمَتْنَا في بعض الفرائض والسُنَنِ ، ونَتَّبِعُ آثارَهم
في كُلِّ قَبِيحٍ وَحَسَنٍ ؛ فينبغي أن نَتَّبِعَ آثارَهم في كُلِّ المَحَنِ .

عَصِيْبَتُ سَيِّدَتِنَا فَاطِمَةَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهَا مِيراثُ أبيها صَلَوَاتُ اللهِ
وسلامه عليه يومَ السَّقِيفَةِ ؛ وأَخَرُ أميرِ المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الخِلافةِ ،
وسُمِّمَ الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سِرًّا ، وقُتِلَ أخوه كَرِّمَ اللهُ وَجْهَهُ جَهْرًا ،
وصُلِبَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بالكُفَّاسَةِ ، وقُطِعَ رأسُ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ في العِركَةِ ،
وقُتِلَ أبناهُ مُحَمَّدٌ وإِبْرَاهِيمُ على يدِ عِيسَى بْنِ مُوسَى العَبَّاسِيِّ ، وماتَ مُوسَى
ابْنُ جَعْفَرٍ في حَبْسِ شَارُونَ الرَّشِيدِ ، وسُمِّمَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى على يدِ المَأْمُونِ ،
وهُزِمَ إدْرِيسُ بَفَتْحٍ ^(٣) حَتَّى وَقَعَ إلى الأَنْدَلُسِ فَرِيدًا ، وماتَ عِيسَى بْنُ زَيْدٍ
طَرِيدًا شَرِيدًا ، وقُتِلَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللهِ بَعْدَ الأَمَانِ والأَيْمَانِ ، وبعدَ تَأْكِيدِ
الْمُهوْدِ وَالصَّانِ ؛ هذا غَيْرُ فَعْلٍ يَعْقُوبُ بْنُ الأَيْمِثِ بَعْلُوِيَّةَ طَبْرِسْتَانَ ، وغيرَ
مَاصِنَعِهِ قَتَلَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ والحَسَنُ بْنُ القَاسِمِ الدَّاعِي على أَيْدِي آلِ سَاسَانَ ، وغيرَ مَاصِنَعِهِ
أَبُو السَّاجِ في عِلْوِيَّةِ المَدِينَةِ ؛ هَلْهَلَهُمْ بِلا غِطَاءٍ ولا وَطَاءٍ ، من الحِجَازِ إلى سَآمَرَا .
وهذا بَعْدَ قَتْلِ قَتِيْمَةِ بْنِ مُسْلِمٍ البَاهِلِيِّ لِابْنِ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ حِينَ أَخَذَهُ بِأَبْوِيهِ ،

(١) الحدور : المكان ينحدر منه (٢) النفس : كدر العيش .

(٣) فتح : واد بركة .

وقد ستر نفسه ، ووارى شخصه ، بصانع حياته ، ويدافع وفاته ، ولا كما فعله الحسين بن إسماعيل المصعبى بجي بن عمر الزيدى^(١) خاصة ، وما فعله مزاحم ابن خاقان بملوكة الكوفة كافة ؛ وحسبكم أن ليس فى بيضة الإسلام بلد إلا وفيها الفئيل طالبي تربة^(٢) ، تشارك فى قتلهم الأموى والعباسى ، وأطبق عليهم المدنانى والقحطانى .

فليس حتى من الأحياء نعرفه من ذى يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهم شركاء فى دمائهم كما تشارك أيسار على جزر
وهذا البيت الذى أسشهد به يزيد فى وقعة الحرّة ، وهو :

* لَيْتَ أَشْيَاخِي بَبْدَرٍ شَهِدُوا *

قائله عبد الله بن الزبيرى .

* * *

٥٢ - وقوله : ورجمت الكعبة ، وصلبت العائد على الثنية .

يشير بذلك إلى واقعة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ؛ وذلك أنه كان فارس قریش فى زمانه ، بُوع بالخلافة سنة أربع وستين ، وحكم الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان وأكثر الشام ، فضاق عطن عبد الملك ابن مروان منه ، فجاء الحجاج إليه ؛ وقال : رأيت فى نوحى كأننى علقت عبد الله بن الزبير وسالخته ؛ فقال : أخرج إليه ، فأنت له .

فخرج الحجاج إلى مكة فيمن معه من العسكر ، فأحاط بها ، ونصب المنجنيق على أبى قُبَيْس . وكان ابن الزبير قد نصب فسطاطا عند البيت فاحترق ، فطارت منه شرارة فاحترق البيت ، واحترق قرنا الكبش الذى فدّى به إسماعيل ، ثم إنه جدّد عمارة البيت .

(١) فى الأصول : « الزيدى » ، وما أثبتته من الرسائل .

(٢) الرسائل : « ترة » .

ولما نصب الحجاج المنجنيق رمى به الكعبة على ابن الزبير وعلى من معه في المسجد ، وجعل ابن الزبير على الحجر الأسود بيضة ترد عنه ، ودام الحصار ستة أشهر وسمع عشرة ليلة .

ولما كان قبل قتله بعشرة أيام دخل على أمه وهي شاكية ، فقال لها : كيف تجدينك يا أماه ؟ قالت : ما أجدني إلا شاكية ، فقال لها : إن في الموت لراحة ، قالت : لملك تمنيت له ! ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد طرزيك ، إما فئت فاحسبتك ، وإما ظفرت بعدوك فقررت عيني ؛ قال عروة : فالتفت إلى وضحك .

ولما كان في اليوم الذي قتل فيه دخل عليها في المسجد ، فقالت : يا بني ، لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل ؛ فوالله لضربة بالسيف في عز خير من ضربة بالسوط في مدلة ، فقال لها : إنما أخاف المملة ، قالت : يا بني ، إن الشاة لا يضرها ساخها بعد الذبح .

فخرج وقد جعل له مصراع عند الكعبة - وكان تحته - فأثاه رجل من قریش فقال : ألا تفتح لك باب الكعبة فتدخلها ؟ فقال عبد الله : من كل شيء تحفظ أحاك إلا من نفسه ، والله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة لقتلوكم . وهل حرمة المسجد إلا كحرمة البيت ! ثم قال :

ولست بمبتاع الحياة بسبة

ولأمرتني من خشي الموت سألماً^(١)

ثم شد عليه أصحاب الحجاج ، فقال : أين أهل مصر ؟ فقالوا : هم هؤلاء من هذا الباب ، فقال لأصحابه : اكسروا أعناق سيوفكم ولا تميلوا عني ؛ فإني

(١) لابن حاتم المروى من الفضلية ١٢

فِي الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ ، فَفَعَلُوا . ثُمَّ تَحَمَّلَ عَلَيْهِمْ وَحَلَوْا مَعَهُ ، وَكَانَ يَضْرِبُ بِسِيفَيْنِ ،
فَلَمَحَ رَجُلًا فَقَطَعَ يَدَهُ . وَانْهَزَمُوا ، فَجَمَلَ يَضْرِبُهُمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ ،
فَجَمَلَ رَجُلٌ أَسْوَدَ يَسْتَبْهُ ، فَقَالَ : اِصْبِرْ يَا بَنِي حَامٍ ؛ ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ فَصَرَعَهُ . ثُمَّ
دَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ حِمَصَ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ ، فَشَدَّ عَلَيْهِمْ ، وَجَمَلَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :
لَوْ كَانَ قَرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ أَوْ رَدَّتْهُ الْمَوْتُ وَقَدْ رَكِبْتُهُ^(١)

إِلَى أَنْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَرْدُنِّ مِنْ بَابٍ آخَرَ
فَجَمَلَ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَهُوَ يَقُولُ :
لَا عَهْدَ لِي بِفَارَةٍ مِثْلِ السَّيْلِ لَا يَنْجِي قِتَامُهَا حَتَّى اللَّيْلِ
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ حَجْرًا مِنْ نَاحِيَةِ الضَّفَا ، فَأَصَابَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَنَكَسَ رَأْسَهُ
وَهُوَ يَقُولُ :

وَأَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا

وَأَسْكُنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَفْطُرُ الدَّمَآ^(٢)

ثُمَّ أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَالُوا يَضْرِبُونَهُ حَتَّى قَتَلُوهُ ؛ وَلَمَّا قُتِلَ كَبُرَ أَهْلُ
الشَّامِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو : الْمَسْكُوتُونَ عَلَيْهِ يَوْمَ وَلَدٍ ، خَيْرٌ مِنَ الْمَسْكُوتِينَ
عَلَيْهِ يَوْمَ قُتِلَ .

قُلْتُ : لِأَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ أَقَامُوا مُدَّةً لَا يُؤَلِّدُ لَهُمْ ، فَقَالُوا :
سَجَرْنَا الْيَهُودَ ، حَتَّى كَثُرَتِ الْمَقَالَةُ فِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا وَلَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بَعْدَ
الْهِجْرَةِ بِالْمَدِينَةِ كَبُرَ الْمُسْلِمُونَ تَسْكِبِرَةً وَاحِدَةً حَتَّى ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ .

وَقُتِلَ مَعَهُ مَائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا ، مِنْهُمْ مَنْ سَالَ دَمُهُ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ

(١) لدويد بن زيد ، وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، ٢٨ ، والرواية هناك :

لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَسْلَى أَبْلَيْتُهُ أَوْ كَانَ قَرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

(٢) لأحصين بن حاتم ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ١٩٢ .

وَأَخَذَهُ الْحِجَّاجَ وَصَلَبَهُ مِنْكَسًّا ؛ وَآلَى الْحِجَّاجُ أَنَّهُ مَا يُنْزِلُهُ حَتَّى تَنْشَفَعَ فِيهِ
أُمُّهُ ؛ فَلَمْ تَفْعَلْ ، فَبَقِيَ مَصْلُوبًا عَلَى الثَّلَاثَةِ سَنَةً ، فَمَرَّتْ أُمُّهُ بَعْدَ سَنَةٍ تَحْتَ جَذْعِهِ ،
فَقَالَتْ : أَمَا أَنْ هَذَا الرَّاكِبِ هَذِهِ الْمِطْبَيَّةُ أَنْ يَتَرَجَّلَ ! فَيَقَالُ : إِنَّهُ قِيلَ لِلْحِجَّاجِ :
إِنْ هَذَا الْكَلَامُ شِفَاعَةٌ فِيهِ ؛ فَأَنْزَلَهُ .

وقيل : بَنِي رَحْلَ عُرْوَةَ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَسَأَلَهُ
إِنْزَالَهُ عَنِ الْخَشْمَةِ ؛ فَأَذِنَ لَهُ .

وَلَمَّا بُشِّرَتْ أُمُّهُ بِذَلِكَ ؛ قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : فَدَعَتْ بِمَرْثَكٍ^(١)
وَسَبَّ يَمَانِي ؛ وَأَمَرَتْنِي بِغَسْلِهِ ، فَكُنَّا لَا نَتَنَاوَلُ عَضْوًا إِلَّا جَاءَ مَعَنَا ؛
فَكُنَّا نَغْسِلُ الْمَضُوءَ وَنَضَعُهُ فِي أَكْفَانِهِ ، وَنَتَنَاوَلُ الْمَضُوءَ الَّذِي يَأْيِهِ
فَنَغْسِلُهُ وَنَضَعُهُ فِي أَكْفَانِهِ حَتَّى فَرَّغْنَا مِنْهُ . ثُمَّ قَامَتْ فَصَلَّتْ عَلَيْهِ ، وَمَا أَنَّى
عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ جَمْعَةٌ حَتَّى مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . وَكَانَتْ تَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَمُتْنِي
حَتَّى تُقَرَّرَ عَيْنِي بِجُثَّتِهِ .

وقيل : إِنَّهُ لَمَّا جَاءَ بِهِ إِلَيْهَا وَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهَا ، فَحَاضَتْ ، وَدَرَّ ثَدْيُهَا .
فَقَالَتْ : حَنَنْتُ عَلَيْهِ مَوَاضِعَهُ ، وَدَرَّتْ عَلَيْهِ مَرَاضِعُهُ .

وَكَانَتْ قَتَلَتْهُ سَنَةً ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ لِلْهِجْرَةِ .

وقيل : إِنْ أُمُّهُ صَلَّتْ عَلَيْهِ وَحَمَلَتْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَدَفَنْتَهُ فِي الْمَدِينَةِ فِي دَارِ
صَفِيَّةَ بِنْتِ حُثَيٍّ ؛ ثُمَّ زِيدَتْ دَارَ صَفِيَّةَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَهُوَ مَدْفُونٌ مَعَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ ، كَثِيرَ الصَّيَامِ ، شَدِيدَ الْبَاسِ ، كَرِيمَ الْجِدَاتِ وَالْأَمْهَاتِ
وَالْخَالَاتِ .

فَالْمَالِكُ : إِنْ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مَرْوَانَ ، وَكَانَ أَوْلَى بِالْأَمْرِ
مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ .

(١) المراثي ، كلمة فارسية ، وهو دواء مجفف ، وانظر المغرب وحواشيه ٣١٧ .

وقال علي بن زيد الجلعاني : إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِيهِ خِلَالٌ لَا تَصْلُحُ مَعَ الْخِلَافَةِ ، لِأَنَّهُ كَانَ بَخِيلًا ، ضَيِّقَ الْعَطْنِ ، سَيِّئُ الْخُلُقِ حَسُودًا ، أَخْرَجَ مُحَمَّدَ ابْنَ الْحَفْصِيَّةِ ، وَنَفَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ إِلَى الطَّائِفِ ، وَكَانَ بِسَمِيِّ حِمَامَةِ الْمَسْجِدِ لِلْإِزْمَةِ لَهُ .

وقال عمرو بن دينار : كَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَصَلِّي فِي الْحِجْرِ وَحِجْرِ الْمُنْجَبِقِ يُصِيبُ طَرَفَ ثَوْبِهِ ، فَمَا يَلْقَفَتْ إِلَيْهِ .

قال ابن اسحاق : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْظَمَ سَجْدَةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ مِنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ .

وقيل : إِنَّهُ جَاءَتْهُ شُرْفَةٌ مِنْ شُرَفِ الْمَسْجِدِ ، فَوَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَصَرَعَتْهُ وَهُوَ يَمْتَلِئُ :

أَسْمَاءُ يَا أَسْمَاءُ لَا تَبْكِيْنِي لَمْ يَبْقَ إِلَّا حَسْبِي وَدِينِي

* وَصَارِمٌ لَأَنْتَ بِهِ يَمِينِي *

وهو أول مولودٍ وُلِدَ بالمدينة في الإسلام ، وأمه ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وخالته عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنهم أجمعين .

وكان يلقب بالعائذ - يعني أنه عاذ بالبَيْتِ ، وأستجار به ، ولهذا قال محمد ابن كثير مخاطباً له : لَمَّا حَبَسَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَفْصِيَّةِ فِي سَجْنِ عَارِمٍ :

تُخَبِّرُ مَنْ لَا قِيَتَ أَنْكَ عَائِدٌ

بل العائذ المحبوس في بطن عارم ^(١)

وَمَنْ يَلْقَى هَذَا الشَّيْخَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِي

مَنْ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمٍ

(١) معجم البلدان : ٩٥ ، قال : « وَلَا أَعْرِفُ مَوْضِعَهُ وَأُسْمَاهُ بِطَائِفٍ » .

سَمِىَ النَّبِىُّ انْصَافِيَّ وَأَيْنُ عَمِّهِ
وَفَسْكَكَ أَغْلَالٍ وَقَافِي مَغَارِمِ
أَبِى فَمَوْ لَا بُشْرِى هُدًى بِضَلَالَةٍ وَلَا يَبْقَى فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَّائِمِ

قلت : هؤلاء أدباء العرب ؛ هم الأدباء ، وكتّابهم هم الكتّاب الألباء ،
قد تفرّدوا بهذه الطريقة العربية ، واستظلّوا هذه النصوص الوريقة ، وأسهبوا
حى هذه الرياض الأنيفة ، ووصلوا من مجازات هذه الصناعة إلى الحقيقة ،
وآووا المعانى الغريبة ، وانتاشوا الألفاظ العربية ، وجلسوا من الآداب على
فرشها الوثيرة ، وتمسكوا بعراها الوثيمة . ألا ترى إلى ابن زيدون من قوله :
« وما أراى إلّا لو أمّرت بالشّجود لآدم فأيدت واستكبرت .. » إلى آخر هذا
الفصل ، كيف سرد الذّنوب السكّانة فى الزمان ، والوقائع المتشابهة ؛ من
الآيب كل نقيصة وما آخاها ، وكل مصيبة وما والاها ، حتى أطرب الأسماع ،
وسلم بتفرده الإجماع .

وهكذا فعل الوزير الكاتب أبو بكر بن سعيد بن القبطارية البطليوسى
فى رقعة كتبها إلى الوزير أبى الحسين بن سراج :

ولولا عوائقُ الزّمان لطارتُ إليه بجَنَاح ، أو لا منَطَّيتُ أعناق الرّياح ،
ولاستبَطأت السّلاهِيب ، وأستَهَجَنتُ الجُرْدَ اليعاقيب ، ولم أرضُ بالذى
يَنفُخُ فى البرى ، وأسَقَصَرتُ بريدَ أنشُرَى بالليل خيل بربرا ، ولا رُتَحَاتُ
السّكوكب ، وحمّتُ إليك قلباً كقلب المقرّب ، ولا تَخَذتُ الجُرّة سبيلا ،
وسُهِيلا دليلا ، ولقدتُ البدر المنير ، وركبتُ الشّعْرى العبُور ، وتترّستُ
بالثُرَيّا ، وطعمتُ بالسّاك ؛ هذا لو أردت البرّ ، ومُقاساة السّهل منه والوعر .
ولا تَخَذتُ السّمكة سفينة ، وأقمتُ لها من النّعام ألواحا ، وعطارد مَلاَحا ،

وشرعتها بالغُيوم ، وسمرتها بالنجوم ، وجذفتُ بالنزقدين ، وحمتُ من
أملَى فيها من كلِّ زوجين أنذين ، واعتصمتُ بالقوة والحوّل ، وخالفتُ كلَّ
من سَبَقَ عليه القول ، واستعدتُ من شيطانٍ لا كسل وهو رَجِيم ، وقلت :
﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ومن رسالة لأبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، قال : فأومأت إلى
الجوزاء بكنتي أن تأملّي ، وإلى العواء أن أقبلي ، وقلت : الحجرّة في عيني
أن تكون لي مندبلا ، وصغرُ الزُّرْقَان عندى أن أتخذّه وكيلاً^(١) .

٥٣ — وقوله : لكان فيما جرى على ما يحتمل أن يسمى نكالا ،
ويُدعى ولو على المجاز عقابا .

وحسبك من حادثٍ باصريٍّ ترى حاسديه له راحينا
يريد بذلك أنه لو كنتُ أتيتُ بهذه الذنوب التي عدتُها ؛ من تكبر إبليس
على آدم وعدم السجود ، وكنتُ مثلُ ابنِ نوح ، ولم أركبُ معه في السفينة
وقلتُ ماقاله ، وكنتُ مثلُ فرعون الذي كفر وبني صرّحاً ليطلع فيه إلى
إله موسى ، وكنتُ مثلُ الذين عكفوا على العجل ، فكفروا بعد الإيمان
بموسى ، ومثلُ الذين اعتدوا في السبت من بني إسرائيل ، وكنتُ مثلُ الذين
خالفوا طُلوت من بني إسرائيل ، وشربوا من النهر الذي نهاهم عنه ، وكنتُ
كقنّار في ثمود الذي عقرَ الناقة ، وكنتُ كأبرهة بن الصّباح صاحب
الفيل الذي قاده لحرب^(٢) الكعبة ، وكنتُ من جملة قريش الذين تعادوا على
مهاجرة بني هاشم وبني عبد مناف ، ومنهم من نسكاهم ، وبهمهم
وشرائهم ، وكتبوا صحيفةً بذلك ، وعلّقوها في الكعبة ، وأقامَ رسولُ الله

(٢) ط : « لحرب » .

(١) « إكليلا » .

صلى الله عليه وسلم هو وأهله في الشَّبِّ محصورين سنتين أو ثلاث ، وكنتُ
 مِّنْ تَأْوِيلٍ فِي بَيْعِهِ الْعَقْبَةِ ، وكنتُ مِّنْ نَّفَرٍ إِلَى الْعِيرِ بَيْدَرٍ ، وكنتُ كَابِنَ
 أَبِي رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِي انْخَزَلَ بِنْتُ الْفَاسِ يَوْمَ أَحُدٍ ، وكنتُ مِّنْ تَخَلُّفٍ
 عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي بَنِي قَرَيْظَةَ ، وكنتُ مِّنْ جَاءِ بِالْإِنْفَكِ عَلَى عَائِشَةَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وكنتُ مِّنْ أَنْفٍ مِنْ إِمَارَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَقَدْ جَهَّزَهُ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَرِيَّةٍ فِيهَا مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وكنتُ مِّنْ قَالَ:
 إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلَمَنَ ، وكنتُ مِثْلَ الَّذِي قَالَ : « وَرَوَيْتُ رُنْجِي مِنْ
 كَتِيبَةِ خَالِدٍ » ، وكنتُ مِثْلَ أَبِي لَوْلُؤَةَ الَّذِي مَرَّقَ الْأَدِيمَ الَّذِي بَارَكَتْ يَدُ اللَّهِ
 عَلَيْهِ ، وَقَتَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وكنتُ مِّنْ ضَجَّى بِالْأَشْمَطِ الَّذِي عَنَوَانُ السَّجُودِ
 بِهِ ، فَقَتَلَ عُمَانَ بْنَ عَمَّنَانَ ، وكنتُ مِثْلَ ابْنِ مَلْجَمٍ قَاتِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكنتُ مِثْلَ عَمِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِذْ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ
 ابْنِ سَعْدَانَ جَمْعَ بَالْحُسَيْنِ ، وكنتُ مِثْلَ يَزِيدٍ ، وَقَدْ جَرَى بِالْحَرَّةِ مَا جَرَى ،
 وَتَمَثَّلَ بِذَلِكَ الْبَيْتِ ، وكنتُ مِثْلَ الْحِجَاجِ الَّذِي هَدَمَ الْكَعْبَةَ بِالْمَنْجَنِيْقِ ،
 وَصَلَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْعَائِدَ بِالْبَيْتِ . . . لَكَانَ فِي الَّذِي جَرَى عَلَى مَا فِيهِ
 جَزَاءٌ وَكَفَايَةٌ ، وَكَانَ نَكَالًا وَعِقَابًا وَلَوْ عَلَى الْحِجَازِ .

وقد اختصر هذه الأشياء الممدودة ، والذنوب المذكورة ، وزاد عليها
 كلَّ مَا يُمْكِنُ زِيَادَتُهُ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَّقِيُّ ، واختصرَ هذا وما بعده فِي بَيْتٍ
 وَاحِدٍ ، وَهُوَ :

وإن كان ذنبي كلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ تَحَا الذَّنْبُ كُلَّ الْمَلْحُومِ مِنْ جَاءِ تَائِبًا^(١)
 وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: رَبُّ ذَنْبٍ مِّمْدَارُ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ إِعْلَامُ الذَّنْبِ بِهِ ، وَلَا يُجَاوِزُ
 بِهِ حَدَّ الْارْتِيَاعِ إِلَى الْإِبْقَاعِ .

وأما قوله :

• وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بَامِرٍ • * البيت

فهو للعتبي . وقال في مثل هذا ابن عَنِين :

ضَنَيْتُ بِهِ حَتَّى رَمْتُ لِي عَوَازِي وَرَقِي لِمَا أَلْقَى الْعَدُوَّ الْمُنَاصِبُ
وَمَا كُنْتُ مَنَّ بَسْتَكْبِينَ لِحَادِثٍ وَلَكِنْ سُلْطَانَ الْهَوَى لَا يُغَالِبُ

وقال أبو تمام :

وَحَسْبُكَ حَسْرَةٌ لَكَ مِنْ صَدِيقٍ يَكُونُ زِمَامُهُ بِيَدَيْ عَدُوٍّ^(١)

وقال أبو الطيّب :

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا وَحَسْبُ الْأَمْرِ أَنْ يَكُنْ أَمَانِيًا^(٢)
^(٣) وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ السَّرَاجِ الْوَرَّاقِ يَذُمُّ عَبْدَهُ :

مَقْلُونِ الْأَخْلَاقِ حِرْ بَاوَاتِهَا^(٤) وَوَادُهُ يَمْتَازُ مِنْهُ الْقَارُ
وَيْسِيءُ آدَابًا عَلَى وَدَائِي أَلْ إِنْغَضَاءُ عَنْهُ، وَدَائِبُهُ الْإِصْرَارُ
وَلَهُ ذِكَاةُ إِيَّاسٍ فِي حَاجَاتِهِ وَإِذَا قَضَى لِي حَاجَةً فَجَمَّارُ
وَرَقَادُ أَهْلِ الْكَتْفِ دُونَ رُقَادِهِ مَا جَنَّ لَيْلٌ أَوْ أَضَاءَ نَهَارُ
وَلَهُ فَضْلٌ مَالِ الْأُمَامِ الدُّجَى مَعَهُ وَلَا مَتَحَدِّثِينَ سِرَارُ
وَمُسَائِلٌ : مَنْ ذَا ؟ وَمَا هَذَا الَّذِي تَحْتَ الْغِطَاءِ ؟ وَدَارُ مَنْ ذِي الدَّارِ ؟
وَدُخُولُهُ بَيْنَ الَّذِينَ تَضَارَبَا وَالْحُكْمُ بَيْنَهُمَا وَذَا مَدْرَارُ
وَمَسِيرُهُ لِدَوِي النُّضُولِ لِمَلَّةٍ يَمْتَازُ بَيْنَ الْقُـمُومِ أَوْ يَمْتَارُ

(٢) ديوانه ٤ : ٢٨١

(١) ديوانه ٤٦٦

(٣) من هنا إلى الآخر ساقط من ط

(٤) جمع حرباء : يريد أن أخلاقه متلوثة تلون الحرباء .

ومغيبه عني وإن ساءلته فجوابه لي صَجْرَةٌ ونِفَارٌ
ولكم أقول ولا تنفيسد مقالتي زنهائ من حركاته زنهائرا!

* * *

٥٤ - قوله : فكيف ولا ذنب إلا نَمِيمَةٌ أهذاها كاشحٌ ،
ونبأ جاء به فاسق .

يريد بذلك : فكيف يصدر في حق منك هذا كله من الذل والإبعاد
والجفاء والإقصاء والفَضْب والإعراض والصدّة ، ولا ذنب لي بعد هذا
كله إلا نَمِيمَةٌ أهذاها كاشح - والكاشح الذي يُضمر لك المداوة - ونبأ
أناك به فاسق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن
تَصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾^(١) ، وقد قرئ : « فتثبتوا »
بالتاء ثالثة الحروف ، وأيضاً بالتاء المثلثة ، وبالباء الموحدة ، والتاء ثالثة أيضاً .
اغتاب الأعمش رجلاً من أصحابه ، فطلع الرجل فعلمه ذلك ، فقال بعض
أصحابه : أعلمه بما قلت حتى لا تكون غيبة ، فقال الأعمش : اسكت أنت
حتى لا تكون نَمِيمَةٌ !

وفي المثل : أنتم من الصُّبح ، وأنتم من جُلجل ، كقول الشاعر :
فإنسكا يا بني جنابٍ وجَدْتُمَا كمن دَبَّ يستخفي وفي العنقِ بُلجل^(٢)
وأنتم من زُجاجةٍ على ما فيها ، وأنتم من ذُكاء ، وأنتم من جَوْزفِ جُوالق .
وقال الخفاجي :

أما الوُشاة فقد أصابوا عندكم سُوقاً ينفق كل قولٍ كاذبٍ^(٣)

(٢) لأوس بن حجر ، ديوانه ٧٢ .

(١) الحجرات ٦

(٣) ديوانه ٩٤

فَلَا تُنْمُ عَنْ صَابِرٍ ، وَرَقٌ ——— ذُنْمُ عَنْ سَاهِرٍ ، وَزَهْدٌ تُمْ فِي رَاغِبٍ
وَأَقْلَ مَا حَكَمَ الْمَالُ عَلَيْكُمْ سَوْءُ الْقَلْبِ وَسَمَاعُ قَوْلِ الْمَائِبِ

وقد وضع الحريريُّ به ص. قاتماته - وهي الثامنة عشر - في النميمة وذمها ،
فأجاد فيها ما شاء .

أوصت أعرابيةُ ابنها ، وقد أَرَادَ السَّفَرُ ، فقالت : أَيُّ بُنَى ، إِيَّاكَ وَالنَّمِيْمَةَ ؛
فإنها تَزْرَعُ الضَّغِيْمَةَ ، وَتَقْرُقُ بَيْنَ الْحُبَّيْنِ ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْرُضَ لِلْأُيُوبِ ، فَتُتَّخَذُ
غَرَضًا ، وَخَلِيقٌ إِلَّا يَثْبُتَ الْغَرَضُ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ .

وفي المتن : النميمةُ إِرْثُ الْعَدَاوَةِ .

وقال عمر بنُ أَبِي رَبِيعَةَ :

وَلَمَّا الْتَقَيْنَا سَلَمْتُ وَتَبَسَّمْتُ وَقَالَتْ مَقَالُ الْمَعْرُضِ الْمُتَجَنَّبِ (١)
أَمِنْ أَجْلِ وَاشٍ كَاشِحٍ بِنَمِيْمَةٍ مَشَى بَيْنَنَا صَدَقْتَهُ لَمْ تُكَدِّبِ
قَطَمْتَ حَبَالَ الْوَصْلِ مَنَا وَمَنْ يُطْعَمُ بِذِي وَدَّةٍ قَوْلَ الْحَرَّاشِ يُغْتَبِ (٢)

وَأَحْسَنَ ابْنُ السَّاعَاتِيِّ فَقَالَ :

أَتَتْ فَتَلَاقَى كُلَّ شَيْءٍ وَمِثْلِهِ وَفُودَ الدُّجَى مِنْ هَامَةِ الْأَفْقِ مَسْوَدُ
فَجَسِمِي رَجَفْنَاهَا ، وَوَجَدِي وَرَدُفُهَا وَقَابِي وَقُرْطَاهَا ، وَدَمِي وَالْعَقْدُ
لَقَدْ كَتَمَ الْخُلْخَالَ وَالْقُلُوبُ وَالْدُّجَى فَنِمَّ عَلَيْهَا الشُّقْرُ وَالْخُلَى وَالنَّهْدُ

وقال ابنُ التَّمَسَّانِيِّ :

نَمَّ بِهَا حَلِيْمَهَا وَمَبْسَمُهَا وَطَيْبُ أَنْفَاسِهَا وَوَاشِيْمَهَا

(١) ديوانه ٤٢٧ ، فيه : « مقال المعرض » .

(٢) يعتب ، على البناء للمجهول ، أي يلام .

وأرى أنا أن هذا كله مأخوذ من قول أبي الطَّيِّب :
 قَاتِقُ المايحة ، وهى منك هَتَكُهَا ومسيرها فى اللَّيْلِ وهى ذُكَا^(٢)
 قيل وما لأبى الحارث : ما شئتى ؟ فقال : أعين الرُّقَبَاءَ ، والسَّنة الوُشَاةُ ،
 وأكباد الحساد ، أخذ هذا بمضهم فنظمه :

قال لى عُوْدِي غداة أنوْنى ما الذى تشتهيه ؟ واجتهدوا بى
 قلت : مَقْلَى فيه لسانُ وُشَاةٍ قَطَمُوهُ فيه بصْنَعِ عَجِيبِ
 وأضيفت إليه كِبْدُ حَسُودٍ فُقِئَتْ فوقها عِيُونُ رَقِيبِ
 وقال آخر :

عَفْدَى لَكُمْ يَوْمَ التَّوَاضُلِ دَعْوَةٌ يامعشر الخُلَطَاءِ والنَّدَمَاءِ
 أُشَوِّى قُلُوبَ الحامِدينَ بها وأا سَمَّةُ الوشاةِ وأعين الرُّقَبَاءِ
 وأنشدنى لنفسه إجازةً القاضى زين الدين عمر بن الوردى ، فقال :
 لى شَهْرَتَانِ أَحَبُّ جَهَنَّمَ لو كانت الشَّهَوَاتُ مَضْمُونَةً
 أعْناقِ عَذَالَى مَدْفُونَةٍ ومفاصلِ الرُّقَبَاءِ مَدْفُونَةٍ
 وقلت أنا فى هذه المادَّة :

بَنَدْنَا وما نُقْلُنَا سِوَى قَبْلِ وريقُ فيه سُلَافُ مُشْرُوبِ
 نَمْنَا وما نَمَّتِ الوشاةُ بِنَا لولا فضولُ الحَلِيِّ والطَّيِّبِ

١٥٥ -- قوله: وهم المَمَّازُونَ الْمَشَاءُونَ بِنَمِيمٍ ، والواشُونَ الذين لا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا الْعَصَا .

هذا تفسير لما تقدم ، يَعْنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ (١) .

الْهَمَّازُ الْمُغْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ بِالْقَطْعِ عَلَيْهِمُ وَالنَّمِيمَةُ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : يُنَوِّى شِدْقِيهِ فِي أَقْفِيَةِ النَّاسِ . وَالنَّمِيمُ وَالنَّمِيمَةُ وَاحِدٌ ، وَهُوَ نَقْلُ السَّكْلَامِ السَّيِّئِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ فِتْنَانٌ يَسْعَى بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ لِيُفْسِدَ مَا بَيْنَهُمْ .
وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَطْعُمْ كُلَّ حَالَافٍ مَهِينٍ ﴾ (٢) الْوَالِيدُ بْنُ الْغُبَرَةِ .
وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَفْهَوْتَ وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ .

وَقَدْ جَاءَ فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ فِي ذَمِّ النَّمِيمَةِ ، مِنْهَا مَا هُوَ مَقْتَبَسٌ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَا رَوَاهُ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ » .

وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : « إِنَّهُمَا يَمْدَنَانِ ؛ وَمَا يَمْدَنَانِ فِي كَبِيرٍ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمِشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَبِرِي مِنْ الْيَوْلِ » . وَهَذَا لَفْظُ إِحْدَى رَوَايَاتِ الْبُخَارِيِّ . وَمَعْنَى « فِي كَبِيرٍ » هُنَا أَنَّهُ صَغِيرٌ فِي زَعْمِهِمَا ، وَإِلَّا فَهُوَ كَبِيرٌ فِي نَفْسِهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَلَا أَنْبِتُكُمْ مَا الْمَعْصَةُ ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ ، الْقَالَةُ بَيْنَ الْفَاسِ » (٣) . رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ .

(٣) صحيح مسلم ٢٠١٢

(١٥ - تمام المتن)

(٢) سورة القلم ١٠

(١) سورة القلم ١١

وسكون الضاد، وبعدها هاء، على وزن الوجّه. ورُوي العِضة بكسر العين،
وفتح الضاد على وزن المِدة، وهى الكذب والبهتان.

وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم: «لعن الله المثلث»، فقيـل:
يارسول الله، وما المثلث؟ قال: «الذى يَسْتَمِى بِصاحِبِهِ إلى السلطان فيُهْلِك
نفسه وصاحبَه وسلطانَه».

وقولُ ابن زبدون رحمه الله تعالى: «والواشوان الذين لا يلبثون أن يصدعوا
العصا»: الأصل فيه قول كثير عزة:

لَعَمْرُ أَبِي الْوَاشِئِينَ لَا عَمْرُ غَيْرِهِمْ لَقَدْ كَتَفُونِي خُطَّةً لَا أُرِيدُهَا
وَلَا يَلْبِثُ الْوَاشُونَ أَنْ يَصْدَعُوا الْعَصَا
إِذَا هِيَ لَمْ يَصْلُبْ عَلَى الْبَرَى عُوْدُهَا

كان الخُلنَجى القاضى عبد الله بن محمد، ابن أخت عُلَويّه المغنّى، تَيَّاهَا صَليْقًا،
تَقَلَّدَ القضاءَ للأُميين. وكان عُلَويّه عدوًّا له، فَجَرَّتْ لَهُ قَضِيَّةٌ فِي بَعْدَادَ، فَاسْتَعْفَى
مِنَ الْقَضَاءِ، وَسُئِلَ أَنْ يُوَلِّىَ بَعْضَ السُّكُورِ الْبَعِيدَةِ، فَتَوَلَّى قَضَاءَ دِمَشْقٍ أَوْ
خِصَصَ، وَلَمَّا تَوَلَّى الْمَأْمُونُ الْخِلَافَةَ غَفَاهُ يَوْمًا عُلَويّه بِشَعْرِ الْخُلنَجى، وَهُوَ:

بَرِئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ كَانَ ذَا الَّذِى أَتَاكَ بِهِ الْوَاشُونَ عَنَى كَمَا قَالُوا
وَلَكِنِّهِمْ لَمَّا رَأَوْكَ غَرِيبَةً^(١) بِهِ جَرَى تَوَاصُرًا بِالنَّمِيمَةِ وَأَحْتَالُوا
فَقَدْ صِرْتُ أَذْنًا لِلْوِشَاءِ سَمِيعَةً يَنَالُونَ مِنْ عَرْضِي وَلَوْ شِئْتَ مَا فَاوَلُوا

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: مَنْ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ؟ قِيلَ: قَاضِي دِمَشْقٍ، فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ
بِإِحْضَارِهِ، فَأَشْخِصَ، وَجَلَسَ الْمَأْمُونُ لِلشَّرْبِ، وَأَحْضَرَ عُلَويّه، وَدَعَا الْقَاضِيَّ،
فَقَالَ: أَأَنْشَدَنِي قَوْلَكَ: «بَرِئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ..» الْأَبْيَاتُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ

(١) غَرِيبَةٌ: مُوَاعَاةٌ، وَفِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ: «سَرِيبَةٌ».

المؤمنين ، هذه آيات قلّتها منذ أربعين سنة ، وأنا صبي ، والذي أكرمك بالخلافة ، وورّثك ميراث النبوة ، ماقلت شعراً منذ أكثر من عشرين سنة إلا في زهدٍ أو عتابٍ صدّيق . فقال له : اجلس ، وناولوه قدح نبيذ كان في يده ^(١) ، فأرتعد وبكى ، وأخذ القدح من يده وقال : والله يا أمير المؤمنين ، ماغيّرت الماء بشيءٍ قطّ مما يختلف في تحايله ، فقال : لعلك تريد نبيذ التمر ، أو نبيذ الزبيب ! فقال : والله يا أمير المؤمنين لا أعرف شيئاً من ذلك . فأخذ المأمون القدح من يده ، وقال : أما والله لو شربت شيئاً من هذا لضربت عنقك ، ولقد ظننت أنك صادق في قولك كله ، ولكن لا يتولى لي القضاء رجلٌ ، بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام ؛ انصرف إلى منزلك . وأمر علويه فغيّر هذه السكامة ، وجعل مكانها : « حرّمت منأى منك ^(٢) » .

قلت : ماجرى للمأمون مع هذا القاضي المسكين على خلاف المأمون من حلمه ، ومكارم أخلاقه ، وكان غير هذا الفعل أولى به وبرياسته ، ولكنّه صان منصب القضاء وقره وأجلّه ، فعفا الله عنه . وأمّا هذا القاضي الخائن رحمة الله فقد اختلج في خاطره من الوشاة ما أضرب به عند محبوبته وعند الخليفة ، وهذا من كمّانة الشر ، وتما يتفق للشاعر وقوعه بعد مدّة مدّيدة . وأمّا علويه فأعله الله ، ولا أعلى له كعباً ، لقد أضرب بحاله ، وعظله من حلي القضاء .

قال الواثق يوماً لابن أبي دؤاد : قد سعى بك عندي قوم ، قال : فما قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما قال صاحب عزة :

وَسَعَى إِلَى بَيْمِبِ هَزَّةَ نِسْوَةٍ جَعَلَ إِلَهَهُ خُدُودَهُنَّ نَعَالَهَا

(١) في الأغاني : « قدح نبيذ التمر أو الزبيب » .

(٢) الخبر في الأغاني ١١ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ . وتاريخ الطبري ٨ : ٦٥٦ .

ونقلتُ من خطِّ القاضي يحيى الدين بن عبد الظاهر قوله :

يا من يَئِمُّ ولا يُقَسِّمُ اللهُ منه ما خشي
ما في اقتدارك أن تشأ ، وفي اقتدارك أن تُشي

وقال أبو سعيد الرُّسَمي :

مالي وللواشين ، لا يَهْلِيهِمْ ما نَمَنَمَوْه من النِّمِيمِ وزَحَرْفُوا
أعيائهم سَبَبَ التَّهَاجُرِ بَيْنَنا فَنَفَّاءُوا لى بالفِرَاقِ وأَرْجَفُوا

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب :

صَدَتْ وَعَكَتِ الصَّدُودَ خَيالُها فَحَرِمْتُ حَتَّى فِي الْمَنَامِ خَيالُها
ما زالَ وأَشِيها بِزُورِ حَدِيثِها فَأَصَدَّها عَنِ عَهْدِها وأَحالُها
وَسَقَى فَغَيَّرَها وَغَيَّرَ فِي الهوى أخلاقُها وطباعُها وَخِلالُها

وقال غيره :

يا نازِحاً بُوْدادَه لَمَّا وَشَى وايش ، وليس من الفؤاد بَنازِح
ما كان أَحسَنَ شَمَلِنا ونِظامَها لولم تَسْكُنْ تُصَفِّي لِقولِ الكاشِح
إِنِّي لأَعْجَبُ كيف يَعْزُبُ عَمكَ ما أَضْمَرْتُ فَيْكَ وَأَنْتَ بَيْنَ جَوائِحِي

وقال ابن الساعاتي فأحسن :

ثَلَاثَةٌ مَنَعَتْها مِنْ زيارَتِنا إِذا دَجَى اللَّيْلُ خُوفُ الكاشِحِ الحَنِقِ
ضوءِ الجَبِينِ ، وَوَسْواسُ الحُلَى ، وما تُبَدِّيه مِنْ عَرَقٍ كالغَمَيرِ العَمِيقِ
هَبِ الجَبِينِ بِفَضْلِ السَّكَمِ تَسْتَرِهَ والحَلَى تَنْزَعُهُ ، ما الشَّانُ فِي العَرَقِ !

وقال عمارة اليماني :

واهاً لِمَا نَطَقَ الواشون كَمَ أَذِنِ سَقَى إِلَيْها بِتَرْدادِ المُحالِ فَمَ

وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ السَّراجِ الْوَرَّاقِ :

كَتَمَ الزَّيَادَةَ فِي الدُّجَى فُضِيأُوهُ وَحُلِيَّةٌ وَشَدَاهُ ؛ كُلٌّ قَدْ قَوَّشَى
وَكَتَمْتُ وَجَدَى فِيهِ لَوْلَا أَدْمَعُ نَمَتْ بِمَا أَخْفِيهِ حَتَّى قَدْ فَشَا

* * *

٥٦ - وقوله : والغواة الذين لا يتركون أديماً صحيحاً .

يشير بذلك إلى قول القائل :

وَلَا تُنْفِسْ سِرِّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنْ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا
فإني رأيت غواة الرجا ل لا يتركون أديماً صحيحاً
وبعض الناس يزعم أن هذين البيتين لعلّ بن أبي طالب رضى الله عنه ،
والصحيح أنه كان يمثّل بهما كثيراً .

والغواة : جمع غاوى ، وهو أَسَمُ فاعِلٍ مِنَ الْغَى ، وهو ضدّ الرُّشد .

وقوله : « لا يتركون أديماً صحيحاً » ، أى لا يدعون جِلداً صحيحاً ، بل
يفرونه ويمزّقونه .

وقد جمع الأمير تميم بن المعزّ جماعة ممن ينكر على الحب ، فقال :

أَوَانِسُ فِي أَثْوَابِهِنَّ وَفِي الْمَلَأِ غَصُونٌ ، وَفِي تَنْقِيهِنَّ بَدُورٌ ^(١)
فَهِنَّ الْمَنَى لَوْلَا رَقِيبٌ وَحَاسِدٌ عَدُوٌّ وَوَاشٍ كَاشِحٌ وَغَيْرُ
وقال أمير المؤمنين القائم بأمر الله :

جُمِعْتُ لَدَى مِنَ الْغَرَامِ عَجَائِبُ خَلَقَن قَلْبِي فِي إِسَارٍ مُوحِشٍ
خِلٌّ يَصُدُّ ، وَعَاذِلٌ مَقْنَصَحٌ ، وَمَعَانِدٌ يُوْذِي ، وَنَمَامٌ يَشَى

وما أحسن قول ابن الخياط :

فلا تعدل إلى الواشين سمعاً
وإن الودّ عندهم نفاقٌ
وللأقوال إن سمعت سيّئاً
فما نصحتاً لمجدك بل مراداً
فليتك تسمع القولين حتى
تبيّن في من الحق الخصام

وقول ابن عطية :

لا تسمعن من الحسود نميمةً
إن كان قد أوحى إليك تخرصاً
سل غيره عني لتعلم إفكهُ
لا يثبت الحق المبين لحاكمٍ
فكلامه ضربٌ من الهذيان
فالناس قد كذبوا على الرحمن
واسخط عليه ، فبالحال رمانى
في الحق حتى ينطق الخصمان

٥٧ - وقوله : والسعاة الذين ذكرهم الأحنف بن قيس ، فقال :
ما ظنك بقوم الصدق محمود إلا منهم !

السعاة : جمع ساع ، من السعى ، وهو الحركة مطلقاً ، ولكن قد
غلب هذا في المرف على من يذكر الناس بالشئ ، وهو الذي يريد
للناس المواقع .

أشدنى لنفسه إجازة شيخنا الإمام شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله
تعالى ، من قصيدة مدح بها صاحب تاج الدين محمد بن حنا :

خرس السعاة وكان قبل زمانه ليكلأ بهم بين الضلوع كلام
وتجنبوا سوقاً إلى سوقٍ به نفق الضلاح وبارت الآنام
وما أحسن قول القائل :

سعى إليك بي الوائى فلم ترني أهلاً لتكذيب ما ألقى من الخبير
ولوسعى بك عندي في الدكرى طيف الخيال لبغت النوم بالسهر
وقد وضع لذين البيتين شيخنا شهاب الدين محمود رحمه الله بيتين أو اثنين
وهما قوله :

يا ملزى بذنوب ما أخطت بها علماً ، ولا خطرت يوماً على فكرى
صدقت في أباطيل الظنون وكـ كذبت فيك يقين السمع والبصر
وأما قول الأحنف بن قيس : « ما أقول في قوم الصدق محمود إلا منهم »
فهذا قول (١) في غاية البلاغة الجامعة لضروب من المعانى ، لأن هذا غاية في
الدم للسعاة ، لأنهم يذنون بما يُحمد به الناس ؛ لأن هؤلاء لما تماطوا هذا

الصُّدُقِ الَّذِي أَجَمَعَ النَّاسُ عَلَى مَدْحِهِ ، وَمَدَحَهُ اللَّهُ ، وَرَسُولُهُ ^(١) وَأَكْبَرُ
النَّاسِ وَعِلْمَاؤُهُمْ ؛ وَتَلَبَّسَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْأَنْذَالُ الْأَوْبَاشُ صَارَ مَذْمُومًا عِنْدَ
الْمَقْلَاءِ وَالرُّؤُسَاءِ ؛ وَصِدْقُ هَؤُلَاءِ السَّعَاةِ مَذْمُومٌ ، وَكَذِبُ الشُّعْرَاءِ مَحْمُودٌ .
قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الشُّعْرَاءِ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ الْاِقْتِضَاءِ ^(٢) مَحْمُودٌ إِلَّا
مِنْهُمْ ، وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ إِلَّا مِنْهُمْ .

وَدَفَعَ بَعْضُ السُّعَاةِ إِلَى الْأَمِيرِ ^(٣) السَّفَاحَ قِصَّةً بِسَعَايَةِ عَلَى بَعْضِ عُجَالِهِ ،
فَوَقَّعَ فِيهَا : « هَذِهِ نَصِيحَةٌ ^(٤) » لَمْ تُرَدِّدْ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَنَحْنُ لَا نَقْبَلُ قَوْلَ مَنْ
آتَرَ نَاعِلِي اللَّهِ .

وَكَتَبَ بَعْضُ شُهَدَاءِ الْأَهْوَازِ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي الْفَرَجِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ :
قَدِمَاتِ فُلَانٍ ، وَخَلَّفَ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَنِي ، وَلَمْ يُخَلِّفْ غَيْرَ طِفْلةٍ ، فَإِنْ
رَأَى أَسْتَعْرَضَ الْمَالَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الطِّفْلةُ ، فَنَفِي عَقَارِهَا وَأَمْلَا كَيْهَا كَفَايَةً !
فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِهِ : « الطِّفْلةُ جَبَرَهَا اللَّهُ ، وَالْمَالُ ثَمَرَهُ اللَّهُ ، وَالسَّاعِي لَعَنَهُ اللَّهُ ،
لَا حَاجَةَ لِلسُّلْطَانِ إِلَى الْمَالِ » .

وَلَمَّا وُلِّيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي أُمَيَّةٍ أَلْبٌ مِنْهُ
فِي حَدَائِقِ سِنِّهِ ؛ قَالَ أَهْلُ دِمَشْقَ : هَذَا غُلَامٌ شَابٌ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالْأُمُورِ ،
وَسَيَسْمَعُ مِنَّا . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! عِنْدِي نَصِيحَةٌ ،
فَقَالَ : لَيْتَ شِعْرِي ، مَا هَذِهِ النَّصِيحَةُ الَّتِي ابْتَدَأْتَنِي بِهَا مِنْ غَيْرِ
يَدٍ سَبَقَتْ مِنِّي إِلَيْكَ ! قَالَ : جَارِي عَاصٍ ، تَخْتَلِفُ مَعَهُ ^(٥) . فَقَالَ : مَا اتَّقَيْتَ
اللَّهَ ، وَلَا أَكْرَمْتَ أَمِيرَكَ ، وَلَا حَفِظْتَ جَارَكَ ، إِنْ شَدَّتْ نَظَرُنَا فِيمَا تَقُولُ ،

(٢) م : « الاقتصاد » .

(٤) ط : « النصيحة » .

(١) ط : « رساله » .

(٣) ط : « أمير المؤمنين » .

(٥) م : « فيه » .

فإن كنت صادقاً فيما قلت لم ينفعك ذلك عندنا ، وإن كنت كاذباً عاقبتك ،
وإن شئت أقتلناك ؛ قال : أقتلني ، قال : اذهب حيث شئت ، لا صحبتك
الله ! إني أراك شرّ رجل . ثم قال : يا أهل دِمَشق ؛ لولا أنه لا ينفعني لوالى
أن يعاقب^(١) قبل أن يعاتب ، كان لى فى ذلك رأى ، فلا يأتى أحدٌ منكم
بِسماية على أحدٍ بشيء ؛ فإن الصادق فيها فاسق ، والكاذب فيها بهائم .

وحسبى أن أمير المؤمنين القادر بالله أحمد ، بينما هو ذات ليلة يمشى
فى أسواق بغداد إذ سمع شخصاً يقول لآخر : قد طأت علينا دولة هذا
المشؤم ، وليس لأحدٍ منا عنده رِزْق . فأمر خادماً كان بين يديه أن يتوكل
به ، ويجهّزه بين يديه ، فسأله عن صفة^(٢) فقال : إني كنت من السّعاة
الذين يستمعين بهم أربابُ هذا الأمر على معرفة أحوال الناس ؛ فذوّلى
أمير المؤمنين أقصانا ، وأظهر الاستغناء عّنا ، فتمطّلت معيشتنا ، وأنكسر
جاهنا عند الناس ؛ فقال : أتعرف من فى بغداد من السّعاة ؟ قال نعم :
فأحضر كاتباً فكتب أسماءهم ، وأمر بإحضارهم . ثم إنه أجرى^(٣) لكل
واحد معلوماً ، ونفاهم إلى المنفور القاصية ، ورتّبهم هنالك عيوناً على أعداء
الناس ، ثم اتّفت إلى من حوله ، وقال : اعلموا أن هؤلاء ركب الله
فيهم شرّاً ، وملاؤصدورهم حقداً على العالم ، ولا بدّ لهم من إفراغ ذلك الشرّ ؛
فالأولى أن يكون ذلك فى أعداء الدّين ، ولا يُنفّض بهم على المسلمين .

قلت : وأعرف نظير هذه الواقعة [واقعة^(٤)] ، اتّفت للسلطان المذكور

(١) كذا فى ط ، م ، وفى الأصل : « يعاقب » .

(٢) ط : « صفة » .

(٣) ط : « وأجرى » .

(٤) من ط .

الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله ، وهو أنه حضر في سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة تاج الدين كاتب الفتاح أو غيره ، إلى الأمير علاء الدين مُغلطاي الجُمالي ، لما كان وزيراً ، وذكر عنده أناساً [معروفين] ^(١) بكلّ قبيح ، والزم ^(٢) فيهم جملةً من الذهب إذا صُودِرُوا ، وأُخِذَتْ منهم وظائفهم . فدخل الجُمالي إلى السلطان وحكى له ما قاله ، فقال : أحضره ، فلما استحضره سَمِعَ كلامه ، وقال له : هل لك عِلْمٌ بأحدٍ في القاهرة يعرف شيئاً من هذه الأحوال ؟ فقال : نعم ، جماعة ، وعدّهم . فقال للوزير : خذ هذا عندك واستحفظ به ^(٣) ، وأحسن إليه ، وإذا أحضرَ إليك كلَّ هؤلاء الذين ذكّرهم عَرَفْنِي بهم . فخرجوا من عنده ، وذكر له جماعة وهو يُحضرهم إلى أن لم يَبْقَ منهم أحد ، ودخل على السلطان وعَرَفَهُ بهم ، فقال : اخرج الآن في هذه الساعة ، وجَهِّز الجميع إلى قوص ، ولا تدعُ أحداً منهم في القاهرة فإنَّ هؤلاء مناحيس ، يرافعون الناس ، فنفاهم أجمعين .

قال معاويةُ يوماً للأحنف بن قيس في أمرٍ بلغه عنه ، فأنكرَ الأحنف ؛ فقال له معاوية : النِّمَّةُ بُلغنى عنك ، فقال : النِّمَّةُ لا يبلُغ .

ووقع ذوو الرياستين في رقعة ساعٍ ^(٤) : «نحن نرى قبول السَّعَابَةِ شراً منها ؛ لأنَّ السَّعَابَةَ دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دَلَّ على شيء وأخبر به ، كمن قبِلَه رَأْجَازَه ، فانتَقَوْا السَّاعِي ؛ فإنه لو كان في سِمايته صادقاً لكان في صدِّقه آمناً إذ لم يحفظ الحُرْمَةَ ، ولم يستر العَوْرَةَ » .

ولمَّا قبضَ أميرُ المؤمنين المستظهر بالله على الوزير أمين الدولة بن

(٢) م : « ألزم » .

(١) من د

(٤) ساقطة من ط .

(٣) ط ، د : « واحفظ به »

جَهِدَ ، كَتَبَ إِلَيْهِ بِهَضُّ الْأَشْرَارِ سِمَايَةً فِي الْوَزِيرِ ، وَأَغْرَاهُ بِهِ غَايَةَ الْإِغْرَاءِ ،
فَكَتَبَ الْمُسْتَظْهِرُ عَلَى الرِّقْعَةِ :

غَيْرَ مَا طَالِ الْيَمِينَ ذَحَلًا وَلَكِنْ مَالَ دَهْرِي عَلَى أَنْيَسٍ فَمَا لَوْ

وَقَالَ رَجُلٌ الْمَهْدِيّ : عِنْدِي لَكَ نَصِيحَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : لِمَنْ هِيَ ؟
لَنَا أَمْ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَمْ لِنَفْسِكَ ؟ قَالَ : لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : لَيْسَ
السَّاعِي بِأَعْظَمَ عَوْرَةٍ ، وَلَا أَقْبَحَ حَالًا مِنْ قَابِلِ سِمَايَةٍ ، وَلَا تَتَخَلَّوْا مِنْ أَنْ تَكُونَ
حَاسِدَةً نِعْمَةً ، فَلَا أَشْفِي غَيْظُكَ ، أَوْ عَدُوًّا فَلَا نُعَاقِبُكَ لَكَ عَدُوًّا . ثُمَّ أَقْبَلَ
عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : لَا يَنْصَحُ لَنَا نَاصِحٌ إِلَّا بِمَا فِيهِ رِضَا اللَّهِ ، وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ صَلَاحٌ ،
فَإِنَّمَا لَنَا الْأَبْدَانُ ، وَلَيْسَ لَنَا الْقُلُوبُ ، وَمَنْ أَسْتَمْتَرْتُ لَمْ نَكْتَسِفْ لَهُ ^(١) ، وَمَنْ
أَخْطَأَ أَقْلُنَا عَثَرَتْهُ ، إِنِّي أَرَى التَّأْدِيبَ بِالصَّفْحِ أَبْلَغَ مِنْهُ بِالْعُقُوبَةِ ، وَالسَّلَامَةُ
مَعَ التَّقْوَى أَكْثَرَ مِنْهَا مَعَ الْمَعَاجِلَةِ ، وَالْقُلُوبُ لَا تَبْقَى لَوْلَا لَا يَنْعُطُفُ إِذَا اسْتَعْطَفَ ،
وَلَا يَنْفَعُو إِذَا قَدَّرَ ، وَلَا يَغْفِرُ إِذَا ظَفِرَ ، وَلَا يَرْحَمُ إِذَا اسْتَرْحَمَ .

قُلْتُ : وَقَدْ كَانَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ سَلَارَ رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا جَاءَهُ أَحَدُ رَاثِعٍ
فِي كِتَابِهِ وَالْمُبَاشِرِينَ الَّذِينَ فِي بَابِهِ ، قَالَ : هَؤُلَاءِ قَدْ أَخَذُوا وَشَبِعُوا ،
لَا تَغْتَبِرُوهُمْ ؛ فَإِنَّ الَّذِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ يَكُونُ جَوْعَانٌ . وَمَا أَلْطَفَ قَوْلَ الْبَهَاءِ
زَهِيرَ وَأَرْقَاهُ ! قَالَ :

حَبِيبِي مَا هَذَا الْجَفَاءُ الَّذِي أَرَى وَأَيْمَنَ التَّغَافِي مَنِّكُمْ وَالْتِمَاطُ ^(٢)
لَكَ الْيَوْمَ أَمْرٌ - لَا أَشُكُّ - يَرِيْبُنِي
نَعَمْ نَقَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بَاطِلًا
كَأَنَّكَ قَدْ صَدَقْتَ فِي حَدِيثِهِمْ
فَمَا وَجْهُكَ الْوَجْهَ الَّذِي كُنْتَ تُعْرِفُ
وَمِلْتَ لِمَا قَالُوا ، فَزَادُوا وَأَسْرَفُوا
وَحَاشَاكَ مِنْ هَذَا ، فَخَلَقْتُكَ أَشْرَفَ

وقد كان قولُ الناسِ في الناسِ قبلنا
بِمِثْلِكَ قُلْ لِي مَا الَّذِي قَدْ صَنَعْتُهُ
فَإِنْ كَانَ قَوْلَا صَحَّ أَتَى قَلْبُهُ
وَهَبْ أَنَّهُ قَوْلٌ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٌ
وَهَا أَنَا وَالْوَاشِي وَأَنْتَ جَمِيعُنَا
يَكُونُ لَنَا يَوْمٌ عَظِيمٌ وَمَوْقِفٌ
وَمَا كُلُّ سَاعٍ وَلَا كُلُّ نَمَامٍ مِثْلُ سَاعِي سَيْفِ الدِّينِ بْنِ الْمَشْدَةِ بْنِ
قُزْلٍ حَيْثُ يَقُولُ :

وَجَلَسَ رَافِعٌ مِنْ وَاشٍ يَكْدُرُهُ
مَافِيهِ سَاعٍ سِرِّي السَّاقِي وَلَيْسَ بِهِ
وَأَشْدَنِي صَفَى الدِّينِ لِنَفْسِهِ إِجَازَةٌ :

أَقُولُ وَطَرَفَ النُّجُوسِ الْفَضْلُ شَاخِصٌ
يَارِبَةُ حَتَّى فِي الْخَدَائِقِ أَعَيْنٌ
وَقُلْتُ أَنَا :

قُلْتُ وَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي رَوْضَةٍ
بِاللَّهِ يَا مَنْشُورَنَا لَا نَشِيرُ
وَأَنْتَ يَا رَجَسُ غَمَضُ وَلَا
وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْمُعْتَزِ أَمْثَالَ هَذِهِ الْجُمُاعَةِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ ابْنُ زَيْدُونَ فِي هَذَا

الموضع ، فقال من أبيات :

قَوْمٌ هُمْ كَدَّرُوا الْحَيَاةَ وَسَقَمُهَا
يَتَأْكَلُونَ ضَغْنِيَّةً وَخِيَّيَانَةً
وَهُمْ فِرَاشُ الشَّرِّ يَوْمَ مُلِمَّةٍ
عَرَضَ الْبَلَاءُ بِهِمْ عَلَى وَطَالَا (٣)
وَيَرَوْنَ لَحْمَ الْغَافِلِينَ حَلَالًا
يَتَهَامَتُونَ تَعَاشِيًا وَخَبَالًا

(٢) ط : « ومحورا » .

(١) الديوان : « وقد » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٠ (مطبعة المحروسة) .

وَهُمْ غَرَابِيلُ الْخُلَيْثِ إِذَا وَعَوْا سِرًّا تَفَطَّرَ مِنْهُمْ أَوْ سَلَا
وَلَمَّا اتَّصَلَ ابْنُ زَيْدُونَ بِخُدَمَةِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ ، وَحَسَّنَتْ
حَالَتُهُ عِنْدَهُ ، أَتَقَى إِلَيْهِ بَعْضُ الْخُصَمَاءِ رَقْعَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ :

لَا تَتَرَكْنِ لِلنَّاسِ مَوْضِعَ شُبْهَةٍ وَأَحْزَمُ فَمِثْلُكَ فِي الْمَطَايِمِ يَحْزَمُ^(١)
قَدْ قَالَ شَاعِرٌ كِنْدَةَ فِيمَا مَضَى بَيْتًا عَلَى مَرٍّ اللَّيَالِي يُعْلَمُ :
لَا يَسْلُمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
فَوَفَّعَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى ظَهْرِهَا :

كَذَبْتَ مُنَاكِمَ صَرَّ حَوَالِئُ وَجْهِكَ وَالدِّينَ أَمْتَنُ ، وَالسَّجِيَّةُ أَكْرَمُ^(٢)
حَوَاتِمُ تَضْيِيقِ صَدْرٍ لَمْ يَضُقْ وَالسُّمُّ فِي ثَغْرِ الصُّدُورِ تُحْطَمُ
وَزَهَقْتُمْ بِمِحَالِكُمْ لِمَجْزَبٍ مَازَالَ يَنْبُتُ لِمَحْصَالٍ فِيهِزَمُ
أَنْى رَجَوْتُمْ غَدَرَ مَنْ جَرَّبْتُمْ مِنْهُ الْوَفَاءَ وَجَوَرَ مَنْ لَا يَظْلُمُ !
أَنَاذِلِكُمْ ، لَا الْبَنَى يُشْمِرُ غَرْسُهُ عِنْدِي ، وَلَا مَبْنَى الصَّنِيعَةِ يُثْلَمُ

وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ زَيْدُونَ ، فَصَنَعَ قَصِيدَةً لِلْمُعْتَمِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَشْكُرُهُ فِيهَا ، مِنْهَا :

قُلْ لِلْبَقَاةِ الْمُنتَقِضِينَ قَسِيهِمْ سَتَرُونَ مَنْ تَضَمَّنِيهِ تِلْكَ الْأَشْهُمُ^(٣)
أَسْرَرْتُمْ فَرَأَى نَحْيَ غَيُوبِكُمْ شَيْحَانُ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ مُلْهِمُ^(٤)

وَهَذَا الْفَصْلُ مِنْ قَوْلِهِ : « فَكَيْفَ إِلَّا نَمِيعَةٌ أَهْدَاهَا كَاشِحٌ . . . » ، إِلَى
آخِرِهِ ، قَدْ اسْتَعْمَلَ مِثْلَهُ ابْنُ زَيْدُونَ فِي رِسَالَةٍ أُخْرَى ، كَتَبَ بِهَا ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ^(٥) ،
جَاءَ مِنْهَا : « وَاللَّهِ مَا اسْتَجَزْتُ هَذَا بِمَدِّ أَنْ هَتَكَ مِنْ سِتْرِي مَا هَتَكَ ، وَاتَّهَكَ

(١) مِنْ قَصِيدَةٍ فِي دِيْوَانِ ابْنِ زَيْدُونَ ٣٠٦ ، ٣١١ .

(٢) فَلَانْدُ الْعُقَبَانِ ١٧ .

(٣) دِيْوَانُهُ ٣١٤ .

(٤) الشَّيْحَانُ : الْحَازِمُ الشَّجَاعُ .

(٥) مِنْ رِسَالَتِهِ الْبَكْرِيَّةِ الَّتِي كَتَبَهَا إِلَى أَسَاتِذِهِ وَصَدِيقِهِ أَبِي بَكْرٍ مُسْلِمَ بْنِ أَحَدِ عَائِلَاتِهِ ،
وَشَارَحَهَا مَوْقِفُهُ ؟ وَهِيَ فِي الْآخِرَةِ ١ : ٣٠٥ ، وَهِيَ أَيْضًا فِي مَلْحَقِ دِيْوَانِهِ ٧٤٣ .

من حُرْمَاتِي مَا أَتَهَكَ ، إِذْ كُنْتُ أَقُولَ مَعْدُورًا ، وَأَنْفُثُ مَعْدُورًا^(١) ،
فَسَكَيْتُ ذَاكَ ، وَلَمْ يَخْذُ سَبَبٌ ، وَلَا عَرَضٌ مِنْ مَوْجِبٍ !
* وَمَالِي وَإِهْدَاءِ أَخْنَى ثُمَّ مَالِيَا *^(٢)

و ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾^(٣) . وَلَيْسَتْ هَذِهِ بِبَكْرٍ مِنَ الْفَنَائِمِ
الَّتِي دَخَلَ بِهَا بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا^(٤) .

فَإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا لَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا^(٥)

* * *

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَائِسِينَ تُسَلِّقُ مَسَامِعُهُ بِالسَّنَةِ حِدَادٍ^(٦)

وَيَا سِيدِي :

لَوْ بَغِيرَ الْمَاءِ خَلَقِي شَرْقِي كُنْتُ كَالْفَصَّانِ بِالْمَاءِ اغْتِصَارِي^(٧)

وَاللَّهِ مَا تَوَهَّمْتُ أَنِّي أُولَى مَنْ يَزْعُمُ أَنِّي أَتَيْتُ مِنْهُ ، مَعَ انْصَالِي بِهِ
وَانْقِطَاعِي إِلَيْهِ ، وَارْتِسَامِي بِالْإِمَامِيلِ لَهُ ، وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهِ .

(١) المصدور : المريض بصدره .

(٢) لصخر بن عمرو ، أخى الخنساء ، وصدره :

« وَقَالُوا أَلَا تَهْجُو فَوَارِسَ هَاشِمٍ »

وبعده :

أَبَى الْهَجْوُ أَتَى قَدَّ أَسَاءُوا كَرِيمِي وَأَنْ لَيْسَ إِهْدَاءُ الْخَلْفَا مِنْ شِمَالِيَا

(٣) سورة الزخرف ١٩ .

(٤) اللحاء : القشرة ، وأصله من المثل : « لاندخل بين العصا ولحائها » ، أى قشرتها .

(٥) قلبه :

وَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنْ لَكُلِّ نَصِيحٍ فَضِيحَا

والبیتان ینسبان لعلی بن أبی طالب .

(٦) لأبى تمام ، دیوانه ٨١ .

(٧) لهدی بن زید ، وانظر الأغاني ٢ : ١١٤ .

• إِنَّ الْمَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمَّةٌ •^(١)

وقال ابن زيدون من جملة قصيدة :

كَانَ الْوُشَاةُ وَقَدْ بُلِيَتْ بِإِفْسِكِهِمْ أَسْبَاطُ يَعْقُوبَ وَكَدَّتْ الدِّيَابُ^(٢)

• * *

٥٨ - وقوله :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

هذا البيت من جملة أبيات فالها النابغة الذبياني - واسمها زياد بن معاوية -

يمتدح فيها إلى النعمان ومدحه ، أولها :

أَنَا أَيُّ أَيْتِ اللَّعْنِ أَنْكَ لَمْ تَنْي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ^(٣)

فَبْتُ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ قَرَشُنٌ لِي هَرَّاسًا بِهِ يُعَلَى فِرَاشِي وَيَقْسَبُ^(٤)

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

لَئِنْ كَدَّتْ قَدْ بُلَّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً كَمُبْلَغِكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذِبُ

وَلَسْتُ كُنْتُ كَفْتُ أَمْرًا لِي جَابُ مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مَسْتَرَادٌ وَمَلْعَبُ^(٥)

مَلُوكٌ وَإِخْوَانُ إِذَا مَا مَدَحْتُهُمْ أَحْكَمُ فِي أُمُومِهِمْ وَأَقْرَبُ

كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ أَصْطَفَعْتُهُمْ فَلَمْ تَرْهُمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا

عن الشعبي : قال عمر رضي الله عنه : من أشعر الناس ؟ قالوا : أنت

أعلم يا أمير المؤمنين ، قال : من الذي يقول :

(١) لامتني ، ديوانه ٣ : ٣٧٠ ، وصدره :

* وَبَيْنَمَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً *

(٢) ديوانه ٢٣١ .

(٣) ديوانه ١٢ . وأبيت اللعن : أبيت أن تأتي أمراً تلعن عليه ، والنصب : لإعلاء .

(٤) العائدات : الزائرات الإنسان في المرض . الهراس : نبت له شوك كبير . ويقسب :

يحاط ويحدد .

(٥) مستراد ومذهب ، أي إقبال وإدبار .

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْغَنَدِ (١)
وَحَيْسَ الْجَنِّ إِنِّي قَدْ أَذْنْتُ لَهُمْ يَبْهَمُونَ تَدْمُرَ بِالْصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ (٢)
قالوا : الغابفة ، قال : فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ :

أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَائِفًا رَيْبَانِ عَلَى خَوْفٍ تَطْنُ بِي الظُّنُونُ (٣)
قالوا : الغابفة ، قال : فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ
قالوا : الغابفة ، قال : فهو أشعر العرب .

وقد سَمِيَ الجاحظ هذا النوع من البدع بالذهب الكلامي .
وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد منه شيء في الكتاب العزيز . وهو كثير فيه إلى
الغاية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٤) ، وقوله :
﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ ... ﴾ (٥)
الآية ، وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ
عَلَيْهِ ﴾ (٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا
آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ (٧) .

والغابفة كان يتحدث مع الأنعمان في هذه الأبيات ، فيقول : أنت أحسنت
إلى قومٍ قَمَدَحوك ، وأنا أحسن إلى قومٍ قَمَدَحْتَهُمْ ، فكما أن مَدَح أولئك
لا تَعْمَدُه ذُنُوبًا ، فكذلك مَدَحِي لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ لا يكون لي ذَنْبًا عِنْدَكَ .

(١) ديوانه ٢١ . والغند : الظلم ، وفي بعض روايات الديوان « فازجرها عن الغند » .

(٢) خيس ، أى ذلل ، ومنه سَمِيَ السجن « مخيساً » .

(٣) ملحق ديوانه ، المقدم الثمين ١٧٦ . (٤) سورة الأنبياء ٢٢ .

(٥) سورة المؤمن ٩١ .

(٦) سورة الروم ٢٧ .

(٧) سورة الأنعام ٨٠ - ٨٣ .

وقد روي عن ذي النون المصري ، عن مالك بن أنس ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تَنَصَّلَ إليه ، ولم يَقْبَلْ لم يَرِدْ على اتَّخُوضٍ » .

وسَخِطَ هَارُونُ الرَّشِيدُ عَلَى مُحَمَّدِ الطُّوسِيِّ ، فَدَعَا لَهُ بِاللَّعْنِ وَالسَّيْفِ - وَهُوَ وَافٍ - فَلَمَّا أَخَذَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لِيُضْرِبَ عُنُقَهُ ، بَكَى مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ هَارُونُ الرَّشِيدُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ أَحْزَاكَ مِنَ الْمَوْتِ ! قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ بِكَيْتُ لَأَنْ أُخْرَجَ مِنَ الدُّنْيَا وَأُمَيَّرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى سَاحَطٍ ! فَضَحِكَ هَارُونُ الرَّشِيدُ ، وَأَنشَدَ :

* إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا خَادَعْتَهُ انْخَدَعَا *

ثم أَنَّهُ وَهَبَهُ لِلْحَسَنِ بْنِ قَعْقَبَةَ . وَذَكَرْتُ هَذَا بِقَوْلِهِ :

* إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا خَادَعْتَهُ انْخَدَعَا *

قِصَّةٌ جَرَتْ لِأَبِي الْحَسَنِ الْجَزَّارِ ، وَهِيَ أَنَّهُ تَوَجَّهَ مَرَّةً إِلَى عِنْدِ ابْنِ يَمْمُورَ بِالْمَحَلَّةِ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ مَدَّةً ، ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَاهُ وَزَوَّدَهُ ^(١) ، وَجَاءَ لِيُودِّعَهُ ، فَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَكَبِلُ ابْنِ يَمْمُورَ عَلَى إِقْطَاعِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَحْضَرْتَ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا دِرْهَمًا ^(٢) ، فَقَالَ : أَعْطِهِ لِلْمَخَارِنْدَارِ ، قَالَ : وَكَذَا وَكَذَا غَلَّةً ، فَقَالَ : احْمِلْهَا إِلَى الشُّونَةِ ، قَالَ : وَكَذَا وَكَذَا خُرُوفًا ، فَقَالَ : أَعْطِهَا الْجَزَّارَ ، فَقَامَ الْجَزَّارُ وَقَبِلَ الْأَرْضَ ، وَقَالَ : يَا مَوْلَانَا ، كَمْ إِحْسَانٍ وَكَمْ تَفَضُّلٍ ^(٣) ! فَتَبَسَّمَ ابْنُ يَمْمُورَ وَانْخَدَعَ ، وَقَالَ : خُدَّهَا .

وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَوْرَدَهُ ابْنُ زَيْدُونَ ، قَوْلُ الْعَبَّاسِ ابْنِ الْأَحْنَفِ ، وَهُوَ :

(١) ط : « ورده » . (٢) د ، م : « دراهم » .

(٣) ط : « كم وكم تفضل » .

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْفِدَى كُلَّ حُرَّةٍ لِفَوْزِ الْمُتَى لِيَأْتِيَهَا لَمَعَذِبٌ^(١)
فَمَا دُونَهَا فِي النَّاسِ لِلْقَلْبِ مَطْلَبٌ
وَلَا خَلْفَهَا لِلْقَلْبِ فِي النَّاسِ مَذْهَبٌ

٥٩ - وقوله : والله ما غَشِشْتُكَ بعد النصيحة .

الفشّ خلاف النصّح ، كأنه شيء غَطَى عليه . والنصّح ضد ذلك .
والنصّح : الإخلاص ، والناصح : الخالص من النّسل . والفشّ أمر مذموم
منهى عنه ؛ وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قال : « من تحمل عليهما السّلاح فليس منّا ، ومن غَشِشا فليس منّا » رواه
مسلم^(٢) .

وفي رواية : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على صُبرة طعام ،
فأدخل يده فيها ، فذالت أصابعه بَلَمَلًا ، فقال : ما هذا يا صاحب الطّعام ؟
قال : أصابتنا السماء يا رسول الله ، قال : « أفلا جَعَلْتَهُ فوق الطّعام حتّى يَبراه
النّاس ! من غَشِشنا فليس منّا »^(٣) .

والنصيحة أمر واجب ، قال الله تعالى إخباراً عن نوح عليه السلام :
﴿ وَأَنْصَحْ لَكُمْ ﴾^(٤) ، وعن هود عليه السلام : ﴿ وَأَأْتِ الْكُفْرَ نَاصِحًا
أَمِينًا ﴾^(٥) .

(١) ديوانه ١٣ .

(٢) صحيح مسلم ٩٩ . والصبرة : الكومة المجموعة من الطّعام .

(٣) م . « فأصاب » (٤) الأعراف ٦٢ . (٥) الأعراف ٦٨ .

وفي مُسلم عن أبي رُقَيْة تميم بن أَوْس الدَارِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » ، قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » (١) .

وفي البخاريّ ومسلم ، عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالتَّصَدُّقِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .

وفيهما عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا بُدَّ مِنْ أَحَدٍ كُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » (٢) .

حَسِبَ أَنْ الْقَاضِيَ الْفَاضِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَوَجَّهَ يَوْمًا إِلَى دَارِ الْعِمَادِ السَّكَنِيِّ ، فَوَجَدَ آثَارًا أَنْكَرَهَا الْفَاضِلُ مِنْ آثَاتِ مَجَالِسِ الْأَنْسِ ، فَأَنشَدَهُ :

مَا نَاصَحْتُكَ حَفَايَا (٣) الْوُدِّ مِنْ أَحَدٍ

مَا لَمْ يَنْتَلِكْ بِمَكْرُوهِ مِنَ الْعَدَلِ

تَحَبَّبْتُ فَيْكَ تَابِي أَنْ تَسَاحَنِي بِأَنْ أُرَاكَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الزَّلَلِ

فَأَسْتَحْيَا الْعِمَادَ السَّكَنِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَلَمْ يَبَاوِدْ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ

تِلْكَ الْحَالِ .

حُكِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى بْنِ الْأَجْدَعِ التَّهْمَنَانِيِّ ، قَالَ : دَفَعَ لِي الْحُجَّاجُ أَزَادَ مَرْدَ بْنَ الْهَرَبْدِ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَسْخِرَ مِنْهُ مَالًا وَأُعْلِظَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا انْطَلَقْتُ بِهِ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ لَكَ شَرَفًا وَدِينًا ، وَإِنِّي لَا أُعْطِي عَلَى التَّمَسُّرِ شَيْئًا ، فَاسْتَأَذِنِي وَارْفُقْ بِي . قَالَ : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ ، فَأَدَّيْتُ لِي فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ

(٢) صحيح مسلم ٦٧ .

(١) صحيح مسلم ٧٤ .

(٣) ط : « حَفَايَا » .

خمسائة ألف . فبلغ ذلك الحجاج فأغضبته واشترعه من يدي ، ودفعه إلى رجل
غيري ، فذق يديه ورجله ، فلم يعطهم شيئا . قال محمد بن المنقبي : فإني لأمر
يوما في الشوق ، إذا صائح لي : يا محمد ! فالتفت إليه ، فإذا به ممرضا على حمار
مدقوق اليدين والرجلين ، فملت إليه ، فقال : إنك وليت مني ما ولى هؤلاء
فأحسنت ، وإنهم صنعوا لي ما ترى ، ولم أعطهم شيئا ، وها هنا خمسائة ألف
عند فلان ، فخذها فهي لك ، فقلت : لا آخذُ على معروف صنعتي أجرا ؛ قال :
فأما إذ أتيت فاسمع حديث بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم
قال : « إذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر في وقتيه ، وجعل المال في سمحاتهم ،
واستكمل عليهم خيراتهم . وإذا سخط عليهم استكمل عليهم شرارهم ، وجعل
المال في بخلاتهم ، وأمطرهم المطر في غير وقتيه » . قال : فما وضعت ثوبي حتى
طلبني الحجاج ، فألقيته جالسا والسيوف في يده مفتحة ، فقال : ادن ، فدنوت
فقال : ادن ، فدنوت ، ثم صاح الثالثة : وبلك ! ادن ! لا أبالك ! فقلت :
مالي حاجة إلى الدنور والسيوف هكذا ! فضحك وأغمد سيفه ، وقال :
اجلس [حدثني] ما كان من حديث الحديث ، فقلت : والله أيها الأمير
ما غشيتك منذ استنصحتني ، ولا كذبتك منذ استخبرتني ، ولا خنتك
منذ أئتممتني . . . ثم حدثته الحديث ، ولما صرت إلى ^(١) ذكر الرجل
الذي المال عنده ، أعرض عني بوجهه ، وأومأ إلى بيده ، قال : لا نسمة ،
إن للحديث نفسا ، وقد سمع الأحاديث .

وقال بعض الفضلاء :

أَخْلَاؤُكَ الْفُرُّ السَّجَايَا مَا لَهَا حَمَلْتُ قَدَيِ الْوَاشِينَ وَهِيَ سُلَافُ

وَالْعِشْرُ فِي مَرَاةٍ ذَهْنِكَ كَيْفَ لَا يَبْدُو وَأَنْتَ الْجَوْهَرُ الشَّفَافُ
وقال :

أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الْأَوْزَانِ^(١)

• • •

٦٠ - وقوله : وَلَا انْحَرَفْتُ عَنْكَ بِمَدِّ الصَّاعِيَةِ .

الانحراف : الميل ، يقال : انْحَرَفَ عَنْهُ وَتَحَرَّفَ وَأَحْرَزَ رَفً ، إِذَا مَالَ ،
أَوْ عَدَلَ عَنْهُ .

وَالصَّاعِيَةُ كَأَنَّهَا مَصْدَرُ صَعَى ، يَصْعُقُو صَفْوًا وَصَاعِيَةً ، يَقُولُ : أَصْفَيْتُ
إِلَيْهِ إِذَا مِلْتُ بِسَمْعِكَ نَحْوَهُ ، وَأَصْفَيْتُ الْإِنَاءَ إِذَا أَمْلَيْتَهُ ، وَأَصْفَيْتُ الدَّاقِقَةَ إِذَا
مَيَّلْتَ رَأْسَهَا لِلرَّحْلِ .

قال الرَّشِيدُ بوما ليزيد بن مزيد ، فِي لَمَبِ الشَّطْرَنْجِ : كُنْ عَلَىَّ مَعَ عَلِيِّ بْنِ
عِيسَى ، فَأَبَى ، وَقَالَ : إِنِّي خَلَفْتُ أَلَّا أَكُونَ عَلَيْكَ فِي جِدٍّ وَلَا هَزَلٍ .

وَمِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ قَوْلُ الرَّشِيدِ أَيْضًا : قَلْبُ الْعَانِقِ عَلَيْهِ مَعَ مَهْشُوقَتِهِ .
قال الْأَصْمَعِيُّ : فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَوْلُكَ هَذَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ
عُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ :

وَأِنِّي لَتَمْرُؤٍ نِي لِدِكِرَاكَ رَوْعَةً لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبٌ^(٢)
وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فُتِّبْتُ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ
وَأَصْرِفُ عَنْ رَأْيِي الَّذِي كُنْتُ أُرْتَبِي
وَيَقْرُبُ مِنِّي ذِكْرُهَا وَيَفِيبُ

(١) لابن الرومي ، نقله في مختارات البارودي ١ : ٣١٧ .

(٢) انظر الأغاني ٢٠ : ١٥٤ (ساسي) ، واللائ ٤٠٠ ، ومصارع المشايخ ٢٠٩ .

وَيُضْمِرُ قَلْبِي ذِكْرَهَا فِيهِمْهَا عَلَى ، فَأَلِي فِي الْفَوَادِ نَهَيْبُ
فَقَالَ الرَّشِيدُ : مَنْ قَالَ ذَلِكَ وَهَذَا ، فَقَدْ قَلَقَهُ عِلْمًا .
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْحَمَاسِيِّ :

وَلَقَدْ أَرَدْتُ الصَّبْرَ عَنْكَ فَمَا قَنِي عَلَقَ بِقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ قَدِيمُ
يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ وَرَيبِهِ وَعَلَى جَفَائِكَ إِنَّهُ لَسَكْرِيمُ
وقوله : « وَلَا أَحْزَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِيَةِ » ، أَسَدَّنِي فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ لِنَفْسِهِ
الْشَيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَلِّي سَفَةً لِاحْدَى وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةً ، قَالَ :
لَلتَّارِكِ مَالِي تَرَكُ مَا دِينُ حُبِّي شِرْكُ
سَوَالِفٌ وَهَيُونَ تَشْكِي الْمَحِبِّ وَتَشْكُو^(١)
يشير بذلك إلى قول ابن الرومي :

تَشْكِي الْمَحِبِّ وَتَشْكُو وَهِيَ ظَالِمَةٌ
كَالْقَوْسِ تُصَيِّبُ الرَّمَايَا وَهِيَ مِرْنَانُ
وقلت أنا في هذه المادَّة الثانية :

تَشْكِي أَنْحَبُ وَتَشْكُو فَالْقَلْبُ لَا يَطْمَئِنُّ
كَالْقَوْسِ تُصَيِّبُ الرَّمَايَا وَبَعْدَ هَذَا تَبْنُ

* * *

٦١ - وقوله : وَلَا نَصَبْتَ لَكَ بَعْدَ التَّشْيِيعِ فَيْك .

النَّصَبُ فِي اللَّغَةِ : مَصْدَرُ نَصَبْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَقَمْتَهُ ، وَنَصَبْتُ لِفُلَانٍ إِذَا
عَادَبْتَهُ ، وَنَاصَبْتَهُ الْحَرْبَ مُنَاصَبَةً ، وَالتَّشْيِيعُ هُوَ الدُّخُولُ فِي الشَّيْئَةِ ، وَهُمْ كُلُّ

(١) يُقَالُ : أَشْكَيْتُ فُلَانًا ، إِذَا فَعَلْتُ بِهِ نَعْلًا أَحْوَجَ إِلَيَّ أَنْ يَشْكُوكَ .

قومٍ أمرهم واحدٌ غيرُ مُختلف. وتشيع الرجل إذا ادَّعى دعوى الشيعة، وقال بمقاتلتهم. وقد جرى الؤرف بأن كلَّ من انحرف عن عليٍّ وبذيه يستعى ناصبياً، وكلَّ من أحبَّ عليّاً وبذيه يستعى شيعياً، فالناصبى ضدَّ الشيعى، وما أحسن قول الحظيرى الوراق فى ناصبى اسمه الفتح :

يافتح، يا أشهر كلِّ الورى باللؤم والخسة والكذب^(١)
كم تدعى شيعة آل النبي وأسمك يُذنبنا عن النصب

وكان إبراهيم بن المهديّ منصرفاً عن عليٍّ رضى الله، ولما مات إبراهيم ركب المعصم حتى صلى عليه، ثم قال للوائق: قم يا بنى حتى تبيته، وقيل: بل لم يُصلَّ عليه تحرُّجا، وأمر الوائق بالصلاة عليه، وسأل عن وصيته، فوجده قد أمر بمالٍ عظيمٍ أن يفرَّق على أولاد الصحابة كلِّهم إلا أولاد عليٍّ رضى الله عنه. فقال الوائق: والله لولا طاعة أمير المؤمنين لما وقفتُ عليه، ولا انتظرتُ دفنه. ثم انصرف وهو يقول: منصرفٌ عن شرفه وخير الأهل، والله لقد وارىته فى قبره كافراً. وأمر الوائق أن يفرَّق فى أولاد عليٍّ رضى الله عنه مالٌ فاضل، فأصاب كلَّ رجلٍ منهم أضعاف ما أصاب غيرهم من وصية إبراهيم.

قال يحيى بن أكرم: لو يُحسن أحدٌ من بنى العبَّاس إلى آل أبى طالب إحسان الوائق؛ مامات فيهم فقير.

وكان المتوكل منصرفاً عن العلويين، فأمر فى سنة ست وثلاثين ومائتين بهدم قبر الحسين رضى الله عنه، وهدم ماحوله من الدور، وأن يُعمل مزارع،

ومنع الناس من زيارته ، وحُرِّثَ وبقى صحَّراء ، فتألم الناس لذلك ، وكتبوا
سجَّته على الحيطان ، وهجَّاه الشُّعراء ؛ دُعِيلَ وغيرُه ، وفي ذلك يقول يعقوبُ
ابن السَّكَيْتِ - وقيل : لعلَّ بن أحمد البسَّامِ :

تالله إن كانت أُمِّيَّةٌ قد أتتْ قتل ابن بنتِ نبيِّها مظلوما
فلقد أتاهُ بنو أبيه بِعِثْلِهِ هذا لَمَمْرُك قَبْرُهُ مَهْدُوما
أَيُّقُوا على أن يكونوا شارِكوا في قَتْلِهِ ، فتتبعوه رميا
ودخل ابنه المنتصر رحمه الله عليه ليلةً ، وقد أمه رجلٌ قد تزَيَّا بزى على
ابن أبي طالب رضى الله عنه ، وقد كبر بطنه ، فتمَيَّنَ الفَضْبَ في وجه المنتصر ،
فقال منه المتوكل^(١) . وكان ذلك أحد الأسباب الباعثة للمنتصر على قتل أبيه
المتوكل ، على ما هو مذکور عند أهل العلم بالتواريخ وأيام الناس .

ولما تولَّى الخلافة المنتصرُ دَفَعَ إلى أحمد بن الخصب مالا جزيلا ،
وقال : فَرَّقْهُ في العَلَوِيِّينَ ، فقد نالهم جَفْوَةٌ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، سوفَ
ترى ما أقفل معهم . فقال : إذا تسعد عند الله وعندى ، فإنى ما وليتكَ
الوزارةَ إلَّا لأخلفننى فيهم ، وتنفقُ أحوالهم ، وتَقْضَى حوائجهم ، فقال يزيد
ابن الهلب :

ولقد بَرَرْتَ الطالبيَّةَ بِعَسَدِ ما ذمُّوا زمانًا بدمهم وزمانا^(٢)
ورددتْ أُلْفَةَ هاشمٍ فرأيتُهُم بعدَ العداوةِ بينهم لإخوانا
لو يعلمُ الأسلافُ كيفَ بَرَرْتَهُم لرأوكَ أَثْقَلَ مِنْهُمْ ميزانا
وكان عبد الله بنُ المعتزِّ منجرفا عن العَلَوِيِّينَ ، وله فيهم قصيدة
مطوَّلة أولها :

(١) كذا في م ، وهو الصواب ، وفي الأصل ، ط « فقال المتوكل » وهو خطأ .

(٢) المسعودى ٣ : ١٣٥ .

أَلَا مَا لَيْتَنِي وَتَشْكَايَهَا تَشْكِي الْقَذَى ، وَبِهَا مَا يَهَا

وأجابه عنها صنئ الدين الحلي من أهل عصرنا . ولابن سُكْرَةَ الهاشمي قصيدة ميمية ، ينفخر بها على الطالبين ، فردَّ عليه أبو فراس بن حمدان بقصيدة في وزنها ورويها . ولأبن المعتز غير قصيدة بذم فيها الطالبين ، وهي موجودة في ديوانه .

وكان الملك الأفضل علي بن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب كامل الفضائل ، يتظاهر بالانشيع لأجل الإمام الناصر ، صاحب بغداد ، فمن ذلك أنه كتب إليه لما تهنَّط عليه عمه العادل أبو بكر وأخوه العزيز عثمان ، قال :

ذِي سُنَّةٍ بَيْنَ الْأَيَّامِ قَدِيمَةٍ أَبْدَا أَبُو بَكْرٍ يَجُورُ عَلَى عَلِيٍّ

وكتب إليه أيضا :

مولاي إنَّ أبا بكر وصاحبَه عثمانَ قد غَصَبَا بالسيفِ حقَّ عليٍّ
وهو الذي كان قد ولَّاه والدُه عليهما ، فأستقام الأمر حين ولي
خالفاه وحلَّاهُ عَمْدَ بَيْتِهِ والأمر بينهما ، والنص فيه جلي
فانظر إلى حظَّ هذا الإمام كيف لقي

من الأواخر ما لاقى من الأوَّل

فكتب الإمام الناصر إليه جوابا :

وَأَقَى كِتَابُكَ يَا بَنَ يَوْسُفَ مُعَلِّمًا بِالْحَقِّ يُخْبِرُ أَنَّ أَصْلَكَ طَاهِرُ
غَصَبُوا عَلِيًّا حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ بعدَ النَّبِيِّ لَهُ بِمَكَّةَ نَاصِرُ
فَاصْبِرْ فَإِنَّ غَدًا عَلَى جِزَاءِهِمْ وَابْشِرْ فَنَاصِرُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ

وكتب الصاحبُ شرفُ الدين بن عَمَّين من الهند قصيدةً يقول فيها :
 هيهات أن آتني دِمَشقٌ ومُلْكُها يعزى إلى غيرِ المليك الأفضَلِ
 ومن العجائب أن يقومَ بها أبو بكرٍ على علمِ الوصيةِ في عَلي
 مهلاً أبا حَسَنٍ فَنَلَّكَ سَجَابَةً صِيفِيَّةٌ عَمَّا قَلِيلٍ تَنْجَلِي

على أنه لَمَّا عاد إلى الشام وَوَجَدَ المَادِلَ في دِمَشقٍ ، كتب له
 قصيدةً أوَّلَها :

ماذا على طَيفِ الأُحِبَّةِ لو سَرَى وعليهم لو سَاحَحونى بالسَكرَى
 وقال في جملتها :

ما في أبي بكرٍ لمن رامَ الهدى شكَّ يربُّ بأنَّه خيرُ الوزَى
 ومن نظم المَلِكُ الأفضَلِ نور الدين عليّ بن السلطان صلاح الدين يوسف
 ابن أيُّوب رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى يقول :

أما أن للسَّعدِ الَّذي أنا طالِبٌ لإدراكه يوماً يُرى وهو طالِبِي
 وهَلَّا يُرَى الدَّهْرُ أيديَّ شَيْعِي تَمَكَّنَّ يوماً من نَوَاصِي النَوَاصِبِ

وما أحسنَ قولِ أبي الفتح نصر بن قلافس رَحِمَهُ اللهُ تعالى :
 وفي كَيْدِي - أَسْتَغْفِرُ اللهَ - لَوْعَةٌ إلى مَوَلَعٍ عَنِي بما هوَ مَوَلَعٌ
 يذَاصِبُنِي في الحُبِّ والحُبُّ حَاكِمٌ يَجُوزُ لِي في النَاصِبِي تشيُّعِي
 وكان الصالح بن رُزَيْك قد أَلْزَمَ الأثيرَ بن بُنانَ بِمالٍ دَفَعَ عليه لكونه كان
 يتولَّى أموالَ آلِهِ ، فأرسل إليه يَمُنُّ بِقَدِيمِ الخِدْمَةِ ، والأشْيَعِ المَوافِقِ لِمَذْهَبِهِ ،
 فقال الصالح :

أَيُّ ابنِ بُنانٍ بِهَتَانِهِ يَحْصَنُ بالدينِ ما في يَدَيْهِ

برئت من الرّفْضِ إِلَّا لَهُ وَتُبْتُ مِنَ النَّصَبِ إِلَّا عَلَيْهِ

وكان قدر المال ستمين ألف دينار ، فأخذ منه اثني عشر ألفا ، وترك له الباقي . وقال نصير الدين محمد بن الإخميمي في شيميّ صَفِيع بدمشق في سوق عليّ :

تَهَبْ عَلَيَّ كَمَا تَدْعَى كَذَبَ وَخَالِقَ مَخْلُوقِهِ
فَلَوْ كُنْتَ تَصَدَّقُ فِي حُبِّهِ حَاكَّ مِنَ الصَّفْعِ فِي سُوقِهِ

قيل : إنَّ جُعْفِرَانَ الْمُؤَسَّسِ كَانَ يَتَشَبَّهُ ، فَقِيلَ لَهُ يَوْمًا : أَنْشِئْ فاطمة وتأخذ لك دِرْهَمًا ؟ فقال : لا ، إِلَّا أَنِّي أُسَبِّحُ عَائِشَةً وَأَبَاها ، وَأَعْطُونِي نصفًا .

وقيل يومًا لبهلول : أَيُّمَا أَفْضَلَ ، أَبُو بَكْرٍ أَوْ عَلِيٌّ ؟ فقال : أَمَّا وَأَنَا فِي كِنْدَةِ فَعَلِيٍّ ، وَأَمَّا وَأَنَا فِي بَيْ خُزَيْمَةَ فَأَبُو بَكْرٍ ؛ وَكِنْدَةُ فِي السَّكُوفَةِ مِنْ غُلَاةِ الرَّوَافِضِ ، وَبَنُو خُزَيْمَةَ أَهْلُ نَصَبٍ ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْجَمَلِ .

قال سليمان بن زبر^(١) : اجْتَمَعْتُ أَنَا وَعَشْرَةٌ مِنَ الْمَشَائِخِ فِي جَامِعِ دِمَشْقَ ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ الطَّائِيّ ، فَقَرَأْنَا فَضَائِلَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَوُثِّبَ عَلَيْنَا قَرِيبٌ مِنْ مِائَةِ يَضْرِبُونَنا ، وَيَسْتَجِبُونَنا إِلَى الْوَالِي ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ الطَّائِيّ : يَا سَادَةَ ، اسْتَمِعُوا لَنَا ، إِنَّمَا قَرَأْنَا الْيَوْمَ فَضَائِلَ عَلِيٍّ ، وَغَدًا نَقْرَأُ فَضَائِلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ حَضَرْتُ نَتْنِ أَيْيَاتٍ فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَسْمَعُواها ، فَقَالُوا لَهُ : هَاتِي ، فَقَالَ^(٢) بِدِيهَا :

حُبُّ عَلِيٍّ كَلَّهُ ضَرْبُ يَرْجِفُ مِنْ خَيْفَتِهِ الْقَلْبُ
وَمَذْهَبِي حُبُّ إِمَامِ الْهُدَى يَزِيدُ ، وَالَّذِينَ هُوَ النَّصَبُ
مَنْ غَيْرُ هَذَا قَالَ فَهَؤُلَاءِ مَرُوءٌ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا لُبُّ

(٢) ط : « فَأَنْشَأَ » .

(١) م : « بَنُ زَيْدٍ » .

والناس من يَنْقُذُ لَاهْوَاهِمُ يَسْلَمْ، وإلَّا فَاَلْقَفَا نَهْبُ

قال : نَحَلُّوا عَنَا ، فقال أبو بكر الطائِي : والله لا أَقْتُ في بلدٍ يَجْرِي فيها ما جَرَى ، نَمَّ إِنْهُ خَرَجَ مِنْهَا وَسَكَنَ حِمَصَ .

قال البَاخَرَزِي رحمه الله مصَنَّف دُمِيَّة القَصْرِ ، في ترجمة علي بن محمد الجَزَرِي : وقع من بعض الجزائري باخَرَز ، فارتبطَ بها للتأديب ، وبقيَ بين كُتُبائها موفورَ النَّصيب ، وبلغ من العلوِّ في التَّشْيِيع مَبْلَغًا حَفِظَهُ حتى أَدْرَعَ اللَّيْل ، وسَمِعَ الذَّلِيل ، وشَدَّ الأفتاد ، وطَوَى البلاد ، وأقام في مُجاوَرَةِ قَبْرِ معاويةَ بالشَّام سنةَ جرداء^(١) ، يطوفُ بَيْنِيَانِهِ ، ويَبْرُكُ باستِلامِ أركانِهِ ، ووراءَ تَمَلُّقِهِ ذلك أمرٌ ، وخَلَلِ رِمَادِهِ وَمِيزُ جَمْرٍ ، ولم [يزل]^(٢) يَنْتَهزُ الفُرْصَةَ حتى خلا وجهُهُ يوماً من الأيَّام ، وانتَقَضَ عنه بعضُ هؤلاء الأَقْوَام ، فنَقَضَ على القبرِ عِيَابَهُ ، وأسألُ فوقَهُ مِزْرَابَهُ^(٣) ، وألقى به جَفِينَهُ ، وخلَطَ بَذِي بَطْنِهِ طِينَهُ ، وخرجَ منها خائفاً يَتَرَقَّبُ ، قال ربِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وفي هذا المعنى يقول :

رَأَيْتُ بَنِي الطَّوَامِثِ وَالزَّوَانِي بَمَقْتٍ يَنْظُرُونَ إِلَى شَزْرَا
لَأَنِّي بِالشَّامِ أَقْتُ حَوْلًا عَلَى قَبْرِ ابْنِ هَنْدٍ كُنْتُ أُخْرَى
انْتَهَى مَا أُوْرَدَهُ الْبَاخَرَزِي .

وقلت أنا ردًا على هذا الشاعر الأحمق أخزاه الله تعالى :

أَتَحَسَبُ أَنْ ذَا يُرْضِي عَلِيًّا عَلَيْكَ وَقَدْ خَرَيْتَ جُرَيْتَ شَرًّا
وَكَيْفَ يَكُونُ وَجْهُكَ يَوْمَ تَأْتِي غَدًا ، وَيَقَالُ هَذَا وَجْهَ خَرًّا

(١) دمية القصر ٥٢ . (٢) في الأصل ؛ د : « جوداء » وما أثبتته من الدمية

(٣) من الدمية (٤) كذا في الدمية .

ولكن كان هذا نقص عقل ودين ، من تحرى ما تجرأ

٦٣ - وقوله : ولا أزمعتُ بأصا منك ، مع ضمان تكفلت به
الثقة عنك .

قال الخليل : أزمعتُ على أمرٍ فأنا مُرَمِّعٌ عليه ، إذا بُدِّت عليه عزمك .
وقال الكسائي : يقال : أزمعت الأمر ، ولا يقال : أزمعت عليه .
والياس ضد الطمع . وتكفل تكفل من الكفالة ، وما أحسن قول أبي
العتاهية :

ولربما أستنيستُ ثم أقولُ لا إن الذي ضمن السجاح كريم
وقول آخر :

لا زلت أسمعكم من واثق خجل
حتى أبتليتُ فكنت الواثق الخجلاً
وقال أبو بكر الخوارزمي :

رَمَيْتُ بِكَ الْأَعْدَاءَ عَنْ قَوْسِ غَفِيَةٍ
وَأَصْبَحَ حُبَّ النَّاسِ مِنِّي مَطْلَفًا
وَصَفَرْتُ عِنْدِي الْخَلْقَ حَتَّى حَسِبْتَنِي عَلَى كُلِّ مَنْ خَاطَبْتُهُ مَصْدَقًا
وَكُنْتُ مَتَى أَنْقَلَ إِلَى أَهْلِ مَجْلِسٍ ثَمًّا مَجْلَسٍ مِنْ فَيْكِ قَتْمَ مَصْدَقًا
وَكُنْتُ مَتَى مَا أَرَوْعَتِكَ قَصِيدَةً غَدَوْتُ بِهَا أَصْفَى نَشِيدًا وَأَحْذَقًا
وَكُنْتُ إِذَا أُسْتَفْتِجْتُ بِأَعْيُنِكَ سَفَرَةً
تَطَايَرَ عَنِّي نَحْسُهُمْ وَتَفَرَّقَا

وكنفت متى أذكرك والكأس في يدي
صفت ، وغدا الداذي فيها معتقا^(١)
وكنفت متى أحسذ غنيئا على الغني
ذكرك سيرا واستظلت لك البهسا
وقال ابن الحيات الدمشقي :

أبعد تمسكي بفساك دهرأ وخبل نذاك ليس له انصرام^(١)
وكوني من دفاعك في حصون منيعات الذواب لا ترام
وأخذني منك ميثاقا كريما وعهدا ما لعروته انفصام
ينال مراده مني حسودي ويمكن عاديا في اهتضام

* * *

٦٣ — وقوله : وعهد أخذته حسن الظن عليك .

العهد لغة الأمان ، واليمين والمؤثق والذمة والحفاظ والوصية ؛ والمراد به
هنا المؤثق ، وقد استعار هنا الأخذ لحسن الظن عليه ، كأنه تناول حسن
ظنه فيه ، وأخذته عليه ، واقتطعه منه ، وصار عنده في قبضته . وحسن الظن
بالله أمر قد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، وحث عليه ، فمن ذلك
يقول الله تعالى : « أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي خيرا » .

وقد روى أبو نواس الحسن بن هاني عن حماد بن سلمة ، عن ثابت
البناني عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن
أحدكم حتى يحسن الظن بالله ، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة » .
وروى عن بعض أهل البيت رضي الله عنهم أجمعين ، أنه قال عند نزاعه ،

(١) الداذي : نبت له حب مثل الصمغ يتخذ منه شراب مسكر .

يَا بَنِيَّ ، أَفْرِهُوا عَلَيَّ شَيْئًا مِنَ الرِّخَصِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَنَا أَحْسَنُ الظَّنِّ بِهِ .
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ^(١) كُلُّ عَقْدٍ
 مِنَ الْعُقُودِ مِثْلُ عَقْدِ الْبَيْعِ وَالشَّرِكَةِ ، وَعَقْدِ الذَّكْرِ وَالْيَمِينِ ، وَعَقْدِ الصُّلْحِ ،
 فَإِنَّهُ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِأَيِّ شَيْءٍ وَقَعَ مِنْ هَذِهِ الْعُقُودِ مِمَّا يَجْرِي ذَلِكَ بَيْنَ إِنْسَانَيْنِ ،
 إِلَّا إِذَا دَلَّ دَلِيلٌ مُنْفَصِلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ، أَيُّ مَطْلُوبًا مِنَ الْمُعَاهِدِ إِلَّا بِضَيْعِهِ ،
 وَقَدْ أَخْرَجَهُ تَخْرُجُ ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ^(٢) ، هَذَا
 سُؤَالُهَا ، هُوَ تَقْرِيعُ إِمْنٍ وَأَدَّ الْبَنَاتِ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
 اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ ^(٣) هَذَا سُؤَالُ لَهُ ، وَهُوَ
 تَقْرِيعٌ فِي الْبَاطِنِ لِمَنْ أَعْتَقَدَ ذَلِكَ وَتَوَيْخٌ لَهُ ، فَكَذَلِكَ سُؤَالُ الْعَهْدِ نَفْسَهُ
 إِنَّمَا هُوَ تَوَيْخٌ لِمَنْ لَمْ يَفِ بِهِ وَمَنْ نَكَّهْهُ ، وَإِلَّا فَالْعَهْدُ نَفْسُهُ غَيْرُ مَسْئُولٍ قَطْعًا .
 أَشَدَّنِي لِنَفْسِهِ إِجَارَةٌ شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَمِنْ
 حَظِّهِ نَقَلْتُ :

قِيلَ مَا أَعْدَدْتُ لِلْحَافِئِ ، وَقَدْ جُمْتُ مَحَلَّهُ

قُلْتُ أَعْدَدْتُ مَعَ التَّوْحِيدِ دِرْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ

وَقُلْتُ أَنَا فِي ذَلِكَ :

ثُمَّ الْجَنَّةُ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى

فَهِيَ وَعِنْدِي رَأْسُ مَالِي أَشْتَرِي مِمَّا تَعَالَى

(٢) التَّكْوِينُ ٨ .

(١) الْإِسْرَاءُ ٣٤ .

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ١١٦ .

وقال عبد الصمد^(١) بن بابك :

أصبحتُ ذائِقَةً بالوفرنك وإن قال المواذلُ ظَنُّ رَبِّمَا كذباً
إنَّ المُنَى صَمِمتُ عنكَ الفنى فَأَجِبْ

فالمجرُ يَنْحَحُ فَضْلَ الرِّىِّ مَن شَرِبَا
فحُسْنُ ظَنِّي^(٢) استَوْفَى مَدَى أَمَلِي وحُسْنُ ذَلِكَ لم يُبْقِ لى أَرْبَا

وما أَلطفَ قولَ السَّراجِ الورَّاقِ :

أقولُ وكَفِّى على خَضِرِها وقد كاد يَخْفَى سَقاماً هَلَّى
أخذتُ عَلَيْكَ عَهْدَ الهَوَى وما فى يَدِي مِنْكَ يا خَضِرَ شَىْ

ومن قول ابن زيدون رحمه الله تعالى : «وَاللهَ ما غَشَّ شُكُّكَ بعدَ الفَصِيحةِ ..»
إلى قوله : «وعهد أخذهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ» ، ثمَّ تسميته العَرَبَ وأربابُ البَدِيعِ :
الاستقصاء ، وهو أن يتناول البليغُ معنًى فيستقصيه ، ويأتى فيه بجميع عوارضه
ولوازمه ، وأوصافه الذاتية ، ولا يترك فيه لمن بعده ممَّن يتأمله فضلة . وكذا فعل
أَبْنُ زَيْدُونِ رحمه الله تعالى لما أراد أن يتبرأً عند ابن جَهْوَرٍ من الذَّنوبِ ،
فقال : ما غَشَّ شُكُّكَ ، ولا انحرَفَتْ عنكَ ، ولا نصبتُ لَكَ ، ولا أَرْمَمْتُ بِأَسَا
مِنْكَ ، مع ثقتى بِكَ ، وحُسْنِ ظَنِّي بِكَ .. فقد استقصى فى التبرُّى من الذَّنوبِ
التي يتوهم وقوعها ، ولم يرض بذلك حتى قال : ومع براءتى من ذلك أنا لم
أياسْ مِنْكَ لحسن ظنِّى فيكَ ؛ وهذا [كمال الاستقصاء]^(٣) لذلك ، حتى يقرر
وجوب الرحمة له ، والمأطفة عليه . ومن أحسن ماورد فى الاستقصاء ، قوله

(١) ط : « عبد الملك »

(٢) ط : « ظن » .

(٣) من ط ود

تعالى : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ ^(١) إلى قوله تعالى : ﴿ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ ؛ لأنه بعد قوله : ﴿ جَنَّةٌ ﴾ ، لو اقتصَرَ على ذكرها اسكان كافياً ، فلم يقف عند ذلك حتى قال : ﴿ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ ، لأن الجنة تَهْلِكُ على كلِّ شجرة يَسْتُرُ بظلِّ ورقه الأرض . فإذا قال : ﴿ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ كان مُصَابُ رَبِّهَا أعظم . ثم لم يقف عند ذلك حتى قال : ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ، متممًا لوصفها بذلك ، ثمَّ كَمَّلَ وصفها بعد التَّمَعُّمِينَ ، بأن قال : ﴿ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ ؛ وذلك لما عَلِمَ أَنَّ الاقتصار على وصفها بالنخيل والأعناب ، لا يكون ذلك وصفًا كاملاً ، فأثنى بكل ما يكون في الجنات ليشهد للأسف على فسادها . ثم قال في وصف صاحب الجنة : ﴿ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ ﴾ . ثمَّ استقصى المعنى في ذلك بما يُوجِبُ تعظيم الجنات بقوله بعد وصفه بالكبر : ﴿ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ﴾ . ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعف . ثم ذكر استئصال تلك الجنة - التي ليس لهذا الذي أصابه الكبر وليس لذريته الضعفاء غيرها - بالهلاك في أسرع وقت ، حيث قال : ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ ﴾ ؛ فلم يقتصر على ذكر الإعصار للعلم بأنه لا يحصل به سرعة الهلاك ، فقال : ﴿ فِيهِ نَارٌ ﴾ . ثم لم يقف عند ذلك أيضاً حتى قال : ﴿ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ ؛ لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تقوم بإحراقها لما فيها من الأنهار ورطوبة الأشجار ، فاحتَرَزَ عن هذا الاحتمال بقوله : ﴿ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ .

ومن أحسن ما وقع في الاستقصاء قول ابن الرومي :

وحديثها السَّحَرُ الحلال لو أنه لم يَجْنِ قتل المسلم المتحرِّر ^(٢)

(١) سورة البقرة ٢٦٦ .

(٢) أمالي القائل ١ : ٤٨ .

إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلَّ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْحَدَّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجَزْ
 شَرَكُ الْقَوْلِ وَنَزْهَةٌ مِثْلُهَا لِلطَّمْثِ وَعُقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِزِ
 وَمِنَ الْاسْتِقْصَاءِ قَصِيدَةُ ابْنِ الرُّومِيِّ الْقَافِيَّةُ ، الَّتِي يَصِفُ فِيهَا الْجَارِيَةَ
 السَّوْدَاءَ ، مِنْهَا قَوْلُهُ :

أَكْتَبَهَا الْحُبُّ أَنَّهَا صُيِّفَتْ صَبْمَةً حَبَّ الْقُلُوبِ وَالْمَدَقِ
 فَإِنَّهُ اسْتَقْصَى فِيهَا جَمِيعَ مَا تُوصَفُ بِهِ السَّوْدَاءُ مِنَ الْحَاسِنِ .
 وَمِنْهُ (١) قَصِيدَةُ الْقَاضِي نَاصِحِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ الْأَرْجَانِيِّ فِي الشَّمْعَةِ
 الَّتِي أَوْهَلَهَا :

نَمَتْ بِأَسْرَارٍ لَيْلٍ كَانَ يُخْفِيهَا وَأَطْلَعَتْ قَلْبَهَا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا (٢)
 فَإِنَّهُ اسْتَقْصَى فِيهَا جَمِيعَ مَا تُوصَفُ بِهِ الشَّمْعَةُ مِنَ الْمَحَاسِنِ .



٦٤ - وَقَوْلُهُ : فَفِيمَ عَبَثَ الْجَفَاءُ بِأَذْمَتِي .

فَفِيمَ أَصْلُهُ : « فَفِي مَا » ، وَهَذِهِ مَا الْاسْتِفْهَامِيَّةُ ، إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا حُرُوفُ الْجَزْرِ
 حُذِفَتْ أَنْفُهَا ، فَيَقَالُ : عَلَامٌ ، وَإِلَامٌ ، وَعَمٌّ ، وَمِمٌّ .

قِيلَ : إِنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِبَعْضِ الْأَفَاضِلِ : بِمَا تُوصِيَنِي ؟ فَقَالَ : بَتَمَوَى اللَّهُ ،
 وَإِسْقَاطِ الْأَلْفِ .

وَقَوْلُهُ : « أَذْمَتِي » جَمْعُ ذِمَامٍ ، مِثْلُ زِمَامٍ وَأَزِمَةٍ ، وَسِنَانٍ وَأَسِنَّةٍ ،
 وَالذِّمَامِ وَالذِّمَّةِ : الْحُرْمَةُ .

(٢) ديوانه ٤٢٥ .

(١) ط « ومن الاستقصاء » .

وكانت العرب تُراعى أمر الدِّمَّة ، وتُحافظ عليه ، ويتوخَّون الوفاء به ،
ولو جرَّت الدِّمَاء ، وقامت الحروب ودامت ؛ فمن ذلك أمر كُليِّب وإِبل ،
فإنه كان يقول : قد أجرتُ وحشَ صحراء كذا وكذا ، فلا يتمرّض له أحد ،
ولا يُقدِّم على صيد ذلك أو وحش أحد أبداً ، وكان يمنع أن ترد إبلُ أحدٍ
مع إبله حتّى تصدُر إبله ، ثمّ ترد إبلُ الناس بعد ذلك ، ولذلك قال عهد الله
ابنُ محمد بن ورقاء الشَّيبانيّ من قصيدته المشهورة :

وعزُّ كُليِّبٍ كان أحدوثَةً بها تَبَدَّى من العزِّ الأصيلِ للبانيّ
بُجَيْرٌ وحوشٌ البِيدِ من أن تصيدها

رجالٌ ويحيى للوحوش الصَّحاريّ
ويَحْتَصِرُ الوِرْدَ المَباحَ فتنتهى الـ
جَماعَةُ عَمّا عنه صرّح ناهيها

وعمر بن سكتان بن سليمان ، قَتَلَ أخاه وفاء لجاره^(١) السَّكَلابيّ ، حتّى قال
شاعرُ بني شَيْبَانَ :

قَتَلْنَا أَخانا بالوفاء لجارنا وكان أبونا من تجيرٍ مقابرُهُ
وقال غيره يردّ عليه بما فعلوا :

تَمُدُّ معاذراً ليست بشيءٍ ومن يَقْتُلُ أخاهُ فقد أَلَامَا

وقصة السَّموءل بن عادِياء مع الحارث بن أبي شمر وقَتَلَ ولده بسبب
أذْرُع امرئ القيس ، ولم يَدْفَع الأذْرُع ، وذبح ولده ، وهو يشاهده
من الحصن .

(١) ط : « محاوره » .

ومن ذلك ما ذكره صاحب الأغاني^(١) ، قال : كان المهلب بن أبي صفرة
بخراسان ، فخرج إليه زياد الأعجم فمدحه ، فأمر له بجائزة ، وأقام عنده أياماً ،
قال : فإننا المشيمة تشرب مع حبيب بن المهلب في دار له وفيها حمامة ،
إذ سحمت الحمامة ، فقال زياد فيها :

نَعَى ، أَنْتِ فِي ذِمِّي وَعَهْدِي وَذِمَّةُ وَالِدِي أَلَا تُضَارِي^(٢)
وَبَيْتِكَ أَصْلَحِيهِ وَلَا تَخَافِي عَلَى صَبْرٍ مُزْغَبَةٍ صِفَارِ
فَإِنَّكَ كُلَّمَا غَنَيْتِ صَوْنَنَا ذَكَرْتُ أَحَبِّي وَذَكَرْتُ دَارِي
فَإِنَّمَا يَقْتُلُوكَ طَلَبْتُ ثَاراً لَهُ نَبَأٌ لَأَنْكَ فِي حِوَارِي

فقال حبيب : يا غلام ، هات القوس ، فقال له زياد : وما تصنع بها ؟ قال :
أرمي جارتك هذه . قال : والله لئن رميتها لأستعدين عليك الأمير ، فأتي
بالقوس فنزع فيها سهمها فقتلها ، فوثب زياد ، ودخل على المهلب ، فحدثه
الحديث وأشدّه الشمر . فقال المهلب : على بابي بسطام ، فأتي بحبيب ،
فقال له : أعط أبا أمامة دية جارتك ألف دينار ، فقال : أطل الله بقاء الأمير !
إنما كنت ألقب . فقال : أعطه كما أمرتك^(٣) ، فأعطاه ، فقال زياد :

فَبِهِ عَيْنًا مِنْ رَأَى كَفَضِيَّةٍ فَضَى لِي بِهَا قَرْمُ الْعِرَاقِ الْمَهْلَبُ
رَمَاهَا حَبِيبُ بْنُ الْمَهْلَبِ رَمِيَّةً فَأَتْبَعَهَا بِالسَّهْمِ وَالسَّهْمُ يَعْزُبُ^(٤)
فَأَلَزَمَهُ عَقْلَ الْقَتِيلِ ابْنُ حُرَّةٍ وَقَالَ حَبِيبٌ : إِيَّاهُ كُنْتُ الْقَبِ
فَقَالَ : زِيَادٌ لَا يُرَوِّعُ جَارُهُ وَجَارَةُ جَارِي مِثْلُ جَارِي^(٥) وَأَقْرَبُ

قال : فحمل حبيب إليه ألف دينار على كُرّه منه ؛ وإنه ليشرب يوماً
مع حبيب إذ عرّب عليه حبيب - وقد كان حبيب اضطغن عليه مما جرى

(٢) الأغاني : « إن لم تضاري » .

(٤) أنبتها : « قتلها في مكانها » .

(١) الأغاني ١٥ : ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(٣) الأغاني : « أمرتك » .

(٥) الأغاني : « مثل جلدِي » .

فأمر بشق قَبَاءٍ ديباج كان عليه ، فقام وقال :

أَعْمَرُكَ مَا الدَّيْبَاجُ خَزَقَتْ وَحَدَدُ وَلَكِنَّمَا خَزَقَتْ جِلْدَ الْمُهَلَّبِ

فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره ، وقال : صدق زياد ، ما خَزَقَتْ إِلَّا جِلْدِي ،
فدعني مهجوني ^(١) انتم طلب زيادا ، وسلّ سَخِيْمَتَهُ ، وأمر له بمالٍ وصرْفَه .

وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : أخبرنا أبو أحمد ،
أخبرنا أبو الحسن البرمكي ، أنبأنا أحمد بن جعفر : حدثني محمد بن ناجية
الرصافي . قال : كنتُ أحدَ من وقع عليه التهمة أيام الواقعة بمالٍ مَهْر ،
فطلبني السلطانُ طلباً شديداً حتّى ضاقت على الأرضُ برَحِيْمِها ، فخرجتُ إلى
البلادِ مُرْتاداً رجلاً عزيزاً ، منيع الدار ، أعوذُ به ، وأنزل عليه ، حتّى انتهيتُ
إلى بني شيبان بن ثعلبة ، فدفعتم إلى بيت مشرف بظاهر رابية ، وإلى جانبه
فَرَسٌ مَرْبُوطٌ ، ورُمُحٌ مَرْكُوزٌ ، يلمع سفانُهُ ، فنزلتُ عن فرسي ، وتقدّمتُ
فسلمتُ على أهل الخِباء ، فردّ على نساءٍ من وراء السِّجْفِ يرمقنني من خَلالِ
السُّتُورِ ، بهيون كميون أخشاف الظُّباء . فقالت إحداهن : اطمئن يا حضري .
فقلت : وكيف يطمئن المطلوب ، أو يَأْمَنُ المَرْعُوبُ ، وقَلَمَا يَنْجُومَنِ السُّلْطَانُ
طَائِبُهُ ، والخوفُ غَالِبُهُ . دون أن يَأْوِيَ إلى جبلٍ يَعَصِمُهُ ، أو مَعْقِلٍ يَمْلُكُهُ !
فقلت : يا حضري ، لقد ترجم لسانك عن قلبٍ صغير ، وذنبٌ كبير ، وقد
نزلت بقاء بيتٍ لا يضامُ فيه أحد ، ولا يَجُوعُ فيه كَيْدٌ ، ما دام لهذا الحيِّ
سَبْدٌ أو أَبْدٌ . هذا بيتُ الأسود بن قنان ، أخواله كَلْبٌ ، وأعمامه شيبان ،
مُملوكُ الحيِّ في ماله ، وسيّدُهُمْ في فِمالِهِ ، لا يَنَازِعُ ولا يَدَافِعُ ، له الجِوَارُ ،

(١) الأغاني « تبعث هذا على أن مهجون » .

وموقد النار ، وطآب النار ، وهذا وصفه أمانة بنت الجلاح الكلبية
حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل ممدى وكل يمان
وفى يوم جوداً وحلماً وسودداً وبأساً ، فهذا الأسود بن قحان
فتى كالنفاة الزود يسفر وجهه كأن تلالى وجهه القمران
أغرأ برأ ابني نزار وبهرب وأوثقهم هقداً بكل مكان
وأوفاهم عهداً وأطولهم يداً وأعلامهم قعلاً بكل مكان
وأضر بهم بالسيف من دون جاره وأطمعهم من دونه بسفان
كأن العطايا والمنايا بكفه سحابان مقرونان مؤنلفان

فقلت: الآن ذهبت عني الوحشة، وسكنت عني الروعة، فأنتى لى به! فقالت:
يا جارية، اخرجى فنادى مولاك. فخرجت الجارية، فمالبت إلا هيبه حتى
جاءت وهو معها فى جمع من بنى عمه، فرأيت غلاماً قد اخضر شاربه، واخضع
عارضه، وخشن جائده. فقال: أى المفهمين علينا أنت؟ فبدرت المرأة
فقلت: يا أبا مرهف، هذا رجل نبت به أوطانه، وأزعجه سلطانته، وأوحشه
زمانه، وقد أحب جوارك، ورغب فى ذمتك. وقد صمنا له ما نضمن لمثله على
مثلك. فقال: بلى الله فالك! قال: فأخذ بيدي، وجلس وجلس، ثم قال:
يا بنى أبى وذوى رحى، أشهدكم أن هذا الرجل فى ذمتى وجوارى، فمن
أرادَه فقد أرادنى، ومن كادَه فقد كادنى، وما يلزمنى فى أمره من حالٍ إلا
ويلزكم مثله. فليسمع الرجل منكم ما يسكن إليه قلبه، وتطمئن إليه نفسه.
فأسمت جواباً قط أحسن من جوابهم، قالوا بأجمعهم: ما هى بأول منه
مننت بها علينا، ولا أول يد بيضاء طوقتنا بها، وما زال أبوك قبلك فى

بِنَاءِ الشَّرَفِ لَنَا ، وَدَفَعَ الدَّمَ عَنَّا ، فَهَذِهِ أَنْفُسُهَا وَأَمْوَالُهَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، ثُمَّ ضَرَبَ لِي قُبَّةً إِلَى جَانِبِ بَيْتِهِ ، فَهَازَتْ عَنْدَهُ عَزِيزًا مَنِيحًا حَتَّى صَنَحَ لِي مِنَ السُّلْطَانِ مَا أَمَلْتُ ، فَأَنْصَرَفْتُ إِلَى أَهْلِي .

وَكَانَ حَارِثَةُ بْنُ مُرَّةٍ يُسَمَّى مُجِيرَ الْجَرَادِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ بِقِنَائِهِ جَرَادٌ ، فَغَدَا الْحَيُّ^(١) إِلَيْهِ لِيَدْفَعُوهُ عَنْهُمْ ، فَمَنَعَهُمْ . وَقَالَ لَهُمْ : مَا تَرِيدُونَ مِنْهُ ؟ قَالُوا : قَتْلَهُ ، لِأَنَّهُ نَزَلَ بِجَوَارِكِ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ جَارِي ، فَوَاللَّهِ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِ أَبَدًا ، وَطَرَدَهُمْ عَنْهُ .

وَكَانَ ثَوْرُ بْنُ شَحْمَةَ الْقَنْبَرِيِّ يُسَمَّى مُجِيرَ الطَّيْرِ ، وَكَانَتْ الطَّيْرُ لَا تُصَادُ بِأَرْضِهِ وَلَا تُشَارُ .

وَالَّذِي وَقَعَ فِي عَصْرِ نَا أَيْضًا ، وَهُوَ أَنَّ الْأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ قَرَأَ سُنُقُرَ لَمَّا هَرَبَ مِنَ الْمَلِكِ الذَّاهِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ ، تَرَكَ دِفَاقَهُ وَجَمَاعَتَهُ لِمَا وَصَلَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ بَيْوتِ مَهْنَأَ بْنِ عَيْسَى ، وَقَالَ : قَفُوا هَذَا ، وَلَا يَجِبْ مِنْكُمْ أَحَدٌ . وَتَوَجَّهَ هُوَ إِلَى الْبَيْوتِ ، فَقَصَّدَ بَيْتَ مَهْنَأَ وَدَخَلَ إِلَى كَامِلَةَ أُمِّ أَحْمَدَ ، زَوْجَ مَهْنَأَ ، فَرَفَعَ تَوْبَهَا بِرَأْسِهِ ، وَدَخَلَ بِرَأْسِهِ تَحْتَهُ ، وَقَالَ لَهَا : الْحَبِيرَةُ ! فَقَالَتْ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ لَهَا : قَرَأَ سُنُقُرَ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، إِنَّ اللَّهَ أَجَارَكَ . وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهَا إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، فَحَضَرَ مَهْنَأَ مِنْ مَصِيدِهِ^(٢) ، فَتَلَقَّاهُ أُمُّ أَحْمَدَ ، وَقَالَتْ : تَرَى أَبَا مُحَمَّدٍ قَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا وَأَنْتَ قَدْ أَجَرْتَهُ ، فَقَالَ : يَا كَامِلَةُ ، إِنَّ اللَّهَ أَجَارَ مِنْ أَجْرَتِهِ . وَأَجْتَمَعُوا وَتَلَقَّاهُ بِكُلِّ بَشَرٍ وَطَيِّبٍ خَاطَرَهُ . فَلَمَّا حَضَرَ مُحَمَّدُ أَخُو مَهْنَأَ ، وَوَجَدَ قَرَأَ سُنُقُرَ ، قَالَ : يَا مَهْنَأُ ، أَبَشِّرْ بِالْخَيْرِ وَالْتِمَادَةِ مِنَ الْمَلِكِ النَّاسِرِ .

(١) ط : « فَمَلَى الْحَيُّ عَلَيْهِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَصِيدُهُ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ط ، م .

والله لناخذن منه كلما أردنا ، فظهر لقراسنقر مئيل مهتأ إلى كلام محمد ، فقال : يا كاملة ، إني في جبرتك ا فقالت : يامهتأ ، وأيش تتحدث عنك العرب غداً إلى يوم القيامة ، تجير مئيل قراسنقر ومن معه من الملوك ، وتفدر بهم ! والله النار ولا العار . فقال : معاذ الله ! إني أجرت من أجرته ، والله ما عاد يصل إليه أحد بعد اليوم . فقال أخوه محمد : الأحدث حرمتنا يامهتأ نسيم الشام وبلادته وخيره ! والله ما عاد أحد منا يرى الشام . فقال مهتأ : صار هذا الأمر وكان . ففعلها عاد قراسنقر إلى جماعته ، وأحضر الأقرم والزرردكاش ومن معهم ، وجاءوا ونزلوا في بيوت مهتأ ، وكتب من وقته إلى جرابند ملك التئسار ، وقال : أحضرت ثلاثة ملوك من ملوك الشام ، فجهز لهم الأمانات لأحضرهم إليك ، فجهز ذلك ، وتوجه بهم مهتأ ، وسلمهم لجرابند ، وبقي مهتأ لا يدخل الشام مدة أربع وعشرين سنة ، إلى أن توجه بنفسه إلى السلطان الملك الناصر . ووفى بذمته لقراسنقر ، وجرى عليه ماجرى في هذه المدة من قطع إقطاعهم وإنعامه ، ومناً بذته لصاحب مصر .

* * *

٦٥ - وقوله : وعات الحقوق في مواتى .

عات يميث عيشا ، إذا فسد ، والمقوق ضد البر ، يقال : عقى والده وبره . والموات بقشد التاء ، جمع مائة ، وهى الحُرمة والوسيلة ، يقال : فلان يمت إليك بقرابة ، فالموات : الوسائل .

يُروى أن الحجاج جلس يوما لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث ، فقام رجل منهم فقال : أصلاح الله الأمير ! إن لى عليك حقاً ، قال : وما حُكُّك ؟ قال : سبَّك عبدُ الرحمن يوماً ، فرددتُ عنك ؛ فقال :

مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : أُنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا سَمِعَ ذَلِكَ إِلَّا شَهِيدًا ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ فَقَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ أَيْهَا الْأَمِيرُ ، فَقَالَ : خَلُّوا عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ لِلشَّاهِدِ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُنْكَرَ كَمَا أَنْكَرَ ؟ فَقَالَ : لِقَدِيمٍ بُغِضِي فِيكَ ! فَقَالَ الْخُجَّاجُ : وَلِيُخَلَّ عَنْهُ لَصِدْقِهِ .

دَخَلَ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ بَجِيٍّ يَوْمًا حَاجِبُهُ ، فَقَالَ : إِنَّ بِالْبَابِ رَجُلًا يَزْعُمُ أَنْ لَهُ سَبْعًا يُمَتُّ بِهِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : أَدْخِلْهُ ، فَدَخَلَ شَابٌّ حَسَنٌ رِثُ الْهَيْئَةِ ، فَسَمَّ ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْدَ سَاعَةٍ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : أَعْلَمْتُكَ بِهَارِثَانِ حَالِي ، قَالَ : نَعَمْ ، فَمَا الَّذِي تُمَتُّ بِهِ ؟ قَالَ : وَلِأَدَّةٍ تَقْرُبُ مِنْ وَلَادَتِكَ ، وَجِوَارٍ يَذْنُو مِنْ جِوَارِكَ ، وَأَسْمٍ مُشْعَقٍ مِنْ أَسْمِكَ ، فَقَالَ : أَمَّا الْجِوَارُ فَيُمْكِنُ ، وَأَمَّا الْأَسْمُ فَقَدْ يُوَافِقُ الْأَسْمُ الْأَسْمَ ، وَلَكِنْ مَنْ أَعْلَمَكَ بِالْوِلَادَةِ ؟ قَالَ : أَخْبَرْتَنِي أُمِّي أَنَّهَا لَمَّا وَلَدَتْنِي ، قِيلَ لَهَا : وَلِدِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِيَحْيَى بْنُ خَالِدٍ غَلَامٌ ، وَسَمَّاهُ الْفَضْلَ . فَسَمَّيْتَنِي أُمِّي فَضِيلًا إِكْبَارًا لِأَسْمِكَ أَنْ تُلْحِقَنِي بِهِ ، وَصَغَّرْتَنِي لِصِغَرِ قَدْرِي عَنْ قَدْرِكَ . فَتَبَسَّمَ الْفَضْلُ وَقَالَ : كَمْ أَنَى عَلَيْكَ مِنَ السَّنِينَ ؟ قَالَ : خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : صَدَقْتَ هَذَا الْقَدْرَ أَعَدَّ ، قَالَ : فَعَمِلْتَ أَمُكُ ؟ قَالَ : مَاتَتْ ، قَالَ : فَمَا مَنَعَكَ مِنَ الْإِحْقَاقِ بِنَا قَدِيمًا ؟ قَالَ : لَمْ أَرِ مِنْ نَفْسِي لِلْقَائِلِ أَنَّهَا كَانَتْ فِيَّ عَامِيَّةً مَعَهَا حَدَائِقُ تَمْتَعُنِي مِنَ الْإِحْقَاقِ ^(١) بِالْمُلُوكِ ، وَعَلِقَ هَذَا بِقَلْبِي مِنْذُ أَعْوَامَ ، فَشَقِيقَتْ بِنَا يَصْلُحُ لِلْقَائِلِ حَتَّى رَضِيتُ عَنْ نَفْسِي ، قَالَ : فَمَا نَصْلُحُ لَهُ ؟ قَالَ : لِلْكَبِيرِ مِنَ الْأَمْرِ وَالصَّغِيرِ ، قَالَ : يَا غَلَامُ ، أَعْطَاهُ لِسَكْلٍ سَنَةً مُضَتْ مِنْ سَنِيهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَأَعْطَاهُ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ، يَتَحَمَّلُ بِهَا إِلَى وَقْتِ اسْتِعَالِهِ . وَأَعْطَاهُ مَرْكُوبًا سَرِيًّا .

(١) ط : « الإحْقَاق » .

وقد رَوَى عن جابر بن عبد الله ، أنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن أبي أخذ مالي ، فقال صلى الله عليه وسلم : اذهب فأتني بأبيك . فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله عز وجل يُقرئك السلام ، ويقول لك : إذا جاءه الشيخُ فسَله عن شيء قاله ما سمعته أذناه ، فلما جاء الشيخُ قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما بال أبنيك يشكوك ؟ أتريد أن تأخذَ ماله ! فقال له : سَله يا رسول الله : هل أنفقتهُ إلّا على عَمَلِهِ أو خَالَاتِهِ ، أو على نَفْسِي ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أيُّهَا الشَّيْخُ ، دَعُ عَنْكَ هَذَا . أَخْبَرَنِي عَنْ شَيْءٍ فُلْتَهُ فِي نَفْسِكَ مَا سَمِعْتَهُ أَذُنُكَ ! فقال الشيخُ : يا رسول الله . ما زالَ اللهُ يَزِيدُنَا بِكَ يَقِينًا ، لقد قلتُ في نَفْسِي شَيْئًا مَا سَمِعْتَهُ أَذُنَايَ ، فقال : قل : فَأَنَا أَسْمَعُ ، فقال :

غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُلْمُكَ يَافِعًا	تَعَلُّ بِمَا أَحْضَرُ عَلَيْكَ وَتَنْهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبْتَ	لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَّ نَلُ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي	طَرَقَتْ بِهِ دُونِي ، فَمَعْنِي تَهْمَلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّي	كَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مُؤَجَّلُ
فَلَمَّا بَاغَتْ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي	إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أُوْمَلُ
جَمَعْتَ جَزَائِي غِلَظَةً وَفُظَاظَةً	كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنْعَمُ الْمُنْقَضُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أُبُوتِي	فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

قال : فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بقلابِ ابنه ، وقال : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ » ^(١)

* * *

(١) الحديث والخبر والشعر في كشف الحقائق ومزيل الإلbas ص ٢٠٧ ، نقله عن اليهقي في الدلائل.

٦٦ - وقوله : وَتَمَكَّنَ الضِّيَاعُ مِنْ وَسَائِلِي !

الوسائل : جمع وسيلة ، وهي ما يُقْتَرَبُ بها إلى الغير ، وما أحسن قوله :
« وَتَمَكَّنَ الضِّيَاعُ » . كَانَ الضِّيَاعُ شَيْءًا ثَبَتَ وَاطْمَأَنَّ وَشَدَّ أَوَاحِيَهُ ،
وَأَحْكَمَ عَقْدَهُ ، حَتَّى لَمْ يَمْدُ رُجَى زَوَالِهِ ، وَلَا يُطْمَعُ فِي تَحْوِهِ . وما أحسن
قول ابن الخييمى :

كَلَّ الشَّدَائِدُ دُونَ مَا يُفِضِي إِلَى اسْتِخَاطِ مِثْلِكَ ، فَهُوَ تَمَّا يَسْهَلُ
لَسْتَ الْمَلُومَ إِذَا هَجَرْتَ وَلَا أَنَا أَيْضًا عَلَى طَلَبِي وَصَالِكَ أَعْذَلُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ الْخُنُوءُ وَسِيلَةً مِنِّي ، بَأَيَّةِ حَالَةٍ أُتَوَسَّلُ !
وقول أبي سميد محمد بن محمد الرُّسْتَمِيَّ :
إِذَا لَمْ تَسْكُنْ لِي أَنْتَ عَوْنًا وَمُعَدِيًا

عَلَى الزَّمَنِ الْمَادِي عَلَى قَعْلٍ مَنْ لِي !
فَالَى رَجَاءٍ فِي سَوَاكَ وَلَا يُرَى يُمِرُّ قَرِيبِي هُنْدَ غَيْرِكَ أَوْ يُحَلِي
وَهَلْ بَارِقٌ يُشْتَامُ إِلَّا مِنْ الْحَيَا وَهَلْ عَسَلٌ يُشْتَارُ إِلَّا مِنَ النَّحْلِ !

وما أحسن قول ابن التَّعَاوِيذِي يمدح القاضي الفاضل :
فَاسْتَجْلِ أَبْكَارَ الْمَدِيحِ عَرَائِسًا أَبْدَيْنَ زِينَتِهِنَّ غَيْرَ عَوَاطِلِ (١)
أَبْرَزْتِهِنَّ عَلَى عُلَاكَ سَوَافِرَا وَجَمَعْتِهِنَّ إِلَى نَدَاكَ وَسَائِلِي
فَاجْلِسْ لَهَا وَارْفَعْ حِجَابَكَ دُونَهَا وَاسْمَعْ إِلَى إِنْشَادِهَا وَتَطَاوُلِ
وَاعْرِفْ لَهَا تَأْمِيكَهَا بِأَمْنٍ يَرَى كَرَمًا عَلَى الْمَأْمُولِ حَقَّ الْآمَلِ

وقد خالفت الناس في التوسل وقلت :

أَرَدْتُ حِلْمَكَ يَبْدُو إِذَا كَانَ ذَنْبِي هَائِلًا
فَهَلْ رَأَيْتَ خِلَافِي خَلَى الذَّنُوبَ وَسَائِلًا

* * *

٦٧- وقوله : ولم ضاقت مذاهبي ، وأكذت مطالبي !

لم ضاقت ، استفهام عن العلة في ضيق مذاهبي ، كأنه قال : ولأى علة ضاقت بي السُّبُل ، حتى ما أجد مضطرباً !

والمذاهب : الطُّرُق ، واحدها مذهب . وذهب فلانٌ مذهباً حسناً ، أى اختار طريقاً حسناً . وأكذت ، الإكداء المنع ، من قوله تعالى : ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْذَى ﴾^(١) ، أى ومنع القليل . وأكذى الحافر ، أى بلغ الكدبة من الأرض ، فلم يمكنه أن يخفره بعد ذلك ، وأكذت الأرض إذا أبطأ نباتها .

وقال بعض الأعراب :

لقد بَخِلْتُ - حتى لو أَى سألْتُها

قَدَى القَمِين من ضاحي التراب لَهْنَتْ

فإن بَخِلْتُ ، فالْبَخْل منها سَجِيَّةٌ

وإن بَذَلْتُ أعطت قليلاً وأكذت

وما أحسن قول شرف الدين بن عُنين :

وأقبلتُ أَجْتَابُ البلادَ كأننى

قَدَى حالَ دونَ القومِ فى أعينِ الرُّمِدِ

أَكْذُ وَيُسَكْدِي الدهرُ لى كلِّ مطلبٍ

فيا بُسَ دَهْرِي ، كم أَكْذُ وكم يُكْدِي !

وقال محمد بن أحمد الخياط الدمشقي :

نَهَيْتُ يَدِي مِنَ الْأَمَالِ لَمَّا رَأَيْتُ زَمَامَهَا بِيَدِ الْقَضَاءِ
وَمَا تَنَفَّكَ مَعْرِفَتِي بِحَظِّي تَرِينِي الْيَأْسَ فِي نَفْسِ الرَّجَاءِ

وقال أبو إسحاق الغزي :

فَكَيْفَ عَلَى بَحْتِي خَفَلْتُ وَلَمْ تَشْمُ
غَوَادِيكَ غُفْلًا ، وَهِيَ كَاشِفَةُ الْمَحْجَلِ
وَمَا خَافَنِي إِلَّا أَطْرَاحُكَ حَرَمَةً
شَكَتْ مِنْكَ صَدَدَ الْعَاشِقِينَ عَنِ الْعَذْلِ

ومما يناسب هذه الكلمات على الجملة دون التفصيل قول أبي القتيبة :

تَذَكَّرْتُ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَحُرْمَتِي وَمَا كُنْتُ تَوَلِّينِي ، لَعَلَّكَ تَذَكَّرُ
لِيَالِي تَذْنِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ بِجَلْسِي وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَن لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَى بَهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ !

وقال عبد الصمد بن بابك :

أَلَا يَا عَمَرَ الْأَمَالِ مَالِي أَشِيمُ الطَّرْفَ فِي أَمَلٍ خَرَابِ !
أَفُوتُ مَطَارِحَ الْأَمَلِ انْتِظَارًا وَأَسْرَحُ بَيْنَ سُقْمِي وَاغْتِرَابِي
أُرَاعُ وَلَا أُرَاعِي وَالْأُمَانِي لَقِيَ بَيْنَ اكْتِثَابِ وَأُرْتِيَابِ
وَكَمْ كَسْبٍ جَبَرَتْ فَكَانَ طَوْقًا عَلَى نَحْرِ الدُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ

٦٨ - وقوله : وعلام رَضِيتُ من المركَّبِ بالتعليق ، بل من
الغنيمةِ بالإيابِ !

هذان مثالان أوردتهما يستفهم عن حاله ، فقال ذلك . والمثل الأول افطه :
« أرض من المركَّبِ بالتعليق »^(١) . معناه أرض من عظيم الأمرِ بصغيره ، وهو
يُضرب في القناعة بإدراك بعض الحاجة . والمركَّب هنا يجوز أن يكون بمعنى
الركوب ، أى أرضٌ بذلك رُكوبك بتعليق أمتعتك عليه ، ويجوز أن يراد به
الركوب ، أى أرض منه بأن تتماق به أمتعتك .

والمثل الثاني ، وهو قولهم : « قَنِعتُ من الغنيمةِ بالإيابِ » ، أول من
قاله امرؤ القيس نظماً ، وهو :

وقد طَوَّفتُ في الآفاقِ حَتَّى قَنِعتُ من الغَنيمةِ بالإيابِ^(٢)

وهو من قصيدة أولها :

أرانا موضعين لأمرٍ غَيبٍ ونُسَجِرُ بالطعامِ وبالشرابِ
والإياب هو العود والرجوع ، وهو مثل قولهم : قَنِعتُ من الغنيمةِ بالسلامة ،
ومنه قول الطُّغْراني :

والدهر بَعِيسُ آمالي وُقِفَعَنِي من الغَنيمةِ بَعْدَ الكَدِّ بالِقَفَلِ
وهو أَحسن من الأول ؛ لأنه زاد فيه قوله : « بعد الكَدِّ » ، يعنى أنى قَنِعتُ
من الغنيمة بعد ما كدَدْتُ نَفْسي وأتعبْتُها بالِقَفَلِ ، وهو الرُّجوع . وقلتُ
أنا رداً على الطُّغْراني :

تقولُ « يَمَكِيسُ آمالي » وأنت كما تراه في عالمٍ في التُّربِ مُسْتَفِلٍ
أما تَرَى الشمسَ تَلْقَى عَكْسَ مَقْصِدِها

في كلِّ يومٍ ، ولولا ذاك لم تَقَلِّ

(١) المبدائي ١ : ٣٠٠ ، قال : « أى أرض من عظيم الأمور بصغيرها ، يضرب في
القناعة بإدراك الحاجة » . (٢) ديوانه ٩٩ .

وقلتُ في ذلك أيضا :

لا يَمِجَّبُ المرءَ لِمَكْسُ العُنى ما فِكرُهُ في مِثْلِ ذا نافعٍ
والأنجمُ السَّبعُ المَلأَ ما نَجَتْ من عكسِها بالفاكِ القاسِعِ

وقال عبدُ الله بنُ أبي عَينَةَ :

إذا نحنُ أبنا سَالمينَ بأنفسِ كرامِ رَجَتْ أَمراً نِخابَ رِجاؤِها
فأنفُسُنا خَيْرُ الغَنيمَةِ أنْها تَتُوبُ ، وفيها ماؤُها وحيَاؤُها

وما أحسنَ قولَ أبي الطَّيِّبِ :

أَغَرَّ ، أعداؤُهُ إذا سَامُوا بالهَرَبِ أَسْتَكْنُوا الَّذِي فَعَلُوا^(١)

وقول البَحْثَرِيِّ :

ولكنني أَغْلِي حَمَلَكِ ، أن أَرى مدِلاً ، وأَسْتَحْيِيكَ أن أَعْظَمَا^(٢)
وكان رَجائي أن أَعُودَ مَمْلُكا فأَضْحَى رَجائي أن أَعُودَ مَسْلَمَا

وقلتُ أنا في مِثْنَى قولِ امرئِ القيسِ : « قَدِمْتَ مِنَ الغَنيمَةِ بِالْإِيَابِ » :

قَدِمْتُ بِالْعُودِ إلى مَنزَلِي وَذَلِكَ دَأْبُ المَرءِ في خِيَمَتِهِ
كَالحَجَرِ المُلَقَى إلى صَاعِدِ لَيْسَ لَهُ هَمٌّ سِوَى عَوْدَتِهِ

وقد أَخَذْتُهُ مِنْ قولِ أبي الطَّيِّبِ :

وما أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ في هَواءِ يُعُودِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ امْتِساكا^(٣)

وقد اختلفَ أَهْلُ النَظَرِ في هَذا المَوْضِعِ ، فَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّ السَّهْمَ وَالْحَجَرَ
وغيرَها إذا رُمِيَ بِهِ ، وَصَعِدَ وَتَنَاهَى صَعُودَهُ ، كانَ لَهُ في آخِرِ صَعُودِهِ لَبِثَةٌ ،
نَمَّ يَتَصَوَّبُ مِنْ حُدُرِها .

(١) ديوانه ٢ : ٢١٣ ، وأغَرَّ خَبَرٌ لِمَبْتَدَأِ مَحْذُوفٍ ، أَيْ هُوَ أَغَرَّ . (٢) ديوانه ٢٢٨

(٣) ديوانه ٢ : ٣٩٦ .

وقال آخرون : لا بُدَّ له هناك ، ولمَّا أَوَّلَ وقتِ حُدُورِهِ آخِرَ وقتِ صُمودِهِ . والأوَّلَ ذَهَبَ إليه الرئيس أبو علي بن سينا ، وقد أوضحتُ هذا في شَرْحِ لاميةِ المَجَمِّ في قوله : « والدَّهْرُ بِمِكَسِّ آمَالِي » ... البيت

* * *

٦٩ - وقوله : وأتَّى غابني المغائب ، وفخر على العاجز الضعيف ، ولطممتني غيرُ ذاتِ سِوار !

وهذه ثلاثة أمثلة من أمثلة العرب ، فالأوَّل من بيت شعرٍ لا مَرى القيس ، وهو :

وإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ ، وَلَمْ يَفْلِكْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ ^(١)
يريد بذلك أنه أشدَّ ما على الإنسان أن يَفْخَرَ عليه فاخر ضعيف ، وأن يغلبه مُغْلَبٌ ، وهو المفلوب ، وهذا من قصيدته التي أوَّلها :
خَالِيٌّ مَرَّابِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ نَفْخُ لُبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمَعْدَبِ ^(٢)
وبعد البيت الأوَّل :

وإِنَّكَ لَمْ تَقْطَعْ لُبَانَةَ عَاشِقِي بِمِثْلِ غَدَوٍ أَوْ رَوَاحٍ مُؤَوَّبٍ ^(٣)
والبيت الأوَّل كذا روينا عن شيخنا العلامة أثير الدين أبي حيان رحمه الله تعالى ، صحَّفه ابن زيدون . فقال : « وفخر على العاجز الضعيف » ه فجعل ألفه عينا مهملة ، والحاء المعجمة جيمًا ، والراء زايًا ، وهو تصحيف حسن ، أفاد المعنى قوَّة لقوله : « العاجز الضعيف » .

وقول امرئ القيس :

وإِنَّكَ لَمْ يَفْلِكْ بِكَ مِثْلُ مُقَلَّبٍ البيت

قيل لأنَّ المُقَلَّبَ والمَاجِزَ الضَّعِيفَ إِذَا قَدَّرَا لَمْ يُبْقِيَا . وقيل : إِنَّ ذَلِكَ أَشَدُّ ذُلًّا عَلَى الْمَطْلُوبِ ، وَهُوَ الْأَقْرَبُ . وَكَانَ فِي الشُّمَرَاءِ الْأَقْدَمِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ جَمَاعَةٌ غَلَبَهُمْ مِنْ دُونِهِمْ ، فَإِنَّ نَابِقَةَ بَنِي جَمْدَةَ غَلَبَ عَلَيْهِ أَوْسُ بْنُ مَفْرَاءَ الْفَرِيعِيِّ وَلِيلَى الْأَخْيَلِيَّةِ ، وَلَمْ يَكُونَا قَرِيبَيْنِ مِنْهُ .

ومِنْهُمْ الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَذْرٍ ، غَلَبَهُ عَمْرُو بْنُ الْأَثَمِّ ، وَوَاقَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشهورة (١) .

وقال يونس بن حبيب : وَكَانَ الْبَقِيبُ مَغْلَبًا فِي الشُّعْرِ ، غَلَابًا فِي الْخُطَابِ . وَمِنَ الْمُغْلَبِينَ فِي الْإِسْلَامِ أَيْضًا بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ ، غَلَبَهُ حَمَادُ عَجْرَدٍ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَكْفَائِهِ ، وَقَدْ هَجَاهُ وَأَنْكَاهُ ، وَمَا قَالَ فِيهِ :

لَهُ مُقَلَّةٌ عَمِيَاهُ وَأَسَتْ بِصِيرَةٍ إِلَى الْأَيْرِمِ تَحْتَ الثِّيَابِ تَشِيرُهُ
عَلَى وَدَّهِ أَنَّ الْحَمِيرَ تَفْذِيكُهُ وَأَنْ جَمِيعَ الْمَالَيْنِ حَمِيرُهُ
وَعَلَبَهُ أَيْضًا أَبُو الشَّعْمَقِ ، وَلَيْسَ بِقَرِيبٍ مِنْهُ ؛ وَكَانَ يُصَارِعُهُ فِي كُلِّ
سَنَةٍ بِمَائَتَيْ دِينَارٍ ، وَمِنْ قَوْلِهِ فِيهِ :

هَلَّلِيْنَهُ هَلَّلِيْنَهُ هَلَّلِيْنَهُ طَعْنُ قَتَاةٍ لِيَمِيْنَهُ (٢)
إِنَّ بَشَّارَ بْنَ بُرْدٍ تَيْسُ أَعْمَى فِي سَفِيْنِهِ

ومِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْجَلْهَمِ ، هَجَاهُ أَبُو السَّمَطِ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي الْجَنْبُوبِ فَغْلَبَهُ ، وَهُوَ دُونَهُ ، وَهَجَاهُ الْبُحْتَرِيُّ أَيْضًا ، فَغْلَبَهُ الْبُحْتَرِيُّ ، وَكَانَ عَلَى أَفْذَعِ لِسَانِنَا مِنْهُ .

(١) انظر الخبر في الميداني ١ : ٢٧ (٢) الأغاني ٣ : ١٩٥ .

وأبو تمام هجاء ابن المذلل فمَلَبِه ، وأبو تمام هو ما هو . وهجا
ابن حجاج أبا الطيب ، فمَلَبِه وأخرجه من بغداد .

وقولُ امرئ القيس : « وَلَمْ يَفْلِكْ مِنْهُ مُغَلَّبٌ » أخذه أبو تمام
الطائي فقال يصف النحر :

وضميمة فإذا أصابتْ فُدْرَةٌ فَتَكَتْ كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضُّمَّةِ (١)
وقال عُمارةُ اليماني :

وَارْتَحَمَتَا مِنِّي لِيَدِي جِلْدِي صَحِيحَةٌ تَحْنُكُ بِالْأَجْرَبِ
مِنْ سَمِّ الدُّنْيَا . وَمِنْ لَوْمِهَا جُرْأَةٌ مَغْلُوبٌ عَلَى أَغْلَبِ
والمثل الثالث هو قولهم : « لو غير ذات سوارٍ لطممتني » .

قال الأصمعي : هذا المثل يروى على هذا الوجه ، وذلك أن حاتم الطائي
مرَّ ببلاد عنزة في بعض الأشهر الحرم فناداه أسير لهم : يا أبا سَفْانة ، أكلني
الإسار والقمل ، فقال : ويحك ! أسأت أن نُؤْهِت باسمي في غير بلاد قومي .
فساوم القوم فيه ، فقال : أطلقوه وحطوا يدي في القيد مكانه ، فجاءته امرأة
فلطمته ، فقال : لو غير ذات سوار لطممتني ! يعني أنني لا أقتص من النساء ،
فعرِف ، فمَدَى نفسه فداءً عظيماً . ومعنى المثل : لو لطمتني من كان كُفْئاً لي
لَمَانَ عَلَيَّ ، ولكن لَطَمَتْنِي من هو دوني . وقيل : في تفسيره : لو لطمتني حرّة ،
جَعَلَ السَّوَارَ علامةً للحرّة ؛ لأنَّ العرب كانت قلماً تلبس الإماء السَّوَارَ ،
ومن قول الشاعر :

وَلَوْ أَنِّي بُلِيتُ بِهَاشِمِي خُمُولَتُهُ بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ (٢)
لَمَانَ عَلَيَّ مَا أَلْقَى وَلَكِنْ تَهَالَوْا فَأَنْظُرُوا بَيْنَ ابْتِلَائِي

(١) ديوانه ٣ .

(٢) لدعلج المزاهي ، وانظر ديوانه ١٥٧ .

وقال الفرزدق :

ولنّ حرّاماً أن أسبّ مفاعيصاً بأبائي الشُّمَّ الكرامِ الخضرِ
أولئك أبائي فجنّني بمثلهم وأبمد أن أهجو عبداً بدارِ
ولكنّ نهضاً لو صبتُ وسبّني بنو عبدِ شمسٍ من مَنافٍ وهاشمِ

٧٠ - وقوله : وَمَالِكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنِّي قَبْلَ أَنْ أَفْتَرِسَ ، وتُدْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَزَقَ .

هذا الاستفهام معناه الإغراء والحضُّ والحثُّ على إنجاده ، والسرعة إلى
إلى إنقاذه من هذه الشدة .

وما أحسن قول بعض العرب يرثي قومه :

وقد غادروني بعدُهم لَحْمَةُ الْعِدَى وَطُعْمَةُ مَا تَبَغَى الْخُصُومُ الْعَوَاثِ
أضامُ فلا يأوي لَضِيْمِي مَانِعٌ وَأُظْلَمَ لَا يَأْتِي لَصَوِيْبِي غَائِثُ
وأعطى بِكَفِّي الْقَلِيلِ مِنَ الْأَذَى وَقَدْ كَانَ يَخْشَانِي الْأَلْدُ الْمَاغِثُ^(١)
وحيدٌ بنفسِي لَا الْأَيْمُ مَنْزِلَا

كما أَعْتَزَلَ النَّسْكَ الْإِمَاءَ الطَّوَامِثُ^(٢)

وقال أبو سعيد محمد بن محمد الرُّسْتَمِي :

فَخُذْلِي مِنْ أَنْيَابِ دَهْرِي بِمَاجِلٍ مِنَ الذُّهْرِ دَانٍ ، أَكْرَمُ النَّصْرِ عَاجِلُ
وقوله : « وتُدْرِكْنِي وَلَمَّا أَمَزَقَ » مأخوذٌ من بيت المَرْزُقِ الْعَبْدِيِّ ، وهو :

(١) الماغت : الرجل الذي يلاح الناس هبلادهم .

(٢) الطامث : المرأة الحائض .

فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوْلًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ

وَلَا فَأَذْرَكُنِي وَلَمَّا أُمِرْتُ^(١)

وقد تقدّم في قصة عثمان بن عفان رضي الله عنه ما كتب به إلى عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه ، ومن جملة هذا البيت . وهذا البيت لشأس بن نهار العبدي ، وبه لقب الممزق ، ولذلك قال عجماد بن شأس بن نهار :

أَنَا الْمَزَّقُ أَعْرَاضَ اللَّثَامِ كَمَا كَانَ الْمَزَّقُ أَعْرَاضَ اللَّثَامِ أَبِي

ومن كلام القاضي الفاضل رحمه الله تعالى : فلولا أن الأمل كان يستغنيث بدُجَاه ، وأدركني بالرجاء ولما أمرتني ، والنهار أنضجني بالنداء ولما أخرتني ، لكان الزمن في زمنه قد خلّع الجديدين ، ولم تميز العين فيه بين الخيطين .

وحكي أن المجير السلولي هجا قوما من بني حنيفة ، فأقاموا عليه البينة عند نافع بن علقمة الكِنَافِي ، فأمر بطلمبه ليعقيم عليه الحد وقال لهم : إن وجدتموه فأقبموا عليه في ملا من الناس يشهدون ، لئلا يدعى عليكم تجاوز الحد ، فهرب المجير ليلا حتى أتى ناعما ، فوقف له متفكرا حتى خرج من المسجد ، ثم تعذّر بثوبه ، وقال :

إِلَيْكَ سَبَقْنَا السَّوْطَ وَالسَّجْنَ تَحْتَنَا حِيَالُ يُسَامِينَ الظَّلَالِ وَلَقَّحُ^(٢)

إِلَى نَافِعٍ لَا نَرْتَجِي مَا أَصَابَنَا تَحْوُمُ عَلَيْنَا السَّانِحَاتُ وَتَبْرَحُ

فَإِنْ كُنْتُ مُجْلُودًا فَكُنْ أَنْتَ جَالِدِي

وَإِنْ أَكُ مَذْبُوحًا فَكُنْ أَنْتَ تَذْبِخُ

فقال له : انجُ بنفسك ، فَإِنِّي سَأَرْضِي خُصُومَكَ . ثُمَّ لَمَّا بَقِيَ إِلَيْهِمْ وَأَرْضَاهُمْ عَنْهُ .

(١) طيقات المشراء ٢٣٢ ، واسم الممزق شأس بن نهار بن أسود .

(٢) الأغاني ، ٩٣ : ٦٠ . حِيَالُ جمع حائل ، والحائل : الناقة التي ضربها الفحل فلم تحمل . ولقح : جمع لاقح ، واللاقح : الناقة الحامل . ويسامين الظلال : يبارينها .

وَحُكِيَ أَنَّ الصَّاحِبَ شَمْسَ الدِّينِ بْنِ السَّلْمُوسِ ، كَانَ يَكْرَهُ الْأَمِيرَ
شَمْسَ الدِّينِ قَرَّاسُنْقَرُ ، فَحَضَرَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ إِلَى دِمَشْقَ ، وَبَلَغَ قَرَّاسُنْقَرُ
عَمَلُ الْوَزِيرِ عَلَيْهِ ، فَحَصَلَ مِنَ التَّقَادُمِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَكَادِيشِ ^(١) الْمَلِيحَةِ ،
وَالنِّيَاقِ الْفَرَبِيَّةِ ، وَحَضَرَ لَيْلًا إِلَى دِمَشْقَ ، وَمَا أَصْبَحَ السَّلْطَانُ
الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ بِالْقَهْصَرِ الْأَبْلَقِ إِلَّا وَقَرَّاسُنْقَرُ قَدْ مَلَأَ الْمَيْدَانَ الْأَخْضَرَ
بِالْأَكَادِيشِ وَالنِّيَاقِ وَالْهُجْنِ ، وَهَذَا أَخَذَ بَعْنَانُ الْكَدِيشِ ، وَعَلَى رَأْسِهِ
كُوفِيَّةُ الْأَوْشَاقِيَّةِ ^(٢) ، فَقَامَ رَأَى السَّلْطَانُ قَبْلَ الْأَرْضِ ، وَقَالَ : يَاحُونَدُ ^(٣) ، قَدْ رَجَعَ
الْمَلُوكُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَةِ الْإِصْطِطِلَاتِ السَّعِيدَةِ ، كَمَا كَانَ أَوَّلًا فِي
أَيَّامِ الشَّهِيدِ ، وَهَذِهِ التَّقْدِيمَةُ قَدْ سَقَتْهَا إِلَى الْإِصْطِطِلَاتِ وَالْفَاخَاتِ السَّعِيدَةِ .
فَقَالَ السَّلْطَانُ : لِأَيِّ شَيْءٍ فَعَلْتَ هَذَا ؟ فَقَالَ : يَاحُونَدُ ، بَلَّغَنِي أَنَّ ابْنَ
السَّلْمُوسِ يَحْمِلُ عَلَيَّ ، وَيُفْخِرُ عَلَيَّ خَاطِرَ مَوْلَانَا السَّلْطَانِ ، وَقَدْ جِئْتُ أَنَا
بِنَفْسِي ، وَيَا كُنِّي السَّبْعَ ، وَلَا يَا كُنِّي السَّكَلْبَ ! فَأَعْجَبَ السَّلْطَانُ ذَلِكَ مِنْهُ ،
وَقَبَلَ تَقْدِيمَتَهُ ، وَعَفَا عَنْهُ ، إِلَّا أَنَّهُ تَوَلَّى نِيَابَةَ حَلَبِ الْأَمِيرِ سَيْفِ بَكْبَانِ الطَّبَاحِيِّ ،
وَتَوَجَّهَ هُوَ مَعَ السَّلْطَانِ إِلَى مِصْرَ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الصَّابِي فِي أَبِي الْوَرْدِ الْبَغْدَادِيِّ :

وَمَنْ عَجَبَ الْإَيَّامُ أَنْ صُرُوفَهَا تَسُوهُ أَمْرًا مِثْلِي بِمِثْلِ أَبِي الْوَرْدِ
فِيَالَيْتَهَا أَخْصَارَتْ نَظِيرًا وَأَنَّهُ

رَمَانِي بِشَنْعَاءِ الدَّوَاهِي عَلَى عَصَدِ

فَكَمْ بَيْنَ مَقْغُورِ الْكَلَابِ وَإِنْ نَجَا

ذَلِيلًا وَمَقْغُولِ الضَّرَاعِمَةِ الْأَسَدِ

(١) الْأَكَادِيشُ : جَمْعُ أَكْدُوشَ ، وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ الْحَيْلِ . وَانْظُرْ دَوْرِي .

(٢) كُوفِيَّةٌ أَوْ قَاشِيَّةٌ ، مَنُوبَةٌ إِلَى الْأَوْقَاشِ ، وَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى رُكُوبَ الْحَيْلِ لِلرِّيَاضَةِ .

صَبِيحُ الْأَعَشَى ٩ : ٤٥٤ .

(٣) يَاحُونَدُ : لَفْظُ تَرْكِي ، وَمَعْنَاهُ السَّيِّدُ أَوْ الْأَمِيرُ ، وَانْظُرْ حَوَاشِيَ السَّلُوكِ ٤٥٤ .

٧١ - وقوله : أَمْ كَيْفَ لَا تَتَضَرَّمُ جَوَانِحُ الْأَكْفَاءِ حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوصِ بِكَ .

تَضَرَّمُ : تَتَوَقَّدُ . وَالْجَوَانِحُ : جَمْعُ جَانِحَةٍ ، وَهِيَ الْأَضْلَاعُ الَّتِي تَحْتَ الثَّرَائِبِ مِمَّا يَلِ الصَّدْرُ .

وَالْأَكْفَاءُ : جَمْعُ كَافٍ ، وَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يَكْفِيكَ مَا أَهَمَّكَ مِنَ الْأُمُورِ ، وَالَّذِي هُوَ كُفٌّ لِمَعِيرِهِ فِي الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَهُوَ عَدِيْلُهُ . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأَ دِمَاؤُهُمْ » ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : إِنْ أَنْ أَبَا الرَّبِيعِ الْفَتْوَى ، قِيلَ لَهُ : أَيُسْرَكَ أَنْ تَحْتَكِ ابْنَةَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ قِيلَ : وَلَكِ أَلْفُ دِينَارٍ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قِيلَ : وَلَكِ الْجَنَّةُ . فَأُطَارِقُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : عَلَى الْأَنْتِلَادِ مِنِّي ، وَأُنْشَدَ :

تَأْنِي لِيَهْفُضُ أَعْرَاقُ مُمَهَّدَةٍ مِنْ أَنْ تَفَاصِبَ قَوْمًا غَيْرَ أَكْفَاءِ^(١)
فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ حَقًّا لَا مَرَدَّ لَهُ فَاذْكُرْ حُدَيْفَ فَإِنِّي غَيْرُ أَبَاءِ

وَيَقَالُ : فَدَرَنَ كَفَاءَ فُلَانٍ ، وَكُفُّوهُ بَضْمُ الْكَافِ وَالْفَاءِ . وَقَدْ قُرِئُ بِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ . وَالْكَفَاءَةُ فِي النِّكَاحِ عِنْدَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاجِبَةٌ ، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ أَنْ يَزُوجَ الْمَرْأَةَ مِنْ غَيْرِ كَفَاءٍ إِلَّا بِرِضَاهَا ، وَرِضَا سَائِرِ الْأَوْلِيَاءِ ، فَإِذَا رَضُوا بِاسْتِقْطَاعِ الْكَفَاءَةِ صَحَّ النِّكَاحُ ، خِلَافًا لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حَيْثُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْكَفَاءَةَ شَرْطٌ فِي الصَّحَّةِ ، وَقَالَ الْأَصْحَابُ : وَسَبِيلٌ مِنْ سَلَكِ الطَّرِيقِ الْقَطْعِيِّ فِي بُلْطَانِ مَذْهَبِهِ ، وَأَضْمَحَلَّ رَأْيَهُ أَنْ يَقُولَ رَادًّا عَلَى الْخُصْمِ : فَقَدْ تَزَوَّجَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الشعر والخبر بتفصيل أوسع في الكامل للبرد ٢ : ٢٠٠ .

وأبوه كافر ، وأبوها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والكفافة سبعة أمور ، وهي : الدين ، والنسب ، والصناعة ، والحربة ،
والنقاء من الميوب ، واليسار على أحد الوجهين ، وألاً يكون الزوج
مولى الزوجة أو أهلها ؛ فمولى قريش ليسوا بكفائهم . وفي وجه أنهم
أكفاء ، لأن موالى القوم منهم ، وقد نظم ذلك بعض الأفاضل فقال :

شرط الكفافة ستة قد حررت^١ ينبيك عنها بيت شعر مفرد^٢
نسب ودين صنعة حربة^٣ فقد الميوب وفي اليسار تردد^٤
وما أحسن قول القائل :

إِنْ يَحْسُدُونِي فإِنِّي غَيْرُ لَأَمِّهِمْ
قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا^(١)
أَنَا الَّذِي وَجَدُونِي فِي حُلُوقِهِمْ
لَا أَرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرِدُ

ويقال : إن بعض الفضلاء حسده جماعة من أهل عصره ، واتفقوا أن
كتبوا فيه محضرا ، وشهدوا عليه فيه بشهادات تؤدي إلى تكفيره ،
وأستفتوا عليه أهل القصر في ذيل المكتوب ، وأحضره إلى الشيخ تقي الدين
ابن دقيق العيد ليكتب فيه بالتكفير ، فأخذه وكتب :

حَسَدُوا النَّفَى إِذْ لَمْ يَفَالُوا سَمِيهِ فَالْكُلُّ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ^(٢)
فَلَمَّا رَأَوْا مَا كَتَبَ بِهِ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَوَقَّفُوا ، وَتَفَلَّتْ شَوْكَتُهُمْ
وَعَزَائِمُهُمْ ، وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ .

(١) أمالي المرتضى ١ : ٤١٤ ونسبها إلى الكمي بن زيد ، وهما أيضا في شرح اختار من
شعر بشار ٦٧ وشرح نهج البلاغة ١ : ٣١٨ من غير نسبة .
(٢) لأبي الأسود الدؤلي ، ملحق (ديوان) ٥

وقال الشاعر :

إِنَّ الْمَقْدَمَ فِي حَدِيثِي بِهِنَّمَنَّهُ أَنِّي تَوَجَّهَ مِنْهَا فَهُوَ مَحْسُودٌ
وَأَسْتَدْنِي لِنَفْسِي إِجَازَةَ الشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ عَبْدِ الْمَزِينِ الْحَلِيِّ :

مولاهِ دَهْوَةٌ عَمِلَ غَيْرُ مَفْعَتَيْنِ بِشِمْرِهِ ، وَلَهُ الْحُسَادُ قَدْ شَهِدُوا
قَدْ صُنْتُ شَمْرِي وَكُلُّ النَّاسِ تَخْطُبُهُ

وَذَاكَ لَوْلَاكَ لَمْ يَمُحَ بِهِ أَحَدٌ

بِكَ أَنْصَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْتَهِيًا

وَصَارَ لِي فَوْقَ أَيْدِي الْحَادِثَاتِ يَدٌ

وَكَيْفَ تَعْجِزُ كَفِّي أَنْ أُنَالَ بِهَا

هَامَ السَّائِكِ ، وَأَنْتَ الْبَاعُ وَالْمَقْصُودُ

وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ ، أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ :

تُبَالِغُ فِي حَبْرِي إِذَا كُنْتُ حَاضِرًا فَأَزْدَادُ إِسْمَاعِلًا بِذَاكَ وَإِسْمَاعِلًا

وَأَنْتَ تَنْتَنِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ فَيَزْدَادُ قَدْرِي بِالْمَرَاتِبِ إِصْمَاعِلًا

وَكَانَ الْوَرَى مِنْ قَبْلِهِمَا يَرْتَحُونَنِي فَصَيَّرَهُمْ لِي بِمَدِّ ذَلِكَ حُسَادًا

٧٢- وقوله : وَتَمَقَّطِعُ أَنْفَاسُ النُّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فِي الْكَرَامَةِ
عَلَيْكَ .

أَنْفَاسُ جَمْعُ نَفْسٍ ، وَقَدْ قَدَّسَ الصُّقَدَاءُ ، وَكُلُّ ذِي رِيَّةٍ يَنْفَسُ ، وَدَوَابُّ^(١)
الْبَحْرِ لَارِثَاتُهَا . وَالنُّظَرَاءُ جَمْعُ نَظِيرٍ ، وَهُوَ الْمَائِلُ .

(١) ط : « وَذَرَاتُ الْمَاءِ لَارِثَةُهَا » .

والمفارقة : غاية الرغبة في الشيء ، على وَخّه المباراة لغيرك .

كتب القاضي الفاضل رحمه الله إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد بلغه كلام عن الملك العادل : قد بلغ الملوك ما أنكره المولى العادل من الإكرام ، وتوالى الإنعام بعد الإنعام ، ونسى أن آثار السيوف طاحت وبقيت آثار الأقاليم . وكم للخادم من موقف مشكور ، يعجز عنه السيف المشهور ، والعلم المنشور . والعادل يمتني نفسه ؛ فأدام الله أيام مولانا ما دامت السموات والأرض ، وإن تقدم الملوك فهو أكبر مراده ، وإن تأخر لشقوته فما يخرج الأمر عن السادة الملوك من أولاده .

قلت : إنما كتب القاضي الفاضل بهذا الفصل لأن العادل قال وقد بلغه تواتر الإنعام على القاضي الفاضل : وكم القاضي الفاضل ، القاضي الفاضل ! أيسر يعمل الفاضل حتى يستحق هذه الإنعامات !

وكان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله يقول : والله ما فتحت البلاد إلا بأقلام القاضي الفاضل .

وقال أبو الطيب في مدح كافور :

وغير كثير أن يزورك راجلٌ فيرجع ملساً للمرائين واليا^(١)

* * *

٧٣ - وقوله : وقد زَا نِي اسْمُ خِدْمَتِكَ ، وَزَهَايَ وَسْمُ نِعْمَتِكَ

زَهَى : الزَّهْوُ : المنظر الحسن ، يقال : ذَهَى الشَّيْءُ لَعَيْنِكَ ، وَزَهَى الرَّجُلُ
فَهُوَ مَزْهُوٌ ، أَيْ تَكَبَّرَ ، وَالتَّوْبَ لَا تَنْطِقُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِلَّا مُمَيَّرًا لِمَا لَمْ
يُسَمِّ فَاعِلُهُ .

والوسم : العلامة ، هذا من باب المبالغة والمكابرة ، وهو ضرب من
سحر الكلام ، وهو أن يقول المخاطب لمن يريد استمالته للحنو عليه ،
والانقياد له مبالغة : أَتَمَعِلُ لِي هَذَا ، وَمَا زِلْتُ فِي بَرِّكَ وَحُسْنِ صَنِيعِكَ ،
وَجَمِيلِ مَعْرِوْفِكَ ! وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي جَهْمٍ اخْتِرَازَ فِي الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ :

وَمَا زِلْتُ أَجْنِي مِنْكَ وَالْدَّهْرُ مُجِلٌّ وَلَا تَمَرٌّ يُجْنِي وَلَا زَرْعٌ يُحْصَدُ
تَمَارَ أَيْدٍ دَانِيَاتٍ فُطُوْفَهَا لِأَغْصَانِهَا ظِلٌّ عَلَى مَدَدُ
يُرْسَى جَارِبًا مَاءَ الْمَسْكَرِمِ تَحْتَهَا وَأَطْيَارُ شُكْرَى فَوْقَهَا تَقَرَّدُ
وقول البُحْتَرِيِّ :

أَلَنْتَ لِي الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَصْوَةٍ وَعَاتَبْتَ لِي دَهْرِي الْمَسِيءَ فَأَعْتَبَا^(١)
وَالْبَسْتَنِي الْمُنْعَمَى الَّتِي غَيَّرْتُ أَخِي عَلَى ، فَأَمْسَى نَازِحَ الْوُدِّ أَجْنَبَا
وقال أبو فِرَاسٍ بْنُ خُذَّامٍ :

أَمَّا أَيْدِيكَ عِنْدِي فَهِيَ وَاضِحَةٌ مَا إِنْ تَرَأَى يَدَ مِنْهَا تَسُوقُ يَدَا
لَمْ لَا أُمْدُ يَدِي حَتَّى أَنْالَ بِهَا مَدَى الشَّجُومِ ، إِذَا مَا كَمْتُ لِي عَضْدَا
وقال أَيْضًا :

وإِنَّكَ لَمَوْلَى الَّذِي بَكَ أَفْتَدِي وَإِنَّكَ لِلْفَجْمِ الَّذِي بَكَ أَهْتَدِي^(٢)

(١) ديوانه ١ : ٥٦

(٢) ديوانه : ٨٠ نشرة الدهان

وَأَنْتَ الَّذِي بَلَّغْتَنِي كُلَّ رُتَبَةٍ مَشَيْتُ إِلَيْهَا فَوْقَ أَغْناقِ هُمْدِي
فِيَا مُلْكِي الثَّمَنِي الَّتِي جَلَّ قَدْرُهَا لَقَدْ أَخْلَقْتَ تِلْكَ الثِّيَابَ فَجَدِّدْ
وَقَالَ أَيْضًا :

أَلْبَسْتَنِي نِعْمًا عَلَى نِعَمٍ وَرَفَعْتَ لِي عِلْمًا عَلَى عِلْمٍ
وَعَلَوْتَ بِي حَتَّى مَشَيْتُ عَلَى بُسْطٍ مِنَ الْأَغْناقِ وَاللَّحْمِ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَا تَهْجُرُوا مَنْ لَا تَمُودَ هَجْرُكُمْ وَهُوَ الَّذِي بَلَّيَانِ وَصَلِكُمْ غُذِي
وَرَفَعْتُمْ مِقْدَارَهُ بِالْإِتْسَادِ حَاشَاكُمْ أَنْ تَقْطَعُوا صِلَةَ «الَّذِي»
وَقَالَ أَبُو سَمِيدٍ تَحْمَدُ الرُّشَمِيُّ :

وَوَسَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتَ وَلايَةٍ مَذَكْتُ أَعْمَدُهَا وَصَفْوُ وَدَادِ
هَذَا وَحُرْمَةُ خِدْمَةِ مَرْعِيَّةٍ لِلْأَبْعَدِينَ قَرِيبَةِ الْمِيْلَادِ
مَازَلْتُ مِنْ أِبْرَادِهَا مَتَوَشِّحًا بِمَقُوفٍ يُزْهِى عَلَى الْإِبْرَادِ
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْلَمِ :

أَمْوَالِي نَعْمَاكَ الَّتِي مَلَأْتَ يَدِي فَطَالَتْ ، وَجَدْوَاكَ الَّتِي نَوَّهْتَ بَانِي
وَكَيْفَ - وَقَدْ شَيْدَتْ مَجْدِي وَزِدْتَنِي عَلَى الرَّمَمِ - لَا أُجْزِيكَ مِنِّي عَلَى الرَّمَمِ
وَمِنْ رِسَالَةٍ كَتَبَ بِهَا صَالِحُ بْنُ صَالِحٍ الشَّنْطَرِيُّ :

وَلَسْتُ أَضْرِبُ الْمَلَّ فِي سُقُوطِي عَلَيْكَ ، وَأُنْجِزُ بِي إِلَيْكَ ؛ وَاسْكَنْتَنِي
أَقُولُ : أَسْقَطُ سُقُوطَ الطَّلِّ عَلَى الرِّيَاضِ ، وَأَنْزِلُ بِنَحْمَتِكَ تَرْثِينَ
الْجَمَالَ بِالْبَيَاضِ .

٧٤ - وقوله : وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي سِمَاطِكَ ، وَقَمْتُ الْمَقَامَ
الْمَحْمُودَ فِي بَسَاطِكَ .

أَبْلَيْتُ : جَرَّبْتُ وَأَخْفَيْتُ ، وَالْبَلَاءُ : الْإِخْفَاءُ ، وَالْمَقَامُ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ
مِنَ الْمَقَامَاتِ الرَّالِقَةِ الدَّاحِضَةِ ، حَتَّى قَالَ أَعْرَابِيٌّ :

بَرَّيْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ
أَصَاحِبُهُ إِلَّا حَسَّاسَ بْنَ نَائِلٍ^(١)
وَوَطَّنِي بِهِ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ أَنَّهُ سَيَنْجُو بِحَقِّي أَوْ سَيَنْجُو بِبَاطِلِ

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّشْتَمِيُّ :

وَمَا كُنْتُ - لَوْلَا طَيْبُ ذِكْرِكَ - شَاعِرًا

وَلَا مُنْشِدًا بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ فِي حَقْلِ
وَلَكِنِّي أَقْضَى بِهِ حَقِّي نِعْمَةً سَرَتْ مَثَلًا لَنَا وَسَمَتْ بِهِ عَقْلِي

وَقَالَ كَالُ الدِّينِ بْنِ النَّبِيِّ :

أَلَمْ تَرَنِي بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ مُنْشِدًا كَأَنِّي عَلَى شَاهِ أَرْمَنِ أَنْتِ الدُّرَّاءُ^(٢)
فَقَوْلُهُ : « وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ » أَيْ بِمَدِّصِرِهِ عَلَيْهِ ، وَاجْتِمَاعِهِ لَهُ ، وَتَجَرُّبَتِهِ لَهُ
فِي مَوَاطِنِ الْبَلَاءِ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْأَمِيرِ شَدِيدِ الْمُلْكِ بْنِ مُعَمَّدٍ :

يَجْنِي فَأَعْرِفْ مَا يَجْنِي فَأَنْكِرُهُ وَيَدْعِي أَنْتَ الْجَانِي فَأَهْتَرِفُ
وَكَمْ مَقَامٍ لِمَا يُرْضِيهِ قَتُّ عَلَى جَهْرِ النَّفْثَى وَهُوَ عِنْدِي رَوْضَةُ أَنْفٍ

(١) العقد ٣ : ١٥ من غير نسبة ، وفيه « عراك بن نائل » .

(٢) ديوانه ٥١ .

وقول أبي الحسين الجزار :

لست أنسى وقد وقتُ فأشدُّ تُ قصيداً يفوقُ نظمَ الجمانِ
كلَّ بيتٍ يزرى على خلف الأهِ مرَّ بالحسن وهو شيخُ ابنِ هاني
بيدعٍ يحارُ في نظمهِ الطَّا ثى بل مُسلمٌ صريعُ القواني
ومديحٍ مانالٍ جودته قد ما زيادٌ في خدمة النعمانِ
فمتُ وسط الإيوان بين يدي مَدَّ لك نسامى على أنوشيروانِ

وما أحسن مامت به أبو تمام بقصائده ، فقال :

وَأين قصائد لي فيك تأبى وتأنف أن أهان ، وأن أذالاً^(١)
من السَّخر الحلال لم يجنِّه ولم أرَ قبلها سِحراً حلالاً

وقال ابن قلاقس من مرثية :

ولما سرى بي نحوه الوجدُ قاعداً ولم أستطع عقر أعقرت القوافيَا
وقتُ بها بين السَّماطين مَقولاً أقلَّ المراني أن تسدَّ المرازيا

وقال ابن الساعاتي :

أردد لحظَ ظنِّي في وجوه من الآمالِ كاسفة الصُّباحِ
وقد أعدتُ جُفونُ الغيد حَظلي وليستُ بالمرَّاض ، ولا الصُّحاحِ
وكم لي فيك من عذراء زُفت لفهمك في غدوٍّ أو رواجِ
من الغيا، الحسان بلا شبيه فكيف يفوتها حظُّ القباحِ

٧٥ - وقوله :

أَلَسْتُ الْمَوَالِي فِيكَ غُرَّ قَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجُمُ أَقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا
تَنَاهَى يُظَنُّ الرُّوضُ مِنْهُ مَنْوَرًا صَحَى وَيَخَالُ الْوَشْيُ فِيهِ مَنْمَمًا

الموالي : اسمُ فاعل ، من وَآلَى الشَّيْءَ ، إِذَا اتَّبَعَهُ بِعَقْبِهِ .

وَأَقْتَادَتْ : « افْتَمَلَتْ » من الْقَوْد . مَنْوَرًا « مَنَعَلًا » من التَّوَرُّقِ المَوْشَى ،
وهو الزَّهَرُ .

وَالْوَشْيُ هُوَ ضَرْبٌ مِنْ حُلَلِ الْحَرِيرِ ذُو أَلْوَانٍ ، وَالْمَنْمَمُ هُوَ الثَّوْبُ
الْمَوْشَى ، وَهُوَ ذُو الْأَلْوَانِ ، وَلَا بَدَّ فِي تِلْكَ الْأَلْوَانِ مِنْ لَوْنِ الْبَيَاضِ .

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْبُحْتَرِيِّ ، يَعَاتِبُ بِهَا الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ
أَوَّلَهَا :

يَهُونُ عَلَيْهَا أَنْ أُبَيِّتَ مُتَيْمًا أَعَالِجُ وَجَدًا فِي الضَّمِيرِ مَكْتَمًا^(١)
وَقَدْ جَاوَرَتْ أَرْضَ الْأَعَادِي وَأَصْبَحَتْ

حَتَّى وَصَلَهَا مَذْنُ جَاوَزَتْ أَبْرَقَ الْحَمَى

وَقَبِلَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، يَلِيقُ بِهِذِهِ الرِّسَالَةُ لَوْ أَوْرَدَهُ ،

وَهُوَ :

أَعْيَذُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ تَبَيَّنَ أَوْ جُرِّمَ إِلَيْكَ تَقَدُّمًا

(١) القصيدة في ديوانه ٢ : ٢٢٧ - ٢٣٠

وبعد البيتين الذين في الرسالة يقول البحري :

ولو أننى وفرت شعري وفاره
لأكبرت أن أوى إليك يا صبح
وكان الذى يأنى به الدهر هيناً
أعد نظراً فيما تسخط هل ترى
حياء فلم يذهب بى الفى مذهباً
ولم أعرف الدنب الذى سوتنى به
وأجلت مذحى فيك أن يتحصاً
تضرع ، أو أذنى لمعذرة فما
على ، ولو كان الحمام المقدما
مقالاً دنيماً ، أو فمالاً مذمماً
بميداً ، ولم أركب من الأمر مفظماً

فأقول نفسى خسرة وتندماً
ولو كان ما خسبرته أو ظننته
لما كان غرواً أن ألوم وتكرماً

وهذا البيتان لأبى عبادة البحري مأخوذان من قول أبى تمام ^(١) :

ووالله لا أنفك أهدي شوارداً
تخال به برداً عليك محبباً
والذين السلاوى وأطيب نفحة
أخف على قلب وأقل قيمة
إليك تحملن النساء المبعجلاً
وتحبها عندا عليك مفصلاً
من المسك مفتوناً وأبسر محلاً
وأقصر فى سمع الجليس وأطولاً

وقوله : « هى الأنجم أفتادت مع الليل أنجما » أخذته البحري أيضاً :

منه فى قوله :

أصبح تستمع حر القوافى فإنها
ولا تمكين الإخلاق منها فإنما
كواكب إلا أنهم سمود
يلد لباس البرد وهو جديد

إلا أن البحري قصر عن أبى تمام كل التقصير .

٧٦ - وقوله : وهل لبس الصباح إلا بُرداً طرزه بفضائك .

قد جرت المادة بين البلاء وفُرسان البيان وأرباب النثر والنظم أن يستعبروا للثناء - وهو شيء يُدرك بالسمع - أشياء تدرك بحاستي البصر والشم ، فيقولون : ثناء كأنه المسك الأذفر ، أو زهر الروض الأنضر ، أو كالنجوم الزاهرة ، أو البرود المرقومة ، أو كأنفاس النسيم السحرية . ومن هذا وأمثاله ، لأنهم يريدون المبالغة فيما وصفوه ^(١) .

قال الإمام نحر الدين : الاستمارة ذكر الشيء باسم غيره ، وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه ، ووجه تشبيه الثناء بالمسك ، وبأنفاس الرياض في السحر ، هو أن الثناء الحسن يقال فيه : فلان طيب الثناء ، فأستعاروا له رائحة المسك ، وأنفاس الرياض ، فقالوا : ثناء كاليسك ، ووجه تشبيه الثناء بالكمواكب والصباح وبغير ذلك ، هو أن الثناء الحسن يقال فيه : إنه لا يخفى وصف فلان على أحد ، ولا أوضح للعين من النجوم ، ومن الصباح . ووجه تشبيه الثناء بالبرود المرقومة هو أن الثناء الحسن يقال فيه : فلان يحوك أوصاف فلان ، وينسجها على منوال غريب ، ويرقم برودها ، وما يريدون بذلك إلا المبالغة ، لأنه صار بحيث يدرك بعد حاسة السمع بحاستي البصر والشم .

وما أحسن قول محمد بن غالب الرضائي :

أجري حديثك ثم أعلم أنه قولٌ يقال وعرفه مشموم
أما إذا قالوا : ثناء يهز الأعطاف ، ويُطرب الأسماع ، فهو على أصله فيما يدرك بحاستي السمع ؛ نعم يستعبرون له سجع الحماة وتفريده ، وأصوات المثاني والمثالث ، ونفثات الألمان .

(١) م : « وصف » .

فَقَوْلُ ابْنِ زَيْدُونَ رَحِمَهُ تَعَالَى : « وَهَلْ لَدَيْسِ الصُّبْحُ إِلَّا بُرْدًا طَرَزَتْهُ
بِفَضَائِلِكَ » ، مِنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي قَدَّمَته ، وَكَذَلِكَ مَا بَعْدَهُ إِلَى قَوْلِهِ : « وَبِثَّ
لِلْمِسْكِ إِلَّا حَدِيثًا إِذْعَمَهُ عَنْ مُحَمَّدٍ » .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ عُنَيْنٍ :

يُهْدِي إِلَيْكَ مِنَ الشَّاءِ مَلَأَسًا تَصْفُو وَتَصْفُو مِنْ قَذَى الْأَطْمَاعِ^(١)
مَصْفُوءَةَ الْأَلْفَاظِ يَلْقَاهَا النَّقَى مِنْ كُلِّ جَارِحَةٍ بِسَمْعٍ وَاعٍ .

٧٧ - وَقَوْلُهُ : وَتَقَلَّبَتِ الْجُوزَاءُ إِلَّا عِقْدًا فَصَلَّتْهُ بِمَا تَرِكَ .

الْجُوزَاءُ أَحَدُ الْبُرُوجِ الْإِثْنَى عَشَرَ ، وَهِيَ عِدَّةُ كَوَاكِبَ ، وَمِنْ
صُورَتِهِ ثَلَاثَةُ كَوَاكِبَ ، حُصِفَتْ عَلَى قَدَرٍ وَاحِدٍ فِي الْمِثْمَةِ وَالْبُعْدُ يُسَمَّى مَنْطِقَةً
الْجُوزَاءِ ، وَإِيَّاهَا قَصِدَ ابْنُ زَيْدُونَ .
وَفَصَّلَتْهُ : جَعَلَتْهُ فَضُولًا .

وَالْمَآثِرُ جَمْعُ مَآثِرَةٍ ، وَهِيَ الْكَرْمَةُ ، لِأَنَّهَا تُؤَثِّرُ ، أَيْ يُتَحَدَّثُ بِهَا وَتُذَكَّرُ
فِي النَّاسِ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي بَكْرِ يَحْيَى بْنِ بَقِيٍّ الْأَنْدَلُسِيِّ :

عَلَيْكَ أبا عَبْدِ اللَّهِ خَلَقْتَهَا لَهَا الْبَدْرُ طَوْقٌ وَالْفَجْرُومُ دَلَائِلُ
وَمَا هِيَ إِلَّا الدَّهْرُ فِي طُولِ عُمْرِهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا الضَّحَى وَالْأَصَائِلُ
قُلْتُ : إِلَّا أَنَّهُ هَجَبَنَ الْبَيْتَ الثَّانِي بَنَى الضَّحَى وَالْأَصَائِلُ عَنْهَا ؛
وَلَوْ قَالَ :

(١) ديوانه ٢٥ .

* وَحُسْنُ الثَّنَا فِيهَا الضُّحَى وَالْأَصَائِلُ *

لَسَكَانٌ قَدْ كَمَلَ نَسْجُهُ ، وَحَمَلٌ نَهْجُهُ .

وقال شرف الدين بن عدين :

ومقتصر عن بعض ما أنفذه

شُكْرِي وَإِنْ كُنْتُ الْفَصِيحَ الْمُسْتَهْبَاً ^(١)

وَلَوْ أَنَّي نَظَّمْتُ فِيكَ قَلَانِدَ الْـ جَوَزَاءِ كُنْتُ أَجَلَ مِنْهَا مَنْصَبَا

وقال حسان بن المصمعي الشبلي :

وَجَدْتُ مَعَالِيكَ أَصْلًا لَشِعْرِي وَهَلْ يُنْظَمُ الدَّرْلُ لَوْلَا النَّصَاحُ ^(٢)

لَكَ الْفَضْلُ إِنْ طَابَ شُكْرِي وَنَشْرِي

بَطِيبِ الرِّيَاضِ تَطِيبُ الرِّبَاحِ

٧٨ - وقوله : واستملي الربيع إلا ثناء مَلَأْتَهُ مِنْ مَحَامِسِكَ .

تقول : أُمِلِيتُ السِّكْرَابَ أُمْلِيهِ ، وَأُمْلَأْتُهُ أُمْلَهُ ؛ لَفَتَانِ جَيِّدَتَانِ جَاءَ بِهِمَا الْقُرْآنُ الْجَمِيدُ . وَأُسْتَمْلِيَّتُهُ السِّكْرَابُ ، سَأَلْتُهُ أَنْ يَمْلِيَهُ عَلَيَّ ، أَيْ يَقُولَ لَكَ بِمَا فِيهِ ، وَقَدْ أَتَى بِالْجِنَاسِ بَيْنَ قَوْلِهِ : «مَلَأْتُهُ» وَ«أُسْتَمْلِي» ، وَهُوَ جِنَاسٌ اسْتِشْقَاقٌ عَلَى قَوْلٍ ، وَاسْتِعَارَ الاسْتِعْلَاءَ لِلرَّبِيعِ ، وَالْمَحَلَّ لِلْمَحَاسِنِ ، فَأَحْسَنَ فِي كُلِّ ذَلِكَ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي فِرَاسٍ بْنِ حَمْدَانَ :

وَمَا زَالَتْ رِيَّاحُ الشَّعْرِ شَتَّى فَمِنْ رَيَّا الْمُبُوبِ وَمِنْ سَمُومِ
مَنْحَتِكَ مِنْ مَحَاسِنِهَا بَدِيمًا مَقِيمِ الزَّهْرِ سَيَّارِ الدَّسِيمِ-

(١) ديوانه ٤٠ . (٢) النصاح : السلك الذي ينظم الحرز .

وقال أبو سعيد محمد بن محمد الرستمى :

قَرِيبُ كَسَاهُ الْمَزْنُ أَنْوَابَ رَوْضَةٍ

فَرَأَتْ أَعَالِيَهُ وَرَقَّتْ أَسَافِلُهُ

يَطِيبُ عَلَى الْأَيَّامِ رِيًّا نَشِيدِهِ وَأَطِيبَ مِنْ رِيَاهِ مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ

وقال ابن المعلم :

وَلَمْ يَكْ إِلَّا عَاطِلًا فَكَسَوْتُهُ حُلَى بِيَوَاقِيتِ الْمَلَاءِ تَرَصَّعُ

كَذَاكَ أَكْتَسَى مِنْ نَشْرِكَ الشَّعْرَ نَفْحَةً

وَهَا هِيَ فِي أَعْطَافِهِ تَنْضَوُّعُ

وقال بعضهم :

حَدَّثْتُ عَنْكَ غُصُونِ الْبَانِ فَأَنْعَطَقْتُ

وَمَالَ بِالشُّكْرِ مِنْهَا كُلَّ مَيَّادٍ

لَمْ يَبْقَ فِي الرَّكْبِ مِنْ لَاهِزِهِ طَرْبٌ

إِلَى لِقَائِكَ حَتَّى سَرُّحَةِ الْوَادِي

* * *

٧٩ - وقوله : وبث المسكُ إلا حديثاً أذعته في محامدك .

بث الخبر وأبشه بمعنى نشره ، يقال بثنتك سرى ، أى أظهرته لك وبثت

الخبر فانبث ، أى انتشر . وذاع الخبر ، يذيع ذيعاً وذيوماً وذيوماً وذيوعةً

وذيعاناً ، أى انتشر ، وأذاعه غبره ، أى أفشاه . وفى الحديث « لیسوا

بالمذاييع البذر » .

والحامد جمعُ مُحَمَّدة ضدَّ اللَّذْمَةِ ، وقد استعار الحديثَ لرائحة المسك ، وهى

استعارة حسنة .

(١) البذر : جمع بنور ، يقال : بذرت الكلام بين الناس كما تبذر الحبوب ، والحديث فى

ابن الأثير ١ : ١١٠ .

وما أحسنَ قولَ أبي عبد الله محمد الرضا رحمه الله :

هذه مساعي ابن حربون وكيف بها

فبارها شرفاً يا نجم أو سار
فهل نسائمٍ منك تنثرون معي أم تقطفون معي أكراماً أزهارى
حتى لقد خلتني شفتيتهم خمرأ فمن بين خمورٍ وختار
وقوله أيضاً :

أجرى حديثك ثم أعجب أنه قولٌ يقال وعرفه مشمومٌ
فكلُّ أرضٍ من ثنائك شائعٌ عبقٌ كما ولجَ الرياض نسيمٌ
يسرى فلا يخفى على مستنشقٍ ولو أنه عن أذنه مكتومٌ
يطوى فينتثر الثناء بطيئه ذكرُ الكريم بمنيرٍ نخومٌ
وقال ابن حيوس :

وطيبُ ثناء طبقى الأرضَ فاكنتُ

مشاركها من عرفه والفتارب^(١)

وقوله أيضاً :

أعانت على إدراكِ ما تسمعه طريفُك المثلَى وثمرتك البكر^(٢)
والثناء هو العمر الثاني المديدُ الباقي الخلد .

وقال الحادرة :

فأئمنوا علينا لا أبا لأبيكم بأحسانٍ إن الثناء هو الخلد^(٣)
وقال الشاعر :

وإذا التفتي لاقى الحمامَ وجدته لولا الثناء كأنه لم يولد

(١) ديوانه ١ : ٢٦٠ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٤٥ .

(٣) البيان والتبيين ٣ : ٣٢٠ .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة هريم بن سنان الرمي :
ما وهب أبوك لزهير ؟ قالت : أعطاه مالا وأمانا أفناه الدهر ، فقال عمر
رضي الله عنه ، لكن ما أعطاكموه لا يُفنيه الدهر .

وقال الشريف الرضي :

أودى وما أودت مناقبه ومن الرجال معمر الذكر^(١)
وقال معاوية رضي الله عنه لابن الأشعث بن قيس : ما كان جدك
قيس بن معدى كرب أعطى الأعشى ؟ فقال : أسطاه مالا وظهرًا ورقيقا
وأشياء نسبها ، فقال معاوية : لكن ما أعطاكم الأعشى لا ينسى .
وقال أبو الطيب :

ذكر التي عمره الثاني وحاجته ما قاره ، وفضول العيش أشغال^(٢)
وقال المفلسون في قوله تعالى : ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾ :^(٣)
أي ثناء حسنا .

وقال أبو إسحاق الفري :

الدال يُفنيه الزمان وإنسا يبقى لكم ما خلده شواردي
وقوله أيضا :

فشهب الداردي الأفلو طلوعها وشهب القوافي ما لن أفلو
وقد خالف الناس أبو تمام الطائي في هذه الطريقة ، فقال :
لئن بقيت لي فيك آثار منطقي لقد بقيت آثارك في دهر^(٤)

(٢) ديوانه ٣ : ٢٨٨

(١) ديوانه ٣٧٣

(٤) ديوانه ١٤٤

(٣) سورة الشعراء ٨٤

لَقِيتَ هُرُوفَ الدَّهْرِ دُونِي تَابِعَا
لَأَمْرِ الْمُلَا وَأَخْتَرْتَ شُكْرِي عَلَى عُذْرِي
فَأُولَيْتَنِي فِي النَّائِبَاتِ صَنَائِعًا كَأَنَّ أَيْدِيهَا فُجِّرْنَ مِنَ الْبَحْرِ
خَلَائِقَ لَوْ كَانَتْ مِنْ الشَّعْرِ تَمَجَّتْ
بَدَائِعُهَا مَا اسْتَحْسَنَ النَّاسُ مِنْ شَمْرِي
فَمَلَّمَتْنِي أَنْ أُلْبِسَ الْحَمْدَ أَهْلَهُ وَذَكَرْتَنِي مَا قَدْ نَسِيتَ مِنَ الشُّكْرِ
وَقَالَ عُمَارَةُ الْيَمَعِي فِي الْمَادَّةِ الْأُولَى :

وَأَيْنَ الثِّيَابِ الْمُدْهَبَاتِ قَشِيمَةً وَلِي مُدْهَبَاتِ فَيْكِ لَيْسَتْ بِأَتَمَالِ
سَمِيبَلِي عَلَى قُرْبٍ جَدِيدٍ فَعَالِكُمْ وَتَبَقَى عَلَى مَرٍّ الْجَدِيدَ بْنَ أَقْوَالِي
وَيُعْطَلُ جِيدِي مِنْ حُلِيِّ نَدَاكُمْ وَجِيدُ مَمَالِكِكُمْ بِهَا أَبَدًا حَالِي
وَقَالَ ابْنُ دَرَّاجٍ الْقَسَطَلِّي :

أَبَا الْأَصْبَغِ الْمَعْنَى هَلْ أَنْتَ مُصْرَخِي؟
وَهَلْ أَنْتَ لِي مَعْنٍ وَهَلْ أَنْتَ لِي مُعْلٍ (١)
فَأَكْسُوكَ الْيَوْمَ مِنْ خَلِّ مَا شِئْتُ وَأَمْلَأُ سَمْعَ الدَّهْرِ مِنْ صِجَرِ مَا أُمْلِئُ!

٨٠ — وَقَوْلُهُ : مَا يَوْمٌ حَلِيمَةٌ بِسِرٍّ .

هَذَا مَثَلٌ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ ، وَأَصْلُهُ أَنَّ حَلِيمَةً بَذَتْ الْخَارِثَ بْنَ أَبِي
شَيْمٍ ، كَانَ أَبُوهَا قَدْ وَجَّهَ جَيْشًا إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّاءِ ، فَأَخْرَجَتْ لَهُمْ حَلِيمًا
فِي مِرْكَنٍ فَطَيَّبَتْهُمْ .

قَالَ الْمُبَرِّدُ : هُوَ أَشْهُرُ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، يُقَالُ : أُرْتَفَعَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ

المعاج ما غطى عين الشمس ، حتى ظهرت الكواكب . وهو يُضرب في كل أمرٍ متعاضدٍ مشهور ، قال النابغة في وصف السيوف :

فُورُنْ من أزمان يوم حليلةٍ

إلى اليوم قد جُرْبَنَ كلَّ التَّجَارِبِ^(١)

تَقْدُ السُّلُوقُ المضاعف نسجهُ ويوقِدُن بالهَمْزِ نَارَ الحَبَابِ

وذكر عبد الرحمن بن الفضل عن أبيه ، قال : لما عزا المنذر بن ماء السماء غزاه التي قُتِلَ فيها ، وكان الحارث بن جبلة الأكبر ملك غسان يخافه ، وكان في جيش المنذر رجلٌ من بني حنيفة يقال له : شير بن عمرو ، وكانت أمه من غسان ، فخرج يقوِّض بجيش المنذر ، يريد أن يحاق بالحارث بن جبلة ، فلما تدانوا سار حتى لحق بالحارث ، فقال : أتاك ما لا تطيق ، فلما رأى ذلك الحارث ، ندب من أصحابه^(٢) مائة رجل اختارهم رجلاً رجلاً ، فقال : انطلقوا إلى عسكر المنذر فأخبروه أنا ندين له ، ونعطيه حاجته ، فإذا رأيتم منه غيرةً فأهملوا عليه . ثم أمراً ابنته حليلة بنت الحارث فأخرجت لهم مركباً فيه خلوق^(٣) ، فخرجت إليهم فخلعتهم ، وهى من أجمل النساء ، حتى مر عليها فتى منهم ، يقال له : لبيد بن عمرو ، فذهبت لتخلقه ، فلما دنت منه قبلها ، فلطمته ، وأنت أباهما فأخبرته الخبر ، فقال لها : ويلك ! اسكّتي عنه ، فهو أرجأهم عندي ، وأكفؤهم . ومضى القوم ومعه شير بن عمرو الخنفي ، حتى أتوا المنذر ، فقالوا : له أتيقناك من عند صاحبنا ، وهو يدبُّنُ لك ، ويُعطيك

(١) ديوانه ٦ .

(٢) ط : « رجاله »

(٣) المُرْكَن : لئاء يتخذ الماء وغيره ، والخلوق : ضرب من الطيب ؛ قيل : هو الزعفران .

حَاجَتِكَ ، فَيَبْأِشِرُ أَهْلَ عَسْكَرِ الْمُنْذِرِ بِذَلِكَ ، وَغَفَلُوا بِعَظْمِ الْغَفْلَةِ ، فَحَمَلُوا عَلَى الْمُنْذِرِ فَقَتَلُوهُ ، فَتَمِيلُ : لَيْسَ يَوْمُ حَلِيمَةٍ بِمِثْرٍ ؛ فَذَهَبَتْ مَثَلًا .
 قَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ : ^(١) « إِنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي بِالْقَيْسِ حَلِيمَةَ الْعَرَبِ » .

* * *

٨١ - وَقَوْلُهُ : وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكُنْكَ سَلِيمًا ، وَلَا حَلِيمَتِكَ عَطِلًا ،
 وَلَا وَهْمَتِكَ غَفَلًا .

أَكُنْكَ : أَصْلُهُ أَكْسُوكَ مِنَ الْكِسْوَةِ ؛ وَلَكِنْ حُذِفَتِ الْوَاوُ لِادْخُولِ الْجَازِمِ عَلَى الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ ، تَقُولُ : لَمْ أَغْزُكُمْ ، وَلَمْ أَجْفُكُمْ ، وَلَمْ أَنْحُكُمْ ، وَأَصْلُهُ : أَغْزُوكُمْ ، وَأَجْفُوكُمْ ، وَأَنْحُوكُمْ .

سَلِيمًا أَيْ مَسْلُوبًا ، تَقُولُ : سَلَبْتُ الشَّيْءَ أَسْلَبَهُ سَلْبًا إِذَا أَعْرَيْتَهُ ^(٢) عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ . وَفَوَلَّحُمْ : نَحَلَ سَلِيمًا لَا حِلَّ عَلَيْهِ ، وَنَجَرْتُ سَلِيمًا لَا وَرْقَ عَلَيْهِ ، وَسَلِيمٌ « فَمِيلٌ » بِمَعْنَى مَقْمُولٍ ، مِثْلُ : قَتِيلٌ وَجَرِيحٌ ، بِمَعْنَى مَقْتُولٍ وَنَجْرُوحٌ .

حَلِيمَتِكَ أَلْبَسْتُكَ الْحَلِيَّ ، [وَالْعَطِلُ الْمَصْدَرُ مِنَ الْعَطَلِ ، تَقُولُ : عَطَلْتُ الْمَرْأَةَ إِذَا خَلَا جِيدُهَا مِنَ الْقَلَانِدِ ^(٣)] فَهِيَ عَطِيلٌ ، وَعَاطِلٌ ، وَمِعْطَالٌ .
 وَالْوَسْمُ : الْعَلَامَةُ ، تَقُولُ : وَوَسَمْتُهُ وَسْمًا وَسَمَةً ، إِذَا أَثَرَتْ فِيهِ بِسْمَةً أَوْ كَيْتًا .

وَالْغُفْلُ ، يَقَالُ : أَرْضٌ غُفْلٌ لَا عِلْمَ بِهَا ؛ وَلَا أَثَرَ عِمَارَةٍ ، وَدَابَّةٌ غُفْلٌ

(١-١) ط : « إِنَّ الْقَيْسَ تَسْمِي حَلِيمَةَ الْعَرَبِ » .

(٢) ط : عَرَيْتَهُ .

(٣) تَسْكَنُهُ مِنْ ط .

لَا سِمَةَ عَلَيْهَا ، وقد أَغْفَلَتْهَا إِذَا لَمْ تَسَمِّهَا . وقد أَسْتَعَارَ الْكِسُوءَ وَالتَّحْلِيَةَ
لِلنِّسَاءِ ، وَالْمُطَلَّةَ وَالْإِغْفَالَ لَهُ ، وَهِيَ أَسْتَعَارَةٌ جَيِّدَةٌ . وما أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي
الْحُسَيْنِ الْجَزَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَلَقَدْ كَسَوْتُكَ مِنْ قَرِيضِي حُلَّةً جَلَّتْ مِنَ التَّضْيِيقِ وَالتَّرْفِيعِ -

حَسَدْتُ بَرَقَمٍ مِنْ خِلَالِكَ فَأَعْتَدْتُ

كَاتِرُوضٍ فِي التَّسْهِيمِ وَالتَّوْشِيعِ

وَالْأَصْلُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ كُلُّهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَأَخْلَقَ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَدَحَهُ

- وَإِنْ لَمْ أَشَأْ - تُعَلِّيْ عَلَى وَأَكْتُبُ^(١)

وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

وَمَا أَنَا وَحْدِي قَلْتُ ذَا الشَّيْرِ كُلُّهُ

وَلَكِنْ لَشَيْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْعِرُ^(٢)

وَقَوْلُ الْعَزَّيَّ :

يَدَايَ تَكْتُبُ مَا تُمْلِي مَقَاقِبُهُ

فِي خَاطِرِي قَبْلَ كَتَبِ الْمَدْحِ فِي صُحُفِهِ

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْأَمِيرِ تَمِيمِ ابْنِ الْمُعْزِ :

وَسَارَ بِمَدْحِي فِيكَ كُلُّ مَهْجَرٍ

وَعَنَى بِهِ فِي السَّهْلِ وَالْوَعْرِ مِنْ يَغْدُو^(٣)

(١) ديوانه ١ : ١٨٩

(٢) ديوانه ١ : ١٥٨ .

(٣) ديوانه ١٠٥ .

وصاعَتْ له عَنَّاكَ حُسْنًا وَزِينَةً
وَحَيْكَ لَهَا مِنْ حَتَّى الْفَاطَةِ بُرْدُ
وَلَيْسَ لِكُلِّ النَّاسِ يُسْتَحْسَنُ الثَّنَا
كَأَيْسَ فِي كُلِّ الطُّلَى يَحْسُنُ الْعَقْدُ^(١)

ومن هذه المادّة قول أبي الطيّب :

أَنْتَ يَا فَوْقَى أَنْ تُعْزَى عَنِ الْأَخِ بَابِ فَوْقَ الَّذِي يُعْزَى عَقْدًا^(٢)
وَبِالْفَاطَةِ أَهْمَدَى فَإِذَا عَزَّ الْكَ قَالَ الَّذِي لَهُ قَلَتْ قَبْلًا
وَقَالَ :

لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِي لَنُظْهَ فَإِنَّكَ مُطْمَئِنِّهِ وَإِنِّي نَاطِمٌ^(٣)
وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :
وَدُونَكَ مِنْ أَطْوِيلِي مَدِيحًا غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَلِي النُّظَامُ
وَقَوْلِ ابْنِ الْعَلَمِّ :

تَجَدُّهُ صَاعَ حُلَى الْمَجْدِ لَهُ فَالْحُلَى بِلَالِيهِ الْمَحَلَّى
أَيُّ فَضْلٍ لِي بِشِعْرِي عِنْدَ مَنْ فَضْلُهُ عِنْدِي أَعْلَى سِعَرٍ فَضْلِي
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ :

أَنَا مِنْ كَسَاكَ مَحَبَّةً لَا حُلَّةَ حَبَرَ الْقَصَائِدِ فَوُفَّتْ تَقْوِيغًا^(٤)
مَقْنَعُخْلٌ هَلَّاكَ نَظْمَ قَصَائِدِ صَارَتْ لَأَذَانِ الْمُلُوكِ شُفُوفًا

(١) الضلي : جمع طلبة ، وهى العنق .

(٢) ديوانه ٣ : ١٢٣ .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٩١ .

(٤) ديوانه ٢٠٨ .

وقوله أيضا :

لقد زِدْتَ أَوْضاحِي امتداداً ولم أكن
بهيماً ولا أرضى من الأرض نجهاً^(١)
ولكن أباد صادفتني جساها
وقال أبو إسحاق الفزري :

والواصفوك بما خولت من شيم
مثنوا إليك بشيء منك مسترق^(٢)
وقوله أيضا :

مما نيك في الأسمار تنظم نفسها
ومن لم يخنه السجل والشطن أشتى
وقوله أيضا :

وما أنا في مدحك إلا كاسح
بكمتيه متن السيف وهو صقيل
وقال أبو نخيلة في مسلمة بن عبد الملك :

وأقبت لما أن أتيتك زائراً
على رداء سابغ الطول والعرض^(٣)
ونوتت من ذكرى وما كان خاملاً
ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وقال أبو الفتيان بن حيوس :

وهل بالذي يأتي إلى الوصف حاجة
وأخباره في القرب والشرق شهور^(٤)
ولكنه بالشعر يزدد بهجة
كما ازداد حسن الروض وهو منور

وقال أيضا :

يا عاطف النعمى على أصيخ لما
يهتز من طرف له عطفاً كما

(١) ديوانه ٢٥٢ ، والأوضح : الفرر .

(٢) أمالي القالي ١ : ٣٠ .

(٣) ديوانه ٢٧٣ .

(٤) ديوانه ٤٦٩ .

مَدَحًا إِذَا نَشِرتْ تَضَوُّعَ نَشْرِها قَدِ كِدْتُ أَطْوِي ذِكْرَها لَوْلَا كَا
كُرْهَتْ بِدَائِمِها سِوَاكَ وَأَقْبَلَتْ تَنَالُ فِيكِ لَأَنِّها تَهْوَا كَا
فَالْيَوْمَ أَلْفَى دُرٌّ وَصَفَكَ نَاطِمًا مَنَى ، وَصَادَفَ دُرَّهَ سَبَا كَا

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الخازن :

وَمِنْ سُمِّيَا سَحَابِكَ جَادَ طَبَعِي وَلَوْلَا الْفَيْثُ لَمْ يَنْبُجْ قَلْبِي
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ سَنَاءِ الْعَلِّكِ :

حُلِيَّتُهَا مِنْ حِلَاها وَهِيَ عَاطِلَةٌ وَأَحْسَنُ الْخُلِيِّ حَلِيٌّ صِغَمَنْ عُطِّلِ
وَإِنْ تَحَلَّتْ فَوْسُواسُ الْخُلِيِّ بِها خِصَامُ ما بَيْنَ ذَاكَ الْخَضِرِ وَالْكَفَّلِ
وقول ابن الشبل البغدادي :

مَلِكٌ تُمِينُ الْمَادِحِينَ صِفَاتِهِ فَيَصِيبُ قَائِلَهُمْ بَغِيرُ تَقْوِيلِ
وَالسَّيْفُ لَوْلَا جَوْهَرُهُ فِي حَدِّهِ لَمْ تَبْدُ مِنْهُ فَضِيلَةٌ لِلصَّيْلِ

* * *

٨٢ - وقوله : بَلْ وَجَدْتُ أَجْرًا وَجِصًّا فَبَنَيْتُ ، وَمَكَانَ
الْقَوْلِ ذَا سَمَةٍ فَقُلْتُ .

يعني أنه لا فضل لي في مدائحك ، لأنني فيها كُنْ وَجَدَ أَجْرًا وَجِصًّا
فَبَنَيْتُ بَيْتًا^(١) من ذلك ، وشيّد مكانًا ، ولكن لي في ذلك بعض فضل ، كما
قال الخفاجي :

وَلِي فِيكِ مِنْ غُرِّ الْقَوَانِي قِصَائِدُ تُقْبَلُ أُنْوَاهُ الرِّوَاةِ لَهَا رَشْفَا^(٢)
بَنِمَ بِها طَيْبُ اللَّسِيمِ إِذَا هَفَا وَيَنْشُرُها نَوْرُ الرِّياضِ إِذَا رَفَا
وَمَا أَدْعَى هَذَا السَّكْلَامَ لِأَنَّهُ صِفَاتِكَ إِلَّا أَنَّنِي أَحْسَنُ الْوَصَفَا

وقول ابن المعلم :

أُخِذْتُ مِنْكَ الَّذِي أُتِنِي عَلَيْكَ بِهِ فَأَنْتَ لَا أَنَا بِالْثَمَنِ مَوْلَاهُ
فَمَا أَمْتُ بِشَيْرٍ فَيْكَ أَنْظِمُهُ لِلْمَدْحِ فَيْكَ ؛ وَلَا سَجْعَ أَصْنَفُهُ
وقوله : « وَجَدْتُ أَجْرًا وَجِصًّا فَبَنَيْتُ » . جاءَ مِثْلُ هَذَا لِأَبِي حَفْصِ
ابن بُرْدٍ الْأَكْبَرِ الْقُرْنِيِّ ، قَالَ مِنْ جُمْلَةِ رِسَالَةٍ : وَأَبُو الرَّبِيعِ مِنْ عِلْمِ لِسَانِهِ
قَالَ ، وَبَنَى بِهِ صِرْحًا وَطَالَ ، وَأَنَّهُ أَشَدُّ بِنَاءَ الْكَلَامِ حِرْصًا ، مَا وَجَدَ أَجْرًا
وَجِصًّا ، فَنِ أَوْفَقَهُ بَرًّا ، طَوْفَهُ تَبْرًا ، وَمَنْ حَنَمَ عَلَيْهِ ثِيَابَ الْفَضْلِ مِنْ طَرَازِ
الْإِكْرَامِ ، نَزَعَ إِلَيْهِ بِحِيَادِ الْحَمْدِ مِنْ مَرَابِطِ الْكَلَامِ .

وقوله : « وَمَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَمَةِ » هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ : « بَلْ وَجَدْتُ
أَجْرًا » ، وَهُوَ يُشِيرُ بِهَذَا إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَمَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا فَأَثَلًا فَقَلِّ

وَهَذِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا سَيْفَ الدَّوْلَةِ ، وَأَوَّلُهَا :

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي مِوَى طَلَلٍ دَعَى فَلْبَاءَ قَبْلَ الرُّكْبِ وَالْإِبِلِ^(١)
وَقَبْلَ الْبَيْتِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ :

لَيْتَ لِلدَّائِحِ تَسْتَوْفِي مَنَاقِبَهُ فَمَا كَلَيْبُ أَهْلِ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ
خَذَ مَا تَرَاهُ وَدَعَا شَيْئًا سَمِعَتْ بِهِ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ
وَكَمْتُ قَدْ كَتَبْتُ جَوَابًا إِلَى شَيْخِنَا الْإِمَامِ الْحَافِظِ ، فَتَحَّحَّ الدِّينِ مُحَمَّدُ
ابن مُحَمَّدِ بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، عَنْ كِتَابِ بَقْعَةٍ إِلَى مِنَ الدِّيَارِ
الْمَصْرِيَّةِ ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مُتَمِيمٌ بِصَفَدٍ ، فَجَاءَ مِنْ جُمْلَةِ جَوَابِي إِلَيْهِ^(٢) :

(١) القصيدة في ديوانه ٣ : ٧٤ - ٨٨

(٢) من رسالة له ذكرها في الواقي بالوفيات ٩ : ٢٩٩

وقد أثبتت على تلك الروضة ، ولو وفقت لأثبتت وما أثبتت ، ووقفت
عند قدرتي فما أجبت ، ولكن اتقعت وما استحييت ، على أني لو وجدت
لساناً قاتلاً قلت : فإني وجدت أول البيت .

ومن مادة ابن زيدون ماقاله ابن المعلم :

أرتني ما أصوغ عليك مدحى وعلمنى سماحك ما أقول
فجنتك بالذى أوليت أننى بما أنا عن سواك به بخيل
وقوله أيضاً :

علمتها أيامكم مذهب الشكر ر فيها نحن بينكم وفد شكر
وأرتنا طريق المديح معاليكم ، ومنها جاءت معاني الشعر
وقول أبي إسحاق الفزى :

ولما جال في عليك فسكرى وجدت القول متسع المجال
وسابقتي المديح وصار لفظى به أجرى من المال الزلال
وقول ابن حيوس :

ولو في غير بحر ك غصت عاماً لأعوز فيه ذ الدّر الثمين^(١)
وقوله أيضاً :

لما اعتمدت بالقرين أطاعنى ولو اعتمدت به سواك عصانى^(٢)
وقول الرستمى :

وإذا مادعوت شعري فيه طرب المدح وأستهل النسب

(١) ديوانه ٩٦٢

(٢) ديوانه ٦٤١

وقال عُمارة اليماني :

مَلَأَ الجوارحَ فاللسانَ بِحَمْدِهِ مستخدمٌ وكذا الفؤادَ لودِّهِ
وقمتُ مدائحُنا عليه لأَنها ما عندها إلَّا الَّذي مِن عِنْدِهِ

وقال ابن قلاؤس :

ومنكَ وفيكَ تَنظِيمُ القوافي وَمَن وَجَدَ المَقَالَ الرَّحْبَ قالَا

وأنشدني لنفسه أجازة الشيخُ صفيُّ الدين عبدُ العزيز الحلي :

استجَلِ دِرًّا أَنْتَ لُجَّةُ بَحْرِهِ وألبس ثناءً أَنْتَ ناسِجُ رِدِّهِ
بِرُزَادٍ حُسْنًا كُلَّمَا كَرَّرْتَهُ كالتَّبَرِ يَظْهَرُ حُسْنُهُ فِي نَقْدِهِ

وأنشدني له أجازة أيضاً :

لَا فَضْلَ لِي فِي نِظَامِي دُرٌّ فَضْلِكُمْ بِقِيَمَةِ الدَّرِّ لَا بِالسَّلَكِ يُمْتَبَرُ
لَمْ تَزِهِ صِنْفُهُ إِلَّا بِصِنْفِكُمْ تَزْهِى الخَائِلُ أَنِّي يَهْطِلُ المَطَرُ

وأنشدني له إجازة أيضاً :

ليس لي مِن صِفَاتِ مَجْدِكَ خَيْرٌ هِيَ أَبَدَتْ أَمَا بَدِيعُ المَعَانِي
كَلَّمَا أَبْدَعْتَ سَجَابَاكَ مَعْنَى نَظَمْتُ فَسَكَرَتِي وَخَطَّ بِنَانِي

وقول ابن حيَّوس :

ولئن شعرتُ فَإِنَّ آثَرَ مَا أَرَى من مَائِرَاتِكَ يُنْطِقُ الجُلُودَا^(١)
أَلْفَتِهِنَّ جَوَاهِرًا مُمَثَّوَرَةً وعلى القوافي أَنْ يَصْرُنَ عُمُودَا

فَلَكَ الفَرِيدُ وَقَدْ وَجَدَتْ نِظَامَهُ وَلَى النِّظَامُ وَقَدْ وَجَدَتْ فَرِيدَا
وقال محمد بنُ الحَدَّادِ المغربي :

ومنكَ أَخَذْنَا القَوْلَ فِيكَ جِلَالَهُ وما طابَ ماءُ الوَرْدِ إِلَّا مِنَ الوَرْدِ

٨١٢ قول : وَحَاشَاكَ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ

يقال : حاشاك ، وحاشا لمن . يقال : حاشا لله ، وقرئ : ﴿ حاشَ لِلَّهِ ﴾^(١) بلا ألف اتباعاً للكتاب ، والأصل «حاشا» بألف ، وحاشا كلمة يُسْتَفْتَى بِهَا .
وقوله : «أُعَدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ» يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾^(٢) ، المراد بذلك وجوه اليهود والنصارى ، أو جميع الكفار ، وجوه عملت في الدنيا وَنَصِبَتْ ، أى تَعَبَتْ في أعمال لا تَنْفَعُهَا فِي الْآخِرَةِ ؛ لأنَّ الرُّهْبَانَ يَنْصَبُونَ بِصِيَامِ النَّهَارِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ ، وَيَتَرَكُونَ مَلَاذِمَهُمْ .

وقيل : عاملة ناصبة في النار ، تجرّ سلاسلها وأغلالها في النار كخوض الإبل في الوحل .

وقال الحُسن : لم يعمل الله في الدنيا ، فأَعْمَلَهُمْ وَأَنْصَبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، يُقَالُ مِنْ عَذَابٍ إِلَى عَذَابٍ ، أَوْ يَجْرُونَ عَلَى وَجْهِهِمْ ، وَيَكْلَفُونَ ارْتِقَاءَ جَبَلٍ مِنْ حَدِيدٍ فِي النَّارِ . أَوْ تَكَبَّرُوا فِي الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ، فَأَعْمَلَهُمْ وَأَنْصَبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ .

وما أحسن قول هبة الله بن الفضل التلميب :

أَمْدَحُهُ طَوْرًا ، وَأَهْذَى بِهِ طَوْرًا ، وَلَا أَطْمَعُ فِي رِفْدِهِ

مِثْلَ إِمَامٍ بَيْنَ أَهْلِ الْقُرَى صَلَّى بِهِمْ وَالنَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ

وما أحسن قول القائل :

ذَاكَ الَّذِي قَرَحَتْ بُطُونُ جَفْوَنِهِ مَرَهَا وَتَرَبُّهُ أَرْضِيهِ وَنَ أَمِيدِ

وقيل البحتري :

وَبَدْرًا أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعَ رَجُلٍ مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٍ^(٣)

(٢) الفاشية ٢ ، ٣

(١) سورة يوسف ١٣

(٣) ديوانه ٢ : ٢٧٢

وتول الآخر :

أنا في ذمة السحاب وأظمى ! إن هذا لَوْضمة في السحاب

وقد ذكرتُ بهذا البيتِ مالى في هذه المادّة :

يا حبيبي الذي أرى فيه عُجْرِي ضاعَ مِنِّي وضاعَ بالصّدِّ صَدْرِي
أنتَ أَظْلَلْتَنِي وَوَجَّهْتَ بَادِي أُمِّهَذَا يَلِيْقُ قَطُّ بِبَدْرِ !

وقال أبو سعيد محمد بن محمد الرُّسْتَمِي :

من النَّاسِ من يَعطِي المَزِيدَ على الغِنَى
ويُحَرِّمُ ما دُونَ الغِنَى شاعراً مِثْلِي
كما أَلْحَقْتُ واوَّ بعمرو مَزِيدَةً
وضُوبِقَ بِسَمِ اللهِ في ألفِ الوَصْلِ

٨٤ - وقوله : وَأَكُونُ كَالذُّبَالَةِ الْمَنْصُوبَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ
تَحْتَرِقُ .

الذُّبَالَةُ : الفَتِيلَةُ ، والجمعُ الذُّبَالُ ؛ ويشير بذلك إلى قول المَبَّاسِ بنِ
الأَحْنَفِ :

أَحْرَمَ مِنْكَ مَا أَقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَا عَشِقُوا^(١)
صَرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نَصِيبَتْ تَضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

قال الرّياشي - وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف : والله لو لم يقل
إلا هذين البيتين لكفاه .

وقال الشاعر :

وفتية الصّباح تحرق نفسها وتضيء لاسارى وأنت كذا
ومن هذه المادّة قول أبي الحسّين الجزار :

أحمل قلبي كلّ يوم وليلة هو ما على من لا أفوز بخيره
كما سوّد القصّار في الشّمس وجهه حريصاً على تبْييض أثواب غيره
ويقرّب من هذا :

ومن أين لي صبرٌ وفي كلّ ساعة
أرى حسناتي في موازين أعدائي
ومنه أيضاً :

إذا تحاسنَ الثلاثي أمتُ به —

عدتُ مساويَ قلّ لي كيف أعذرُ !

وما أحسنَ ما قاله ابن المظفر محمد بن عليّ الواعظ الدوري :

يتوبُ على يدي قومٌ عُصاةٌ أخافتهم من الباري ذنوبُ
وقلبي مُظلمٌ من طولٍ ما قد جنى ، فأنا على يدٍ من أتوبُ !
كأنّي شمعةٌ ما بين قومٍ تضيءُ لهم وبحريقها اللهبُ
كأنّي مخيطٌ يكسو أناساً وجسني من ملايسهم سلبُ

وقال أبو طالب بن زيادة :

تستضيئون بي فأهلك وخذى فسكاني ذبالة في سراجـ

وقد ذكر الحافظ شهر يار بن شيرويه في كتاب الفردوس الأعلى : أنبأنا
 أنى حجه الله تعالى ، أنبأنا أبو علي بن البناء البغدادي ، حدثنا أبو علي بن
 شاذان ، حدثنا محمد بن الحسن بن مقسم العطار ، حدثنا إدريس بن عبد الكريم
 المقرئ ، حدثنا الحكم بن موسى ، حدثنا محمد بن مسleme الحراني ، عن
 جعفر بن مخارق ، عن إبراهيم ، عن الحسن ، عن جندب بن عبد الله
 رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العالم بغير عمل
 كالصباح يحرق نفسه ويضي للناس » . وقال : « مثل العالم الذي يعلم الناس الخير
 ويلتسى نفسه كممثل السراج يضي للناس » ويحرق نفسه . رواه الطبراني عن
 أحمد بن المعلى الدمشقي ، عن هشام بن عمار ، عن علي بن سليمان السكابي ، عن
 الأعمش ، عن أبي تميمه ، عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم . الحديث .

* * *

٨٥ — وقوله : فَلكَ المثلُ الأعلى ، وهو بك وبى - فيك - أولى .

يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ المثلُ الأعلى فى السموات والأرضِ
 وهُوَ العزيز الحكيم ﴾ (١) . والمثل الأعلى الصفة العليا ، قال ابن عباس
 رضى الله عنهما : هي أن ليس كمثل شيء ، أو هي أنه لا إله إلا هو .

وما أحسن قوله : « وهو بك وبى فيك أولى » ؛ كأنه يقول : هو بك
 أولى وهو بى كذلك إذا كان فيك ، فكلًا الحاكين مخصوص بك .

وما أحسن ما ينسب إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه :

قالوا يزورك أحدٌ وتزوره قلت الفضائل لا تُفارق منزلة
إن زرتَه فلفضله ، أو زارني فيفضله ؛ فالفضل في الحالين له

وقال ابن سردر :

لك المثل الأعلى بكل فضيلة إذا ملأ الراوي بها الفور أتهماً
لألى من بحر الفضائل إن بدت اغانصها صلى عليها وسماً

وقال أبو بكر بن عمار :

لك المثل الأعلى وما أنا حادثٌ ولا أنا ممن غيرته الحوادثُ
أظن الذي بيني وبينك غيرت حلاوته عنى الرجال الأخابثُ

وقال الوزير أبو حفص عمر بن شهيد :

لك المثل الأعلى إذا ذكر الندى ودغ هرماً فيما سمعت وحاتماً
وقلت أنا من جملة أبيات :

كريم تخطى الناس من أهل عصره أجابهم قولاً ، وأحلامهم قملاً
إذا غضبة ما بيننا ذكر الندى يسكون له من جوده المثل الأعلى

٨٦- وقوله : وَلَعَمْرُكَ مَا جِئْتِ أَنْ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ ، إِذَا
بَلَغْتَنِي الشَّمْسُ وَنَبَأَ بِي الْمَنْزِلَ .

لَعَمْرُكَ ، الالامُ لنا كيد الابتداء ، وتقديره « وَحَيَاتِكَ قَسَمِي » .
نَبَأَ بفلانٍ مَفْزَلُهُ إِذَا لَمْ يُوَافِقْهُ ، وكذلك فِرَاشُهُ ، وهو يشير بذلك إلى
قول أبي تمام من قصيدة مَدَحَ بها محمد بن عبد الملك الزيات وبُعَاثِهِ :
وإِنْ صَرِيحَ الرَّأْيِ وَالْحُزْمِ لَامَرِي
إِذَا بَلَغْتَنِي الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَ^(١)

وهذا من قصيدة عاتبَ فيها ابن الزيات ، وأولها :
هَلْ أَنْ عَلَيْنَا أَنْ تَقُولَ وَتَقْمَلَا
وَتَذْكُرَ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ فَتَفْضُلَا
ومنها :

سَأَقْطَعُ أَمْطَاءَ الْمَطَايَا بِرِحْلَةٍ إِلَى الْوَطَنِ لِلْفَرَبِيِّ هَجْرًا وَمَوْصِلًا
وَقَفْتُ بِهُلُولٍ عَلَى رَجُلٍ فَقَالَ لَهُ : خَبَّرَنِي عَنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
* وَإِذَا نَبَأَ بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ *

كيف هو عندك ؟ قال : جيّد ، قال : فإن كان في الحبس كيف يتحوّل ؟
فانقطع الرجل ، قال بهلول : الصواب قول الآخر :
إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ بِسُوءِكَ أَهْلِهَا
وَلَمْ تَكُ مَكْبُولًا بِهَا فَتَحَوَّلِ

وما أحسنَ قولَ مَنْ بنِ أَوْسَ الْمُزَنِيِّ :

وفى النَّاسِ إِنْ رَمَتْ جِبَالُكَ وَاصِلٌ

وفى الأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلَى مَتَحَوِّلٌ^(١)
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ

عَلَى طَرَفِ الْمِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَمُوقُ
وَيَرْكَبُ حَدَّ السَّيْفِ مِنْ أَنْ تُضَيِّمَهُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَنْ شَفَرَةِ السَّيْفِ مِرْحَلُ
وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحَبَ رَامَ ظَنَّتِي

وَبَدَلِ سَوْءٍ بِالَّذِي كَانَ يَفْعَلُ
قَابَتْ لَهُ ظَهْرُ الْمِجَنِّ فَلَمْ أَقِمِ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا رَيْثَمَا أَحْوَلُ

وقال عنقرة العبَّاسيُّ في رواية بعضهم :

إِحْذَرِ مَحَلَّ السَّوْءِ لَا تَحْلُلْ بِهِ وَإِذَا نَبَأَ بِكَ مَفْرَدٌ فَتَحَوِّلِ^(٢)

وقولُ ابْنِ الْخَيْطِ الدَّمَشْقِيِّ :

لَا تُفَكِّرَنَّ رَحِيلِي مِنْ دِيَارِ كُمُ
يَأْتِي إِلَى الْهَضِيمِ فِرْسَانُ الْخِلَاجِ وَمَا
لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى ضَيْمٍ بِصَبَّارٍ^(٣)
حَبَّرَتْ مِنْ غُرَرٍ تُهْدَى وَأَشْعَارُ

وقولُ ابْنِ الْعَمِيدِ :

مَتَى لَفَظْتُنِي دَارُ قَوْمٍ تَرَكْتُهَا
وَمَتَى لَفَظْتُنِي دَارُ قَوْمٍ تَرَكْتُهَا
وقولُ الْآخَرِ :

وَنَبَتْ بِنَا أَرْضُ الْعَرَا ق فَمَا مَحْنَاهَا بِمَحْنَةٍ

(١) ديوانه ٥٩ ، ٦٠

(٢) المقدم الثمين ١٨١

(٣) ديوانه : ١٥٦

غير الرّحيل كفى البلاء دَ برحلة المُضلاء هُجْنَه

وقال ابنُ المنذر الطّرا بُلْسِي من أبيات طويلة في هذا المعنى :

وإذا الكريمُ رأى الخمولَ نزيلَهُ في منزلٍ فالجزمُ أن يتحوّلاً
كالبدْر لما أن تضاءلَ جدّ في طلب السّكّالِ فحازَه متنفلاً
سَفها لحملك إن رضيت بمشرب

رَنّي ، ورزقُ الله قد ملأ الفلا

فارق ترّق كالسيفِ سُلّ فبانَ في

متنّيه ما أخفى القِرابُ وأخلا

للفقر لا للفقر هبها إنسا مَعفناك ما أغناكَ أن تتوسّلا

لا ترض من دُنْيَاك ما أدناكَ من دَاسٍ ، وكن طيفاً جلاّ ثم انجلى

وقال أبو بكر الخورازمي :

لِمَ لا أجانس دَهْرِي في قلبه لم لا أبادِلُ إنساناً بإنسانٍ

لِمَ لا أحاكي حبيباً في مقالته

ما اليومُ أوّلَ توديعي ولا الثّاني

لِمَ لا أقارض ما قد قاله حَسَنُ

وصلاً بوصلي وهجراناً بهجران

وأنشد أبو محمد غانم من شعراء الذخيرة هذين البيتين :

وإذا الدّيارُ تنفّرت عن حالها فذرِ الدّيارَ وأسرعِ التّحويلاً^(١)

ليس المَقامُ عليك حتماً واجِباً في بِلَدَةٍ تدعُ العزيزَ ذليلاً

وسئل الزيادة عليهما فقال :

لا يرتضي حرّاً بمنزلٍ ذلّةٍ لو لم يجد في الخلفين مقبلاً

فاخصصن لودك من خبرت وفاءه لا تتخذن إلا الوفي خليلًا
فلقد خبرت الناس منذ عرفتهم فرأيت جنس الأوفياء قليلًا

وقلت أنا:

سافر تنل عزًا فما مسك الورى إلا دماً في سرّة الغزلان
والرمح لما فارق الوطن اغتدى بدؤابة خفقت وتاج سينان

وقلت أيضاً:

سافر تنل رتب المفاخر والملا كالدرّ سار فصار في التيجان
وكذا هلال الأفق لو ترك الشرى
ما فارقه ممرّة النقص — إن

وقلت أيضاً:

سافر فإن الليث لما غاب عن غاب حواه أشبع الأشبالا
والسيف لو لزِم المقام بجفنه ماراع أعداء وراق صقلا
وكذاك بدرّ التّم لو ترك الشرى
أبصرته طول الزمان هلالاً

٨٧ - وقوله : واصفح عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تُقَطَّعُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ .

يشير بذلك إلى قول البهيمث المجاشعي :

طَمِعْتَ بَلَيْلِي أَنْ تَرِيحَ وَإِنَّمَا تُقَطَّعُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ لِلْمَطَامِعِ^(١)
وقول أبي الفتح البستي :

فَكَمْ دَقَّتْ وَشَقَّتْ وَأَسْتَرْقَتْ فَضُولُ الْعَيْشِ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ
قال أبو عبيدة : وفي بعض الأحاديث : « إِنَّ اللَّهَمَّاءَ الزَّلَّاءَ الَّتِي لَا تَنْبُتُ
عليها أقدامُ العلماءِ الطَّمَعِ »^(٢) .

وفي الأمثال المولدة : أَخْرِجِ الطَّمَعَ مِنْ قَلْبِكَ ، تَحُلَّ الْقَيْدُ
مِنْ رِجْلِكَ .

وفي الأمثال الحكيمة : أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بَرُوقِ الْمَطَامِعِ .
وقال أبو العتاهية :

* أَذَلَّ الْخِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ *^(١)

قال ابنُ عائشة : عَتَبْتُ عَلَى ابْنِ شُبْرَمَةَ يَوْمًا فِي شَيْءٍ ، فَلَقِمْتُهُ دَاخِلًا
مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ يَرِيدُ مَجْلِسَ الْحُكْمِ وَأَنَا خَارِجٌ ، فَقَامَتْ مَعْرُضًا لَهُ :

طَمِعْتَ بَلَيْلِي أَنْ تَرِيحَ وَإِنَّمَا ... الْبَيْتُ
فَقَالَ مَعْرُضًا ، وَتَرَكَ^(٢) مَا قَصَدْتَ :

(١) في أبيات ستة في معجم البدان ٧ : ١٣٢

(٢) ديوانه ٥٥ ، وأوله :

* تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو *

(٣) م : « تَارَكَ » .

وبأيت ليلي في الخلاء ولم يسكن

شهودي على ليلي عدول مقارن

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : إن الآمال قَطَّعتْ أعناق الرجال ؛
كالسرَّاب غرَّ مَنْ رآه ، وأخلف مَنْ رجاه .

وقال الشريف الرضي :

لم يشتمل قلبي الزجاء ولم يكن طأفي جنبية كلِّ برقي نارٍ (١)
وأيتُ أن تردَّ المطالب همتي
أو أن يسفَّ إلى المطامع طأري

وقال أبو الفتح البستي :

يا من عادت به الزجاء ولم يكن لي منه إرفاد ولا إيناس
إن كان قد جرح المطامع عفتي
فوراء ذلك الجرح يأسٌ يأسو

وتما ينسب إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه :

إذا عوفي المرء في جسمه وخوله الله قلباً قنوعاً
وألقي المطامع عن نفسه فذاك النقي ولو مات جوعاً

وقال ابن نباتة السعدي :

أرضى وأقنع بالآمال كاذبة فما يضرُّك لو ألقيت أطاعي
قد كان يعرف وجه الدل في نظري ويظهر المجز والتقصير في باعي
وقال أبو رَوْح ظفر الهروي :
ولو أن أطراف الرماح وفين لي
لأخذت حقَّ الدهر من أبنائه

هَمِّ مُؤَرِّقَةٍ جَفَوْنِي كَلَمَا أَرَخَى الظَّلَامَ عَلَى ذَيْلِ خِيَابِهِ
هَمِّ النَّفُوسِ مَنُوطَةٍ بَعْنَاهَا وَلَمَرَةٍ يَخْدَعُهُ لِسَانُ رَجَائِهِ

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

دَعِ الحِرْصَ وَأَقْنَعِ بِالْكَفَافِ مِنَ الْفَنَى
فَرَزَقُ الْفَنَى مَا عَاشَ عَنْهُ بِمَيْشِهِ
وَقَدْ يَهْلِكُ الْإِنْسَانُ كَثْرَةَ مَالِهِ
كَأَيُّذْبِجِ الطَّائِوسِ مِنْ أَجْلِ رَيْشِهِ

وعن عبد الله بن الحسن قال : أَنَشِدَ لِلْأَمُونِ بَيْتَ أَبِي الْعَمَةِ هَيْعَةَ يَخَاطَبُ
سَلْمًا الْخَاسِرَ :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلْمَ بْنَ عَمْرٍو أَذَلَّ الحِرْصَ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ

فقال : إِنَّ الحِرْصَ لَمُفْسِدَةٌ لِلدِّينِ وَالرُّوْعَةِ ، وَاللَّهُ مَا عَرَفْتُ مِنْ رَجُلٍ
قَطَّ حِرْصًا وَلَا شَرًّا ، فَرَأَيْتُ فِيهِ مُصْطَلَمًا ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ سَلْمًا فَقَالَ : وَبُلَى عَلَى
الْمُحْتَضِ الزَّنْدِيقِ ، جَمَعَ الْأَمْوَالَ فَسَكَنَ زَاهَا ، وَعَتَبَ الْبِدْرِ فِي بَيْتِهِ ، ثُمَّ تَزَهَّدَ
رِيَاءً وَنِفَاقًا ، وَأَخَذَ يَهْتَفِ بِي إِذَا أَنَا تَصَيَّدْتُ لِلطَّلَبِ .

قال المدائني : كَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَدْخُلُ عَلَى هُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَيُشْكُو
أَنْ عَلَيْهِ دَيْنًا لَا يَجِدُ إِلَى قَضَائِهِ سَبِيلًا ، فَيَقُولُ لَهُ : إِذَا كَانَ غَدًا فَارْفَعْ إِلَى
حَاجَتِكَ ، فَإِنِّي أَحَبُّ قَضَاءِهَا ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ غَدٍ فَيُذَكِّرُهُ وَعْدَهُ ،
فَيَتَفَقَّلُ عَنْهُ ، ثُمَّ يَعَاوِدُهُ فَلَا يَصْنَعُ فِي أَمْرِهِ شَيْئًا ، فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ :

دَعَانِي أَمِيرِي كَيْ أَقُولَ بِحَاجَتِي فَقُلْتُ فَمَارَدَ الْجَوَابَ وَلَا اسْتَمَعَ^(١)

(١) ديوانه ٣٠ ، وروايته : « ماصين » .

فقلتُ ولم أحسُنْ بشيءٍ ولم أصُنْ
كلامي ، وبعضُ القولِ ماضٍ أو نفعُ
وأجمعتُ يأساً لا لبانةَ بعدهُ ولليأسُ أدنى للعفافِ من الطمعِ

وفي المثل : الطمع الكاذب يدق الرقبة ، قاله خالد بن صفوان لأنه
كان قد بنى دكاناً مربّماً لا يسمع غيره ، ولا يصل الرجلُ إليه . وكان إذا
تعدى قعد عليه وحيداً يأكل لبخله ، فجاء أعرابي على جمال ساوى الدكان
ومدّ يده إلى طعامه ؛ فبينما هو يأكل إذ هبت ريحٌ فحركت شيئاً هنا لك ،
فذهر البعيرُ فانذقت رقبتُهُ ، فقال خالد : الطمع الكاذب يدق الرقبة .

* * *

٨٨ — وقوله : فلا أستوطئ العجز ، ولا أطمئن إلى الغرور .

استوطأت المركب إذا وجدته وطيباً ، أى لينا سهلاً .

والعجز ضد القدرة ، والطمأنينة : السكون ، والغرور : ما اغتر به من
متاع الدنيا . وفي المثل : العجز وطئ ، أى وثير ، يضرب لمن أستوطأ
مركب العجز ، وقعد عن طلب المكاسب ، ولمن ترك حقه مخافة الخصومة .

وفي المثل أيضاً : العجز ريبة ؛ يعنون أن من أقر بالعجز على نفسه ،
فهو مُريب ، قال بعض الشعراء :

خاطرٌ بنفسك لا تقعد لمعجزةٍ	فليس حُرٌّ على عَجْرٍ بمقدور
إن لم تنل في مقامٍ ما تطالبه	فأبل عذراً بادلاج وتنجير
لم يملُغ المرء بالإحجام همته	حتى يُبشيرها منه بتمرير
حتى يواصل في أنحاء مطلبيها	سهلاً بحزنٍ وإيجاداً بتفوير

وفي المثل : أغرَّ من الدُّبَاءِ في الماء . الدُّبَاءُ : القرع .
ويقال أيضا : لا يُغَرِّتُكَ الدُّبَاءُ ، وإن كان في الماء .
قال حمزة الأصمفاني : لا أعرفُ معنى هذين المثلين .

قال الميبداني : معنى الأول منتزع من الثاني ؛ لأنَّ أعرابياً تناول قرعاً مطبوخاً ، وكان حاراً فأحرقَ قَمَهُ ، فقال : لا يُغَرِّتُكَ الدُّبَاءُ ، وإن كان [نشوءه] في الماء ^(١) .

ويقال أيضا : أغرَّ من مراب .
ويقال أيضا : أغرَّ من الأماني .

وقال الشاعر :

إِنَّ الْأُمَانِيَّ غَرَّرَ وَالذَّهْرُ عُرِفَ وَنُكِرَ

* مَن سَابَقَ الدَّهْرَ عَتَرَ *

ويقال أيضا : أغرَّ من ظبي مقمر ، لأنَّ الخُشْفَ ^(٢) يفتَرُّ بالليل المقمر ، فلا يحترز حتى تأكله السباع .

وقال ابن سناء الملك :

ولكم وجدتُ الموتَ حُلماً وأ حينَ ذُقتُ الدَّلَّ مرّاً
ولكم أعْيِرَ بالفُرورِ نَمَمٌ فَفَطِطْتُ وَكُنْتُ غَرّاً
سَاسِيرُ غَنَمٍ طَائِمَاً فَمَسَى الْهَلَالُ يَبُودُ بَدْرَا
وأجِدُ لِي رِزْقاً وَإِخْوَا نَا وَمَنْزِلَةً وَهَمْرَا

(١) الميبداني ٢ : ٦٤

(٢) الخشف : الظبي أول مايولد .

٨٩ - وقوله : ومن الأمثال المضروبة : خامري أم عامر

وهذا من الأمثال المضروبة تقول العرب : خامري حَضَاجِرُ ، أُنَاكِ مَا تُعَاذِرُ^(١) . وَحَضَاجِرُ اسْمٌ لِلضَّبُعِ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى . ومن أَسْجَاعِهِمْ فِي مِثْلِ هَذَا : لَيْمٌ تُرْعُجُ بِأَحْضَا جِرْ ، كِفَاكِي مَا تُعَاذِرُ ، ضُبَارِمٌ مُخَاطِرٌ ، تَرْهَبُهُمُ الْفَسَاوِيرُ - بِمَعْنَى الْأَسُودِ - وَهَذَا جَمِيلٌ مِثْلًا لِمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا فِي نَفْسِهَا عَقُودَ الْأُمُورِ بِإِيرَادِ الْبَلَاءِ عَقِيبَ الرِّخَاءِ . ثُمَّ يَسْكُنُ إِلَيْهَا مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ مِنْ عَادَتِهَا أَنْ تَسْلُبَ مَا وَهَبَتْ كَمَا تَغْتَرُّ الضَّبُعُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ : خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ^(٢) ، وَأُمُّ عَامِرٍ كُنْزِيَةُ الضَّبُعِ ، وَهِيَ مِنْ أَشْهَرِ كُنْهَاهَا .

وقوله : « خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ » : هَذَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ لِلْفَانِلِ الْمَغْرُورِ . وَفِي الْمَثَلِ أَيْضًا : لَا أَوْ كُنْ كَالضَّبُعِ تَسْمَعُ اللَّذَمَ فَتَخْرُجُ حَتَّى تُصَادَ .

وقوله : « خَامِرِي » ، أَيْ تَسْتَرِي ، كَأَنَّهُ مِنَ الْخِمَارِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهَا أَحَقُّ الدُّوَابِّ ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا صَيْدَهَا رَمَوْا فِي جِوَارِهَا بِحَجَرٍ ، فَتَحْسِبُهُ شَيْئًا تَصِيدُهُ ، فَتَخْرُجُ لِتَأْخُذَهُ فَتُصَادُ . وَيُقَالُ لَهَا : أَبْشَرِي بِجَرَادٍ عِظَالٍ^(٣) ، وَكَرَّ الرَّجَالُ ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهَا رَجُلٌ ، وَهُوَ يَقُولُ : خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ ، فَيَرْبِطُ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا ، ثُمَّ يَجُرُّهَا إِلَى خَارِجِ الْجُبْرِ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْبَهَاءِ زُهَيْرٍ :

يَا هَذِهِ لَا تَقْلُطِي وَاللَّهِ مَالِي فِيكَ خَاطِرُ^(٤)

(١) المبدائي ١ : ٢٣٩

(٢) المبدائي ١ : ٢٣٨

(٣) الجراد العظال : الذي ركب بعضه بعضاً كثرة .

(٤) ديوانه ٧٤

خدموكِ بالقول المُحسَّـا لِي فَصَحَّ أَنَّكَ أُمُّ عَامِرٍ

وذكرتُ هنا إلى بَيْتَيْنِ نظمتهما في معنى اقتضتهُ الحالُ ، وهما :
وغانيةٌ عُلِّقَتْهَا ظليمةٌ ومذُ غدت ضيماً سلبتها من ضماي
فبالأنس كانت أم عمرو جميلةً فما بالها قد أصبحت أمَّ عامر !

٩٠ - وقولهُ : وإني مع المعرفة بأن الجلاء سيِّء ، والنقلة مُثْلَةٌ

وَمَنْ يَنْفِرْ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يُزَلْ يَرَى
مصارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرَأً وَمَسْحُوباً
وَتُدفنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَأْ
يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

الجلاء : الخروجُ من الدِّينِ والوَطَنِ .

والسيِّئُ والسيِّئُ والإسبَاءُ كُلُّهُ بمعنى الأسر ، تقولُ منه : سَبَيْتُ المدَّوَّ
حَبْنِيَا ، وسبَّاً ، واستبَاءً . والنقلة : الانتقالُ من مكانٍ إلى مكانٍ . والمُثْلَةُ
التنكيلُ ، مَثَلٌ بالفتحِ جَدَّةً .

وكبكب : اسمُ جبلٍ عالٍ ، وقد صرَّفه امرؤ القيسِ في قوله :
فريقانِ مِنْهُمْ جازعٌ بطنُ نَخْلَةٍ وآخَرُ مِنْهُمْ قاطِعٌ نجدِ كَبْكَبِ
وقوله : الجلاء سيِّئٌ ، أخرجه مخرج المثل .
وأما قوله : النقلة مثْلَةٌ ، فليس هو من أمثال العرب ، وإنما هو من أمثال
المولدين .

وجند من الأمم الشاقة التي لا تقبل عليها النفوس ولا تتجرع
مرّ مذايقها ، وقد قرنه الله بالقتل في قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ
اقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلاّ قليل منهم ﴾ (٣) : وقوله
تعالى : ﴿ كَتَبْنَا ﴾ أى أَوْجَبْنَا وفرضنا . كما أمر بنى إسرائيل من قبل
بقتل أنفسهم وبخروجهم من ديارهم . وهذه الآية نزلت في ثابت بن قيس
ابن شماس ؛ لأنه كان قد سمع يهودياً يقول للمقداد : قاتل الله هؤلاء ، يزعمون
أنه نبي ، ويتهمون به في الحكم بينهم ، والله لقد أذنبنا مرة في حياة موسى ،
فدعانا إلى التوبة ، فقال : ﴿ اقتلوا أنفسكم ﴾ ، فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة
ربنا حتى رضى عنا . وقال اليهودي ذلك لما رأى الأنصارى قد سخط من
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال شماس عند ذلك : والله لو أمرنى
محمد أن أقتل نفسى لفعلت .

ولما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود
وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم القليل : والله لو أمرنا
بذلك لفعلنا ، فالحمد لله الذى عافانا ؛ فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « إن من أمتي رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي » .
وما أحسن قول القاضى الفاضل رحمه الله تعالى : الخروج من الديار
مقرون بالقتل في كتاب الله سبحانه وتعالى ، وإذا كان الناس كما قال الشاعر
نفوس الديار ، فخرجهم منها قتلها ، وانتقال ولايتهم عنها عز لها .
وأما المثل الأوّل المولّد وهو قوله : النُّقْلة مُنْطَلَقٌ ، فقد قلت أنا : النوى
نوى ، الأوّل بالنون ، والثانى بالتاء ثانية الحروف وهو الهلاك ، والغربة
كربة ، والشتات ممات ، والافتراق احتراق .
ومن كلام الحكماء : الغريب كالفرس الذى زایل أرضه ، وفقد شربه ،

ما من غريب وإن أُبدى تجلده إلا سيذكر عند الغربة الوطن
وهذان البيتان اللذان أوردهما ابن زيدون ، من شعر عروة بن الورد ،
وبعضهم ينسبهما إلى الأعشى ، والغربة عندهم في نظير الفقر .
قال شاعر باهلة^(١) :

سأعمل نص العيس حتى يكفني غنى المال يوماً أو غنى الخلد ثان
فلأموت خير من حياة يرى لها على الحر بالافلال وسم هوان^(٢)
متى يتكلم ببلغ حر كلامه وإن لم يقل قالوا عديم بيان
كان الغنى في أهله بُورك الغنى
بغير لسان ، ناطق بلسان
وقلت أنا مضمنا :

تمتع من الأوطان بالظل بالدرى
فلم يلق رفقاً من تجافى رقيقه
ولا تنأ عن أرض ألفت ربوعها فمن يغترب يحسب عدواً صديقه

٩١ - وقوله : عايفٌ بأن الأدب الوطن لا يخشى فراقه ،
والخليط لا يتوقع زيارته .

الخليط : المخلط ، كالتديم والمناديم ، والجليس والمجالس ، وهو واحد
وجمع ، وقد يجمع على خلطاء وخلط . والزَّيَال : مصدر زاياله مُزايلاً وزِيالاً
إذا فارقه .

(١) الكامل للمبرد ١ : ٣١٥ (٢) الكامل : « مس هوان » .

وقوله : « عارف » ، خبر « إن » في قوله : « وإني مع المعرفة بأن الجلاء سياء »
وما يمدّه إلى آخر البيتين . وقوله : « بأن الأدب » إن وأسمها .
وقوله : « الوطن لا يخشى فراقه » ، هذه الجملة من المبتدأ والخبر في موضع
الخبر : لـ « إن » في قوله : « بأن الأدب » كأنه قال : الأدب ألا يخشى فراق الوطن ؛
وهذا كثير في كلامهم .

* * *

٩٢ — وقوله : والنسيب لا يُجنى ، والجمال لا يخفى .

النسيب : ذو النسب . وفي المثل : القريب من تقرب لا من تنسب ،
أى ادعوا أنه نسبك . هذه الجملة كلها معطوفة على قوله : الوطن
لا يخشى فراقه .

وقال المفيرة بن حنباء :

ليس المزيرُ بهن تُنقى تحارمه
ولا الكريمُ بمن يُجنى ويُسقمَرُ

* * *

٩٣ — وقوله : ثم ما قران السعد للكواكب أبهى أثرا ، ولا
أسنى خطرا ، من اقتران غنى النفس به ، وانتظامها نسقا معه .

اقترن الشيء بغيره وقارنته قرانا : صاحبته ، ومنه قران الكواكب ،
والقران أن تجمع بين تمرتين في الأكل .

أبهى ، أفصل من البهاء ، وهو الحسن . والسفا ، ممدود : الرفعة . والشرف .

الْخَطَرُ : رَجُلٌ خَطِيرٌ ، أَيْ لَهُ قَدَرٌ وَخَطَرٌ ، وَقَدْ خَطَرَ ، بَضْمُ الطَّاءِ .
وَالنَّسَقُ مِنَ السَّكَّامِ : مَا جَاءَ عَنْ نِظَامٍ وَاحِدٍ . وَثَفَرَ نَسَقًا ؛ إِذَا كَانَتْ
الْأَسْدَانُ مُسْتَقْوِيَةً .

وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي زَيْدُونَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : « ثُمَّ مَا قَرَأَ السَّمَدُ لَلْكُوَاكِبِ
أَبْهَى أَرَأَى » فَاخُذْ مِنْ قَوْلِ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِيِّ :
وَأَتَمُّ الْأَشْيَاءِ نُورًا وَحُسْنًا بَكَرَ شُكْرٍ زُفَّتْ إِلَى صُهِرٍ بَرٍّ
مَا قَرَأَ السَّمَدَيْنِ فِي الْجَوَّابِي مَنَظَرًا مِنْ قِرَانِ بَرٍّ وَشُكْرِ

٩٤ — وَقَوْلُهُ : فَإِنَّ الْحَازِرَ لَهُمَا ، الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا ، وَقَلِيلٌ
مَا هُمْ .

الْحَازِرُ : اسْمُ فَاعِلٍ ، مِنْ حَازَ يَحْوزُ حَوَازًا وَحِيَازَةً ، وَكُلٌّ مِنْ مَمٍّ شَيْئًا
إِلَى نَفْسِهِ فَقَدْ حَازَهُ .
الضَّارِبُ وَالضَّرِيبُ : الَّذِي يَضْرِبُ بِالْقِدَاحِ الَّتِي يَقْسِمُ بِهَا ، وَهُوَ الْمُوَكَّلُ بِهَا .

٩٥ — وَقَوْلُهُ : أَيْنَمَا تَوَجَّهَ وَرَدَ مِنْهُلَ بَرٍّ ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ
قَبُولِ .

وَرَدَ مِنْهُلَ بَرٍّ ، أَيْ آتَى عَيْنَ إِحْسَانٍ وَخَيْرٍ ؛ لِأَنَّ اللَّيْلَ ضِدُّ الْعُفُوقِ .
وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولِ ، أَيْ نَزَلَ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ يُقْبَلُ عَلَيْهِ ، وَلَا يُدِيرُ عَنْهُ ،
وَقَدْ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

إِذَا صَدِيقٌ نَكَرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعَيِّنِي فِي فِرَاقِهِ الْخَيْلُ^(١)
فِي سَمَةِ الْخَلَاقِينَ مُضْطَرَبٌ وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ :

شَرْقٌ وَغَرْبٌ تَجِدُ مِنْ غَادِرٍ بَدَلًا
فَالْأَرْضُ مِنْ تَرْبَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ شَرَفِ الْقَيَّرَوَانِيِّ :

وَصَيَّرَ الْأَرْضَ دَارًا وَالْوَرَى رَجُلًا
حَتَّى تَرَى مَقِيلًا فِي النَّاسِ مَقْبُولًا
وَمِنْ هَذِهِ لِلْمَادَّةِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِيّ :

وَمَا رُبِعُ الْقَطِيعَةِ لِي بِرَبْعٍ وَلَا نَادِي الْأَذَى مَنَّى بِنَادِي^(٢)
وَقَوْلُ أَبِي الطَّايِبِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَقْدِسِيِّ :

يَا وَاقِفًا بَيْنَ الْفِرَاتِ وَدِجْلَةٍ عَطْشَانٌ يَطْلُبُ شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ
إِنَّ الْبِلَادَ كَثِيرَةً أَنْهَارُهَا وَسَجَابُهَا وَغَزِيرَةُ الْأَنْوَاءِ
مَا اخْتَلَتِ الدُّنْيَاءُ وَلَا عُلِمَ الْمَدَى فِيهَا وَلَا ضَاقَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ
أَرْضٌ بِأَرْضٍ وَالَّذِي خَنَقَ الْوَرَى قَدْ قَسَمَ الْأَرْزَاقَ فِي الْأَحْيَاءِ
وَقَالَ الشَّرِيفُ الرَّضَوِيُّ :

مَالِي لَا أَرْغَبُ عَنْ مَنْزِلٍ يُكْثِرُ فِيهِ الدَّهْرُ حُسَاذِي^(٣)

(١) ديوانه ٣ : ٢١١ ، ٢١٢ .

(٢) ديوانه ٨٠ .

(٣) ديوانه ٢٢٩ ، وروايته :

مَالِي لَا أَرْغَبُ عَنْ بَلَدٍ تَرُغِبُ فِي كَثْرَةِ حُسَاذِي

حَالِ الرَّزْقِ فِي الْكَرْخِ مَقِيمٌ وَلَا طَوَقُ الْعُلَا فِي جِيدِ بَعْدَادٍ
قَالَ أَيْضًا :

أَبْعَادُ مَالِي فِيكَ نَهْأَةُ شَارِبٍ مِنْ الرَّيْشِ الْآ وَالْخَطْرُ مِزَاجُهَا^(١)
وَقَالَ ابْنُ سَنَاءِ الْمَلَكِ :

لَيْمَ لَا أَهْلًا — بَيْنُ كِبَارِهِمْ وَصِغَارِهِمْ تِيهًا وَكِبَرًا
مَا النَّيْلُ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ وَلَا جَمِيعُ الْأَرْضِ مِصْرًا
كُلَّ هَذَا مَسْتَمَدٌّ مِنْ قَوْلِ ابْنِ أَخِي أَبِي دُلْفِ الْعِجْلِيِّ ، وَهُوَ :

دَعَيْتَنِي أَجُوبُ الْأَرْضَ فِي طَلَبِ الْغَنَى
فَمَا الْكَرْخُ بِالدُّنْيَا ، وَلَا النَّاسُ قَائِمٌ
* * *

٩٦ — وقوله :

وَضُوحِكَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ ، وَأُعْطِيَ حَكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ .
وَقِيلَ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَبِذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ
ضُوحِكَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ ، إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ عَمْرِو بْنِ الْأَثَمِ الْمِنْقَرِيِّ -
وَالَّذِي أَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّهُ :

فَقُلْتُ لَهُ : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَبِذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقٌ^(٢)
وَقَوْلُهُ : « وَضُوحِكَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ » مِنْ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ الْأَثَمِ - وَقِيلَ

(٢) الذي في منفليته ٢٣

(١) ديوانه : ١٨٢

فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَبِذَا صَبُوحٌ رَاهِنٌ وَصَدِيقٌ

لحاتم الطائي :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله
ويخصب عيدي والزمان جديب
وما لخصب للأضياف أن تكثر القرى
ولكنما وجه الكريم خصيب
كانوا يمدون تلقى الأضياف بالبشر وتهلل الوجه وإظهار السرور به
من كمال مروءتهم ، ولهذا قال :
بشاشة وجه المرء خير من القرى
فكيف إذا أهدى القرى وهو ضاحك !

وقال الفرزي :

يا بنت من بقرى الضيوف تبسمي
إن التبسم من قرى الأضياف

وقال أبو تمام الطائي :

فتطلق مع المنايا إن البش
مر في أكثر الأمور بشير^(١)
إنما البشر روضة فإذا كا
ن ببدل فروضة وغدير

وقال أبو الأسود :

إذا ما أتاه السائلون توقدت
عليه مصابيح الطلاق والبشر

وقال أبو تمام الطائي :

يعطى عطاء المحسن الخليل الندي
عفواً ويعتذر اعتذار المذنب^(٢)

ومرّحَب بالزّاثرين وبِشرُهُ يُعْنِيكَ عن أَهْلِ لَدِيهِ وَمَرَّحَبٍ
وقال أيضا :

إِذَا أُمَّتْهُ الْعَافُونَ أَلْفَوْا حِيَاضَهُ وِلَاءٌ وَأَلْفَوْا رَوْضَهُ غَيْرَ مُجْدِبٍ ^(١)
إِذَا قَالَ أَهْلًا مَرَّحَبًا نَبَعَتْ لَهُمْ مِيَاهُ النَّدَى مِنْ تَحْتِ أَهْلِ وَمَرَّحَبٍ
وقد صمّنتُ أنا صدرَ ذلك البيتِ في المجون ، قلت :

وجاريةٌ تُلهي النَّدِيمَ إِذَا عَلَا عَلَيْهَا بِطُولِ الدَّهْرِ فِي حَالٍ فَعَلِهِ
تَقُولُ كَذَا لِي عَادَةً مُسْتَمِرَّةً أَضْحِكَ ضَيْفِي قَبْلَ أَنْزَالِ رَحْلِهِ
وقوله : « وَأُعْطِيَ حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ » ، كانت العرب تقول : نَزَلْنَا
على فلان ، فَجَعَلْنَا حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ .

وقال ابن القبطريّة في رُقْمَةٍ كَتَبَهَا :

يَحِقُّ لِي أَنْ أَذْهَبَ شَطَطًا ، وَأَنْكَلَمَ مَنَبَسَيطًا ، وَأَبِينْ غَرْضِي كُلَّهُ وَمَذْهَبِي ،
وَأَتَحَكَّمْ عَلَى مَكَارِمِكَ تَحَكُّمَ الصَّبِيِّ ، وَأَبْلُغْ بِكَ كُلَّ أَمَلٍ وَأَرْبَ ، وَأَمْلَأْ
دُلُوبِي مِنْ جَاهِكَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ ^(٢) .

وكان أبو سُفْيَانٍ إِذَا نَزَلَ بِهِ جَارٌ قَالَ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَنِي
جَارًا ؛ وَاخْتَرْتُ دَارِي دَارًا ، فَحَفَايَا يَدِكَ عَلَى مَنْ دُونِكَ ، وَإِنْ جَنَّتْ عَلَيْكَ
يَدُ فَاحْتَكِمْ حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ .

قل الشاعر :

وَلَا تَحَكَّمْنَا حُكْمَ الصَّبِيِّ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ عَلَى ظَهْرِ الصَّدِيقِ بَجَاهِلُهُ

(٢) الكرْب : الحبل الذي شد على الدلو .

(١) ديوانه ٢٤ .

وقال أبو تمام الطائي :

ظِلَّ عُمَاةٌ يَحِبُّ زَائِرَهُ حَبَّ الْكَبِيرِ الصَّغِيرِ مِنْ وَلَدِهِ ^(١)
إِذَا أَنَاخُوا بِبَابِهِ أَخَذُوا حَقَّهُمْ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ

وقال أبو فراس :

وَنَفَقْدَى الْكُومَ أَشْتَاتًا مَرُوعَةً لَا نَأْمَنُ الدَّهْرَ إِلَّا مِنْ أَعَادِنَا ^(٢)
وَيَصْبِحُ الضَّيْفُ أَوْلَانَا بِمَفْزِلِنَا نَرْضَى بِذَلِكَ وَيُمِضِي حُكْمَهُ فِينَا

وقال شاعرُ الحماسة :

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحِلِّ ^(٣)
فَمَا زَالَ بِي إِحْسَانُهُمْ وَجَمِيلُهُمْ وَإِلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسَبْتُهُمْ أَهْلِي

أَخَذَهُ الْقَمَاضِي الرَّشِيدُ بْنُ الزَّيْبِرِ فَقَالَ :

فَلَمَّا نَزَلْنَا فِي ظِلَالِ بُيُوتِهِمْ أُمِنَّا وَنَلْنَا الْخِصْبَ فِي زَمَنِ مَحِلِّ
وَلَوْلَا يَزِيدُ إِحْسَانُهُمْ وَجَمِيلُهُمْ عَلَى الْبِرِّ مِنْ أَهْلِي حَسَبْتُهُمْ أَهْلِي

وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً الشَّيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ الْحَلِّي :

وَكَيْفَ بِعَادِيٍّ مِنْ مَعَانٍ أَلْفَتْهَا وَأَفْنَيْتُ عُمَرِي بَيْنَهَا وَشَبَابِيَا
وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ مُجَاوِرًا مُلُوكَ الْبَرَايَا وَالْبُحُورَ الطَّوَامِيَا
أَصِيفُ وَأَشْتُو بَيْنَهُمْ فَكَأَنَّنِي نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَا

(١) ديوانه ٩٢ (٢) ديوانه ٣٩٥ .

(٣) ليكثير بن الأخنس ، وهما في ديوان الحماسة - بشرح الرزوقي ٣٠٣ .

٩٧ - وقوله : غيرَ أَنَّ الوطنَ محبوبٌ ، والمنشأ مألوف .

أخذَ الآنَ في نقضِ ماقرَّرَ من أَنَّهُ الأدبُ ، ألاَّ يَخْشَى من فراقِ الوطنِ ، وما عُطِفَ عليه من تلكَ الجُمَلِ ، فقال : غيرَ أَنَّ الوطنَ محبوبٌ ، لِما طُبِعَتِ النفسُ عليه . وقد جاء في الحديث : « حُبُّ الوطنِ من الإيمان » .

وتأوَّلَهُ بعضُ العارفينَ بأنَّ قال : المرادُ بذلكَ حُبُّ النفسِ وَطَنِها الأوَّلِ وعالمِها القديمِ من الإيمانِ ، فأخْرَجَهُ بذلكَ عن المعنى المتعارفِ به ، وما يُفْهَمُ من ظاهرِهِ .

وقال بعضُ الأدباءِ : كانَ الناسَ يَتَشَوَّقُونَ إلى أوطانِهِمْ ، ولا يَفْهَمُونَ العِلَّةَ في ذلكَ إلى أنْ أوضحَهَا ابنُ الرُّومِيِّ في قصيدته لِسُلَيْمَانَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ ابنِ طاهرٍ يَسْتَعِدُّ بِهِ على رجلٍ من التَّجَّارِ ، يُعْرِفُ بِأَبْنِ أَبِي كَامِلٍ ، أَجْبَرَهُ على بيعِ دارِهِ ، وأَغْتَصَبَهُ بعضَ حُدُودِها ، فقال :

ولى وطنٌ آليتُ أَلَا أبيعُهُ وألَا أَرَى غيرِي له الدَّهْرَ مالِكاً
عَهِدْتُ بِهِ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَبِعَةً كَنَعْمَةٍ قومُ أَصْبَحُوا في ظِلَالِ كَا
وَحَبَّبَ أوطانَ الرِّجالِ إِلَيْهِمْ مَارَبُ قَضَاها الشَّبَابُ هُنَالِكَ
إِذَا ذَكَرُوا أوطانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ عَهْدَ الصَّبَا فِيها فَحَنُّوا لِلدِّلِكََا

وقال أيضاً يَتَشَوَّقُ إلى بَغْداد :

بَلَدٌ صَحِبْتُ بِهِ الشَّبِيبةَ وَالصَّبَا وَابَسْتُ ثوبَ العِيشِ وَهُوَ جَدِيدُ
فَإِذَا تَمَثَّلَ في الضَّمِيرِ رَأْيَتُهُ وَعَلَيْهِ أَغْصَانُ الشَّبَابِ تَمِيدُ
وقال رجاءُ بنُ هارونَ المَكِّيُّ :

أَحْنُ إلى وادِي الأَرَاكِ صَبَابَةً بَعْدَ الصَّبَا فِيهِ وَتَذْكَارِ أَوَّلِي

كَأَنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ فِي جَنَابَتِهِ نَسِيمُ حَمِيمٍ أَوْ لِقَاءِ مُؤَمِّلٍ

وقال أبو سرح: سَمِعَ أَبُو دُفٍّ قَوْلَ الْفَائِلِ :

لَا يَمْنَعُكَ خَفَضُ الْعَيْشِ فِي دَعَةٍ نَزُوعِ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ

تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَحِيرًا بِجِيرَانِ

فقال: هذا الأُمُّ يَتِ قَالَتْهُ الْعَرَبُ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى قَلَّةِ رَعَانِهِ، وَشِدَّةِ قَسَاوَتِهِ، وَحَنِينُ الرَّجُلِ إِلَى وَطَنِهِ إِحْدَى مَنَاقِبِهِ الَّتِي يَمْتَدُّ بِهَا، وَهَذَا مِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى كَرَمِ الطَّيْنَةِ، وَوُفُورِ الْعَقْلِ.

قَالَتِ الْحَكَمَاءُ: حَفِينُ الرَّجُلِ إِلَى وَطَنِهِ مِنْ عِلَامَاتِ رُشْدِهِ.

وقال بُزْرُجُمَهْرُ: مِنْ عِلَامَاتِ الْعَائِلِ بِرُّهُ بِإِخْوَانِهِ، وَحَنِينُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَمُدَارَاتُهُ لِأَهْلِ زَمَانِهِ.

وقال أبو هلالٍ الْمُسْكِرِيُّ:

إِذَا أَنَا لَا أَشْتَاقُ أَرْضَ عَشِيرَتِي فَلَيْسَ مَكَانِي فِي النَّهْيِ بِمَكِينِ
مِنَ الْعَقْلِ أَنْ أَشْتَاقُ أَوَّلَ مَنْزِلِ غَنِيْتُ بِخَفَضٍ فِي ذَرَاهُ وَلَيْنِ
وَرَوْضِ وَعَاءٍ بِالْأَصَانِلِ نَاطِرِي وَعُصْنِ ثَنَاءٍ بِالْفِدَاةِ يَمِينِي
وَإِنِّي لَا أَسَى الْمَهْوَدَ إِذَا أَتَتْ بَنَاتُ النَّوَى دُونَ أَخْلِيطُودُونِي
إِذَا أَنَا لَمْ أَرْعَ الْمَهْوَدَ عَلَى النَّوَى فَلَسْتُ بِمَأْمُونٍ وَلَا بِأَمِينِ

٩٨ - وَقَوْلُهُ: وَاللَّيِّبُ يُحِنُّ إِلَى وَطَنِهِ، حَنِينَ النَّجِيبِ إِلَى

عَطْنِهِ.

الَّيِّبُ، فَعِيلٌ مِنَ اللَّبِّ، وَهُوَ الْعَقْلُ، وَأَوَّلُ الْأَلْبَابِ: أَصْحَابُ الْمَقُولِ.

والْحَيْنُ : الشَّوْقُ وَتَوَقُّانِ النَّفْسِ ، نَقُولُ : حَيْنَ يَحِينُ حَيْنًا فَهُوَ حَائٍ .
والْحَيْنِ : تَرْجِيعُ النَّافَةِ صَوْتِهَا لِثَرٍّ وَأَدِهَا .

والوَطَنُ : حَلَّ الْإِنْسَانِ ، وَأَوْطَنْتُ الْأَرْضَ وَوَصَّمتُهَا تَوْطِينًا ، وَأَسْتَوْطَنْتُهَا ؛
إِذَا اتَّخَذْتَهَا وَطَنًا .

والنَّجِيبُ : الْوَاحِدُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْجَمْعُ النُّجُبُ وَالنَّجَائِبُ . وَالنَّجِيبُ
مِنَ الْإِبِلِ ، هُوَ النَّخْلُ الْكَرِيمُ .

وَالْمَعْنُ وَالْمَعْنُ وَاحِدُ الْأَعْطَانِ وَالْمَعَاظِنِ ، وَهِيَ مَبَارِكُ الْإِبِلِ حَوْلَ الْمَاءِ
لِتَشْرَبَ عَدْلًا بَعْدَ نَهْلٍ ، فَإِذَا رَوَيْتَ رُدَّتْ إِلَى الرَّعْيِ . وَفِي اللَّثَلِ : لَوْلَا
حُبُّ أَوْطَانِ غَرِبَ الْوَطَنُ السَّوَاءُ .

وَفِيهِ أَيْضًا : مَيْلُكَ إِلَى مَوْلِدِكَ ، مِنْ كَرَمٍ تَحْتَدِكُ .

وَيَقَالُ : إِنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَيَوَانِ الطَّائِرِ أَشَدَّ وِفَاءً مِنَ الْفَاخِثَةِ ؛ فَإِنَّهَا إِذَا مَاتَتْ
إِلْفَهَا ؛ لَا تَزَالُ تَنْدُبُهُ ، وَلَا تَأْلُفُ غَيْرَهُ حَتَّى تَمُوتَ . وَمَا أَرْقَ قَوْلُ مُرَّارِ بْنِ
هَبَّاشٍ الطَّائِيِّ :

سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَاً بِأَخْبِيَةِ الْحِمَى وَإِنْ كُنَّ قَدْ أَبْدَيْنَ لِلنَّاسِ مَا بِيَا
مَنَازِلَ لَوْ مَرَّتْ بِهِنَ جَنَازَاتِي

لَقَالَ صَدَائِي : حَامِلِيْ أَنْزِلَا بِيَا

٩٩ - وقوله : والكریم لا یجفو أرضاً فیها قوا بله ، ولا ینسی بلداً فیها مراضه ، قال الأول :

أحبُّ بلادِ الله ما بینَ منجٍ إلىَّ وسلمی أن یصوبَ سحابُها
بلادُ بها عَقَّ الشَّبابُ تماثی وأول أرضٍ مسَّ جِلْدی تراها
وهذان البیتان بشبهان قول الآخر :

ذكرتُ بلادی فاستهلت مدامی لیشوقی إلى عهد الصِّبا للتقادم -
حننتُ إلى أرضٍ بها أخضر شاربی وقطَّع عني قبل حلَّ التَّمام -
وقال ابن میادة :

ألا لیت شعری هل أبینَ لیلۃ بحرۃ لیلی حیثُ رَبَّتَنی أهلی
بلادُ بها نیطتُ علی تماثی وقطَّعن عَقلی حین أدركنی عَقلی
وقال محمد بن غالب الرُّصافی :

بلادی التي ریشَت قویدمتی بها فُرینحاً وآوتنی قرارَها وَكُرا
قیادی لئن التَّیش فی روثِ الصِّبا إلى الله أن أنسی أغتراری بها غِرا
لبسناً بها ثوبَ الشَّباب لباسها ولكنَّ عَربنا من حلاه ولم یعرا
وهذان البیتان اللذان أوردهما ابنُ زیدون رحمه الله تعالى لهما أول ، وهو :
ألم تعلمی یادارَ ملجاء أننی إذا أخصبتُ أو كان خصباً جناًها
وقوله : « والكریم لا یجفو أرضاً فیها قوا بله » . فی الأمثال المضمومة :
لا تجفُ أرضاً بها قوا بلک ، ولا تنسُ بلداً فیها قبا لک .

وقال ابن عُمین :
ولو أننی خیرت فی هذه الدُّر یأ لَمَّا اخترتُ غیر قومی وداری

وقوله : « وَلَا يَنْسَى بِلَدًا فِيهَا مَرَّاضُهُ » الرِّضَاعُ لَهُ حَقٌّ وَذِمَّةٌ تَجِبُ رِعَايَتُهَا . لَمَّا قَدِمَ زُهَيْرُ بْنُ سُرْدٍ الْجُشَمِيُّ السَّعْدِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حَنْينَ وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا سُدِّيتُ مِنَّا عَمَاتُكَ وَخَالَاتُكَ وَحَوَاضَتُكَ اللَّاتِي كَفَلْتَنَاكَ ، وَلَوْ أَنَا مَلَحْنَا ^(١) لِلْحَارِثِ ابْنِ أَبِي شَمِيرٍ أَوْ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، ثُمَّ نَزَلَ مِنَّا أَحَدُهُمَا بِمِثْلِ مَا نَزَلَتْ بِهِ ، رَجَوْنَا فَضْلَهُ وَعَائِدَتَهُ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَكْفُولِينَ ، ثُمَّ أُنْشِدَ :

أَمُنُّ عَلَىمَا — رَسُولَ اللَّهِ — فِي كَرَمِ

فِيكَ الْمَرْءَ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ ^(٢)

أَمُنُّ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ مُشَّتَتْ شَمْلُهَا فِي زَهْرِهَا غَيْرُ
إِذَا أَنْتَ طِفْلٌ لَأَمْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا إِذْ فَوْكَ تَلَوُّهَا مِنْ مَخْضِهَا الدَّرَرُ
لَا تَجْمَلُنَا كَمَنْ شَأَلَتْ نَعَامَتَهُ وَأُسْتَبَقَ مِنَّا فَإِنَّا مَعَشَرُ زُهْرُ
فَالْبَيْسِ الْعَفْوِ مَنْ قَدْ كُنْتَ تُرْضِعُهُ مِنْ أَمَّهَانِكَ ، إِنْ الْعَفْوُ مُشْتَرُ

فِي أَيْمَاتٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا كَانَ لِي وَلِيِّي عَبْدٍ الْمَطْلَبُ فَهُوَ لَكُمْ » ، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ : مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ . وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ سَنَاءٍ الْمُلْكُ :

وَكَمْ حَنٌّ صَبْرِي خَشِيعَةً لِمَتَائِي وَكَمْ مَسَّ جِلْدِي مَسْكَةً ، لَا تَرَاهُ
وَفِي غَرْبِ ذِيكَ الْعُذِيبِ وَبَارِقِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا ثَغْرُهُ وَرِضَابُهُ

❦ ❦ ❦

(١) ملحننا : أرضعنا .

(٢) عيون الأثر ١ : ١٩٦ .

١٠٠ - وقوله : هذا إلى مُغَالَاةٍ بِمَقْدِ جَوَارِكٍ ، وَمُتَنَافَسَتِي
لِلْخُلْطَةِ مِنْ قُرْبِكَ .

الْمُغَالَاةُ ، مُغَالَاةٌ مِنَ الْغُلُوِّ . وَالْمُتَنَافَسَةُ ، مُغَالَاةٌ مِنَ التَّنَافُسِ .

كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي رِعَايَةِ الْجَوَارِ مَا هُوَ أَعْجَبُ الْمَجَبِّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ
الْإِنْسَانَ إِذَا لَمَسَ طَنْبَ طَنْبٍ يَفْتَحُهُ طَنْبٌ يَيْتُ آخَرَ لَزِمَهُ حُرْمَةُ الْجَوَارِ وَالذِّمَّةُ ،
وَإِذَا عُلِقَ لَهُ دَلْوٌ بَدَلُو آخَرَ فِي بئرٍ لَزِمَهُ حُرْمَةُ الْجَوَارِ وَالذِّمَّةُ ، وَإِلَى هَاتَيْنِ
الْفَضِيلَتَيْنِ أَشَارَ أَبُو تَمَّامٍ يُخَاطِبُ ابْنَ الزَّيَّاتِ :

لِي حُرْمَةٌ بِكَ لَوْلَا مَا رَعَيْتَ وَمَا أَوْجَبْتَ مِنْ حَقِّهَا مَا خِلْتُهَا تَجِبُ (١)
بَلَى لَقَدْ سَلَفَتْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ لِلْحَقِّ لَيْسَ كَحَقِّ نَصْرَةٍ عَجَبُ
إِنْ تَمَلَّقَ الدَّلْوُ بِالْأَلْوِ الْقَرِيبَةِ أَوْ
بِلَامِسٍ الطَّنْبُ السُّتَحْمِدِ الطَّنْبُ

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَرَزِّي :

مَا بَعْتُ فَيْكَ أَنْ تُلْقَ حَتَّى زُرْتَهُمْ فَمَلْتُ أَنَّكَ فَوْقَهُمْ مَتِينًا
وَمَخَافَتِي إِلَّا يَكُونُ لِرَغْبَتِي أَنْزَلَ فَأَقْبَى ، لَا هُنَاكَ وَلَا هُنَا
لَا تَرْمَنِي رَنَى الْقَلَامَةِ وَأَزْمِ بِي فِي مَطْلَبِ رَنَى الْجَارِ إِلَى مِيقَى
إِنِّي أَهْوِذُ بِمَا حَوَيْتَ مِنَ الْمَلَا مِنْ أَنْ يَجْرُبَ فِي رَأْيِكَ مَا بَقِيَ

١٠١ - وقوله : وأعتقادي أَنَّ الطَّمْعَ في غَيْرِكَ طَبَعٌ ، وَالغِنَى مِنْ سِوَاكَ هَنَاءٌ .

الطَّمْعُ بتحريك الباء : الدَّنَسُ . والقَنَاءُ بالمد : التَّعَبُ ، وفي المَثَل : رَبَّ طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ ، قال الشاعر :
لا خَيْرَ في طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ وَغُنَّةٌ مِنْ قَوَامِ الْقَيْشِ تَكْنِيهِ (١)
الغُنَّةُ : القوت ، وأصلها الفأرة ، سُمِّيَتْ بذلك لأنها قوتُ السَّنُورِ ، وهي بالثَّوْنِ الممَجَّةِ والقَنَاءِ . ويجوز أن تكون بالعين المهملة ، وهو تصحيف حَسَنٌ وأَلِيقٌ بالبيت ، لأنَّ الغُنَّةَ والغَفَاةَ بالضمَّ فيهما : بقية اللَّبَنِ في الضَّرْعِ .
قال الأعشى :

ماتمادي عنه النهار ولا يمـ جوه إلّا عفاة أو فواق (٢)

وقوله : «واعتقادي أَنَّ الطَّمْعَ في غَيْرِكَ طَبَعٌ» . هذا بِمُدَّةٍ بعضُ أربابِ التَّدْبِيعِ مِنَ الْجِنَاسِ الْمُطْمَعِ ، وهو مَتَى فَرَّغَ مِنْ رُكْنِهِ الْأَوَّلِ وَابْتَدَأَ بِالثَّانِي أَطْمَعَ السَّامِعَ أَنَّهُ موافقٌ لحروفِ الْأَوَّلِ ، فإذا كَمَلُ الرُّكْنَ الثَّانِي خَالَفَ الْأَوَّلَ ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ ﴾ (٣) ، وكقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ائْتَلِمْ مَعْقُودَ بَنَوِاصِيهَا ائْتَلِمْ » .

وهذا النَّوعُ مِنْ أَعْلَى هَذَا الْجِنَاسِ . ودونه أنْ يُخَالَفَ الرُّكْنُ الثَّانِي الْأَوَّلَ بِحَرْفٍ فِي وَسْطِهِ ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ وإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ

(١) البيت في اللسان (غنفة) من غير نسبة .

(٢) ديوانه ٧١١ . تمادي : تنبأه . تعجوه : تؤخ . رضاعته . الفراق : ما بين الحلبتين

من الوقت . (٣) سورة النساء ٨٣ .

لشديد»^(١) . وكقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَأْمُرُونَ عَنْهُ ﴾^(٢) .

وقوله : « الطَّمَعُ فِي غَيْرِ - الطَّع » من هذا القسم .

ومن مادة قول ابن زيدون قول الأول :

وَإِنِّي وَتَرَكِي الْأَكْرَمِيَّةَ وَقَدْ حَيَّ بِكَ زَنْدًا شَحَاخَا
كَتَارِكَةٍ بَيْضَهَا بِالْهَرَا وَمُنَاحِقَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَفَاخَا
وقال ابن حَيَّوس :

وَمَا أَنَا ثَاوٍ فِي جَنَابِكَ لَمْ أَمِلْ إِلَى أَمَلٍ يُنْحَى وَلَا مِنَّةٌ تُنْذَى^(٣)
يَمَافُ وَرُودَ الطَّرْقِ مَنْ وَجَدَ الْحَيَا
وَيَأْنِي الرُّضَا بِالرَّشْحِ مِنْ جَاوِرِ الْعِدَا؟^(٤)

وقال أبو هلال المسكري :

كَأَنِّي إِذَا أُمْسَكْتُ مَمْلَكَةً بِمَرْوَةٍ أَخَذْتُ بِأَهْدَابِ الْغُيُومِ السَّوَاكِبِ
وقال أبو الطيب المتنبي :

وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يَرُدُّ
مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَابِ يَظْلَمُ^(٥)

* * *

(١) سورة العاديات ٧ و ٨ . (٢) سورة الأنعام ٢٦ .
(٣) ديوانه ١٤٠ (٤) والطرق : الماء الذي خوضته الإبل . والحيا : المطر .
والرشيع : تحاب الماء . والعد : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع .
(٥) ديوانه ٤ : ١٣٩ .

١٠٢ - وقوله : كل الصيد في جوف القرا

القرا حمار الوحش ، وأصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرثما ، والآخر طنيا ، والثالث حمار وحش ، فاستبشر صاحب الأرثم وصاحب الطني بما نالا ، ونطاولا^(١) عليه ، فقال الثالث : « كل الصيد في جوف القرا » ، أي هذا الذي رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندك ، وذلك أنه ليس مما يصيده [الناس] ^(٢) أعظم من حمار الوحش . وقد تأثف الرب صلى الله عليه وسلم أنا سفيان بهذا القول حين استأذن علي بن أبي طالب عليه وسلم فحججه قليلا ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : « كدت نأذن لحجارة الجلمهتين » . قال أبو سفيان : الصواب « الجلمهتين » وهما جابتا الوادي ، فقال عليه السلام : « يا أبا سفيان ، أنت كافي ؛ كل الصيد في جوف القرا » ، بتألفه على الإسلام . وقال أبو العباس : معناه إذا حببتك فضع كل محبوب ؛ يضرب لمن يفضل على أقرانه .^(٣)

وقال العميد أبو بكر علي بن الحسين القيساني :

أنا قبضت^(٤) عبوديتك عند عن غيري ، فكل الصيد في جوف القرا

وقال صاحب شرف الدين بن عثيمين :

نسحت خلائته الكريمه ما أ

في الكتب عن كثير من الملوك وفيهضرا^(٥)

لا تسمع حديث ملاك بهـ

يرأوى ، فكل الصيد في جوف القرا

(٢) كلمة من ط

(٣) ط : « قبضت » .

(١) م ، ط : ونطاولا .

(٣) المبدئي ٢ : ١٣٦ .

(٥) ديوان ٦ .

وقال أبو إسحاق الفزري :

لا تسأن سيوى السعدي ٩١
سبياً ، فكل الصيد في جوف الفراء
وقال ابن المعلم :

طوى الورى شعري عني وانثنى يقول كل الصيد في جوف الفراء
وقال أحمد بن حسن المتصوف الدؤيني :

لو كان ظلم الشيب ظلماً يتقى لرجوت لأمجدوى الوزير الأكبيرا
لأنى اكتفيت من الورى بلفائه إذ كان كل الصيد في جوف الفراء

وقال أبو الحسين الجزاري مدح كمال الدين بن القديم :

وطالما حدثت نفسي بالنفى منك وما كان حديثاً يفتري
ولست أختار كريماً بعدها عنك ؛ وكل الصيد في جوف الفراء

وذكرت هنا ما أنشدني لنفسه الشيخ صفى الدين الحلى رحمه الله فى
حليح لابسى شمل فروة .

بصروا بفروك فازدروك لحالة أضاعى هام معروف حُسنك مُنكرًا
كل أدار الطرف عنك مُحاولاً صيداً ، وكل الصيد فى جوف الفراء

وكنت أنشدته لبعض الناصى فأسكركه ، وقال : الفراء حار الوخش
— بفتح الفاء — وكلام الصفى لا تصح معه التورية إلا بكسر الفاء ؛ فقلت :

الفراء مفتوح الباء ، مقصور مَمَموز — هو الحار الوخشى ، ويجمع على
فراء مَمَمود ، مكسور الفاء ، كجبل وجبال .

قال الشاعر (١)

(١) البيت لما كان فى زغبة ، وبقية :

• بِضَرْبِ كَاذَانَ الْفِرَاءِ فَضُولَهُ •

* * *

١٠٣ - وقوله : والبدل منك أعور ، والمعوض كفاء .

وإذا نظرتُ إلى أميرى زادنى
صنناً به نظرى إلى الأمـــــراء

بدلُ أعور، أصلُ هذا التمثيل أن يزيدَ بن الملهب لما صُرفَ عن خراسان
بمُتَبِّعَةِ بن مُسلم الباهلي - وكان شحيجاً وشيخاً أعور - قال الناس : هذا بدلُ
أعور ، فصار مثلاً لكل من لا يُرتقى به بدلاً من الذهاب ، وفي ذلك
يقول الشاعر :

كانت خراسانُ أرضاً إذ يزيدُ بها
وكلُّ بابٍ من الخيراتِ مَفْشُوحٌ (٧)
حقُّ أتاننا أبو حنـفـةٍ يصـيـبُ بامرئته
كأنما وجهه بانخللَ منفضـــــوح

واللفاء : الشيء الخسيس ، يقال : فلان رضى من الوفاء باللفاء ، أى عن حقه
الوافر بالقليل الخفير .

ومن مقاماتِ الحريرى : أرضى من الوفاء باللماء وأفقع من الجزاء

• وطن كيايزاغ الخاض تبورُها •

(٧) الشمر والنخل في الميدان ١ : ٩٠ .

بِأَفْأَلِ الْأَجْزَاءِ ، وَلَا أَنْظَلِمُ حِينَ أَنْظَمَ ، وَلَا أَسْمُ وَلَا لَدَغْنِي الْأَرْقَمُ ^(١) .
وَالْأَصْلُ فِي هَذَا قَوْضُمْ فِي الْمَثَلِ : أَعْطَانِي الْمَاءَ ، يَضْرِبُ لِمَنْ يَجْعَلُكَ
حَقِّكَ ، وَيُظْلِمُكَ فِيهِ .

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

وَمَا لَا قَنِي ————— بِمَدِّكُمْ
وَلَا اعْتَصَفْتُ مِنْ رَبِّ نَعَامِي رَبِّ ^(٢)
وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ مَدَّ الْجَوَا
دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْمَنْبِ ^(٣)

وَقَالَ ابْنُ خَيْثُوسَ :

وَمَا الْمَرَّةُ إِلَّا مِنْ بَضْنٍ بِنَفْسِهِ إِيَاءَ وَلَا يَرْضَى مِنَ الْعَرِّ بِالْقَا
وَمَنْ لَا يَمِيفُ الطَّيْرُ إِنْ سَفَحَتْ لَهُ وَإِنْ خَالَطَ الْمَاءَ أَمَقَانًا تَعَيِّفًا
بِهِ يَحْسِرُ بِأَمْعِ الْعَرِّ بِالْمَعْنَى وَأَحْسَرُ مِنْهُ مُشْتَرَى الْمَدْرِ بِالْوَفَا
وَهَذَا الْبَيْتُ الَّذِي أوردَهُ ابْنُ رَيْدُونٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، هُوَ لِمَدَى بْنِ
الرَّقَاعِ ، وَبَعْدَهُ .

بَلْ مَا لَا يَبْتَهِلُ أَرْضٌ تَسْتَوِي
فَمَا غَشِيَتْ وَلَا نَجْوَمَ سَمَاءِ ^(٤)

(٢) المقامة الرابعة من ٢٤ . والأرقم : الشبان .

(١) ديوانه ١ : ٩٨ . وما لا قني ، أي ما أمتنى .

(٢) المنب من الثور : ما قلبي تحت حنك .

(٣) ديوانه ٣٩٢ .

(٤) النمر والشمر ٦٠٣ ، والذي بعده هناك :

تَسْمُو الْمَيُونُ إِلَيْهِ حِينَ يَرَوْنَهُ كَالْبَدْرِ فَرَجَ بِهِمَةَ الظَّلَامِ
وَالْأَصْلُ يَنْبْتُ فَرْعُهُ مَقَانِلًا وَالْكَفُّ لَيْسَ بِهَا بِسَوَاءٍ

كَالْعُومِ مِنْهُ وَابِلٌ مُتَّبِعٌ بِسُحُوبٍ (١)
 عَدَّتْ وَآخِرُ لَا يَجُودُ بِمَاءٍ (٢)
 وَالْحَرْ يُورِثُ تَحْتَهُ أَبْنَاءَهُ (٣)
 وَيَمُوتُ آخِرُ وَهُوَ فِي الْأَحْيَاءِ
 * * *

١٠٤ — وقوله: وفي كلِّ شجرٍ نارٌ، واستمعجد المَرِّحُ والعَفَّارُ
 استمعجد استعمل، من الجحد.

والمَرِّحُ، بالراء الساكنة والحاء المعجمة: شجر مَرِّيعٌ أوَرَى. والعَفَّارُ
 بالعين المهملة والغاء وبعده الألف راء: ضربٌ من الشجر كثيرُ النار.
 والمَرِّحُ الزَّئِدَةُ، والعَفَّارُ هو الزَّئِدُ الأعلى، وإداحك الأعلى بالأشفل خرج
 منها النار، قال السكيت:

إِذَا الْمَرِّحُ لَمْ يُورِ تَحْتَ الْعَفَّارِ رَضْنٌ يَفْدَحُ فَلَمْ يُعْقِبِ (٤)
 وقال أبو زيد: ليس في الشجر كله أوَرَى ناراً من المَرِّحِ، وربما
 كان المَرِّحُ متجمعاً ملتصقاً، وهَبَّتْ الرِّيحُ فاحترقَ بِهِمُوهُ بِمَضٍ، فأوَرَى النَّارُ
 واحترقَ كله، ولم يُرِ ذلك في سائر الشجر.
 قال الأعشى:

زِنَادُكَ خَيْرُ زِنَادِ الْمَسْلُوكِ خَالِطُ فَيَهِنٍ مَرِّحٍ عَفَّاراً (٥)

وَالْقَوْمُ أَشْبَاهُ وَبَيْنَ حُلُومِهِمْ بَوْنٌ، كَذَلِكَ تَفَاضُلُ الْأَشْيَاءِ

(١) في النهر والشعراء: «والبرق منه وابل».

(٢) في الشعر والشعراء: «ود وآخراً ما يفيض بماء».

(٣) النهر والشعراء: «والمرء».

(٤) الأسار - سرخ، من غير نسبة.

(٥) ديوانه ٥٣

ولو ربتَ تقدَح في ظلمة حصاة بنبع لأوربتَ ناراً
ومعنى «استمجد المرخ والقمار» ، أن كلَّ شجر أخذ منه عودان وحكاً ،
خَرَجَ منهما نار ، ولكن تقدَد بالجد في هذا الشأن للارنخ والقمار . وقال
أبو القاسم علي بن جلاب :

ولا تحسبن كلَّ عودٍ يريه لك ما أنتَ مُورٍ من القدَحِ ناراً
فما كلُّ وحشٍ يري ضيفمًا ولا كلُّ عودٍ يُسمي عفاراً



١٠٥ — وقوله : فما هذه البراءة ممن يتولاك ، والميلُ عمن
لا يميلُ عنك !

البراءة : مصدر من برى من الدين والتب ، يبرأ براءة .
ويتولاك ؛ فعل مضارع من تولا ، أى صار وليه ، والميل ضد المدول .
وما أحسن قول علي بن أحمد الجوهري :

وأقسم لو رويت سيفاً من دمي لأودق بالود الصريح وأثمراً
فكم مذبر بالود تلقاه مقبلاً وكم مقبل بالود تلقاه مذبراً
وما أحسن قول السراج الوراق :

ومفهم عني يميل ولم يميل يوماً إلى ، فصحتُ من ألم الجوى :
لم لا تميلُ إلى يا غصن النقا فأجاب : كيف وأنت من جهة الهوى !
وقال آخر :

أقول له : علام تنيه عجباً على ضغني ولي قلب سقيم ؟
فقال : تقول عني : في ميل فقلت له : كذا تفل اللسيم

وقلتُ أنا في هذا المعنى ، وهو من قديم نظمي ^(١) :

كَلَامُ الْعِذَا رِيحٌ إِذَا مَا سَمِعْتُهُ أَقُولُ : وَكَمْ مَالَتْ مَعَ الرِّيحِ أَغْصَانُ

وقريبٌ من هذه المادّة قولِي أيضا :

أَقُولُ يَا غُصْنُ ، هَلَّا مِلْتُ نَحْوَ قَتِي فُؤَادُهُ طَارَ حَتَّى لَيْسَ بَالِقُهُ

فَقَالَ : مَنْ قَالَ قَدِّي مِثْلَ غُصْنٍ نَقَا قَلْتُ الدَّسِيمَ الَّذِي مَازَالَ يَمِطُّهُ

وقلتُ أيضا :

لَمَّا تَدَنَّنِي ثَمِلًا قَلْتُ لَا تَمِلْ فَبِهَذَا الثَّمِيلُ مَقْبُولُ

وَأَنْتَ تَدْرِي أَنَّ قَوْلَ الصَّبَا فِي حَرَكَاتِ الْغُصْنِ مَقْبُولُ

وقلتُ أيضا :

قَالَ لِي لَا تَفْهُ بِمَيْلِ قَوَامِي إِنْ تَدَنَّنِي وَاسْتَرْهَ خَوْفَ الْعُمُومِ

قَلْتُ قُلْ لِلصَّبَا الَّتِي قَدْ أَسَاءَتْ عَنْكَ هَذَا الْحَدِيثَ بَيْنَ الْغُصُونِ

* * *

١٠٦ - وقوله : وهلاّ كان هواءك فيمن هواءُ فيك ، ورضاك

لِمَنْ رِضَاهُ لَكَ !

هلاّ كلمةٌ تحضيض . والهوى : مَيْلُ النُّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ إِذَا كَانَ مَقْصُورًا .

والهواء ، ممدود : الرِّيحُ الَّتِي تَمُوجُ فِي الْبَحْرِ . وما أحسن قول أبي إسحاق :

إِذَا جَاسَتْ الرِّيحُ الْبَلِيلُ دِيَارَكُمْ وَصِحْتُ فُسْطُ النَّازِحِ الْبَرَحَاءِ

فَكُلَّ هَوَاءٍ يَسْتَنْبِرُ الْجَوَى هَوَى وَكُلُّ هَوَى يَشْفِي النُّفُوسَ هَوَاءُ

ومن السعادة والتوفيق أن يكون هوى الإنسان فيمن هواء فيه ، ورضاه

لِمَنْ رِضَاهُ لَهُ ، ومن الشقاوة والحِرمان عكس القضية .

(١) ط : ه من شعري القديم .

وقال الحجاج يوماً لرجل من الخوارج : والله إنني لأبغضكم ؛ فقال :
أدخل الله أشدنا نفصنا لصاحبه الجنة . وقال :

لا تطعموا أن تهيموا ونكرمكم وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا
كل له رية في نفس صاحبه بنعمة الله تعالىكم وتقولونا
وقال الشريف الرضي :

يا قلبُ ليك حين لم تدع الهوى علفت مثل هواك من يهواك^(١)
لا بل شجيت بمن بيت مسلما خال الضلوع ولا بحسن شجاكا
يا ليت شئلك بالأسى أعدائهم أولاً ، فليت فراغهم أعداكا
أهوى وذلك في الهوى وطاعة أبداً ، تمالي الله ما أشقاكا !

وقال شرف الدين شيخ التيوخ بحمادة رحمه الله :

ومفرج فبح سلوانه حياء تهواه ويهواها
عاقبها مرثعاً نقرها يبيكي فحلته وحلاها

قلت : الأول من الخلوة ، أي ريقها حلوة ، والثاني من الخيل ، أي ومعه
عقيق أو مرخان أو ياقوت آخر .

وقال أبو التماهية :

الره ما لم ترره لك مكرم فإننا أودريت له تهون عليهِ
وكا يكون لذبك سن عاشرته فكذلك فارض بأن تكون لديه

١٠٧ - وقوله :

يا من يميز علينا أن نقار قوم وجدنا كل شيء بعدكم عدم

هذا البيت من قصيدة^(١) لأبي الطيب أوتها :

واحرَّ قلباه تمن قلبه شيمٌ ومن بحسني وحالي عنده سقمٌ
وكان سيف الدولة بن حمدان إذا تأخرت عنه مدائح أبي الطيب ،
تمنَّ ذلك عليه وأقامه ، وأكثر معانيته إذا حضر ، وتقدم إلى من يحضرته
بالتعريض بالأمكروه ، وخاطبته بما لا يحسن ، فكبر ذلك على أبي الطيب ،
وآلمته غاية الإيلام ، فأشدته هذه القصيدة يحضر من العرب والعجم ،
وكان سبب الوحشة بينهما وفساد الحال . وبعد البيت الذي أورده
ابن زبذبون :

ما كان أخلقنا منكم بتكرمي لو أن أمركم من أمرنا أممٌ
إن كان ممركم ما قال حاسدنا فما ملجرح إذا أرضاكم ألمٌ
ومنها قوله :

با أعداء الناس إلا في ممانتي
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظراتٍ منك صادقة
أن تحسب الشعم فيمن شحمه ورم
وما اتصاع أحي الدنيا بساخره

إذا استوت عنده الأنوار والظلم
ولم أورد هذه الأبيات إلا لأنها يليق بهذه الرسالة أن تدرج في أمثالها ،
وتنحصرط في سلكها .

وما أحسنُ ما أنشدَنيهِ لنفسهِ إجازةُ الشيخِ العلامةِ شهابِ الدِّينِ
أبو النَّشاءِ محمودِ صاحبِ ديوانِ الإنشاءِ بالشَّامِ :

قلِّ للَّذينَ رَجَونا والأُمُورُ لها
حُكْمٌ بَأَنا سَنَحَقُّ أن نَرافِقَهُمُ

أَوْحَشْتُمونا وَعَزَّ الصَّبْرُ بِمَدَّكُمْ
يا مَنْ يَقْرَأ عَلَيْنَا أن نَفارِقَهُمُ !



١٠٨ - وقوله : أعيدك ونفسي أن أشتيم خلباً ، أو أمدم مطر
جهاًما .

شام البرق ، إذا زار إلى سحابته أين تمطر .
والخلب : البرق الذي لا غيث معه كأنه خادع .
والجهام : السحاب الذي لاماء فيه .

وفد بشار بن بُردٍ على خالد بن برمك وهو بفارس ، فدحاه ، فوعده
ومطله ، فوقف على طريقه يوماً وأخذ بلجام بقلته ، وأنشد في الحال :
أطلت علينا منك يوماً سحابةً أضاءت لنا برقاً ، وأبطل رشاشها
فلا غيثها يُجلى فيميش طامعٌ ولا غيثها يهيم فيروى عطاشها
وقال المفيرة بن حنباء :

أراني إذا استمطرنتُ منك سحابةً لتُمطرني عادت عجاجاً وساقياً
وأذابت دلوِي في دلاء كثيرةٍ فأبْن ملاء غير دلوِي كاهياً
وقال عمرو بن ميمون يكره :

لا تُهني بهد إكرامك لي فشديد عادةً مقتزعة
لا يكن برقك برقاً خلباً إن خير البرق ما القيث ممة
وما أحسن قول الحسين بن الفضل : وقد تقدّم :

أنا في ذمة السحاب وأظمي ! إن هذا لوصمة في السحاب (١)

وقال شَرْفُ الدِّينِ بنِ عَنِينَ :

بَا كَمَبَةِ النَّضْلِ الَّذِي نَادَيْتُهُ بِالطَّحْجِ أَفَدَمَنِي إِلَيْهَا مُحَرِّمًا
مَا كَانَ بَرُّقُكَ خَلْبًا إِذْ شِئْتُهُ فَعَلَامَ بَيْتٍ وَقَدْ هَمَى أَشْكُو الطَّمَا

وقال أَبُو الطَّائِبِ :

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَاسْكُنِي أَعُودُهُ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحْبُوبٍ (١)

وقال ابنُ الْمَعْلَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَأَنْتَ دَعَوْتَ فَكُنْ مُجِيبًا إِنِّي بِكَ عَائِذٌ مِنْ خَيْفَةِ الرَّدِّودِ

وقال السَّراجُ الْوَرَّاقُ - وَمِنْ خُطَّةٍ نَقَلْتُ :

مَضَى النَّاسُ الَّذِينَ عَمِدَتْ قَدِيمًا وَقَدِيمًا قِيلَ إِنَّ الدَّهْرَ قَلْبٌ
فَلَا يَحْلُبُكَ بَشَرٌ مِنْ وَجْهِهِ فَكَمْ بَرَقَ بِرُّوْفُكَ وَهُوَ خُلْتُ

وقال ابنُ حَبُوسَ :

رَأَمُوا الْمَوَدَّاتِ مِنْ أَعْدَى عِلَاتِهِمْ وَذَلِكَ رَأَى إِلَى غَيْرِ الصَّوَابِ صَبَا (٢)
وَفَارَقُوا عَارِضًا عَمَّتْ مَوَاطِرُهُ وَيَمْمُوا أَلَمَعَ بَرَقِي طَالَمَا كَذَبَا
كَطَارِدِ إِبْلَهَ وَالْأَرْضِ مُخْصَبَةٌ يَبْغِي سِيْلَانًا يَرْجَى الْفَيْثَ وَالْمُسْبَا



١٠٩ — وقوله : وأكرم غير مكرم ، وأشكوشكوى الجريح
إلى العقبان والرخم .

هذا عجز بيت لأبي الطيّب ، صدره :

* ولا نذك إلى خلق فنشئهم *

وهذا من قصيدته ^(١) التي أولها :

حَتَّامَ نَحْنُ نَسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلَمِ وما سُرَّاءُ على ساني ولا قَدَمِ

قال أبو الطيّب هذه القصيدة عند قدومه من بغداد إلى الكوفة ،
ويذكر مسيره من مصر إلى العراق . وقبل البيت الذي أورده عجزه
ابن زيدون :

هَوْنٌ عَلَى مَنَظَرٍ مَاشَقٍّ مَنَظَرُهُ فَإِنَّا يَمَظَاتُ التَّيْنَ كَالْحَلَمِ

وبمده :

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتَرْهُ وَلَا يَغْرُكَ مِنْهُمْ تَغَرُّ مُبْتَسِمِ
غَاضٍ الْوَقَاهُ فَمَا تَلْتَاهُ فِي أَحَدٍ وَأَعُوذُ الصَّدْقَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقَسَمِ
وقوله : « وأكرم غير مكرم » هو مأخوذ من قول زهير بن أبي سلمى :
وَمَنْ يَفْتَرِبُ يَغْضِبُ عَدُوًّا صَدِيقُهُ وَمَنْ لَا يَكْرُمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمِ
وهذا البيت من قصيدته الماتمة ^(٢) ، وأولها :

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحُومَانِقِ الدَّرَاجِ فَلَمْ تَمَلِّمْ

(٢) ديوانه ١ : ٤ — ٣٢٠

(١) ديوانه ٤ : ٥٥١ — ١٦٣

وفي هذه القصيدة أبيات حكم ، وهي :

ومن لم يُصانع في أمورٍ كثيرةٍ يُضرر من أنيابٍ وُوطاً يذمهم
ومن يك ذا فضلٍ فيبخل بفضله على قومه يُسقن عنه ويذممهم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يقره ومن لا يثق الشتم يُشتهم
ومن لم لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن هاب أسباب المأيا يفلته ولو رام أسباب السماء بسلم
ومن يفض أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي ركب كل لهدم
ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه إلى مطمئن البر لا يجمعهم

ومن يقترب بحسب عدوا صديقه البيت ، وبعده :

ومهما تكن عند امرئ من خليفة وإن خالما تخفى على الناس تعلم
ومن لا يزك يستعمل الناس نفسه ولم يفيها يوماً من الدهر يُسأم

هذا الذي ظهر لي من قول ابن زيدون ، ويحتمل أنه أراد : كدمت
غير مكدم . الكدم : المعض ، والمكدم موضع المعض ؛ يضرب لمن يطلب
شيئاً في غير مطلبه .

١١٠ - وقوله : فإبست بك إلا لتدر ، وحررت لك

الحوار إلا لتحن

الإبساس عند الحلب أن تقول للناقة الحلوب : «يس يس» وهو صوت
الراعي يسكن به الناقة عند الحلب . وفاقه بسوس ، إذا كانت لا تدرك
على الإبساس .

وقال أبو عبيدة : بَسَّتْ الإِبِلُ وَأَبَسَّتْ ، كُتَان . وفي المثل :
 الإبناس قبل الإبناس . الإبناس من الأنس وهو ضد الوَحْشَةِ ، والإبناس
 الرَفَقُ بالثَّاقَةِ عند الحَلَبِ ، وهو أن يقول : بَسَّ بَسَّ ؛ قال الشاعر :
 ولقد رَفُتُ فما حَظِيَتْ بِطَائِلٍ لَا يَنْفَعُ الإِبْنَانُ بِالْإِبْنَانِ
 تَدِرْ ، فِعْلٌ مُضَارِعٌ ، من دَرَّ اللَّبَنُ يَدِرُ .

والحوار : وَلَدَ الثَّاقَةُ ، وفي المثل « حَرَكْ لَهَا حُورَاهَا تَحْنُ » ^(١) ، وَلَا يَزَالُ
 الْحُورُ حُورًا حَتَّى يَفْصَلَ عَنْ أُمِّهِ ، فَهُوَ فَعِيلٌ . وهذا المثل قاله عمرو بن
 العاص لما وَبَّهَ حين أَرَادَ أَنْ يَسْتَبْصِرَ بِأَهْلِ الشَّامِ . وَمَعْنَى المثل : ذَكَرَهُ
 بَعْضُ أَشْجَانِهِ يَهْجِ لَهَا ، وَقَالَ الخَطِيبَةُ :

لَقَدْ مَرَّتُكُمْ لَوْ أَنَّ دِرَّكُمْ بَوْمًا يَجِيءُ لَهَا مَسْحِي وَإِسَامِي ^(٢)
 لَمَا بَدَأَ لِي مِنْكُمْ عَيْبٌ أَنْفُسِكُمْ وَلَمْ يَكُنْ لِي رَاحِي مِنْكُمْ آسِي
 أَزَمْتُ بِأَسَا مَرِيحًا مِنْ نَوَالِكُمْ وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالِهَامِ
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي الْفَتْحِ البُسْتِيِّ :

قَالَتْ وَقَدْ رَأَوْنَهَا عَنْ قَبْلِي تَشْفِي بِهَا قُلُوبًا كَثِيرًا مُقَرَّمَا
 قَدَّمَ هَذَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْنِي يَدَا وَمَبْرَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْنِي قَدَا

(١) المبدئي ١ : ١٩١

(٢) ديوانه ٥٢

١١١ - وقوله : وما نَبَّهْتُكَ إِلَّا لَأَنَامَ ، وما سَرَيْتُكَ إِلَّا
لأَحد السَّرَى إِلَيْكَ .

هذا فيه إشارة إلى المثل السائر ، وهو : « نَبَّهْتُ لَهَا عُمراً ثُمَّ نَمَّ » .

وقال بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ في أبي عمرو العلاء :

إِذَا أَبْقَطْتُكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَتَبَّهْتُ لَهَا عُمراً ثُمَّ نَمَّ
فَتَى لَا يَنَامُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

وقال شَرَفُ الدِّينِ مُسْتَوْفَى إِرْبِلُ :

إِذَا أَبْقَطْتُكَ حِمَابُ الْأُمُورِ فَتَبَّهْتُ عَلَيْهِمَا لَهَا لَا عُمَرَ
وَنَادَى بِهِ مُسْتَهْجِراً يُجَبِّكُ فَتَى عَزَمَهُ كَالْيَمَانِيِّ الذَّاكِرُ

وما أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ قَلَّاسٍ :

وَوَزِيرُ مَمْلَكَةٍ غَدَا وَزَرّاً لَهَا وَسِوَاهُ وَزَرّاً
يَقْضَانُ إِنْ نَهَبْتَهُ عُمراً ، أَوْ اسْتَفْجَذْتَ عُمراً

وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقِ :

سُيُوفٌ لَهَا نَاطِرٌ نَامَ عَنْ حَـدِيثِي وَأَبْقَطِي اللَّأْلَمَ
كَانَ ابْنُ بُرْدٍ لَهُ قَائِلٌ فَتَبَّهْتُ لَهَا عُمراً ثُمَّ نَمَّ

وقال ابن قَلَّاسٍ أيضاً :

وَإِذَا خَدَمْتُ بِتَقْبِيلِ الْبِساطِ لِمَنْ بَاتَ الزَّمَانُ لَهُ مِنْ الْخَدَمِ
وَاعْرَضَ عَلَيْهِ حَالُ خَادِمِهِ سَرّاً وَنَبَّهْتُ لَهَا وَنَمَّ

وَعَكَّسَهُ فَقَالَ :

فَإِذَا اسْتَجَارْتُ بِعَمْرِ وَحَالٍ مَظْلَمَةٍ بَلْ حِينَ جَاءَتْكَ نَسَمِي صَادَفْتَ عُمراً

وما أَحْسَنَ قَوْلَ مُجِيرِ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :

يَا طَالِبًا حَاجَةً قَدْ عَزَّ مَطْلَبُهَا وَفَعَلَهَا فِي مَبَادِي نَجْحِهَا عَسِرُ
تَبَّهَ عَلَيْهَا أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ قُضِيَتْ وَمَا عَلَيْكَ إِذَا لَمْ يَنْقُصْهُ عُمُرُ

وَقَوْلُ ابْنِ شُمَيْسٍ اخِلَافَةَ يَمْدَحَ الْعَزِيزِ عُثْمَانَ :

صَبَرْتُ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ وَلَمْ أَزَلْ عَلَيْهِ أَخَا صَبْرٍ وَمِثْلِي مَنْ صَبَرَ
وَبَتَّهْتُ عُثْمَانَ لَدَفْعِ خَطْوِهِ وَأَعْرَضْتُ عَنْ قَالِ تَبَّهَ لَهَا عُمُرُ
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

لَا أُسْتَرِ بِدُكِّ تَمَاضِيكَ مِنْ كَرَمٍ أَنَا الَّذِي نَامَ مَذْنَبُهُ يُقْظَانَا^(١)
فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهِيَتُ السِّكْرَامَ بِهِ وَرَدَّ سَخَطِي عَلَى الْأَيَّامِ رِضْوَانَا
وَكَتَبَ الرَّشِيدُ الْفَارِقِيُّ إِلَى الصَّاحِبِ بِهِاءِ الدِّينِ :

وَقَائِلٍ قَالَ لِي تَبَّهَ لَهَا عُمُرًا فَقُلْتُ : إِنَّ عَلِيًّا قَدْ تَذَبَّهَ لِي
مَالِي إِذَا كُنْتُ مُحْتَاجًا إِلَى عُمُرٍ فِي حَاجَةٍ فَلْيَنْمِ حَسْبِي أَنْبِيَاءُهُ عَلَى
وَقَالَ السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ أَبِي ثَوْبَ بِخَطِّهِ ، مِنْ إِمْلَاءِ
الْقَاضِي الْفَاضِلِ عَلَيْهِ ، كِتَابًا إِلَى أَخِيهِ لِلَّهِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ :

عَظِيمَةٌ قِيلَ لِي تَبَّهَ لَهَا عُمُرًا فَقُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَذَبَّهَ لِي
زَمَانًا عُمُرِي الْفَتْحَ لَا سِمَامًا وَالدِّينُ مِنْ سَيِّفِهِ قَدْ هَزَّ سَيْفَ عَلِيٍّ
وَقَالَ الْخَفَاحِيُّ :

سَلَّاتُ مِنْهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ مَرْهَقَةٌ لِمَشْلُومٍ كُنْتُ تَقْنَاهَا وَتَدَخَّرُ^(٢)
يَقْظَانُ مَا عَلِقَتْ بِالنَّوْمِ مَقْلَتُهُ وَلَا تَذَبَّهَ فِي حَرْبِ الْعَدَا عُمُرُ

(١) ديوانه ٤ : ٢٢٠ . (٢) ديوانه ٤٥ .

وقال شيخُ الشيوخ :

لولا تلافى الظنِّ أن يسرا سَلَّتْ من جَفْنِي غَرَارَ السَّكْرَى
لَكُنْتُ أُمْتُ من زَوْرَةٍ تَجَنَّفَ أَجْفَانِي إنْ زَوْرًا
لولا سُرى طَئِفِكُمْ لم أَكُنْ أَحَدُ من قَبْلِ الصُّبْحِ الشُّرَى
وَأُنشَدَنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً شَيْخُنَا الإِمَامُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو التَّنَاهِ مُحَمَّدٌ :
وَلَقَدْ حَدَّثَ بِيَابِهِ صُبْحُ الشُّرَى فَقَدَا وراءَ الشُّوقِ وهو إِمَامُ
وَحَلَّتْ عَنْ أَنْضَاءِ عَزَمِي عِنْدَهُ فَظَهَرَ رَهْنٌ عَلَى الرَّجَالِ حَرَامُ
وقوله : « وما مَرَّيْتُ لَكَ لِأَحْمَدَ الشُّرَى لَدَيْكَ » .

هذا أَمْلُ أَصْلُهُ من قول خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لما بَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وهو بِالْإِمَامَةِ أَنْ سَرَّ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرَادَ سُتُوكَ الْمَفَازَةَ . فَقَالَ لَهُ رَافِعُ
الطَّائِي : قَدْ سَدَّ كُنْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، هِيَ خَمْسٌ لِلْإِبِلِ الْوَارِدَةِ ، وَلَا أَطْنُكَ تَقْدِيرُ عَلَيْهَا
إِلَّا أَنْ تَحْمِلَ مِنَ الْمَاءِ . فَأَشْتَرَى مِائَةَ شَارِفٍ فَقَطَّطَهَا ، ثُمَّ سَقَاهَا الْمَاءَ حَتَّى رَوَيْتُ ،
ثُمَّ كَبَّتْهَا وَكَتَمَ أَفْوَاهَهَا ، ثُمَّ سَلَكَ الْمَفَازَةَ ، حَتَّى إِذَا مَضَى يَوْمَانِ وَخَافَ
الْمَقْطُوعَ عَلَى النَّاسِ وَالْحَيْلَ نَحَرَ الْإِبِلَ ، وَأَسْقَى خَرَجَ الْمَاءِ مِمَّا فِي بَطُونِهَا فَشَرَبُوا ،
وَمَضَى . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ قَالَ رَافِعٌ : انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ سِدْرًا عَظَمًا ، فَإِنْ
رَأَيْتُمُوهَا وَإِلَّا فَهِيَ الْمَلَائِكَةُ ، فَنَظَرَ النَّاسُ ، فَرَأَوْا السِّدْرَ ، فَأَخْبَرُوهُ ، فَكَبَّرَ
وَكَبَّرَ الْعَاسُ ، ثُمَّ هَجَمُوا عَلَى الْمَاءِ ، فَقَالَ خَالِدٌ :

لِلَّهِ دَرٌّ رَافِعٌ أَنِّي أَهْتَدَى فَوَزَّ من قُرَاقِرٍ إِلَى سُوَى
خِمْسًا إِذَا سَارَ بِهِ الْجَيْشُ بِكِي مَا سَارَهَا من قَبْلِهِ إِنْ سَبَى
عِنْدَ الْعَتَبِاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشُّرَى وَتَنْجَلِي عَنْهُمْ غِيَابَاتُ السَّكْرَى

وقال ابن قلاؤس :

حَدَّثَ الشَّرِيَّ مِنْ كَثَرَةِ وَجْهِ صَبَاحِهِ مِنْ بَعْدِ ذِمِّ غَدُوِّهِ وَرَوَاحِهِ
وَرَأَى النَّجَاحَ مُؤَمِّلًا الْخَفَّةَ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ فَيْكَ ظَلَّ جَنَاحِهِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا اسْتَعْمَلَ الْقَاضِي الْفَاضِلُ هَذَا اللَّفْلَ :

رَكِبْنَا رِياحًا مِنْ كَرَامَتِهِ خِيَلَهُ نَوْمٌ سَعَابًا مِنْ سَمَاءِ سَمَاحِهِ
فَقُلْ لِلْيَالِي الْخَطْبِ : طُولِي أَوْ أَنْصِرِي
فَإِنَّا عَلَى طُولِ الشَّرِيَّ مِنْ صَبَاحِهِ

وقال ابن قلاؤس :

وإِلَى أَحَدٍ حَدَّثَ الشَّرِيَّ حِينَ طَارَحَتْ الصَّبَا وَالشَّوَالَا
أَبَتْ أَلْمَالُ مِنْهُ رَاحَةً تُبْغِضُ الرِّيثَ وَتَهْوِي الْمَجَالَا
وَخَالَفَ النَّاسَ ابْنَ سَنَاءِ الْمَلِكِ فَقَالَ :

أَنْتَ نَارَ الْخَدِّ لَا نَارَ الْفَرَى

وَحَدَّثَ صُبْحَ الْفَقْرِ لَا صُبْحَ الشَّرِيَّ

١١٢ - وقوله : وَإِنَّكَ مَتَى سَنَيْتَ عَقْدَ أَمْرِي تَيْسَّرُ ، وَمَتَى

أَعَذَرْتَ فِي فَكِّ أَسْرِي لَمْ تَعْذُرْ .

سَنَيْتَ بِمَعْنَى سَهَّلْتُ ، وَأَعَذَرْتُ بِمَعْنَى بَالَفْتُ فِي طَلَبِ الْمَذْرُ . لَمْ تَعْذُرْ :

لَمْ يَكُنْ فِيهِ عَذْرٌ ، أَيْ لَا صُومَبَةٌ .

وَأَصْلُ قَوْلِهِ : « سَنَيْتَ عَقْدَ أَمْرٍ » قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ :

فَبِاللَّهِ نِيَّ إِنَّ عَزَّ مَا تَبَيَّنَنِي وَقُلْ إِذَا اللَّهُ سَقَى عَقْدَ أَمْرٍ تَيْسَّرَا

على أن هذا المعجز وقع في كلام معاوية رضى الله عنه ، أعنى قوله :
 « إذا الله سئى عَقْدَ أمرٍ تَبَسَّرَ » . وأخذَه محمد بنُ شَرَف الدين
 للمَقْبِرَوَانِي فقال :

لا يُؤَيِّسُكَ من أمرٍ تَصَعَّبُهُ فالله قد يُعَقِّبُ التَّصَعُّبَ تَسْهِيلاً
 كان أميرُ المؤمنين المأمونُ سَيِّءَ الرَّأْيِ في الحُسَيْنِ ^(١) انْخَلَعَ لِمُنَادَمَتِهِ لِحَمْدِ
 الخُلُوعِ ، واختصاصِهِ به ، فأخَذَتْ لَدَيْهِ حَالُهُ ، وكان بينَهُ وبينَ عمرو بنِ مَعْدَةَ
 حالٌ ، فَكَتَبَ الحُسَيْنُ إلى عمرو ^(٢) :

أَنْتَ طَوْدِي مِنْ بَيْنِ هَذِي الْهَضَابِ

وشِهابِي مِنْ دُونِ كُلِّ شِهَابِ
 أَنْتَ رُكْنِي وَسَاعِدِي وَحَيَاتِي واسَانِي وَأَنْتَ ظُفْرِي وَنَابِي
 أَنْرَانِي أَنْتَ حَقُوقُ أَيَادِي لَكَ وَرُوحِي مِنْ بَعْضِهَا وَنِيَابِي
 أَبْنِ عَظْفَ الْقَرِيبِ فِي بَلَدِ الْمُرِّ بَلِّ جُوداً عَلَى ذَوِي الْأَدَابِ !
 أَبْنِ أَخْلَاقَكَ الطَّرِيفَةَ حَالَاتِ عَهْدِكَ ، أَمْ أَبْنِ رِقَّةَ الْكِتَابِ
 أَنَا فِي ذِمَّةِ السَّحَابِ وَأَطْمَى إِنَّ هَذَا لَوَضِئَةٌ فِي السَّحَابِ
 حُرْمَةُ سَمَقِهَا السَّمَاءِ وَدَارِ حُلُوةِ الْأَرْضِ مِرَّةُ الْأَرْبَابِ
 أَنَا فِيهَا عَبْدٌ انْزَلْتُ لَوْ شِئْتُ تُلْكَ لِسَانُ الزَّمَانِ عَبْدَ رِكَابِي
 وَقَالَ عُمَارَةُ الْيَمَنِيُّ :

أَنْتَ الزَّمَانُ فَمَنْ تَرْفَعُهُ يَمَلُّ وَمَنْ تَخَفُّضُ مِنَ الْفَاسِ لَمْ يُرْفَعْ لَهُ عِلْمُ
 وَمَنْ تَعَافَلَتْ عَنْهُ فَهُوَ مُطَّرَحٌ وَمَنْ نَظَرَتْ إِلَيْهِ فَهُوَ مُخْتَشِمٌ
 وَقَالَ ابْنُ الْمَعْلَمِ :

فَمَا ضَاقَ صَدْرُ بَاتٍ يَرْجُوكَ قَلْبُهُ

وَلَا رَاعَ مِنْ أَضْحَيْتٍ بَغِيَّتَهُ الدَّهْرُ

(١) ط : « الحسن » تحريف ، وهو الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع .

(٢) ديوانه ٢٧٠ .

وقال راويه العتّابي :

وفي راحتَيْكَ الْغَدَى وَالزَّيْدَى وَكَلَنَاهَا وَوَعُ غُغَارِهَا
وَأَفْضِيَّةُ اللَّهِ مَحْتَمُومَةٌ وَأَنْتَ مِنْفَذُ أَفْئِدَارِهَا

وبالغ أبو الملاء إذ قال :

ولو أنَّ الرِّيحَ تَهَبُ غَرْبًا وَقَلَّتْ لَهَا هَلَا هَبَّتْ شَمَالًا^(١)
وَأَقْسَمَ لَوْ غَضِبْتَ عَلَى نَبِيرٍ لِأَزْمَعَ عَنْ مَحَلَّتِهِ أَتَقَالًا
وَأَنْتَ لَوْ تَمَلَّقْتَ الرَّزَايَا بِنَعْلِكَ مَاقِطَمَنْ لَهَا قِبَالًا
وَمُرٌّ بِفِرَاقِ شَيْمَتِهَا اللَّيَالَى تُجَبِّكَ إِلَى إِرَادَتِكَ أُمْتِنَالًا
وبالغ أيضا في وصف ممدوحه فقال :

لَشَرَفْتَ الْمَعَانِي وَالْقَوَانِي بِلَفْظِكَ وَالْأَخْلَةَ وَالْخَلِيلَةَ^(٢)
إِذَا الْمَنُوكُ فُهِتَ بِهِ انْتِصَارًا لَهُ مِنْ غَيْرِهِ فَضَلَ الطَّوِيلَ

قلتُ : لأنَّ الْمَنُوكَ أَفْصَرُ الشَّعْرِ ، وَالطَّوِيلُ أَطْوَلُهُ ، إِذَا الْمَنُوكُ
إِذَا سَلِمَ مِنَ الزَّحَافِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَرْفًا ، لِأَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ « مُسْتَفْعِلِينَ
مُسْتَفْعِلِينَ » مَرَّتَيْنِ ، قَالَ :

* يَا أَيُّدِي فِيهَا جَدَعٌ *

فَإِذَا لِحْقَهُ الْخَبْلُ ، وَهُوَ أَجْتِمَاعُ الْخَلْبِنِ وَالطَّلَقِ كَانَ عَلَى عَشْرَةِ
أَحْرُفٍ ، كَقَوْلِهِ :

* أَغْضِبُوا فَرَحَلُوا *

وَأَمَّا الطَّوِيلُ فَإِذَا سَلِمَ مِنَ الزَّحَافِ ، وَكَانَ مَصْرُوعًا وَلَا عِلَّةَ ، كَانَتْ

حروفه ثمانية وأربعين ، لأنه مركب من أربعة أجزاء خماسية ، وهي : فقول
أربع مرّات ، وأربعة أجزاء سباعية ، وهي مفاعيلن أربع مرّات ، كقول
أمرى النّيس بن حُجر :

فِمَاتَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ
بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوَّلِ (١)

* * *

١١٣ - وقوله : وَعَلِمَكَ حُبِيطٌ بَأَنَّ الْمَعْرُوفَ عَمْرَةً النِّعْمَةِ ،
والشفاعة زكاة المروءة .

المعروف ضد المنكر ، وهو اسم جامع لكل خير .

ومن كلام الحكمة : بَذَلُ الْجَاهِ أَحَدُ الْمَالَيْنِ ، وَشَفَاعَةُ الْإِنْسَانِ أَفْضَلُ
زَكَاةِ الْإِنْسَانِ . وَبَذَلُ الْجَاهِ رِفْدُ الْمُسْتَعِينِ ، وَالشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ ،
وَالشَّفَاعَةُ أَمْرٌ مَدْدُوبٌ إِلَيْهِ ، تَطْلُقُ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ ، وَجَاءَتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ
شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ﴾ (٢) .

وعن أبي موسى الأشعري قال : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ
طَالِبٌ حَاجِدٌ أَقْبَلَ عَلَى جُلُوسِهِ ، فَقَالَ : « اشْفَعُوا تُوجَرُوا وَيَقْضَى اللَّهُ عَلَى
لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ » ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي رَوَايَةٍ : « مَا شَاءَ » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بُرَيْرَةَ وزوجها ، قال : قال
لها النبي صلى الله عليه وسلم : لو راجعتيه ! فقالت : يا رسول الله ، تأمرني ؟
قال : إنما أشفع ، قالت : لاحتاجة لي فيه .

وفي هذه الآية السكرية سؤال ، وهو : ما الحكمة في قوله : « في
الشفاعة الحسنه نصيب » وفي الشفاعة السيئة كيف منها » فالجواب : أن
النصيب الحظ ، والكيف مشفق من قولك : كملت البعير إذا رددت على
صنائه كساء ، وركبت عليه ، فأنت تستعمل جانباً من ظهره لأنك تحب
سنام البعير بالكساء الذي وضعته عليه من الآفة دون باقي ظهره ، ويحب
الراكب بدنه بذلك ، ومنه قيل للضامن : كفيل ؛ لأنه يعتمد عليه ، فكأن
الكفيل ذخيره التي يعتمد عليها ، فجاء الكفيل في الشفاعة السيئة بهذا
اللفظ ؛ لأن الشافع قد أذخر ما يعتمد عليه في يوم القيامة . وهذا الكلام قد
خرج مخرج التهم ، كقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(١) .

والمقصود أن الشفاعة الحسنه لا شافع منها نصيب ، وشفاعة السيئة عقابها
عظيم ، ووزرها كبير ، فهي مغلظة الأمر بخلاف غيرها .

وقوله : المعروف ثمرة النعمة ؛ يشير إلى قول الخفاجي رحمه الله :

فدَى لمن لا يزال نائله تخلف جوداً سحاب الدِّيم ^(٢)

يمنح حتى تدوم نعمته إن العطايا تمام النعم

وأما الشفاعة فحيى أن عبد الله بن خارجة أمتدح عبد الملك بن مروان

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وعشرة تُخوت من الثياب وعشرَ قلائصَ
من الإبل ، وأقطعَه ألفَ جَرِيْب ، وقال له : امض إلى زيد الكاتب يَكْتُبْ
لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عائلاً ، فأتى زيداً فقال : ائتنى غداً ، فتردد إليه ،
وكتب له شعراً ، فما أفادَه شيئاً ، فأتى سُفْيَانُ بن الأبرد الكاتب ، فكلَّمه
سُفْيَانُ ، فأبطأ عليه ، فعاد إلى سُفْيَان وقال له :

إذا بدأت أبا يحيى فأنت لها ولا تسكن حين هاب الناس هيباً
واشفع فإنك أنف لم تسكن ذنباً فإن من شمعاء الناس أذنباً

فأتى سُفْيَانُ إلى زيد الكاتب ، ولم يُفارقَه حتى قَصَى شُغْلَه . وقصية
الفرزدق والنوار أمر أنه حين قال :

أما بدوه فلم تُقبل شفاعتهم وشُفِعت بنت منظور بن زبانا^(١)
إس الشفيع الذي يأتيك مؤزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عُرِياناً
مشهورة فلا فائدة في ذكرها .

وقال قيس :

ونُذِيت ليلى أرسلت بشفاعتي وإلى ، فهلا نفس ليلى شفيعها^(٢)
أأكرم من ليلى على فتبتني به الجاه ، أم كنت أمراً لا أطمعها
وقال شرف الدين بن عنين :

ومن عجب الأشياء أن شفاعتى تُرجى لمن في وجهه ألف شافع
لأبذلج عسال التذني مهذب الـ خلائقي معسول الدنيا مطاوع

يروم شفيماً من سواه جهالة ولا شافنا غير الحبيب المضاجع
وقال ابن القيسراني رحمه الله تعالى :

رست شفع بي إلى من يحبه وقد وقف الوجد مني عليه
فكنت شفيماً له في الهوى فمن ذا يكون شفيعى إليه
وما أظرف قول دعبيل الخزامي :

جئنا به يشفع في حاجة فأحتاج في الإذن إلى شافع^(١)
وما أظرف قول القائل :

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت بحرية فمن بها السبح
حتى إذا اصطفوا لدعوتهم وبدا لأعينهم بها رشح
كشيف السحاب إجابة لهم فكأنما خرجوا ليستصحبوا
وقال القاضي أبو علي التتوخي :

خرجنا لندسقي بهمن دعائه وقد كاد هذب الفيم أن يلحق الأرض
فلما بدا يدعو تسكفت السما فما تم إلا والعام قد انفضا
ومن رسالة للجاحظ مما أتى فيها بالحكمة قوله : فكن شفيماً إلى أذنك
حتى تسمعها ، وشفيع أذنك إلى قلبك حتى يضمها ، وشفيع قلبك إلى نفسك
حتى تعمل بها .

حكى بعضهم قال : جئت يوماً ، فقلت : أذهب إلى صديق فلان ، فأتعدى
عنده ، فلما أتيت إلى داره وجدت أبنه ، فقلت له : أين أبوك ؟ فقال :
أعطى كسرة حتى أقول لك أين هو ؟
وعلى ذكر الشفاعة ، فما أحسن قول الأرجاني يمدح الأسترشد بالله العباسي :

أَبْنَى شَنِيعِ الْقَطْرِ صُنُو أَبِي شَفِيْعٍ حـ الحشر لازلتُم عماد السُّودِ (١)
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِ شَفَاعَتَيْنِ أَعْدَتَا لِلْيَوْمِ وَاحِدَةً ، وَأُخْرَى لِلْفَدَى
 وَالنَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ قَوْلَ الْقَائِلِ :

وَإِذَا الْمَلِيحُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مُحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ
 وَهَذَا إِذَا أُعْتَبِرَ وَجَدَ ذَمًّا ؛ لِأَنَّ مَلِيحًا يَأْتِي بِذَنْبٍ وَاحِدٍ وَيَحْتَاجُ فِي
 الْقَفْوِ عَنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ إِلَى أَلْفِ شَفِيعٍ ، لَيْسَ بِمَدِيحٍ طَائِلٍ ، وَالْمَدْحُ الْوَاقِي أَنْ
 يَكُونَ الْمَلِيحُ إِذَا جَاءَ بِأَلْفِ ذَنْبٍ جَاءَ شَافِعٌ وَاحِدٌ مِنْ حَسَنِهِ ، فَمَحَا تِلْكَ
 الذُّنُوبَ الْمُتَعَدِّدَةَ ، وَالْأَصْلُ فِي هَذَا كَلَامُ الْقَاكِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ :

مُسْتَقْبَلُ بِالَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ الذُّنُوبُ وَمَعْدُورٌ بِمَا صَنَعَا
 فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ إِلَى الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثُمَا شَفَعَا
 وَأَبُو فِرَاسٍ بْنُ خُذَّامٍ كَانَ أَحَدَاقَ وَأَعْرَفَ بِالْفَزْلِ ، فَقَالَ :

أَسَاءَ فَرَادَتُهُ الْإِسَاءَةَ حُطُوءَةً حَبِيبٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، حَبِيبٌ (١)
 تَمَدَّدَ عَلَى الْوَاشِيَاتِ ذُنُوبَهُ وَمَنْ أَبْنَى لِلْوَجْهِ الْمَلِيحِ ذُنُوبًا
 وَقَالَ ابْنُ الْحُجَّاجِ :

وَكَلَّمَا رُمْتُ أَنْ أَقَابِلَهُ عَلَى تَمَادِيهِ تِيهَا فِي تَعَدِّيهِ
 جَاءَتْ عَلَى غَفْلَةٍ مُحَاسِنُهُ تُتَازَمُنِي الصَّفْحَ عَنْ مَسَاوِيهِ
 وَقَالَ عَتِيقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ التَّمِيمِيُّ الْمَغْرِبِيُّ :

كَلَّمَا أَذْنِبَ أَبْدَى وَجْهَهُ حُجَّةً قَهْوَى مَلَى بِالْحُجَجِ
 كَيْفَ لَا يُفْرِطُ فِي إِجْرَامِهِ مَنْ مَتَى مَا شَاءَ مِنَ الذَّنْبِ خَرَجَ
 وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي قَنَنٍ :

أَشْكُو إِلَيْهِ حَسَنِيَّ جَنُونِهِ فَيَقُولُ مَتَى بِأَيْسَرِ الْخُطْبِ
 وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى مُحَاسِنِهِ أَخْرَجْتُهُ عَظْلًا مِنَ الذَّنْبِ

وقال أبو تمام :

عَفْتُ مُحَاسِنُهُ عِنْدِي إِسَاءَتَهُ

حَتَّى أَقْدَحْتُ عِنْدِي مَسَاوِيَهُ (١)

وقال آخر :

لِي حَبِيبٌ كَالطَّبِيِّ غَيْرٌ وَلَكِنْ بِمَذَابِي فِي الْحُبِّ مَا أَغْرَاهُ
وَإِذَا كَرَّرَ الذَّنُوبَ فَيَكْفِيهِ أَعْتِذَاراً عَمَّا جَنَى ، أَنْ أَرَاهُ
وقال ابن المعتز :

وَمُسْتَبْصِرٌ فِي الْمُنْذَرِ مُسْتَعِجِلُ الْقَلْبِ

بِمِيلٍ مِنَ الْمُتَنَبِّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْهَجْرِ (١)

له شافعٌ في القلب مع كل زلة وليس محتاج الذنوب إلى المنذر
ولما وقع ابن عمار في قبضة المعتد بن عباد ، وقد سجن بشقورة ، كتب
ابن عمار إلى المأمون بن المعتد يسأله الشفاعة فيه عند أبيه بقصيدة أولها :

هَلَا سَأَلْتَ شَفَاعَةَ الْمَأْمُونِ أَوْ قُلْتَ مَا فِي نَفْسِهِ يَكْفِينِي

مَا ضَرَّ لَوْ كَبِهَتْهُ بِحِمِيَّةٍ يَسْرِي النَّسِيمُ بِهَا عَلَى دَارَيْنِ

مَالِي أَنْبَى نَاطِرًا لَمْ يَنْفُ عَنْ حَظِّيهِ مِنْ دُنْيَا وَلَا مِنْ دِينِ

بِيَدِي مِنَ الْمَأْمُونِ أَوْ نَقُ عِصْمَةٍ لَوْ كَانَ أَمْرِي فِي يَدِ الْمَأْمُونِ

أَمْرِي إِلَى مَوْلَى إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَكَفَاكَ مِنْ فَوْقِ كِفَاكَ وَدُونِ

حَيْثُ أَسْتَوَى الْخُلُصَانُ وَالْمَتَمِيمَا

عِزُّ الْقَنِيِّ بِذِلَّةِ الْمِسْكِينِ

ومنها :

ومنها يا فتوح جردها عناية فارس بطل على حرب الولي أمين
متقدم من جده بسكينة مستظهر من لفظ بكين
وأقرن شفاعتك السكرية عنده بتواضع من عزه أو هون
في سكتة من هيبة وسكينة ونصيحة من رحمة وحسن

* * *

١١٤ - وقوله : وَفَضَلَ الْجَاهُ تَعَوُّدُ بِهِ صَدَقَهُ .

وَإِذَا امْرَأُ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً

مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّمَا مِنْ مَالِهِ

الفضل هنا : ما يزيد من قدر الحاجة .

والجاء : القدر والمنزلة وما يكون به الإنسان وجها . وتعود به :

تعطف وتنفع .

وما أحسن قول مراج الدين عمر بن محمد الوراق المصري ، نقلته من خطه :

مَرَضْتُ .. لِّلَّهِ قَوْمٌ مَا فِيهِمْ مِّنْ جَفَانِي
عَادُوا وَعَادُوا وَعَادُوا عَلَى اخْتِلَافِ الْمَانِي

الأول من عيادة المريض ، والثاني من العودة ، وهو الرجوع ، والثالث

من مادة هذا القول .

وفي الأدعية المأثورة : اللَّهُمَّ عُدْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِكَ .

قال أبو عبد الله بن حمدون النديم : لقد رأيتُ الملوك في مقاصيرها
ومجامع حفلها ، فما رأيتُ أغزر أدباً من الوراق ، خرج علينا ذات يوم وهو
يقول : لعمري لقد عرض عرضه من عرضه ، إقول الخراعي - يعني دعبلا :

خَلِيٍّ مَاذَا أَرْتَجِي مِنْ هَـ — وَى امْرِئ

طَوَى الْكَشْحَ عَنِّي الْيَوْمَ وَهُوَ مَكِينٌ^(١)

وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ ضَنَّ عَنِّي يَمْنُطُ — ق

يَسُدُّ بِهِ مِنْ خُلَّتِي لَضَمِينُ

فَانْبَرَى أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ يَسْأَلُهُ — كَأَنَّمَا أَنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ — فِي رَجُلٍ
مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ ، وَأَطْنَبَ وَأَسْهَبَ ، وَذَهَبَ بِهِ الْقَوْلُ كُلُّ مَذْهَبَ ، فَقَالَ
الْوَائِقُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، لَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي غَيْرِ كَثِيرٍ وَلَا طَائِبَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ صَدِيقِي :

وَأَهْوَنُ مَا يُعِصِي الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ مِنْ الْهَيْئِ الْمَوْجُودِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

فَقَالَ : وَمَا قَدَّرَ الْيَمَامِيُّ أَنْ يَكُونَ صَدِيقَكَ ! وَإِنَّمَا أَحْسَبُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَرْضِ
مَعَارِفِكَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ شَهَرَنِي بِالْأَسْتِشْفَاعِ إِلَيْكَ ، وَجَعَلَنِي
بِمِرْأَى وَمَسَمْعٍ مِنَ الرَّدِّ وَالْإِصْفَاءِ ، فَإِنْ لَمْ أَقُمْ لَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ كُنْتُ كَمَا قَالَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ... وَأَنْشَدَ الْبَيْهَقِيُّ . فَقَالَ الْوَائِقُ : بِاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، إِلَّا
مَا عَجَبَاتٍ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ حَاجَتُهُ لِيَسْلَمَ مِنْ هُجْنَةِ الْمُظَلِّ كَمَا سَلِمَ مِنْ هُجْنَةِ الرَّدِّ !
قُلْتُ : وَابْنُ أَبِي دُوَادٍ الْقَاضِي لَهُ مَقَامَاتٌ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ
بِأَيَّامِ النَّاسِ وَتَرَا جِهَهُمْ ، قَامَهَا عِنْدَ الْمُتَقَسِّمِ وَالْوَائِقِ ، فِي غَيْرِ وَاحِدٍ ، مِنْهَا خِلَاصُ
أَبِي دُلْفِ الْعِجْلِيِّ مِنَ الْأَفْشِينَ وَقَدْ قَدَّمَهُ لِنَضْرِبِ الْعُنُقِ ، وَمِنْهَا : أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ
الْحَرِيقُ بِالْكَرْخِ اسْتَهْلَكَ لَهُمْ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

وَقَوْلُ ابْنِ زَيْدُونَ :

وَإِذَا أَمْرُؤُا سَدَىٰ إِلَيْكَ مَهْنِعَةً مِنْ جَاهِهِ فَسَكُنْهَا مِنْ مَالِهِ ^(١)
 هَذَا الْبَيْتُ مِنْ جُمْلَةِ آيَاتِ كَتَبَ بِهَا أَبُو تَمَّامٍ الطَّلَاطِيُّ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي
 رَبِيعٍ كَانَتْ أَبِي دُلْفَ ، أَوَّلَهَا :

إِنَّ الْأَمِيرَ بَلَاكَ فِي أَسْوَاحِهِ فَرَاكَ أَنْزَعَهُمْ غَدَاةَ نِصَالِهِ

وقد عكس البيت الذي أوَّلَه : « وَإِذَا أَمْرُؤُا » فقال أيضاً :

وَإِنَّ امْرَأً ضَلَّتْ يَدَاهُ عَلَى أَمْرِي بِذَيْلِ غَيٍّ مِنْ غَيْرِهِ لَبْخِيلِ

* * *

١١٥ — وقوله : كَلَّمَلِي أَنْ أُلْقِيَ عَصَائِي بِذَرَاكَ ، وَيَسْتَقَرُّ
 النَّوْى فِي ظِلِّكَ .

النَّوْى بِالْفَتْح : كَمَا اسْتَقَرَّتْ بِهِ ، يُقَالُ : أَنَا فِي ظِلِّ فُلَانٍ وَذَرَاهُ ، أَيْ
 فِي كَنْفِهِ وَسِتْرِهِ وَدِفْئِهِ .

وَالنَّوْى : الْوَجْهُ الَّذِي يَبْصُرُهُ الْمَسَافِرُ ، وَيَنْوِي بِهِ مِنْ قُرْبٍ أَوْ بُعْدٍ ، وَهِيَ
 مُؤَنَّثَةٌ ، تَقُولُ : اسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوْى ، وَقَدْ حَلَّ فِي هَاتَيْنِ السَّجْمَتَيْنِ قَوْلُ الْمَعْقَرِ بْنِ
 أَوْسِ بْنِ حَمَارٍ الْبَارِقِيِّ ، حَلِيفِ بْنِ نَمِيرٍ :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوْى

كَأَنَّ قُرْ عَيْنَنَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ ^(٢)

وقبلَ هذا البيت :

وَحَلَّتْ سُلَيْمَى فِي هِضَابٍ وَأَنْبَكَةٍ فَلَيْسَ عَلَيْهَا يَوْمَ ذَلِكَ قَادِرٌ

وَالْعَرَبُ تَكُنِي عَنِ الْأُسْتِقْرَارِ وَالتَّكُونِ بِإِلْقَاءِ الْعَصَا ، لِأَنَّ الْمُسَافِرَ
إِذَا أَلْقَى عَصَاهُ عَنْ كَتِفِهِ ، فَقَدْ قَرَّرَ قَرَارَهُ ، وَسَكَتَ حَرَكَتَهُ ، وَلِهَذَا قَالَ
أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي :
كَرِيمٌ إِذَا أَلْقَى عَصَاهُ مَخِيًّا

بَارِضٍ فَقَدْ أَلْقَى بِهَا رَحْلَهُ الْبَجْدُ (١)

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : مَا يُقَرِّعُنِي مَا أُوتِيتُ مِنْ أَمْرِ الْخِلَافَةِ حَتَّى
أَشْتَرِيَ سَلَامَةً جَارِيَةً مُصْعَبُ بْنُ سُهَيْلِ الزَّهْرِيِّ ، وَحَبَابَةٌ جَارِيَةٌ الْلاحِقِ
الْمَكِّيَّةِ ، فَاشْتَرَيْتَاهُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتَا عِنْدَهُ قَالَ : الْآنَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَالَقْتُ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى . . الْبَيْت .

نَمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : مِنْ شَاءَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَلْيَلْقَنِ .

وَيُحْكِي أَنَّهُ لَمَّا بُويعَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ قَامَ خَطِيبًا ، فَسَقَطَ الْقَضِيبُ مِنْ
يَدِهِ ، فَطَطَّرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَأَخَذَ الْقَضِيبَ وَمَسَحَهُ ، وَدَفَعَهُ
إِلَيْهِ ، وَأَنْشَدَ :

* فَالَقْتُ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى . . . *

وَقِيلَ : إِنَّ قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ خَطَبَ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي خُرَاسَانَ أَوَّلَ قُدُومِهِ إِلَيْهَا
وَالْيَا ، فَسَقَطَتِ الْعَصَا مِنْ يَدِهِ فَطَطَّرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَامَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ فَمَسَحَهَا
وَنَاقَلَهُ لِإِبْنَاهَا ، وَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، لَيْسَ كَمَا ظَنَّ الْعَدُوُّ وَسَاءَ الصَّدِيقُ ، وَلَكِنَّهُ
كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَأَلَمْتُ عَصَاهَا وَأَسْتَفَرَّ بِهَا النَّوَى . . . البيت .
فُسِّرَى عَنْهُ مَا وَجَدَهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ .

وَمِثْلُ هَذَا مَا حَدَّثَنِي أَنَّ طَاهِرَ بْنَ الْحُسَيْنِ لَمَّا خَرَجَ لِقِتَالِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى
ابْنِ مَاهَانَ ، وَفِي كُفَّةِ دَرَاهِمُ يُفَرَّقُهَا عَلَى الضُّعَفَاءِ ، فَسَمَّا أَنَّهَا فِي كُفَّةٍ ، فَأَسْبَلَ
كُفَّةً ، فَتَبَدَّدَتِ الدَّرَاهِمُ ، فَتَطَيَّرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَنْشَدَ شَاعِرٌ كَانَ مِمَّه :

هَذَا تَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ لَا غَيْرَهُ وَذَهَابَهَا مِنْهُ ذَهَابُ الْهَمِّ
شَيْءٌ يَكُونُ الْهَمُّ نِصْفَ حُرُوفِهِ لَا خَيْرَ فِي إِسْكَانِهِ فِي الْكُمِّ

وَدَخَلَ أَبُو الشَّيْمَةِ عَلَى خَالِدِ بْنِ مَرْزِدِ الشَّيْبَانِيِّ ، وَقَدْ قَلَّده الْمَأْمُونُ
الْمَوْصِلَ ، فَلَمَّا دَخَلَهَا انْدَقَ مِنْهُ اللَّوَاءُ فِي بَعْضِ أَبْوَابِهَا ، فَتَطَيَّرَ خَالِدٌ مِنْ ذَلِكَ
فَقَالَ أَبُو الشَّيْمَةِ نَحْوُ :

مَا كَانَ مُنْدَقَ اللَّوَاءِ لِطَيْرَةٍ تُخْشَى وَلَا سُوءٌ يَكُونُ مُعْجَلًا
لَكِنَّ هَذَا الرُّمَحُ أَضْعَفُ مَتْنِهِ صَخْرَ الْوَلَايَةِ فَأَسْتَقِلَّ الْمَوْصِلَا
فُسِّرَى عَنْهُ مَا كَانَ وَجَدَهُ .

وَكَتَبَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ بِذَلِكَ إِلَى الْمَأْمُونِ فَزَادَهُ دِيَارَ رُبَيْعَةٍ ، فَأَعْطَى خَالِدَ
أَبَا الشَّيْمَةِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .

وَقَالَ خَطِيرُ الدَّوْلَةِ الْحُسَيْنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَاتِبُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولَنَّ مَرَّةً وَقَدْ سَكَنْتُ نَمَّا أُجِنُّ الضَّمَامُ
وَمَا بِي إِلَى بَابِ الْحَجِّبِ حَاجَةً وَلَا لِي عَمَّا يَحْفَظُ الْمَرْضَ زَاجِرُ
فَأَلَمْتُ عَصَاهَا وَأَسْتَفَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْمًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَاخِرَزِيِّ فِي ضِدِّ ذَلِكَ :

حَمَلُ الْمَهْصَا لِلْمُبْتَلَى بِالشَّيْبِ عَنْ——وَأَنْ الْبَلَى

وَصِفَ الْمَسَافِرُ أَنَّهُ أَلْقَى الْعَصَا كَيْ يَنْزِلَا
فَعَلَى الْقِيَاسِ سَبِيلُ مَنْ حَمَلَ الْعَصَا أَنْ يَرْحَلَا

وقال شيخ الشيوخ عبد العزيز الأصبهاني :

تَرَامَتْ بِنَا آمَالَنَا كُلَّ مُرْتَبِي طَوَى مِنْ بَسِيطَاتِ لَمَالِكِ مَا طَوَى
وَأَفْهَى بِهَا الْمَسْرَى إِلَى عَقَبَاتِهِ فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى

وقال شرف الدين بن عنين :

وَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ فِي ذَرَاهِ بِنِ النَّوَى
وَأَلْقَتْ عَصَاهَا بَيْنَ مُزْدَحَمِ الْوَفْدِ
تَنْضِلُ دَهْرِي وَأَسْتَرَا حَتَّى مِنَ الْوَجَى (١)
قَلَوِي وَنَامَتْ مُقَلَّتِي وَعَلَا جَدِّي

وقال عمارة اليماني :

إِنَّ الْكَفَالَةَ وَالْوَزَارَةَ لَمْ تَزَلْ يُؤَيِّ إِلَيْكَ بِفَعْلِهَا وَيُشَارُ
كَانَتْ مُسَافِرَةً إِلَيْكَ وَتَبْمَدُّ أَخْطَارُ مَا لَمْ تُرَكَّبِ الْأَخْطَارُ
حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ عَلَيْكَ وَشَاهَدْتُ مَلِيكَائِ زَيْنُ الْمُلْكِ مِنْهُ صَوَارُ
أَلْقَتْ عَصَاهَا فِي ذَرَاهُ وَعُزِّيَتْ عَنْهَا الشُّرُوجُ وَخُصَّتِ الْأَكْوَارُ

وقال ابن صردر :

عَلَى رَسْلِكُمْ فِي الْهَجْرِ إِنَّا عِصَابَةٌ
إِذَا ظَفَرْتُ بِالْحَبِّ عَفَّ ضَمِيرُهَا
سِوَا عَلَى الْمُشْتَقِ وَالْمَجْرُ حَظُّهُ أَلْقَتْ عَصَاهَا أَوْ أَجَدَتْ بُكُورُهَا

(١) م : « النوى » .

(٢) ط : « يرى » تحريف .

(٢٤ - تمام النون)

وقال أيضا :

أَقَتَ فِي نَمَاءٍ مَطْمَئِنَّةٍ تَحْكُمُ الْفَوَادَ فِي إِطَارِيهِ
أَلَقَتْ عَصَاهَا وَأَرْتَمَتْ رِكَابَهَا فِي سُرَرِ الْوَادِي وَفِي شِمَائِلِهِ
وما أَحْسَنَ قول القائل :

إذا لم يَرِ الإنسان عند قلبومه محيَاكَ مِثْلَ الْبَدْرِ وَالْبَدْرِ سَافِرٌ
فَأَقْسَمْتُ مَا أَلَقْتُ عَصَاهَا يَدُ النَّوَى
ولا قرَّ عَيْنِي بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ

حدَّث أبو الحَلَمِ عَوْفُ بْنُ الْحَلَمِ قَالَ : كَانَتْ لِي وَفَادَةٌ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى خِرَاسَانَ ، فَصَادَفْتُهُ يُرِيدُ الْحَلْجَ ، فَمَادَلْتُهُ فِي الْعَمَارِيَّةِ مِنْ مَرَوْ إِلَى الرَّيِّ ، فَلَمَّا قَارَبْنَا الرَّيَّ ، سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ وَرَشَانًا^(١) فِي بَعْضِ الْأَغْصَانِ يَصِيحُ ، فَأَنْشَدَ يَقُولُ مِثْلًا :

أَلَا يَا حِمَامَ الْأَبْكَ إِنَّكَ حَاضِرٌ وَغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَنَيْمَ تَنْوَحُ^(٢) !
أَفِئْدَتِي لَا تَنْتَحُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَإِنِّي بَكَيتُ زَمَانًا وَالْفَوَادُ صَحِيحُ
وَلَوْعًا فَشَطَّتْ غُرْبَةً دَارُ زَيْدٍ فَهَا أَنَا أَبْسِي وَالْفَوَادُ جَرِيحُ

ثم قال : يَا عَوْفُ ، أَجِزْ هَذَا ؛ فَقُلْتُ فِي الْحَالِ :

أَفِئْدَتِي كُلُّ يَوْمٍ غُرْبَةً وَزَوْحُ أَمَّا لِلنَّوَى مِنْ وَنْيَةٍ فَتَرِيحُ
لَقَدْ طَلَّحَ الْبَيْنُ الْمَشْتَ رَكَابِي فَهَلْ أَرَيْتَ الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيحُ
وَأَرَفَنِي بِالرَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ
فَنُفِخَتْ وَذُو الشَّجْوِ الْقَدِيمِ يَنْوَحُ

(١) الورشان : طائر أصغر من الحمام ، وهو المعروف بسان حر .

(٢) أمال الغال ١ : ١٣٣ .

على أنها ناحت ولم تذر دَمْعَةً
 ونُحْتُ وأَسْرَابُ الدَّمُوعِ سُفُوحُ
 وناحت وفرخاها بحيثُ تراها
 ومن دون أفرأخي مَهَامِهِ فَيَحُ
 عَسَى جُودُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يُعَقِّبَ النَّوَى
 فَيُلْقِي عَصَا النُّسَيْرِ وَهِيَ حَرْجُ
 فَإِنَّ الْفَتَى بُذِنَ الْفَتَى مِنْ صَدِيقِهِ
 وَعُذِمُ الْفَتَى بِالْمُقْتَرِينَ نَزُوحُ

قال : فأخرج رأسه من الأمارية ، وقال للسائق : أَلْتَمِ الزَّمام ، فألقاه .
 فَوَقَّفَ وَوَقَّفَ الْحَاجَّ ، ثُمَّ دَعَا صَاحِبَ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ لَهُ : كَمْ يَضُمُّ مُلْكُنَا ؟
 فَقَالَ : سَمْتَيْنِ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ ادْفَعْنِي إِلَى عَوْفٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا عَوْفُ ، لَقَدْ أَلْقَيْتَ
 عَصَا تَطْلُو أَوَّلَكَ فَأَرْجِعْ مِنْ حَيْثُ جِئْتَ . قَالَ : فَأَقْبَلَ حَاصَهُ عَبْدُ اللَّهِ يُلُومُونَهُ
 وَيَقُولُونَ : أَنْجِزْ أَيْهَا الْأَمِيرُ شَاعِرًا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ بَسْمَتَيْنِ أَلْفَ دِينَارٍ ،
 وَلَا تَمْلِكْ سِوَاهَا ! فَقَالَ : إِلَيْكُمْ عَنِّي ، فَإِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنَ الْكَرَمِ أَنْ يَسِيرَ
 بِي جَمَلِي ، وَعَوْفٌ يَقُولُ : « عَسَى جُودُ عَبْدِ اللَّهِ » ، وَفِي مُلْكِي شَيْءٌ لَا يَنْفَرِدُ
 بِهِ . وَرَجَعَ عَوْفٌ إِلَى وَطَنِهِ ، فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : رَجَعْتُ مِنْ عَبْدِ عَبْدِ اللَّهِ
 بِالْفَتَى وَالرَّاحَةِ مِنَ النَّوَى ^(١) .

قال الإمامُ فخر الدين الرازي في كتاب « مناقب الشافعي » رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ : رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّائِبِيُّ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : كَانَ الشَّافِعِيُّ جَالِسًا
 يَوْمًا بَيْنَ يَدَيِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ه
 إِنِّي رَجُلٌ أَيْعُ الْقُمْرِيِّ . وَإِنِّي بَمْتُ يَوْمًا قُمْرِيًّا ، فَبَعْدَ زَمَانٍ أَتَانِي صَاحِبُ

(١) الخبر في معجم الأدباء ١٦ : ١٤١ - ١٤٣ .

الْقَمَرِيِّ ، فقال : إِنَّ قَمَرِيَّكَ هَذَا لَا يَصِيحُ ؛ فَتَشَاجَرْنَا فَعَلَقْتُ بِالْإِطْلَاقِ أَنَّ
 قَمَرِيَّ مَا يَهْدُ مِنْ الصَّبَاحِ . فقال مَالِكُ : طَلَقْتُ أَمْرَأَتَكَ . فقام الرجل حَزِينًا .
 فقام الشافعيُّ إِلَيْهِ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً - وقال للسَّائِلُ : أَصِيحُ
 قَمَرِيَّكَ أَكْثَرَ أَمْ سُكُوتُهُ ؟ فقال السَّائِلُ : بَلِ صِيَاحُهُ ، قال الشافعيُّ : امْضُ ،
 فَإِنَّ زَوْجَتَكَ مَا طَلَقَتْ . ثُمَّ رَجَعَ الشافعيُّ إِلَى الْخَلِيقَةِ ، فعاد السَّائِلُ إِلَى مَالِكِ
 وقال : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، تَفَكَّرْتُ فِي وَاقِعِي لَتَسْتَحِقَّ الثَّوَابَ ! فقال مَالِكُ :
 الْجَرَابُ مَا تَقْدُمُ . قال : فَإِنَّ عِنْدَكَ مِنْ قَالَ : إِنَّ الْإِطْلَاقَ غَيْرُ وَاقِعٍ . فقال
 مَالِكُ : مَنْ هُوَ ؟ قال السَّائِلُ : هُوَ هَذَا الْفَلَامُ - وَأَوْحَى إِلَى الشَّافِعِيِّ - فَخَضِبَ
 مَالِكُ عَلَيْهِ ، وقال : مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْجَوَابُ ؟ فقال الشافعيُّ : إِنِّي سَأَلْتُهُ :
 أَصِيَاحُهُ أَكْثَرَ أَمْ سُكُوتُهُ ؟ فقال : إِنَّ صِيَاحَهُ أَكْثَرُ ، فقال مَالِكُ : وَهَذَا الدَّلِيلُ
 أَفْوَاحٌ ، وَأَيُّ تَأْثِيرٍ لِكَثْرَةِ صِيَاحِهِ وَقَلَّةِ سُكُوتِهِ فِي هَذَا الْبَابِ ! فقال الشافعيُّ :
 لَإِنَّكَ حَدَّثْتَنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ
 طَائِفَةٍ مِنْ قَيْسٍ ، أَنَهَا أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
 إِنَّ أَبَا جَهْمٍ وَمَعَاوِيَةَ خَطَبَانِي ، فَبَايَهُمَا أَنْزَوْجَ ؟ فقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 «أَبَا مَعَاوِيَةَ فَضْلًا ، وَأَبَا جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ الْقَصَا عَنْ عَاتِقِهِ» ، وقد عَلمَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَبَا جَهْمٍ كَانَ يَأْكُلُ وَيَنَامُ وَيَسْتَرِيحُ . فَعَلِمْنَا أَنَّهُ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : «لَا يَضَعُ الْقَصَا عَنْ عَاتِقِهِ» ، عَلَى تَفْسِيرٍ أَنَّهُ الْأَغْلَبُ
 مِنْ أَحْوَالِهِ ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ مَالِكٌ تَمْجِيبَ مِنَ الشَّافِعِيِّ ، وَلَمْ يَقْدَحْ فِي
 قَوْلِهِ الْبَيِّنَةِ .

١١٦ - وقوله : وأستأنف التأدب بأدبك ، والاحتمال
على مذهبك .

استأنف : استفعل ، من الاستئناف ، وهو الأبتداء . والتأدب : تفعل ،
من الادب ، والادب أدبُ النفس وأدبُ الدرس ، فالأدب انصاف النفس
بكل خلق جميل ، وقد أدب الرجل بضم الدال فهو أديب ، وأدبته
فتأدب .

وقال ابن المبرز : الأدبُ صورةُ العقل ، فحسن عقلك كيف شئت .

وقال أبو المتاهية :

ولم أرَ فضلاً ثمَّ إلّا بِشِمْيةٍ ولم أرَ عقلاً ثمَّ إلّا على أدبٍ

وقوله : « وأستأنف التأدب بأدبك » ، يعني أتوب عما كنتُ مرتكباً
من الطريق الأولى ، فأرجع عنها ، وأخذ الآن بأدبك ، وأسألك طريقك ،
وأخذوا حدوكم . وما أحسن قول الأول :

إنْ تُنْهِمِي فَيَهَامَةً وَطَنِي أَوْ تُنْجِدِي يَكُنِ الْهَوَى نَجْدُ

وقول الآخر :

فإنْ قَدَعِي نَجْدًا نَدَّهُ وَمَنْ بِهِ وَإِنْ نَسَكُنِي نَجْدًا فَيَا حَبْدًا نَجْدُ

وقول يزيد بن معاوية :

فإنْ تُسَلِّمِي نُسَلِّمُ وَإِنْ تَنْصَرِّي يَحْطُّ رَجَالٌ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ صُلْبًا

وقال ابن المبرز :

أَتُخَيِّمُونَ عَلَى الْحِجَازِ فَنَعْتَدِي أَمْ عَائِدُونَ إِلَى الْحِمَى فَنَعْمُودُ

نَهَى لِأَجْلِكُمُ الْحُجِيجَ وَمَا بَيْنَا لَوْلَا كُمْ نُسُكٌ وَلَا تَزْهِيدٌ
وَيَشَوْقُنَا أَرْجُ الْحِجَارِ وَذِكْرُهُ الدَّاءُ نِي وَمَرْتَبِعُ الْحِجَارِ بَعِيدٌ
وقوله : « والأحتمال على مذهبك » . يعنى : ألزِمَ نَفْسِي بِاتِّبَاعِكَ ،
وَالْأَخْذُ بِمَذْهَبِكَ تَقْلِيدًا ، وَلَا أَنْظُرُ فِي تَمْلِيلِ مَا تَأْتِيهِ وَمَا تَذَرُهُ .

وما أحسن قول الأول :

فَلَوْ قُلْتُ طَأً فِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ رِضًا لَكَ أَوْ مَدْنٍ لِنَا مِِنْ وَصَالِكَ (١)
لَقَدْ مَتُّ رِجْلِي نَحْوَهَا وَوُطِئْتُهَا هَدَى مِنْكَ لِي أَوْضَلَةً مِنْ ضَلَالِكَ
لَنْ سَاءَنِي أَنْ نِلَمْتُ بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّني أَنِّي حَطَّارْتُ بِبَالِكَ

والتقليد : هو قبول قول الآخر أو المُنْتَقَى أو المؤدَّب من غير طلب تعليل
للحكم ولا حجة ، والتقليد في الفروع دون الأصول .

وذهب الأصحاب إلى أنه لا يجوز للعالم تقليد العالم البتة ، وجوزَه أحمدُ
رضي الله عنه وإسحاقُ بنُ راهويه وسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ مطلقًا ، ومنهم من
فَصَّلَ فقال : يجوزُ لمن بَعْدَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ تَقْلِيدُ الصَّحَابَةِ دُونَ
غَيْرِهِمْ ، وبه قال شمسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْجَزَرِيُّ (٢) ، وهو أقولُ القَدِيمِ
لِلشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وقال محمد بنُ الحَسَنِ : يجوزُ تَقْلِيدُ الْعَالِمِ لِلْعَالِمِ . وقيل : يجوزُ أَنْ يَقْلُدَ
غَيْرَهُ فِيمَا يَخُصُّهُ دُونَ مَا يُنْفَعِي بِهِ ، وقيل : يجوزُ فِيمَا يَخُصُّهُ إِذَا كَانَ بِحَيْثُ
لَوْ أُشْتَفِلَ بِالنَّظَرَاتِ الْمَقْصُودِ .

(١) ديوان الحماسة ٢ : ١٠٧ .

(٢) ط : « الحريري » تحريف .

١١٧ - وقوله: فَلَا أُوْجِدُ لِحَاسِدٍ مَّجَالٍ لِحِظَةٍ، وَلَا أَدَعِ الْقَادِحَ
مَسَاغَ لَفْظَةٍ.

الحاسِدُ: الَّذِي يَمْنَى زَوَالِ النِّمَّةِ عَنِ الْمَجْسُودِ، وَالْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبِ عِصْيِ
اللَّهِ بِهِ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ إبْلِسَ آمَنَهُ اللَّهُ حَسَدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا
أُمِرَ بِالسَّجُودِ لَهُ، وَكَذَلِكَ قَابِيلُ بْنُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَسَدَ أَخَاهُ هَابِيلَ عَلَى
زَوَاجِهِ بِأَخْتِ تَوْنَمَتِهِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَحْسَنَ مِنْ تَوْنَمَةِ هَابِيلَ، فَلَمَّا قَرَّبَا
قُرْبَانَا أَكَلَتِ النَّارُ قُرْبَانَ هَابِيلَ، وَلَمْ تَأْكُلْ قُرْبَانَ قَابِيلَ. فَحَسَدَهُ،
فَتَأَكَّدَ حَسَدَهُ لَهُ فَقَتَلَهُ. وَفِي الْمَثَلِ: مَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ.

وَالْمَجَالُ: اسْمٌ لِمَصْدَرِ جَالٍ يَجُولُ جَوْلَانًا، إِذَا طَافَ فِي الْبَلَدِ، وَأَصْلُهُ
مِنَ الْحَرَكَةِ.

وَاللَّحْظُ: مَصْدَرٌ لَحَظَ إِذَا نَظَرَ.

وَالْقَادِحُ: الَّذِي يَطْعَنُ فِي عَرَضٍ غَيْرِهِ.

وَالْمَسَاغُ: اسْمٌ لِمَصْدَرِ سَاغَ يَسُوغُ الشَّرَابُ إِذَا سَهَلَ مَدْخَلُهُ
فِي الْخَلْقِ. وَمَعْنَاهُ: إِذَا اتَّصَفَتْ بِهِذِهِ الْأَحْوَالُ لَا يَجِدُ الْحَاسِدُ مَدَارَ لِحِظَةٍ،
وَلَا الطَّاعِنُ فِي عَرَضِي مَا يَسُوغُ مِنْ لَفْظَةٍ كَمَا قَالَ الْأَمِيرُ تَعِيمُ بْنُ الْمَعْمَرِ:

بَلَقْتُ بِي الْحَالَ الَّذِي كُنْتُ أُرْتَجَى عَلَاهَا نَخَالُ غِبْطَةٍ وَمُرُورٍ^(١)

وَكَيْفَ أَخَافُ الْحَاسِدِينَ وَبَغْيَهُمْ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ لِي يَدٌ وَأَمِيرُ

كَانَ أَبُو الْحُسَيْنِ الْجَزَارِيُّ صَاحِبَ قَاضِي الْقَضَاةِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنَ بَنَاتِ
الْأَعَزِّ، فَظَفَّرَ لَهُ شَخْصٌ مِنْ حُسَّادِهِ وَأَعْدَائِهِ بِوَرَقَةٍ بِخَطِّهِ يَدْعُو فِيهَا شَخْصًا
إِلَى مَجَاسِ أَنْسٍ، وَوَصَفَ الْمَجْلِسَ؛ فَأَخَذَ ذَلِكَ الشَّخْصُ تِلْكَ الْوَرَقَةَ وَوَضَعَهَا

(١) دهباه ١٤٤، وروايته: «بَلَقْتُ بِي الْحَالَ».

في القائمة الأولى من كتاب صحيح الجوهري ، من نسخة كانت عنده في ثمانى مجلدات ، وأعطى الكتاب الدّلال ، وقال : اعرضه على قاضى القضاة . فأحضر الدّلال الكتاب إلى قاضى القضاة ، فلما أخذ المجلد الأوّل وجد تلك الورقة فيه ، فعرف خطأ الجزار ، فأخذ الورقة وقرأها^(١) ؛ وقال للدّلال : ردّ الكتاب إلى صاحبه ، فإنه ما يبيحه . ولما حضر الجزار إلى قاضى القضاة ناوله الورقة ، فنهم القصد^(٢) ، وقال : يامولانا ، لا إله إلا الله ، هذا خطى منذ ثلاثين سنة من أيام الصّبا . ثمّ إنّ الجزار أراد أن يعرف ما هند القاضى ، وهل تأثر بتلك الورقة ، فقال له بعد أيام في أثناء حكايته : إنّ شخصاً كان يصحب قاضى القضاة عماد الدّين بن السّكرى ، فرقت له شهادة على شخص ، فسأبه ذلك الشخص إلى القاضى ، وادّعى عليه أنه استأجره من مدّة كذا وكذا اليئمّنى له في عرسه بكذا وكذا ، وقبض الأجرة ولم يُعَنَّ ، وانفصّلت الخصومة ، ثمّ وقعت الدّعوى على المدّعى المذكور ، وشهد ذلك الشّاهد . فقال قاضى القضاة تاج الدين : ما صمّع ابن السّكرى ؟ فقال : ما قبل شهادته . فقال : ما أنصف صاحبه : فلم الجزار أن ابن بنت الأعز ما تأثرتلك الورقة .

* * *

١١٨ — وقوله : والله مُبَسِّرٌ لِمَنْ إطلائى بهذه الطّلبة ، وإشكاى من هذه الشّكوى .

إطلائى ، تقول : أطلّبه إطلائاً ، أى أسفه ، وأطلّبه : أحوجه ، وهو من الأضداد ، والمراد هنا الأوّل ، وهو الإسماف ، والطّلبة ، بكسر اللام : ما طلبته من شيء .

(١) ط : « قرأ الورقة وأخذها » .

(٢) ط : « المقصود » .

وإشكائي ، تقول : إذا أعقبته من شكايته وأزَلَّته عما يشكوه ، وأشكيتَه
 إن فعلتَ به ما يشكوه ، وهو من الأضداد ، والمراد هنا الأول ، وما أحسنَ
 قولَ ابنِ الزُّومِي :

تُشِكِّي المَحِبَّ وَتَشْكُو وَهِيَ ظَالِمَةٌ
 كَالْقَوْسِ تُصَيِّ الرَّمَايَا وَهِيَ مِرْنَانُ

وقلتُ أنا في ذلك :

تُشِكِّي المَحِبَّ وَتَشْكُو فَالْقَلْبُ لَا يَطْمَئِنُّ
 كَالْقَوْسِ تُصَيِّ الرَّمَايَا وَهِيَ هَذَا تَبْنُ

* * *

١١٩ — وقوله : بصنيعةٍ تصيبُ منها مكانَ المصنَعِ ، أو تستودِعها
 أحسنَ مُستودِعٍ .

للصَّيِّمَةِ : المعروف والإحسان إلى الناس .

والمصنَع : المصدر ، تقول : صنعتُ إليه صديعاً ومصنعاً . قال ابنُ عباسٍ
 رضي الله عنهما : لا يزهدنك في المعروف كفرٌ من كفره ، فإنه يشكرك
 عليه من لم تصطنعه إليه .

وسمعَ عبدُ الله بنُ جعفر قولَ الشاعر :

إِنَّ الصَّيِّمَةَ لَا تَكُونُ صَيِّمَةً حَتَّى تُصَيِّبَ بِهَا طَرِيقَ المَصْنَعِ .

فقال : هذا رجلٌ يريدُ أن يُبتخلَّ الناسَ ، أمطارَ المعروفِ مطراً ، فإن
 صادفَ موضعاً فهو الذي قصدتَ ، وإلاَّ كنتَ أحمقاً به .

وجاء في كلام عبد الله بن المعتز : المعروف كُنْزٌ ، فانظر من تُوديه !
وقال الشاعر :

لا تَصْنَعِ المعروفَ في ساقطٍ فذاك صُنْعٌ ساقطٌ ضائعٌ
واصْنَعْهُ في حرٍّ كريمٍ يكن عُرْفُكَ مسكاً وعِرفُهُ ضائعٌ

وقال صالح بن عبد القدوس :

مَتَى تُسَدِّ معروفًا إلى غيرِ أهله رُزِيتَ ولم تظْفَرْ بأجرٍ ولا تحْدِ
وقال أيضًا :

لا تَجِدُ بالعطاء في غيرِ حقٍّ ليس في منع غيرِ ذي الحقِّ بُخلٌ
إنما الجود أن تجودَ على من هو للجود منك والبذلِ أهلٌ

قال الحجاج لابن الفريّة : ما أضيع الأشياء ؟ قال : مطر جَوَدٍ في أرض
مسيخة لا يَجِفُّ ثراها ، ولا يَبُتُّ سرعاها ، وسراجٌ يوقدُ في الشمسِ ، وجاريةٌ
حسنة تزفُّ إلى عَيْنِ أُمِّي ، وصنيعةٌ تُهدى إلى من لا يشكرها .

وقالت الحكماء : أصلُ كلِّ عداوة اصطِفاءُ المعروف إلى اللئام ، وقالوا :
المعروف إلى اللئيم أضيع من الرسم على بساط الماء ، والخطّ على بساط الهواء .
وقالوا : زوال الدولة باصطفاء السفلة .

أورد الشيخ أمير الدين أبو الفناهم ، مسلم بن محمود الشيزريّ في كتابه « الفاصمة
للفئة الغاشمة » ، قال : حدثني الشيخ الشريف بونس بن يحيى البنداديّ العباسيّ
قراءة عليه ، قال : أخبرنا عمر بن شاهين ، حدثنا أحمد بن محمد الباخرزيّ ، حدثنا
عليّ بن حرب الطائيّ ، حدثنا جعفر بن الفزر المابدي بمهروان ، قال : كنتُ
عند سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ، فالتَقْتُ إلى شيخٍ فقال : حَدِّثِ النِّوَمَ بِمَحْدِثِ الحَيَّةِ ،

فقال : حدثني عبد الجبار بن جهمر بن عبد الله أنه خرج إلى مقصده ، فتمثلت بين يديه حية ، فقالت : أجرتني أجرك الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، فقال : وميم أجبرك ؟ فقالت : من عدو قد رهنتي ، يريد أن يقطعتني إرباً إرباً . قال : ومن أنت ؟ قالت : من أهل لا إله إلا الله . قال : وابن أخيك ^(١) ؟ قالت : في جوفك ^(٢) . إن كنت تريد المعروف ^(٣) . قال : ففتح فاه وقال : ها ، فدخلت جوفه ، فإذا رجل معه صمصامة ، فقال : يا جهمر ، أين الحية ؟ قال : ما أرى شيئاً ، قال : سبحان الله ! قال : نعم ، سبحان الله ما أرى شيئاً ، فذهب الرجل ، فأطلمت الحية رأسها وقالت : يا جهمر ، أتخس الرجل ؟ فقال لها : قد ذهب ، قالت : فأختر إحدى خصلتين : أن أنكت في قلبك نكتة ، أو أفرث كبدك فتلقها من أسفل قطعاً قطعاً ! قال : والله ما كافأتني ، قالت : حيث ^(٤) تصنع المعروف عند من لا يستحقه . قال : فأمليني حتى آتي سفع هذا الجبل ، فأمدت أنفسي ؛ فبينما هو يمشي إذ هو بفئ حسن الوجه طيب الرائحة ، حسن الثياب ، فقال : يا شيخ ، مالي أراك مسترسلاً للموت ، آيساً من الحياة ؟ قال : من عدو في جوفي يريد هلاكى . فأستخرج شيئاً من كفه فدفعه إليه وقال : كل هذا ، ففعل ، فأصابه منس شديد ، ثم ناوله أخرى فأكلها ، فرمى بالحية من أسفل قطعاً قطعاً . فقال : من أنت ؟ برحك الله ؟ فما أعظم منة على منك ! قال : أنا المعروف ، إن أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضطربوا ، كل يسأل ربه أن يفيئك ، فقال الله عز وجل : يا معروف أدرك عبدى ، فإبأى أراد بما صنع .

وخرج قوم للصييد ، فطردوا ضبعاً حتى ألجئوها إلى خباء أعرابي ، فأجارها ، وجعل يطعمها ، فبينما هو نائم إذ وثبت عليه ، فبهزت بطنه ،

(١) الإرب : العضو . (٢) ط : « بطك » .

(٣) ط : « إن كنت من أهل المعروف » . (٤) م : « حين » .

وجاء ابنُ عمِّه يطلبه ، فإذا هو بغيره ، فتعَبَّها حتى قَتَلها ، وقال :

وَمَنْ يَصْنَعِ المَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
يُبْلَقِ الَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بِدَيْتِهِ أَحَايِبَ الْهَانِ اللَّفَاحِ الدَّرَائِرُ
وَأَسْتَمَتْهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنْتُ فَرَّتْهُ بَأْنِيَابِ لَهَا وَأُظْفَارِ
فَقُلِ لِلذَّوِي المَعْرُوفِ : هَذَا جَزَاءُ مَنْ
يَجُودُ بِمِـــــــرُوفٍ عَلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

وَحَسَكِي الْأَصْمَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا رَجَى جِرْوَ ذَنْبٍ ، وَجَمَلَ يُفَذِّيه بَلَكَيْنِ
شَاةٍ لَهُ حَتَّى كَبُرَ ، فَخَرَجَ مَعَهَا لِلرَّغَى كَعَادَتِهِ ، فَحَرَّكَتْهُ الطَّبَاعُ الدَّنِيَّةُ ،
وَالنَّفْسُ الدُّنْيَا عَلَى أَفْتِرَاسِ الشَّاةِ ، فَلَمَّا رَأَى الْأَعْرَابِيُّ الشَّاةَ قَرِيصَةً
الذَّنْبِ ، أُنْشَدَ :

عَمَرْتُ شَوْيِيهَتِي وَفَجَعْتُ قَوْيَ بَشَاتِيمُ ، وَأَنْتَ لَهَا رَيْبُ
تُحْذِيتَ بِدَرِّهَا وَنَشَأَتْ مَعَهَا فَمِنْ أُنْبَاكَ أَنَّ أَبَاكَ ذَيْبُ
إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طِبَاعُ سَوْءٍ فَلَا أَدَبٌ يُفِيدُ وَلَا أَدِيبُ
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ :

شَرُّ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ ذِمَّةٌ لَمْ تَصْطَلَحْ ، وَصَنِيعَةٌ لَمْ تُشْكَرْ^(١)

أَغَارَ مَالِكُ بْنُ حَجِيمَةَ الْجَعْفَى عَلَى بَنِي الْقَيْنِ ، فَاسْتَأَقَ لَهُمْ إِبِلًا ، فَأُطْلِقُوا
الْأَعْنَةَ لِيُطْلِقُوا مَنَّهُ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ، وَلَا وَصَلُوا إِلَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ يَدًا

كانت لبعضهم عنده ، فخلّى عما كان في يده وولّى منصرفاً . فنادَوْهُ وقالوا :
 إنَّ أمامك مَفَازَةً ، ولأمامك مَمَكٌ ، وقد فَعَلْتَ جَمِيلاً فَأَنْزِلْ وَلَكَ الدِّمَامُ وَالْجِلْبَاءُ ،
 فلما نَزَلَ وَأَطْمَأَنَّ وَسَكَنَ ، أَخَذَتْهُ سَيْفَةٌ فَنَسَمَ ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ .
 وما أَحْسَنَ قَوْلَ عُمَارَةَ الِیَمَنِیِّ خَاطِبِ السُّلْطَانِ صَلَاحِ الدِّینِ :

فيا واصلِ الأرزاقِ كيفَ تَركتَنِي أمدُّ إلى زَندِ العِلا كَفِّ أَفْطَحِ
 وأُقسِمُ لو قاتَ ليأَكِلُكَ الدُّجَى أَعِدْ غارِبَ الجُوزِ أَقالَ لها أَطْلَعِ
 فيا زارعَ الإحسانِ في كُلِّ تَربةٍ ظَمِرْتُ بِتَرَبٍ يُنْبِتُ الشُّكْرَ فَأَزْرِعِ
 قلتُ : ما زرعَ عندهُ إلاَّ أَنَّهُ صلبه ، وجعلَ له في الجُولا في الترابِ تَربةً ،
 لِحَفَايَةِ نَفْسِها عليه من مَيَّالِهِ إلى أَهلِ القصرِ ، وَنَمَلِها عنه الهُمَزَةُ في ذلكَ القصرِ ،
 وعندَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ !

وقال ابنُ القَيِّمِ رَافِي :

قد حَسُنَ الصُّنْعُ أَلَّا فاصْطَنِعُ وَأَمَكَنَ الدُّرُّ أَلَّا فَاثَنِي
 ومَرَّ إِحسانُكَ بي رَافِئاً مَرَّ الصَّبَا بِالْمُعْنِ المورِقِ

وقال رشيدُ الدينِ الفارقي :

وأعجَبُ ما حَدَّثْتُ وَصَفْتُكَ للعِلا وَمِثْلِي في أَيَّامِ مِثْلِكَ ضائعُ
 لئنَ أُمْطَرْتَنِي من سَجاياكَ مُزَنَةً حَكَمْتُ لَكَ أَرْضِي كيفَ تَزْكو الصَّنائعُ

وقال شاعرٌ قديمٌ :

لَعَمْرُكَ ما المَروُفُ في غيرِ أَهلِهِ وفي أَهلِهِ إلاَّ كِبَاضُ الودائعِ
 فمُسْتَوْدَعُ الَّذي كانَ عندهُ وَمُسْتَوْدَعُ ما عندهُ غيرُ ضائعِ
 وما الناسُ في شُكْرِ المَزيدِ عندهُم وفي كُفْرِها إلاَّ كِبَاضُ المَزارِعِ
 فمَزْرَعَةُ طابَتْ فأَضْمَتْ نَبْطُها وَمَزْرَعَةُ أَكْدَتْ على كُلِّ زارِعِ

١٢٠ - وقوله : حَسْبُهَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ ، وَأَنَا مِنْكَ حَرَّى بِهِ .
حَسْبُهَا ، أَيْ قَدَّرَ مَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ ، تقول : فلانٌ خَلِيقٌ لكذا ، أَيْ
جَدِيرٌ بِهِ ، وقد خَلَقَ لكذا بضم اللام .

وحرَّى به ، أَيْ جَدِيرٌ بِهِ وَخَلِيقٌ ؛ وحرَّى يُنَنَّى وَلَا يُجْمَع .
وَأَنشَدَ السَّكْسَائِيُّ :

وَهْنٌ حَرَّى إِلَّا يُذِيبُكَ نَفْرَةٌ وَأَنْتَ حَرٌّ بِالْفَارِحِينَ تُثِيبُ^(١)
فَإِذَا قُلْتَ : هُوَ حَرٌّ ، بِكَسْرِ الرَّاءِ وَحَرَّى ثَلَاثٌ وَجُمْتُ ، قُلْتَ : هَا
حَرِيَّانِ ، وَهُمُ حَرِيُّونَ وَأَحْرِيَاءُ ، وَهِيَ حَرِيَّةٌ ، وَهِنَّ حَرِيَّاتٌ وَحَرَايَا ،
وَمِنْهُ أَشْتَقُّ التَّحَرَّى فِي الْأُمُورِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي إِسْحَاقَ الْغَزَّيِّ .

إِذَا جَادَتِ الشُّجُبُ السِّبَاخَ بِطَبْعِهَا فَأَجْدَرُ مَخْصُوصٍ مِنْ الْخِذَاقِ ؟

* * *

١٢١ - وقوله : وَذَلِكَ بِيَدِهِ ، وَهَيَّئْ عَلَيْهِ .

أَيْ بِيَدِهِ هَذَا الَّذِي سَأَلَهُ ؛ وَقَصْدُهُ فِيهِ ، أَمْرُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ، وَهُوَ
فِي حَالِهِ بِصَرْفِهِ كَيْفَ أَرَادَ عَلَى مَا يَخْتَارُ كَمَا يَكُونُ الشَّيْءُ بِيَدِهِ ، وَهَذَا كُنَايَةٌ عَنْ
الْقُدْرَةِ وَالْإِسْتِیْلَاءِ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ
النِّعَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾^(٢) . وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بِيَمِينِهِ ﴾
لَطِيفَةٌ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ « فِي يَمِينِهِ » حَتَّى يَنْفِي الظَّارِفَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ لَوَازِمِ الْأَجْسَامِ .
وَكَلَّ هَذِهِ الْمُبَارَاةَ كُنَايَةً عَنِ الْقُدْرَةِ النَّامَةِ ، وَالْإِسْتِیْلَاءِ السَّكَّامِ ، فَتَبَارَكَ
اللَّهُ الْعَظِيمُ ! . وَهَذَا النَّوْعُ بِسْمِيهِ أَرْبَابُ الْبَدِيعِ التَّمْثِيلِ .

وقول الرَّمَّاحِ بن مَيَّادَة :

أَلَمْ تَكُنْ فِي بُمْنَى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَلَا تَجْعَلْنِي بَعِيدًا عَنْكَ ، قَعْدَلٌ عَنْ

أراد أن يقول : ألم أكن قريباً منك ؛ فلا تجعلني بعيداً عنك ، قَعْدَلٌ عَنْ هذا اللفظ الخاص إلى لفظ أَعَمَّ ؛ وهو التَّمْثِيلُ ، لما فيه من الزيادة في المعنى مما تعطيه كَنَظُتَا اليمِينِ وَالشَّمالِ مِنَ الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ وَمِنِ الْأَوْصَافِ الَّتِي لَا يَحْصِلُ إِلَّا بِذِكْرِهَا ؛ لِأَنَّ اليمِينَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنَ الشَّمالِ ؛ وَأَقْرَبُ إِلَى رَبِّهَا ، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ بِهَا وَيُعْطِي وَيَبْطِشُ ؛ وَيَعْمَلُ الصَّنَائِعَ ، وَبِهَا يَتَمَدَّدُ ، وَهِيَ عِنْدَهُ مُسَكَّرَةٌ عَلَى الشَّمالِ . فهذه الأفعال الشريفة ، وتلك للأعمال الخسيسة ، ولهذا كانت يَمِينُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَكْلِهِ وَشُرَابِهِ وَوُضُوئِهِ وَتَنَعُّلِهِ ، وَشِمَالُهُ لِاسْتِغْنَائِهِ وَإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنْهُ .

قال الرَّبِّيعُ شَرِيحِي فِي كَشَافِهِ : فَإِنْ قُلْتَ : لَمْ أَخَّرْتُ الصَّلَاةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ ^(١) ، وَقَدَّمْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ﴾ ^(٢) ؟ قُلْتُ : هُنَاكَ قَصْدُ الْأَخْتِصَاصِ ، وَهُوَ مُحْزَنٌ . فَقِيلَ : هُوَ عَلَى هَيْنٍ ، وَإِنْ كَانَ مُتَصَدِّقًا عِنْدَ كَمِ أَنْ يُولَدَ بَيْنَ هِمٍّ ^(٣) وَعَاقِرٍ ؛ وَأَمَّا هُنَا فَلَا مَعْنَى لِلَاخْتِصَاصِ . كَيْفَ وَالْأَمْرُ مَبْنَى عَلَى مَا يَعْقِلُونَ مِنْ أَنَّ الْإِعَادَةَ أَسْهَلُ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ ، فَلَوْ قَدَّمْتُ الصَّلَاةَ لَتَغَيَّرَ الْمَعْنَى ^(٤) .

وقال المتنخل :

وَلَكِنَّهُ هَيْنٌ كَيْبٌ كَمَا لَيْتَ الرُّمَحَ عَرْدٌ نَسَاهُ

وَالهَيْنُ فَعِيلٌ مِنَ الْهَوْنِ ، وَهُوَ السَّكِينَةُ ، وَهَانَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ ، أَيْ خَفَّ . وَهُوَ تَهَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، أَيْ سَهَّلَهُ وَخَفَّفَهُ .

(٢) الهم : الشيخ الفاني .

(١) سورة الروم آية ٢٧ .

(٣) الكشاف ٣ : ٢٧٥ .

وفي هَيْنَ لُتَمَانِ : هَيْنَ وَهَيْنَ بِشَدِيدِ الْيَأْسِ وَتَخَفِيفِهَا ، مِثْلُ لَيْنٍ وَكَيْنٍ ، وَمَيِّتٍ وَمَيِّتٍ ، وفي الحديث : «الْبَيْنُ مِثْنُ كَيْنٍ» ، بِتَخْفِيفِ الْيَأْسِ فِيهِمَا ، قَالَ الشَّاعِرُ :

هَيْنُونُ لَيْتُنُونُ أَبْسَارُ ذُوو بَسَرٍ أَرْبَابُ مَسْكُومَةٍ أَبْنَاءِ إِبْسَارِ

وفي هذا المَثَلُ : «هَيْنَ لَيْنٍ وَأُودَتِ الْعَيْنُ» ، يُقَالُ : إِنَّ هَذَا الْمَثَلَ سَارٌ مِنْ قَوْلِهِ دُعَاةٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ صَوَاحِبَهَا حَسَدَتْهَا عَلَى أَنْسَاعِهَا جُدُودَ جَعَلَتْ تَنْطُ إِذَا رَكِبَتْ ، فَقَلْنِ : لَهَا : وَيَحْكُ بِالدُّعَاةِ ! إِنَّ أَنْسَاعَكَ تَنْطُ ، وَإِذَا سَمِعَ الرَّجَالُ ذَلِكَ قَالُوا : هَذَا صُرَاطُ دُعَاةٍ ، فَلَوْ أَنَّكَ دَهَنْتَهَا فَهِيَ أَلَيْنُ لَهَا ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ هَذَا الَّذِي تَخَافِينَ عَارَهُ ؛ قَالَتْ : إِنِّي فَاعِلَةٌ ذَلِكَ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ حَمَلَتْ النِّسَاءُ السَّمْنَ لَهَا فِي الْأَقْدَاحِ ، فَلَمَّا صَارَ السَّمْنُ بِيَدِهَا أَخَذَتْ نِسَاءً مِنْ أَنْسَاعِهَا ، فَقَطَّرَتْ بَعْضُ عَلَى نَوَاحِيهِ مِنَ السَّمْنِ ، فَاسْوَدَّ وَلَانَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ : دُعَاةُ مَيْنَ لَيْنٍ وَأُودَتِ الْعَيْنُ « تَمْنَى حُسْنِ النَّسَمِ ، فَصَارَ مِثْلًا .

❖ ❖ ❖

١٢٢ - وقوله : وَلَمَّا تَوَالَتْ غَرُّ هَذَا النَّثْرِ ، وَانْسَقَتْ دُرُّهُ .

تَوَالَتْ ، مِنَ الْمَوَالَاةِ ، وَهِيَ هِيَ الْمُتَابَعَةُ . وَالغُرُرُ جَمْعُ غُرَّةٍ ، وَهِيَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَكْرَمُهُ . وَانْسَقَتْ ، مَعْنَاهَا انْمَظَمَتْ . وَالْدَّرَرُ : جَمْعُ دُرَّةٍ ، وَجَوَابُ «لَمَّا» يَأْتِي فِيهَا بَعْدُ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : «عَارِضُهُ النَّظْمُ» .

❖ ❖ ❖

١٢٣ — وقوله : فهِزَّ عَطْفَ غُلَوَائِهِ ، وَجَرَ ذُرَيْلَ خَيْلِيَّهِ .

الْفُؤَاءُ وَالْغُلَوَانُ : سُرْعَةُ الشَّهَابِ وَأَوَّلُهُ ، عَنْ أَبِي زَيْدٍ .

وَالْخَيْلَاءُ : السِّكِّيرُ وَالتَّجْه ، يُقَالُ مِنْهُ : اخْتَالَ ، فَهُوَ ذُو خَيْلَاءٍ وَذُو خَالٍ وَذُو خَيْلَةٍ . وَالْمَادَةُ جَرَتْ بِأَنَّ النَّاتِرَ لَا يَصِفُ رِسَالَتَهُ بِحُسْنٍ ، وَلَا يُبْنِي عَلَيْهَا ، مُخْلَافَ الشَّاعِرِ ، فَإِنَّ لَهُ أَنْ يُقَرِّظَ قَصِيدَتَهُ ، وَيُثْنِيَ عَلَى فَصَاحَةِ الْفَانِطِطِهَا ، وَبِلَاغَةِ مَعَانِيهَا ، وَيُسَبِّحَ عَلَى مَحَاسِنِهَا ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ أُسْتَفَاضَ بَيْنَ الْأُدْبَاءِ أَمْرُهُ ، وَتَقَرَّرَ عِنْدَ الْبُلَغَاءِ ذِكْرُهُ . فَقُلَّ أَنْ يُرَى شَاعِرٌ نَظَّمَ قَصِيدَةً مَطْوَلَةً إِلَّا وَخَمَهَا بِالْثَمَاءِ عَلَى مَحَاسِنِهَا .

وَأَبُو الطَّيِّبِ حَامِلُ هَذِهِ الرَّأْيَةِ ، وَأَبُو تَمَّامٍ قَبْلَهُ ، قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَا زُوِّجَتْ وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي الْجَوْزَاهُ (١)
وَإِذَا حَفِيتُ عَلَى النَّبِيِّ فَمَازِرُ أَلَّا تَرَ ابْنَ مُقَلَّةٍ عَمِيَاءُ
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

مَنْ كُلَّ بَيْتٍ يَكَادُ الْمَيِّتُ يَنْهَمُهُ حُسْنًا وَبَعْدُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
وَقَالَ ابْنُ الْقَيْسِرَانِي :

فَدُونَكُمْ لَوْ أَدْرَكْتُهَا أُمِّيَّةٌ لِحَاكِي جَرِيرٍ دُونَهَا وَالْمَرْزُوقُ
يُنَاقِضُهَا مَنْ لَا يَكَادُ تَجْمِيئُهُ
وَقَدْ يَزَارُ الْأَصْرَغَامُ وَالْعَبِيرُ بَنِيهِ
وَقَالَ عُمَارَةُ الْيَمَنِيُّ :

قَوَافٍ هِيَ الشُّمَرَى سُمُّوا وَإِنَّمَا يَلْقَاهَا بِالشَّهْرِ مِنْ لَيْسَ بِشُهُرٍ

مَلَكْتُ عَلَيْهَا خُزُونًا كَبِيرَهَا وفيها على قومٍ سِوَاكَ تَكْبُرُ
تَرْفُ وَلَكِنَّ الصُّدُورَ خُذِرَهَا وتُنَحِّلُ أَلْبَابَ الرِّجَالِ وَتَهْمُرُ

١٢٤ - قوله : عَارَضَهَا النَّظْمُ مُبَاهِيًا ، بل كَايَدَهُ مُدَاهِيًا .

عَارَضَ : فاعِلٌ من المَعَارَضَةِ ، ومُبَاهِيًا : اسمُ فاعِلٍ من المُبَاهَاةِ ، وهى المُفَاخَرَةُ .
وكايد ، فاعِلٌ من المُكَايِدَةِ ، والسكيد : المَكْرُ والخديعة ، وربما سُمِّيَ
الحرب كَيْدًا .

يريدُ بهذا الكلام أَنَّ النثرَ إِذَا تَقَدَّمَ فَلَا بُدَّ مِنَ التَّمَكُّلِ أَن يُبَاحِثَهُ بِشَيْءٍ
مِنَ النَّظْمِ ، لِأَنَّ النُّفُوسَ تَرْتَاحُ إِلَى ذَلِكَ ؛ وَلِأَنَّ الْبَلَاغَةَ دَائِرَةٌ بَيْنَ هَذَيْنِ
النُّوعَيْنِ ، وَهُمَا النَّظْمُ وَالنَّثَرُ . وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ النثرَ أَشْرَفُ مِنَ النَّظْمِ ،
قَالُوا : وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ السُّكُوتَ وَاللَّتْسْلِينَ أَقْلَ مِنَ الشَّعْرَاءِ ؛ لِأَنَّهُ
يَكُونُ فِي كُلِّ زَمَانٍ جِهَةٌ مِنَ الشَّعْرَاءِ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ الزَّمَانَ لَا يَكُونُ فِيهِ
كَاتِبٌ مُفْلِحٌ يُدَوِّنُ كَلَامَهُ وَيُخَلِّدُ . وَمِنَ الدَّلِيلِ أَيْضًا عَلَى شَرَفِ النثرِ كَوْنُ
الْقُرْآنِ غَيْرَ مَنْظُومٍ .

قلت : وَلِأَنَّ الشَّعْرَ يُرَوِّجُهُ الْوَزْنُ الَّذِي هُوَ مُلَاسِمٌ لِلطَّنْبِ ، وَالنثرُ إِن لَّمْ
يَكُنْ فِي الذَّرْوَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْبَلَاغَةِ ، لَا يَقْبَلُهُ النَّفُوسُ ، وَتَمُجُّهُ الْأَسْمَاعُ .
وَمِنْ عَجِيبِ الدَّهَاءِ أَنَّ قَوْمًا قَدَّمُوا خَصْمًا لَهُمْ إِلَى الْحَاكِمِ ، فَقَالُوا : لِفَاعِلِيهِ
مَالٌ ، فَقَالَ : صَدَّقُوا أَيُّهَا الْحَاكِمُ ، سَأَلْتُهُمُ الْمَهْلَةَ إِلَى أَنْ أُبَيْعَ مَالِي مِنْ عَقَارٍ
وَرَقِيقٍ ، وَإِبِلٍ وَشَاءَ ، فَقَالُوا : كَذَبَ أَعَزَّكَ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يَدَاهُمَا بِذَلِكَ ،
فَقَالَ : أَيُّهَا الْحَاكِمُ ، قَدْ شَهِدُوا لِي ^(١) بِالْإِعْسَارِ . فَخَلَّى الْحَاكِمُ سَبِيلَهُ .

وَمَا قُلْتُ أَنَا :

تَدَاهَى عَذُولِي فِي الْفَرَامِ وَلَمْ تَكُنْ مَقَاصِدُهُ تَخْفَى عَلَى عَاشِقٍ مِثْلِي
أَحَبَّ وَلَمَّا غَارَ مِنِّي وَخَافَ أَنْ أَفَانِحَهُ فِيهِ تَسَابِقُ بِالْعَذْلِ

١٣٥ - وقوله : وَحِينَ أَشْفَقَ مِنْ أَنْ يَعْطِفَكَ أَسْتَعْطَافُهُ ، وَيَمِيلَ
بِنَفْسِكَ إِلَاطَافُهُ .

أَشْفَقَ : بِمَعْنَى حَذَرَ . عَطَفَكَ يَعْطِفُكَ ، أَيِ ثَنَّاكَ إِلَيْهِ أَسْتَعْطَافُهُ ، اسْتِغْثَالٌ
مِنَ الْعَطْفِ . وَالْإِلَاطَافُ ، مُصَدَّرُ الْعَطْفِ بِكَذَا ، أَيِ بَرٍّهُ وَأَتَحَفَهُ ، وَهَذَا الَّذِي
سَلَكَهُ ابْنُ زَبْدُونٍ فِي هَذَا الْمَسْكَانِ نَوْعٌ مِنْ سِحْرِ الْبَلَاغَةِ وَزَخْرَفِهَا ، وَهُوَ الَّذِي
يُسَمِّيهِ أَرَابُ الْبَدِيعِ الْإِسْجَالَ بَعْدَ الْمُفَالَطَةِ ؛ لِأَنَّهُ غَالَطَهُ ابْنُ جَهْوَرٍ بِمَا خَدَعَهُ مِنْ
كَلَامِهِ الْمَقْدَّمِ ، ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا النَّثْرَ الَّذِي قَدَّمْتُهُ عَطْفَكَ ، وَأَمَالَ
بِالْطَّافَةِ نَفْسَكَ ، فَأَشْفَقَ النِّظْمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَغَارَ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يُسَاهِمَهُ ، وَيَكُونَ لَهُ
نَصِيبٌ . وَقَدْ جَاءَ مِنْ هَذَا النِّوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ
الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ ^(١) ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

جَاءَ الشَّتَاءُ وَمَا عِنْدِي لِقَرَّتِهِ إِلَّا أُرْتِعَادِي وَتَهْفِيقِي بِأَسْنَانِي
فَإِنْ هَلَكْتُ فَمَوْلَانَا يَكْمُلُنِي
هَبْنِي هَلَكْتُ فَهَبْ لِي بَعْضَ أَكْفَانِي

وَقَدْ تَأْتَى الْمُفَالَطَةُ بِإِسْجَالٍ كَقَوْلِ أَبِي نُوَاسٍ :
أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانٍ كَيْفَ خَلَفْتُمُ أَبَا عُمَانَ ^(٢)

فيقولون لى جنانٌ كما سَرَكَ لَكَ فى نَفْسِهَا ، فَسَلَّ عَنْ جَنَانٍ
 ما لَهُمْ لا يُبَارِكُ اللهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يُنِنِ عِنْدَهُمْ كَيْمًا !
 هذه جنان كان يهواها أبو نواس ، وما صدق فى حُبِّ أحدٍ مَن كان
 يبعثه غيرها . وأبو عثمان الذى ذَكَرَهُ فى شعره هو أخو مولى جنان .
 وما أحلى قولَ القائل :

يا اللهُ يا صاحبَ الوجهِ الذى اجتمعتَ فيه الحسنُ فاستَوَلَى على المَرْجِ
 خَدَتِي خَدَيْكَ وَإِنْ لَمْ تَرْضَ لِي صَلَفًا
 فَأَرْفَعْ بَنِي التَّيْنِ عَنْ ذَا الْمُنْظَرِ الْبَهْجِ

١٢٦ - وقوله : فاستحسن المائدة منه ، واعتدَّ بالفائدة له .

استحسن : استفعل من الحُسن . والعائدة ، تقول : فلان ذو عائدة ،
 أى ذو عفو ونسيان ، واعتدَّت بالفائدة له ، معناه : عددتُ الفائدة له .

وهذا الكلام آخره : مخرج التوكيد لأستعطاف ابن جهور ، ومثيل نفسه
 إلى هذا النظم وقبوله له ، وأنه صادق من قلبه موضحاً ، فكانَ هذا الأمرُ
 صار وافصح حُكمه ، وهذا من باب من قولك : غفر الله له ورحمه الله ،
 وهذا إنما هو فى الأصل دُعاء ، والدعاء طلب ، والطلب استدعاء أمر لم يكن
 بعد ، ولكن تخرجه مخرج أمر قد صار ومضى ووقع ، وثوقاً برحمة الله ،
 وصمماً فى جوده . وما أحسن ما أتى بهذه الألفاظ فى حقِّ النظم ، وأنه الذى
 يُبلفه المقصود لا التثنية ، وإن كان قد جاء فى هذا التثنية بما هو السحر الخلال ،
 وأخذة أتى لا تحميد لها عن الأنفعال ، ولكن هذا كله من التصرف فى

فنون البلاغة ، وقوة المارضة ، فهو يغالطه من هاهنا ويخدعه من ههنا ،
ويكايده من ههنا ، حتى يظفر منه بمزاده .

وفي المثل « تلطف أبي غزوان » ، وهو كُنية القِط ، لأنك ترى القِط
الذى يكونُ عندك في البيت - ولا أعني به الأجنبي - كيف يقف حذاءك
ويخضع لك ويتمرغ على يدك ، ويطرح نفسه على ما يقرب منه من جسدك ،
وتارة ينظر إليك ، وتارة يصيح ، ولا يزال بك حتى تطعمه إمارحة له ،
أو ضجراً منه .

* * *

١٢٧ - وقوله : فما زال يستكِدّ الذهن الليل ، والخطر
الكيل .

يستكِدّ : يستفعل من الكدّ ، وهو الشدة في العمل . والذهن : المنظمة
والحفظ .

والليل : فاعيل من اليلة . والخطر ، خطر الشيء ببالى يخطر - بضم الطاء -
خطوراً ، وأخطره الله ببالى . والكيل : فاعيل من الكلال ، كلّ السيف
إذا لم يقطع ، وكلّ الريح إذا قرت بعد الهبوب ، والظرف إذا ضمف نظره ،
أو اللسان إذا حصل له العي ، بكلّ كلاً وكلالة وكيلة وكلولا ؛ كل ذلك
مصدر « كلّ » .

ثم إن ابن زيدون أخذ بعد تلك المباراة الأولى يصف ما عاناه من
الشدة ، وكابده من المناء في نظم القصيدة التي سوف يوردها بعد انقضاء
كلامه ، كالذى يريد أن يستميل المخاطب إلى ما يورده ، أو كالذى يشوق من
له غرام في مرام ، ويعدده بأنه لو تحصل لك ، لكنت ترى عجباً ، وتظفر بأمنية

بديعة ، فيحصل حينئذ للمخاطب استعداد تام ، ويتكيف لورود ذلك
ولسماعه بكيفية قابلة ، وأعضاء مشتاقة . وما أحسن قول أبي تمام :

تَعَايَرَ الشُّعْرُ فِيهِ إِذْ سَهَرْتُ لَهُ
حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَائِمَهُ سَقَمَتِلْ^(١)

* * *

١٢٨ - وقوله : حتى زفَّ إليك منه عروساً مجلوةً في أنوارها ،
منصوصةٌ مجلِّها وملايها .

جلاه : فهو مجلَّوٌ ، وجلَّتْ العروسُ جِلا ، وجلَّوَةٌ وأجلَّتْها بمعنى . منصوصة ،
مفعولة من النَّصَّ ، وهو الرِّفْع ، ومنه مِنْصَصَةُ العروس . والحلِّي : ما تزان به
العروس من القلائد والشُّنُوف والأشوار وغير ذلك .

والعَلَاب : الزُّعْفَران ، ومن أسمائه الجادِي والريِّهقان والحُصَّ^(٢) . وقد ادَّعى
ابن زَيْدُون أنه قد زفَّ إليه عروساً من نَظْمه ، وهي القصيدة الميمية في أنوارها ،
وحلِّبها وملايها . أراد بالثياب ألقاظها لأنه تحيَّر لها ألقاظاً فصيحَةً عذبة
التركيب ، عريَّة من ألقاظ الغريبة الحوشية التي يلبسوها السمع ، وأراد
بالحلِّي الماعى التي قصدها ، فإنها بليغة كأنها أنواع الجواهر التي يضمها الحلِّي .
وأراد بالعلاب ما فيها من الثناء ؛ لأنَّ الثناء يُوصَف بالطيب على ما هو مشهور
في العُرف .

وقد جرَّت عادة الشعراء أن يُسمُّوا مدائحهم عروساً بديعة الحسن ، وأن
سَوَّحَها إلى تمدوحهم زفاف ، وأن مَهَرَهَا الإقبال على شاعرها ، وهو أشهر
من أن يُستشهد له بشيء . قال ابن السَّعَاتِي رحمه الله تعالى :

(١) ديوانه ٢٢٧ . (٢) الجادى . الزعفران ، وكذلك الريهقان والحص .

تُجَلِّي فَتُطْرِبُ قَبْلَ أَنْ يُحْدَى بِهَا
وَنَرًا وَلَمْ تَدْرِ السَّقَاةَ الْمُسْكِرَا
رُعْبُوبَةً حَسَنْتُ كَوَجْهَكَ مَنظُرَا
مَجْلُوءَةً طَلَبْتُ كَأَصْلِكَ مَخْبِرَا
فَاسْتَجَلَّهَا وَأَسْتَحْلِلَهَا مُسْتَفْرِبَا
وِكْرًا نَمَاهَا صَائِفًا وَمَصُورَا
وقال أيضا:

حَتَّى نَزَفَتْ بَنَاتُ الْحَمْدِ غَادِيَةً
عَلَى رِجَالِ الْمَالِ ثُمَّ تَنْصَرِفُ
يَمُدُّهَا الْفَضْلُ مِنْ إِحْسَانِهِ مُجَلَا
وَهِيَ الشُّذُورُ الَّتِي تَأْتِيكَ وَالشُّنْفُ
وقال أيضا:

وَقَافِيَةٌ مَقْبُونَةٌ الْحَقُّ حُرَّتُهَا
فَوْقَ قِيَّتِهَا حَقًّا وَآهَنْتِهَا الْغَيْبَا
عَرُوسُ حَصَانِ النَّحْرِ ، فَكِرَى وَلِيَّتِهَا
سَهَرَتْ لَهَا وَهْنًا فَمَا وَجَدَتْ وَهْنًا
وقال الأَرَجَانِيُّ:

وَإِنِّي لِأَرْضَاكَ لِلْمَدْحِ كُفُورًا
كَرِيمًا وَأَرْضَى بِنُفْكَائِكَ مَهْرًا^(١)
فَدُؤُنْكَ فَاجْتَلِ بِالسَّمْعِ مِنْكَ
أَزُفَ إِلَيْكَ ابْنَةُ الْفِسْكَرِ بَكْرَا
وقال ابنُ المَعْلَمِ:

أَيُّهَا الْمَوْلَى اسْتَمِعْ شِعْرَ الَّذِي
حَدَّثَ الْمَشْرِقُ عَنْهُ مَفْرِبَةً

جئت أهدي منه بكرًا سُمِّيَتْ بك إذ منك حُلاها المذهبُ
وقال سبط ابن التعاويذي :

زَفَنْتُ إِلَيْكَ عَرُوسَ الثَّمَا عِذْرَاءَ مِنْ حُسْنِهَا فِي نِطَاقِ^(١)
وَصُفْتُ لَهَا حِلْيَةً مِنْ عُلَاكَ عَلَى مَفْرِقِ الدَّهْرِ ذَاتِ انْتِلَاقِ
ومهم من يدعي أن قصيدته « بُرْدٌ مُحَبَّرٌ » ، قال ابن بابك :

أَنْبَتَ لِشَارِدَةٍ تُصَفِّي لَزَنَتَهَا فُصِّحَ الْحَمَامُ إِذَا غَنَى بِهَا الْحَادِي
مَمْشُوقَةُ اللَّفْطِ تَسْتَجَلِي بِدَائِمِهَا كَأَنَّ الْفَاطِيهَا تَحْبِيرُ أَبْرَادِ
ومهم من يقول : « لِمَا عَقِدَ جَوْهَرٌ » ، قال ابن قلاؤس :

نَظَّمْتُ لَكَ الدَّرَّ الَّذِي مِنْ فَرِيدِهِ فَرَائِدُ أَبْكَارِ الدَّرَارِي الْقَوَائِمِ
غَرَائِبُ خُصَّتْ بِالرَّخَائِبِ فَأَمْنَتْ
وكم غُرِرَ فِي أَوْجِهِ وَمَبَامِ
وقال أبو تمام :

إِذَا انْشَدْتَ فِي الْقَوْمِ ظَلْتَ كَأَنَّ
مُسِرَّةً كَبُرَ أَوْ تَدَاخَلَهَا عُجْبُ^(٢)
مُفْتَلَّةً بِاللَّوَاؤِ الْمُتَقَى هَا مِنْ الشَّعْرِ إِلَّا أَنَّهُ الْوَاوُ الرُّطْبُ
ومهم من يقول : « رَوْضُ مُزْهَرٍ » ، قال ابن بابك :

وَأَسْتَجَلِ الْفَاطَاكَ كَانَ سَقِيظَهَا رَوْضُ أَلَمْ بِهِ الرِّكَابُ الْمَسْبَلُ
وإِلَيْكَ صَوَّبَ مَدَائِحُ لَوْ أَنَّهَا مَلَأَ كُئِجٌ بِهِ الرَّحِيقُ السَّلْسَلُ
وقال ابن قلاؤس :

إِلَيْكَ أَتَى رِكَابُ الشَّعْرِ يَطْوِي فَيَمِجَاتِ الْحَزُونِ مَعَ الشُّهُولِ

كَرَّهَرُ الرُّوْضِ قَدْ حُرَّتْ عَلَيْهِ ذُبُولُ غُلَّائِلِ الرِّيحِ الْبَلِيلِ

ومنه من يقول : « سَجَرٌ يُؤَثَّر » ، قال سبط ابن الفخار يدي :

قَوَافٍ تَسْجَرُ الْأَبَابَ حَتَّى يُخَالَهَا فُتُوزٌ وَاحْوَارٌ^(١)
تَظَالُ لَدَى بُيُوتِكُمْ وَتُجَبِّى بِهَا وَأَهْمَا مَنَافٍ وَاسْتِيار

وقال ابن الساعاتي :

مَلَكَتْ أَعْنَاقَ الْفَرِيضِ مِلْكًا إِذْ عَانَ فَلَمْ أَعْمِدْ لَهُ إِلَّا أَنْفَقُ
بَصْدَعٍ بِالسَّجَرِ الْحَلَالِ فَيَكُونُ وَتَارَةً يَسْمَحُ بِالذَّرِّ الْمَسْقُ

ومنه من يقول « نسيم في الرياض يخطر » ، قال ابن القيسراني :

وَذَاتُ مَعَانٍ قَطَمَتْ أَيْبَ أَحْيَا إِلَيْكَ فَجَاءَتْ وَهِيَ تَنْقَبُ بِالْأَبِ
تَهَزُّ عَمِيدَ الْقَوْمِ حَتَّى كَانَتْ
نَسِيمُ الصَّمَا أَقْصَى إِلَى النُّعْنَ الرُّطْبِ

وقال ابن الساعاتي :

مِيَارُهُ الْأَمْثَالُ لَسْتُ بِوَاجِدٍ كَفَوْا سِوَالِكَ لِسْلِمَا وَعَيْرِيلَا
حَضْرِيَّةُ الْمَنَاحَاتِ ضَائِعٌ رَدْعِيهَا^(٢) عَمَ الْبَسِيطَةِ عَرْضَهَا وَالطُّوْلَا
فَكَأَنَّمَا نَفْسُ الْقَبُولِ أَمَدَهَا نَشْرُ أَخْزَائِي لَدَّةً وَقَبُولَا
ومنه من يقول : « خَرُّ أَسْكَر » ، قال أبو فَلَاحٍ :

جَاءَتْكَ كَأَثَرِ الشَّائِلِ وَاهِدًا بِوَصَالِهِ مَتَخَفَرًا مِنْ صَدِّهِ
ذَابَ الْبَدِيعُ بِهَا فَسَلَسَلْ لَفْظَهَا رَاحًا تَوْمَنُ شَارِبًا مِنْ حَدِّهِ

وقال الأرجاني :

خُذْهَا سُلَاقَةً فِكْرٌ قَدْ هَزَزْتُ لَهَا
أَعْطَافَ خَزَقٍ بِسْكَاسٍ الْحَمْدُ نَشْوَانٍ^(١)
رَاحًا يُشْفَعُهَا الرَّأْيُ بِأَكُوسِهَا يُشْرِبُنْ مِنْ دُونِ أَفْوَاهِ بَازَانِ

ومنها من يقول : « حَامُ غَرْد » . قال ابن قلاقس :

جَاءَتْكَ كَالْأَوْرَاقِ بَاتَتْ فِي النَّدَى
خَضِرًا وَكَالْأَوْرَاقِ نَاحَتْ هَتَمًا
مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ تَحُطُّ قِنَاعِهَا فَتَرُدُّ وَجَهَ « قَفَا » وَقَالَتْهَا قَفَا^(٢)
وقال ابن الرقاق :

وإَتَيْكَهَا مِنْ وَاضِحَاتِ قِلَائِدِي
مِدْحًا يَرِنُ بِهَا الْحَمَامُ وَيَهْرَجُ^(٣)
كَتَطَائِعِ الْبُسْتَانِ أَيْنَعُ زَهْرُهَا أَوْ كَالْعَذَارَى الْبَيْضِ إِذْ تَتَبَرَّجُ
ومنها من يقول : « مِسْكُ أَذْفَر » ، قال ابن المعلم :

نَقَحَهَا شَاعِرٌ وَلِيٌّ لَدَرَّ إِحْسَانِيكُمْ رَضِيْعُ
يَنْتَرُ مِنْهَا بِكُلِّ نَادٍ لَطَائِمًا نَشْرُهَا يَضُوعُ

وقال ابن الساعاتي :

قَعَدَتْ حَوْلَكَ الْقَوَائِي وَلَا يَنْدُ فَكَ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا سَيَّارَا
كَلَمًا كَتَمُوهُ نَمَّ شَدَاهُ فَهُوَ كَالْمِسْكِ نَفْجَةً وَانْدِشَارَا
ومنها من يقول : « ثُوبُ أَفْقٍ بِالْكَوَاكِبِ مَدْنَر » ، قال الخفاجي :

(١) ديوانه ٤٠١ ، والخرق من الفتيان : الظريف في سباحة .

(٢) يشير إلى معلقة امرئ القيس التي أولها : « قفا بك » . (٣) ديوانه ١٢٠ .

لك الخير ما جهد القوافي ببالغ مداك ، وإن بذ الرياح حسيرها^(١)
ولو نظمت فيك النجوم مداً

للقصر عن حد الثفاء مسيرها

وقال أبو العلاء الممرى :

وَلَقَدْ دَغَصَبْتُ اللَّيْلَ أَحْسَنُ شُئْبِهِ وَنَظَّمْتُهَا عَقْدًا لِأَحْسَنِ لَابِسِ^(٢)
وَأَفْدَتَهَا الْقِدْحَ الْمَمْلَى فَائْضًا يَجْرِي وَلَمْ أَفْنَعْ لَهَا بِالنَّافِسِ

ومنها من يقول : « حُسامٌ مَقِيلٌ مُجَوَّهَر » . قال ابن الساعاتى :

فَأَفْتَرَعَهَا غَيْدَاءَ جَيْدَاءِ كَالْمَعْدِ شَوْقٌ يَجْلُو عَلَى الْحَبِّ دَلَالَهُ
كَهَفِيحِ الْهِنْدِيِّ حُسْنًا وَلَيْلًا وَكَخَدْبِهِ قُوَّةٌ وَجَزَالَهُ
وقال الأرجاني :

وَاسْمِعْ جَمِيلَ ثَنَاءٍ مِنْ خُلُوصِ هَوًى عَلَى لِسَانِ جَنَانِي فِيكَ يَلْقِيهِ
أَلَا فَقَدْ حَسَامًا مِنْ تَصَادُفِهِ مِنْهَا ، وَطَوَّقَ حَسَامًا مِنْ تَعَادِيهِ

ومنها من يقول : « لَيْثُ يَزَارُ » ؛ قال ابن الساعاتى :

مَدِيحٌ حَكِي زَأْرُ الْأَسْوَدِ جَزَالَهُ وَرَاءَ نَسِيبِ كَالْفَزَالِ يُفَازَلُ
فَمَا نَقَشَهُ إِلَّا سَوَادُ عَجَاجِيهِ وَمَا شَكَّلَهَا إِلَّا قَنَّا وَمَنَاصِلُ

وقد جمع سبط ابن التعاويذي غالب هذه الاعاوى وأدعاها التصيدته ، فقال :

سَامِلًا فِيهِ أَقْصَى الْبِلَادِ ثَنَاءً مَتَى سَارَتِ الشَّمْسُ سَارًا^(١)

(١) ديوانه ٤٨ .

(٢) سقط الزند ٤١٢ ، والقيد الممل من القيد : ما كان له سبعة أنصاء ، والناس له خمسة .

وَأَبْنَى عَلَى مَفْرَقِ الْبَدْرِ مِنْهُ تَجَاً وَفِي مَقْصَمِهِ سِوَارَا
فَوَافٍ كَأَنَّ عَلَى السَّمَاءِ بَيْنَ أَدْرِجٍ بَيْنَ تَكْمُولٍ عُمَارَا
تَضَوُّعٌ طَلِيحاً كَأَنَّ الثَّنَا شَبَّ بِهَا مَتَدِيحاً وَغَارَا
وَنَقَرَتْ عَنْ مَبْهَمٍ كَالرَّيَا ضَرَّ ضَاخَكَ نُورُهَا الْجُمْلَانَا
حَسَنَ فَبِنْ كُنْتُ أَرْسَلْتُهُنَّ عُشُونَا فَإِنَّ الْمَعَانِي عَذَارَى

• • •

قوله بعد تمام القصيدة (٢) :

١٣٩ - هَا كَمَا أَعَزَّكَ اللَّهُ ، يَبْسُطُهَا الْأَمَلُ ، وَيَقْبِضُهَا الْخَجَلُ .

يَبْسُطُهَا الْأَمَلُ ، أَيْ يَدْنِيهَا وَيَطْوِيهَا حَسَنُ الظَّنِّ بِكَ . وَيَقْبِضُهَا الْخَجَلُ ،
أَيْ يَحْجِمُهَا وَيُضْمِئُهَا التَّقْصِيرُ ، وَكَأَنَّمَا تَقْدُمُ رَجُلًا مِنَ الْأَمَلِ ، وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى مِنْ
الْخَجَلِ وَقَدْ طَابَقَ بَيْنَ الْبَسْطِ وَالْقَبْضِ وَبَيْنَ الْأَمَلِ وَالْخَجَلِ ، لِأَنَّ الْأَمَلَ يَبْعَثُ
وَالْخَجَلَ يَكْتُمُ . وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ فِي مِثْلِ هَذَا بَيْنَ الْأَدْبَاءِ ، أَنَّهُ يُتَّبَعُ التَّنَزُّعُ
بِالنِّظَامِ ، لِأَنَّ النِّظَامَ لَهُ مَوْقِعٌ فِي السَّمْعِ تَلَقُّدُهُ ، وَلِلنَّفْسِ بِهِ تَهَاجٍ لِمُنَاسَبَةِ بَيْنِ الطَّبَعِ
وَالْوِزْنِ ؛ قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

فَكَيْفَ وَلَمْ يَزَلْ لِلشَّمْرِ مَا لَا يَرِفُ عَلَيْهِ رِيحَانُ الْقُلُوبِ

ثم إنهم يفتقدون مع ذلك . وقد اعتمد هذا جماعة من الأدباء ، منهم أبو عبد الله
الحسين بن علي بن محمد المعروف بابن قَمٍّ التَّيْنِيَّ في رسالته المشهورة التي كتبها إلى
أبي حمير سبأ بن أبي السمود أحمد الصَّالِحِيَّ ، فقال في آخر رسالته المذكورة :
وقد أصعب عبده هذه الأسطر شمراً يقتصر فيه عن واجب الحمد ، وإن بُنيت قافيته

على المد ، وما يمد نفسه إلى كهدى جلد السيفتى الأثر^(١) ، إلى الديباج الأحمر .
أين در الحباب ، من ثغور الأحباب ، وأين الشراب من السراب !

* * *

١٣٠ — وقونه لها ذنبُ التقصير، وحرمة الإخلاص، فهب ذنباً
لحرمة ، واشفع نعمة بنعمة .

الحرمة : ما لا يحل انتهاكه ، وكذلك الحرمة . والإخلاص : أن يكون
الضمير لا يخاطله شك فيما يمتد به . واشفع ، أى أتبع النعمة بالاعمة حتى يكون
ذلك شفعا ، أى زوجا . وقال عمارة اليمقي :
حَذِّ النِّمَوقَ وَاصْنَعْ هَنْ قُصُورِ قِصَائِدِي

فإنك عن ذنبِ المُقَرِّينِ صَافِحُ
وسامحٌ وحذِّ بضع الذى تستحقه فمن عادة أن الكريم يسامح
وما أحسن ما أنشدنيه لنفسه إجازة صنف الدين الحلى :

فانتهجل بكر قصيد لا صداق لها
سوى القبولِ وودٍ غير مكفور
على أبى الطيب الكوفي منخرها إذ لم أضغ مسكها فى مثل كافور
رقت لتعرب عن رقى لمجدكم حيا ، وطالت لتمحو ذنب تقصير
وقال ابن العلم :

ما كان فى التقصير إلا مذنباً شعري وقد جاء إليك نائبا
قوله : « واشفع نعمة بنعمة » ، من قول أبى تمام :

(١) السبتي من أسماء النمر ، والأثر ما فيه نكت سوداء وأخرى بيضاء .

وَتَقُولُ الْجُدُوى بِجَدُوى وَإِنَّمَا
يُرْوَقُكَ بَيْتُ الشَّعْرِ حِينَ يُصْرَعُ^(١)

وقال ابن حيوس :

وَلَطَّالِمَا أَغْنَيْتَ غَيْرَ مِشَارِكٍ عَنْ صُوبٍ غَادِيَةٍ بِصُوبٍ بَنَانٍ
وَقَلَّمْتَ غَرْبَ كَتِيمَةٍ بِطَلِيمَةٍ وَشَفَعْتَ بِكَرٍّ صَنِيعَةٍ بِمَعْوَانٍ

١٣١ - وقوله : لَيْتَنِي لَكَ الْإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسْلُكَ إِلَى
الْفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ

التأني : والتأنيؤ ، وتأني له ، أى ترفق وأناه من وجهه . وقال الفراء : يقال :
فلان يتأني ، أى جاء بتمريض لمروفيك ، والإحسان مصدر « أحسن » ، وهو
ضد الإساءة . وجهات : جمع جهة ، وهى الناحية والتقص . والسلوك . الذهاب
والرور . والفضل : اسم يعم كل خير ، وهو ضد النقص . والطرقات : جمع
طريقة ، وهى المذهب .

[فصل في نقد المؤلف لرسالة ابن زيدون]

فيما ظهر لي من الانتقاد على ابن زيدون رحمه الله تعالى ، وإن كان من الفضل بالحل الأعلى ، ومن الأدب بالنور الأجل ، فإنه لا بد من السكينة للجواد والمهفة لمن عرض عقله على السواد ، فالمصمة لا تشترط إلا الأمر سئل ، ومن عرض نحره للموالى فلا بد أن يُسئل^(١) ؛ وفوق كل ذي علم عليم .

١- من ذلك قوله : « الذي ودادى له » ، أتى بهذه فذة لأخت لها ، ولو قال بعدها : « وسدادى » لكان قد آخى بين الكلام ؛ كما قال بعد ذلك : « واعتدادى به ، واعتدادى عليه » .

٢- ومن ذلك قوله : « وأنزع الحياماوافق جدبا ، وألذ الشراب ما أصاب غليلا » ، كان يحسن به ويليق بهذا الموضع لو أنشد :
لولا أطراد الصيد لم تك لذة فتطاردى لي بالوصال قليلا
ومن ذلك قوله : « ولا أخلو من أن أكون بريئا فأين عدلك ، أو مسيئا فأين فضلك » كان يحسن بهذا الموضع ويليق به لو قال بعد ذلك :
هينى ظلوما نلتيه بمساءة
قصاصا فأين الأخذ يا عز بالفضل !

٣- ومن ذلك قوله : « حفا نيك قد باغ السيل الزبى » كان يحسن بهذا الموضع ويليق به أن لو زاده : « وجاوز الحزام الطبيين » ، الطبي لدوات الحافر والسباع كالضرع لغيرها .

(١) البسل : الهلاك .

وهكذا كتب عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب وهو محصور في الدار :
« أَمَا بَعْدَ ، فَقَدْ بَلَغَ أَهْلُ الْبَيْتِ الزُّبَيْنِ ، وَجَاوَزَ الْحَزَامُ الطَّبِيعِينَ » . وقد تقدّم
ذلك عند ذكر عثمان رضى الله عنه .

٤ - ومن ذلك قوله : « وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ » ، لم ينقل أحد من
علماء السير أن أحداً ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الأولى
ولا الثانية ولا الثالثة من الأنصار - رضى الله عنهم - نكث بيعته أو تأوّل
فيها ؛ فيأرّده هذه القرينة مع ما تقدمها من الوقائع المشهورة غير لائق .

٥ - ومن ذلك قوله : « وَتَخَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » ،
هذه وإن كان قد وقع فيها جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ؛ فإن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم ينقل أحدٌ من أرباب السير فيما علمته أنه عاب
على أحدٍ ممن تخلف عن الصلاة في بني قُرَيْظَةَ تأخيرهُ . فإنه فيهم من
صلى العصر في وقتها في بني قُرَيْظَةَ ، ومنهم من تأخر عنها . ولما ورد قضى صلاة
العصر في بني قُرَيْظَةَ ، وما أنكر على أحدٍ منهم صلى الله عليه وسلم فعله ؛ وما يليق
بالبلغ أن يورد هذه الواقعة مع ما أورده من تخلف إبليس عن السجود لآدم ،
ومن فعل ابن نوح ، ومن قول فرعون : (يَا هَآكُمَا ابْنِ صَرْحًا) ،
من عقر ناقة صالح ، ممّا ذكره وعدّه من تلك الإساءات ، وأورده من
تلك الذنوب .

٦ - ومن ذلك قوله : « وَزَعَمْتُ أَنَّ إِمَارَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلَئَةً » ،
فإن مثل هذه العبارة لا تورد في الجنايات ولا الخطايا ؛ لاسيما وهي من قول عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه على ما تقدم بيانه . والذين تعلقوا بهذه العبارة
وعدّوها هفوة ، إنما تمسكوا بما فسره الخطابي في كتاب غريب الحديث ؛
وليس ذلك بظاهر ، وابن زيدون رحمه الله تعالى تمسك بما فسره أبو عبيد .

٧ - ومن ذلك قوله : « وَكَتَبْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ : أَنْ يَجْمَعَ الْحُسَيْنَ » ،

فإنه عني بالسكاتب عبيد الله بن زياد وعني بعمير بن سعد ، ابن أبي وقاص ، وهو الذي تولى محاربة الحسين . وعبيد الله بن زياد إنما كتب بذلك إلى الحر بن يزيد التميمي - وكان قد أرسله في ألف فارس - ليأتي الحسين قبل إرساله عمر بن سعد . فلقية الحر ، ومنعه من التوجه إلى الكوفة وإلى الشام ، وحال بينه وبين الرجوع ، وجرى بينهما الصلح - على ما هو مذكور في كتب التواريخ - على أن ينزل الحسين رضي الله عنه حيث انتهى إليه الحر وعسكره ، ويكتب الحر عبيد الله . فكان جواب عبيد الله إليه : أن جمعهم بالحسين وأصحابه حتى تأتي عمر بن سعد ، وأنزلهم على غير ماء .

٨ - ومن ذلك قوله : « فكيف ولا ذنب إلا نعمة أهداها كاشج ، ونبا جاء به فاسق » ؛ كان يليق بهذه الموطن أن يزيد فيه : « وفرة اختلقها حاسد » ، ليحسن بعد ذلك قوله : « وهم الهمازون الشاميون بنعيم » .

٩ - ومن ذلك قوله : وما ظنك بقوم ، الصدق محمود إلا منهم .

حلفت فلم أتركك لنفسك ربيبة وليس وراء الله للمرء مذهب^(١)

ليس هذا البيت بمد هذه السجعات بتممكن في إيراده ، ولا ثابت في وضعه ، وكان الأليق بهذه السجعات لو أورد قول أبي الطيب :

وإن كان ذنبي كل ذنب فإنه
محا الذنب كل المخور من جاء تائباً^(٢)

لكان حسناً وافياً بالقصود .

(١) لأبيته ، ديوانه ١٢

(٢) ديوانه ١ : ١٧

١٠ — ومن ذلك قوله : « ووالله ما غششتك بعد النصيحة ... » ، إلى قوله : « وعهد أخذه حسن الظنّ عليك » ، هنا بعد فراغه من هذه الجمل التي عطفها على الجملة التي أقسم عليها ، يحسن إيراد قول الشاعر :

« حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة .. »

البيت

١١ — ومن ذلك قوله : « فعمّ عبث الجفاء بأذمّتي » ، كذا وجدته بخط الشيخ الإمام الأديب الكامل عليّ بن ظافر رحمه الله تعالى في اختصاره نفائس الذخيرة ، والظاهر أن ابن زيدون رحمه الله تعالى إنما قال : « فقيم^(١) » أو « علام » .

١٢ — ومن ذلك قوله : « وما لك لم تمنع منّي قبل أن أفترس » ، وتذكرني ولما أمزق ، أم كيف لا تنضمّ جوانح الأكفاء حسداً لي على الخصوص بك » ؛ هكذا نقلته من خط ابن ظافر رحمه الله تعالى ، وما لدخول هذه الجمل المصدّرة بأمر مناسبة على هذه الجمل المصدّرة بحرف الاستفهام ؛ لأنه لا يجوز أن تقول : مالك لم تقم ، ولم تركب ، أم كيف لا تكون قاعداً ؟ وهذه « أم » إنما يعطف بها على الاستفهام بالهمزة ، فتقول : أقمت أم قدمت ، والظاهر أن ابن زيدون رحمه الله تعالى قال : « وكيف لا » ؛ والله أعلم .

١٣ — ومن ذلك قوله : « عارف بأن الأدب الوطن لا يخشى فراقه » ، والخليط لا يتوقع زياله » ، كذا وجدته بخط ابن ظافر رحمه الله تعالى ، وهو غير مستقيم ولا متفق ، لأنّ كل أحد يخشى فراق وطنه . والظاهر أن ابن زيدون رحمه الله تعالى قال : « عارف أن الوطن يحتجب فراقه والخليط يخشى زياله » ، وإنما صحف « يحتجب » ، « يخشى » وزادها « لا » ، لأنه قال

فيا بعد : « غير أن الوطن محبوب والمنشأ معروف ، واليبس يحن إلى وطنه » .

١٤ — ومن ذلك قوله : « والكريم لا يجفو أرضاً بها قبائله ، ولا ينسى بلداً فيها مراضمه » لو قال بعد هذا : « ولا يرفض معهداً قضى الشباب فيها مآربه » .

١٥ — ومن ذلك قوله : « إن الطمع في غيرك طبع ، والفناء من سواك عناء » ، لو قال بعد ذلك : « والطمأنينة إلى غيرك غرور ، والنقة بخلافك خذلان » لكان فيه زيادة حُسن .

فصل

[رسالة محي الدين بن عبد الظاهر]

وإذ قد وصل بي العمل إلى هنا ، وفرغتُ من الكلام على الرسالة الزيدونية ، فلا بأسَ بإيراد الرسالة التي أنشأها الإمام الفاضل الكاتب القاضي محي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر^(١) ، أحد أسيان الإنشاء ، لا بل إمام مَنْ ترسَّل وتوصل إلى المقاصد الغريبة ، بحسن ما خاطب ، ولطف ما توسَّل . وهي رسالة كتب بها رحمه الله تعالى إلى الأمير ناصر الدين حسن بن شاور السكناي القميصي المعروف بابن النقيب^(٢) رحمه الله تعالى ، في معنى شخص تنقصه بسبب التواضع في الجلوس ، وهو يُنسب إلى الرفض ، هذا فيما حدَّو ابن زيدون رحمه الله تعالى في هذه الرسالة في سنة ثلاث وخمسين وستمائة . وقد نقلت ذلك من خطه رحمه الله تعالى :

بلغني - أعزك الله ، ولا برحت رَحِيْبَ فناء الفخر ، قشيب ملبسِ العمر ، يانع ثمر الشكر ، مُفعم حياض البر - أن فلانا غَضَّ مَنى كل غَضَّ الجنى ، وأنه عبثَ بي عبث الأيام بالمنى ، وأنه ردَّني إلى أرذل العمر في الأطراح ، وغلَّق في وجهه تنجّحي أبواب النجاح ، وزعم أن إناء أناني^(٣) غير مُفعم ، وبقاء مجدى غير مُحكم ، وجواد إجادتي غير مُلجَم ، وأن ميلادَ مجدى حديث ، وسبب سقمدي رَئِث^(٤) ، وأن جوارح إجادتي جَريحَة ، وقرائح ارتجالي قَريحَة ،

(١) هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان عبي الدين القاضي الأديب المؤرخ ، من أهل مصر مولداً ، ووفاته ، توفي سنة ٦٩٢ . فوات الوفيات ١ : ٢١٢ .
(٢) هو الحسن بن شاور بن طرخان ، شاعر من أفاضل مصر ، وصاحب كتاب منازل الأحياء . توفي سنة ٦٧٨ . فوات الوفيات ١ : ١١٨ .
(٣) في ط : إمائي .
(٤) السبب : الحبل ، والرئيت ، أى البالي .

وَأَنَّ صَدُورَ الْجَالِسِ تُتَفَكَّرُ إِفْدَامَ أَفْدَامِي ، وَبَطُونِ الطَّرُوسِ لَا تَتَلَقَّحُ بِوُطءِ أَقْلَامِي ، وَأَنِّي لَا أَعْدُ فِي جَمَلَةِ الْكِتَابِ ، وَإِذَا دَخَلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ لِلتَّكْرِيمِ لَا أَدْخُلُ مَعَهُمْ فِي بَابٍ .

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمُومِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ^(١)

وَقَدْ بَنَيْتُ مَقَالَةَ هَذَا الْقَائِلِ عَلَى أُمُورٍ ، وَجْهَاتِهَا عَلَى احْتِمَالَاتٍ ؛ غَرَّهُ فِي جَمِيعِهَا الْجَهْلُ ، كَمَا غَرَّهُ بِاللَّهِ الْفُرُورُ . وَالَّذِي أَقُولُهُ لَهُ مَخَاطِبًا ، وَأُوحِيهِ إِلَيْهِ بِجَاوِبًا :

إِنْ كَانَ اسْتِرْسَالُكَ أَيُّهَا الْعَائِبُ عَيْنًا ؛ فَمَا كُلُّ الْأَفْعَالِ تَعَبَّثَ بِهَا الْأَنَامِلُ ، وَلَا كُلُّ الْمُرَايِ تَنَصَّبَ بِهَا الْخُبَائِلُ ، وَلَا كُلُّ زَخَارٍ يُخَاضُ ، وَلَا كُلُّ جَنَاحٍ يُهَاضُ ، وَلَا كُلُّ جَامِعٍ يُرَاضُ ، وَلَا كُلُّ سَابِقَةٍ تُفَاضُ ، وَلَا كُلُّ نَسْرِ وَاقِعٍ ، وَلَا كُلُّ نَبَرٍ رَاجِعٍ^(٢) ، وَلَا كُلُّ السُّمُومِ يَدْخُلُ فِي دِرِّيَاقٍ ، وَلَا كُلُّ مَطْوُوقٍ يَجْذَبُ بِالْأَطْوَاقِ .

فَإِنْ كَانَ مَاقِلَتُهُ حُدُكًا ؛ فَإِنَّ مِنَ الْأَحْلَامِ مَا يَرُوعُ ، أَوْ وَهْمًا فَإِنَّ مِنَ الْأَوْهَامِ مَا يُخَامِرُ الضُّلُوعَ ، أَوْ جَهْلًا فَإِنَّ الْمَذِلَّ الرُّطْبَ لَا يَضُرُّهُ كَوْنُهُ حَطْبًا فِي مَوْطِنِهِ ، وَالتَّبْرَ لَا يَضِيرُهُ كَوْنُهُ تَرَابًا فِي مَعْدَنِهِ . وَلَا يَضُرُّ الزَّيَّادَ الْوَارِيَّ قَذْحُ الْقَادِحِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَضِيرُ النَّجْمُ السَّارِيَ نَبْجُ النَّابِجِ ، وَلَا عَلَى إِذَا قُلْتَ مَلَامًا ، وَقُلْتَ أَنَا سَلَامًا ، وَالْفَخْرُ فِي أَنْ أَحْلُمُ إِذَا قُلْتَ اهْتِضَامًا ، لَا فِي أَنْ تَقُولَ كُلَّ مَا حَلَمْتَ مِنْهَا ؛ كَمَا أَنَّكَ مَا فِي يَدِكَ أَنْ تُحْدِثَ لِي ضَرًّا ، وَفِي يَدِي أَنْ أُوسِمَكَ صَبْرًا ، وَفِي قُدْرَتِي أَنَّكَ تَسْتَفْضِينِي فَلَا أَعْصِبُ ، وَفِي قُدْرَتِكَ أَنِّي أَسْتَرْضِيكَ وَلَا تَرْضَى . وَعِنْدَكَ أَهْلُكَ تَأْكُلُ لِحْمِي مَيْتًا ، وَعِنْدِي أَنِّي لَا أَسْتَحِلُّ أَنْ آكُلَ

(١) للعتبي ، ديوانه ٣ : ٢٦٠ .

(٢) لأن السكواك في زعمهم ، بعضها له رجوع ، وبعضها لا رجوع له بل يستمر .

لك لقمة ولا زيتاً ، ويمجبك أنك تحفر لي بئراً وتقع فيها ، ولا يعجبني أنقى أقم فيك .

أنزله قلبي عن مجازاة مثله متى كانت الآساد مثل الثعالب !
وأعود إلى محاققة النفس ، فتأبى إلا إظهار اللبس ، فأقول :
هل أنت يافلان إلا مقترص بزور ، وآيس من الخير كما يبئس الكفار
من أصحاب القبور ، وآمن من العواقب ولله عاقبة الأمور ! وما ميالاتي بك
إلا مبالاة الديك بالبط ، والشمة بالقط ، ورماح الخط بأقلام الخط ، ومتى
خافت الرعود من الوعود ، أم متى أحجمت الأسود عن القroda ، أم متى جرعت
البهار من التيار ، أم متى صارت النار كالأنوار . أم متى فرغت بنات نعش من
بابني سمير^(١) ، أم متى صغرت بنو الزيان في عين أبي كبير ، أم متى جبن
الفرزدق من جرير ، أم متى شبت النعماني^(٢) بالنعام ، أم متى خاف هرام مصر
من الأيام وهي التي يخاف منها^(٣) على الأيام ! وهل تبالى الدرة المضببة إذا قيل
لها : الينيمة ! أم هل تعاب الأعين النجل إذا قيل لها : السقيمة ! أم هل تحل
الرضيمة بالخصور إذا قيل لها : الهضيمة !

وما ميالاتي بقوله إلا مبالاة آدم بعدم سجود إبليس ، ولا ضرر منك
إلا ضرر الصرح للمرد من قوارير بوطء بلفيس . أم هل أبالي بك إلا مبالاة
البازي بالحمام والليث بالثفاف الخيس ، ومتى كانت همدان تفخر على كلب^(٤)
أو تحذر منها الكيد ، أم متى خاف الأسد من أبي زبيد ! وهل بالت
قريش بتأليب أبي سفيان ، أم هل فرغت مازن يوماً من استباحة ذهل بن
شيبان ، وبمحمد الله ما أحوج الزمان إلى زياد ، ولا ألبأ إلى تلقيه بوجه مكفهر
كأن عليه أرزاق العباد .

ولست - لحاك الله - من بني ضريم الذين تلمتهم التهامم والنجود ،

(١) أبنا سمير : هما اللؤل والنهار .

(٢) النعماني : النسيم .

(٣) الأصم : « عليها » .

(٤) في الأصل : « كلب » .

ولا من بنى عمرو الذين ليوتهم سُمْتُ صعب الصمود ، ولا فيك مافي أبي قابوس
من حزم ونائل ، ولا لديك ما لدى مَنْ إذا قال لم يترك مقالا لقائل .

وكان الواجب عليك أن تُمسك إمساك ابن المعدل عن مُلاحاة المعرض
ببَنِيَّان ، وأن تألف من فضيحة جَمَلِك القطيعة أنفة جبلة بن الأيهم ما بين
غسان . وما كان أشفلك عن ذكرى بذكرك ، وأحقك بأن تُجبل في خويصة
نفسك جواد فسكرك ، وأولأك بأن تدخل في رحمة الله بعرفانك لقدرك .

وَلَوْ أَنِّي بَلَيْتُ بِهَا شِمِّي خُمُولَتُهُ بِنُو عَبْدِ الْمَدَانِ^(١)

لَمَانَ عَلَى مَا أَلْتِي ، وَلَكِنْ تَمَآلَوْا فَانْظُرُوا عَنِ ابْتِلَانِي

وتالك لقد امتنعت من مثلي مفوتها ، وآثرت من ذمي مُرفقها ، وهزرت
من قلبي منقفا ، وأصلت من كل مرهفها .

مَتَى سَأَلْتُ بِغَدَادَ عَنِّي وَأَهْلَهَا فَإِنِّي عَنْ أَهْلِ التَّوَاصِمِ سَائِلٌ
وَلَئِنْ عِثَرْتَنِي يَا بَن لَنُخْصِمَ هَجَاءً ، فَإِنِّي لَأَرْجُو أَنَّهُ سَيَبْعَثُ بِكَ دَاءً .

لَقَدْ هَزَمَنِي عَامَرٌ يَوْمَ لَقَعَهُ حُسَامًا إِذَا ذَاقَ الْفَرِييَةَ صَمَامًا

وها نحن ننتظر فعل الله فيك بما تفعل بنفسك ، ونحسب لك غنارك في
غلك من أمسك ، ونترقب بك الدوائر تربصك بفلسك .

وَمَنْ يَتَرَبَّصْ صَوْلَةَ الدَّهْرِ يَلْقَهُ

وَشَيْكَا ، وَهَلْ نُوْحَى الْأَسَاوِدُ بِالْوَلَعِ !

وكيف لا يدخل عليك الاعتلال ، وأنت وأخوك وأبوك وفوك وكل
معتل وذو مال ! .

(١) لدعبل الخزاعي ، ديوانه ٣ .

وليس الفى إلا غنى زين الفتى عشية يقرى أو غداة يُذيلُ
وأماما توهمت من حلولى فى أخريات المجالس ، وكوْنى فى ذلك غير منافس
ولا منافس ، فلا عيب على السَّمان إذا ختم الأنايب ، ولا حلول القافية فى
آخر البيت من الأعاجيب .

والبدْر أحسن ماترا ه العين فى ذيل الأفق
ولا حطّ منزلة الحمد له إذا أنى بها فى آخر الكتاب من كتب ، ولا شأن
سورة الإخلاص إذا تقدمها فى المصاحف سورة أبى لمب .

ولو لم بعل إلا ذو محلّ تعالى الجيش وانحطّ القتام
ولا تماب الشمس إذا كان لها دون فلك زحلّ مقام ، ولا يوم عروبة إذا
جاء سادساً الأيام ، ولا الألف إذا جاء بعد الواحد فى العدّد ، ولا الزهرة إذا
كان يبتها الثور كما لا فخر للشمس إذا كان يبتها الأسد .

من كان فوق محلّ الشمس موضعه فليس يرفعه شيء ولا يَضَعُ
والبيت بأهله ، والغنم بنصّله ، والثوب بلبسه ، والجواد بفارسه ،
والقوسُ براميهما ، والصهوة برأقيها ، ومن أسافل البحور تترقى الذرارى إلى
أعلى النحور .

وقد يُنمى كبير من صغير وينبت من نوى القشب اللبان
وأن تأخرت الواو فى « عمرو » فى الهجاء ، فلطالما كانت صدر الكلام فى
الابتداء ، ولئن جاءت الهمزة آخر الممدود من الأسماء ، فسكثيراً ما جاءت أوّلاً
فى الاستفهام والإغراء ، وقد ورد التصغير للتعظيم ، ونطق القرآن بالتهكم بلفظ
« التكريم » .

على أن السعد بحمد الله لا يتوقف على الجلوس فى أوائل المجالس ولا الحلول

منها في الأواخر ؛ ولا يحض المرتفع ويخص المتضع فقد غلظت السبابة
والوسطى وحليت دونهما الخناصر ، ولا حسن الثوب إلا بسجافه ، ولا رقم
المعلم في برؤ إلا في أطرافه .

إذا أنت أعطيت السعادة لم تبيل

ولو نظرت شذراً إليك القبايل^(١)

تفتك على أكتاف أبطالها القنا وهابتك في أغمارهين المناصل^(٢)

ولقد لامست متى شيهما ، ومارست ضيفما ، وجالست أرقما ، وزاحت
جدلا ، وهابت أجدا .

ياسالكا بين الأسنة والقنا إني أئتم عليك رائحة الدم

وها أنا قد وجدت مكان القول ذا سعة ، والسيف أقطع ما يكون إذا
هز ، والجواد أسرع ما يكون إذا لز . وإن مع اليوم غدا ، ولو ترك القطا
لهذا ، وعداوة الشعراء بئس المقتنى !

ومن تغلق به حمة الأفاعي يمش - إن فاته أجل - عليلا

وإن قلت : إراك لا يضررك هذا الإرهاج ، ولا يثرك هذا الإزعاج ،
ولا تبالي به إلا مبالاة الزجاج بالزجاج ، ولا تأنف منه إلا أنفة الحججاج
بالحجاج .

فإن بني الفؤيرة أدركتهم مذمتهم بعبد أبي سراج

وأعود فأقول : ما أظنك وقعت متى على الخبير ، ولا أنت في الفحص
عن حالي في قبيل ولا دبير ، ولا علمت أن جدى سعد وجدى سعيد ، ولا

(١) لأبي الملاء المرى ، سقط الزند ٥٤٩ .

(٢) تفتك ، أى انتك .

أنى بحمد الله الأمان وكيف لا ووالدى الرشيد ، ولا أن لى إباء يضم لى فوق
البدر مهاداً ، وشيماً تجهل الجوزاء تحت يدى وساداً .

وقد سار ذكرى فى البلاد فمن لهم

بإخفاء شمس نورها مقسكامل^(١)

ولمى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطع الأوائل

وتالله إن يؤمى يُنافس فى الأمس ، وقوى بفخرون بى كما فخر عصام بالنفس .

إننا ذوو النسب القصير فطوّلنا أعياناً على الكبراء والأشراف

والراح إن قيل ابنة العنب اكتفت

بأب عن الأسماء والأوصاف

ولا أعلم أيها المتقصد لى ذنباً يستدعى هذا الإسهاب ، ولا بئنى وبينك

خطوباً فيما فُتت به من الخطاب . اللهم إنى لا أعتقد اعتقادك المضلل ، ولا

أرى رأيك المؤول ، ولا أفلد عبد الله بن سبأ فى اعتقاده ، ولا أبا الخطاب

الأسدى فى اجتهاده ، ولا أوافق هشام بن مسلم الجوالقي على مراده ،

ولا أنشدك :

ألا إن الأئمة من قریش

على والأئمة من بنيہ

فسبط سبط إيمان وبر

وسبط لا يذوق الموت حتى

ولا أنشدك قول السيد الخنيزى :

ألا قل للرضى قد تك نفسى

أضر بمشرك والوك منى

أطلت بذلك الجبل المقام

وسموك الخليفة والإمام

أو أنك تمقتد أنى من شيمة أبى كامل ، أو أننى انفتت أنا وابن ملجم
على تلك الفوائل ، أو أننى من الظالمين بنأر الدار إذا جدَّ الوَهْل ، أو أننى
كنت مع بنى خُصبة فى يوم الجمل ، أو أننى تأولت فى قتل هُمار بن ياسر ذلك
التأويل السقيم ، أو أننى كنت من جملة مَنْ رَفَعَ المصاحف لطلب التحكيم ،
أو استعيرأت عقل أبى موسى الأشعرى بالمسأورة ، أو خدعته بخلع الرِّجَّالين
فى المسأورة ، أو اتبعت عبد الله بن وهب الراسبى فى جمعه ، أو ناظرتُ
عبد الله بن عباس لما حضر لمناظرته على صفته ، أو ساعدت معاوية بن
حُديج على قِبله ، أو أشرت على معاوية بإنفاد بُسر بن أرطاة إلى المدينة حين
لا عهد لها بمثله ، أم ترانى أنشدت يوم قتل الإمام ، عليه السلام :

ففلق هاماً من رجال أعزة علفينا وهم كانوا أعتقوا وأظلموا^(١)

أم ترانى ألقى الله بعمل سنان بن أنس ، أم قد أقدمت لإقدامه حين ضربه
حتى ألقاه عن الفرس ؛ حاش لله ما أنا من هذا القَبِيل ، ولا سالكٌ هذا
السبيل . وعلى تقدير أننى أتيتُ بأكثر من هذه الذنوب ، وأن قافل توبتى
لا يثوب ، أليس لى نفسٌ لا تصبر على ضيِّم ، وشمس إبائى لا يسترها غيِّم ،
وبياض خلق ولا بياض خلق سحيم آآ آمنت كاتب الدرجات باتفاق
الاسمين ، لما ظهر الفرق فى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم بين العَبْدِين ، أو
باختلاف النزائين ، لما غلبت بَيِّنَةُ الشمس على القمر وبينهما للزهرة وعطارد
بمد فلكين

وإذا خَفِيتُ على الغيِّ فقاذر ألا ترانى مقلّة عَمِيَاء^(٢)

أنا صَخْرَةُ الوادى إذا ما زُوِّجَتْ

وإذا نطقتُ فإننى الجـــــــــــــــــوزاء

(١) للحصين بن الحمام المرى ، الشعر والشعراء ٦٣٠ .

(٢) لأبى الطيب المنبى ، ديوانه ١ : ١٥ ، ١٦ .

وقد آن أن أخبس العنان ، وأغمد حدّي السيف واللسان ، وأشدّ بأعناق
 للنفى غير هذه وأضرب صفحاً ، وأنشئ على رأى العامرية صُلحاً ، وأعدل
 من نار القَرِّ إلى نار القَرِّى ، وأسرى لأحمد الشرى ، وأستروح من مثالبه
 لأستريح ، وأودعها ولا أودعها ، وأجم لها ولا أجم منها^(١) ، وأهب جثن
 الدواة غفوة ، وأغفر لحدّ القلم نبوة . ومن يكون المولى مهمين فرائده ،
 وجوهرى قلائده ، ومثقف صماده ، ومقتوى زنده ومورى زنده ، والحامى
 عنه بسيفه وقلمه ، والمرشح له من ديمه ، فلا يبالي بتنقيص العارى ، ولا يتأسف
 على ثلب المبارى :

على نحت القواني من مقاطعها وما على لهم أن تفهم البقر
 ولا يضرب الورد الخضل ، استنقاص من به داء الجمل^(٢) ؛ كما أنه لا يضرب
 القمر المنير ، استهزاء الضرير .

ويكفينى - أطل الله بقاءك - فى الدعاء عليه تأمينك ، وفى حفظ مساوئ
 تلقينك ، وفى الاعتداء عليه تجهيزك ، وفى التكاثر عليه تعزيرك . وها أنا أستعين
 وأستعير ، وأستميل وأستعير .

والقوافى كما علمت قوافٍ إثر من حاد عن طريق الصواب
 وسأذهمه منها بما لا قبل له بها ، وأجلب عليه بخيل ورجل ولا قدرة
 له بجلبها ، وإن كان عرضه لا يصلح للهجو ، ولا يساوى ثوب ثلبه أجرة
 الرفو . فقد يجرب السيف فى خف البعير ، ويستحل نكاح المرأة البريئة بالعبد
 الصغير . وتصفى الفضة الخلاص بانرضاص ، وتفصل عقود الجوهر بالسحاب ،
 وتساغ اللقمة الحللة بمجرم الشراب . ومن لم يجد ماء طهوراً تيمم .

* * *

فأدام الله لك النعمة لإدامة لا ينقصها اختزال ، وحرسها عليك حراسة
لا تنتهى إلى زوال ، خذها أجلك الله ، قد أشأتها سُحباً نِقْلاً لك منها عذب
الشراب ، ولغيرك عذاب السراب ، وأوريتها ناراً لك منها الإنارة ولغيرك
الإحراق ، وأجريتها بحاراً لك منها الإرواء ولغيرك الإغراق . وأدرتها شمولاً
لك منها الذشوة ولغيرك الخمار ، وطبعتها نصولاً لك ما ضُمَّت عليه الأنامل
منها ولنحجر غيرك الفرار ؛ وها قد أتتكم لم يكشف غيرك لها نقاباً ، ووفدت
عليك لم تطرق لغيرك باباً ؛ فأرّخ عليها ستر معروفك الذى سترت به قدماً على
عواري . وقد حسدها القربض على سبقتها إلى ناديك ، وغبطها على حلوها
بواديك ، فتماق بأذيالها مستشفعا ، ونظر خلال سطورها متطلماً ، وها هو
قد خيمَ بأبياته فى ذراك ، وترجّلت قوافيه بين يدي عداك . . .

الملا فى ارتشافِ درِّ العلوم - والحلى فى إنشاحِ درِّ العلوم -
والنهای فى كل فعلٍ حميدٍ - ما التباهى بكلِّ خِلٍّ حميمٍ -
والسعيد الشقى من جمع الـ - مال لتفريقِ خَلَّةٍ وخديمٍ -
والغنى الفقير من لازاء - لفتيدٍ مواسياً وعديمٍ -
والعظيم القدار كلُّ سرى - يُترجى فى كل خطبٍ عظيمٍ -
والكريم الآباء من يُسأل النفض - لفيانى بكلِّ فعلٍ كريمٍ -
والنقى من يكون فى كل حالٍ - ليس بالصغب ، لا ولا بالزيم -
ليس عندى الذميم فى الخلق إلا

مَنْ أَنى خُلِقَهُ بفعلٍ ذميمٍ -
فمقيم الرياح يُكره بالطَّبِّعِم ويلتذ دائماً بالنَّسيم -
واتفاق الأسماء ليس بمجدٍ - ما سليم فيما يرى كسليم -
واتسام الإنسان بالشُّكرِ أولى - من رسومٍ فى جلده ووسوم -

إِنَّمَا يَظْهَرُ التَّفَاوُتُ فِي الْفِعْلِ ، وَلَيْسَتْ وَلُودَةٌ كَقَتِيمٍ
 وَمَضَاءُ الْفِرَارِ فِي السَّيْفِ أَمْسَى سَبَبًا فِي زِيَادَةِ التَّفَخُّيمِ
 وَاللَّاكِي لَوْلَا الْعَلَاؤُ فِيهَا لَمْ تُقَارَنْ بِكُلِّ وَجْهِ وَسِيمِ
 إِنَّ حَسْنَ الثَّنَاءِ يُعْلِي مِنَ الْمَرْءِ وَيُفْلِي وَخِيمَ أَمْرِ وَخِيمِ
 وَبِفَيْضِ كَأَنَّهُ الْمَوْتُ إِلَّا فِي اقْتِرَابٍ مِنَ الْغُفُورِ الرَّحِيمِ
 غَضْرُ مَيِّ مَالَا يُفَضُّ وَأَمْسَى مِنْ عَنَانِي يَتَنَّى أَشَدَّ شَكِيمِ
 وَأَنْ كَانَ فِي النِّعَمِ بِمَالٍ فَهَوَّ بِالْبُخْلِ فِي سَوَاءِ الْجَعِيمِ
 وَلَكَمْ تَاهَ مِنْ غِنَاهُ فَمُنْكَأ لَيْسَ ذَا الْقِيَمَةِ عِلَّةَ التَّمْطِيمِ
 إِنْ يَكُنْ بِالْخَطَامِ يَشْرَفُ شَيْءٌ لَمْ تَعْظُمْ شِمَائِرُ اللَّحْطِيمِ
 أَيُّهَا السَّائِلِيُّ عَنِ السَّيْبِ فِيهِ هُوَ كَمَا عَاثَ مَرَّةً فِي أَدِيمِ
 هُوَ ذُو الْبُخْلِ وَالْبَذَاءَةِ وَاللَّوْ مِ ، وَسَوْءُ الْجَوَارِ وَالْتَجْسِيمِ
 وَلَمَعْرَى إِنْ الْحَلِيمِ إِذَا مَا سِيمٍ خَسَفًا تَرَاهُ غَيْرَ حَلِيمِ
 حَاضِرُ الْعَيْبِ حِينَ يَرْجَمُ بِالْفَيْءِ سَبَبٌ تَرَاهُ يَبْدُو لِسُكْلِ عَلِيمِ
 لَا تَسْأَلْنِي عَنْهُ فَمَا هُوَ خَافٍ كَيْفَ يَخْفَى شَيْطَانُهُ مِنْ رَجِيمِ
 وَكَذَا لَيْسَ فِي الْأَنَامِ بِخَافٍ مَنْ أَيْادِيهِ مَسْلِيَاتُ الْمَهْمِ
 سَيِّدٌ مِنْ كِفَانَةٍ هُوَ مِنْهَا خَيْرُ سَهْمٍ مَسَدَدُ التَّصْمِيمِ
 زَانِي مَذْحُهُ ، وَلَوْلَا نَفْسَاهُ لَمْ أَقْلُدْ بِكُلِّ نَظِيمِ
 حَسَنَ الْإِسْمِ وَالْفَعَالِ كَرُوضِ

فَاقَ حُسْنَ الْمُرَآيِ وَحَسْنَ الشُّعِيمِ
 فَلَمَّ جَدَى مِنْهُ أَمَدَ خَصِيمٍ وَأَضْدَى مِنْهُ أَشَدَّ خَصِيمِ
 وَلَكَمْ قَاتَ مَعْلَسًا فِي مَعَالِيهِ بِشَجْوٍ مُرْجِعِ التَّرْنِيمِ
 خَذَ قَرِيضًا أَدَارَهُ كَرَمُ الْوَدِّ سُلَافًا يُرْزَى بِنَتِ السُّكُومِ

هوفى الإمتزاج ماءً ، وَتَحَرَّرَ
وَلَمَّا جَاءَ فِيهِ هَبْجُوْهُ فَلَانَ
فَلَعَمَرَى لَهُ الْمَجَاءُ نَسِيبٌ
وَلَكُمْ نَفْسُهُ وَلِلْغَيْرِ مِنْهُ
إِنَّ زُهَرَ النُّجُومِ مِنْهَا رُجُومٌ
رَبِّ وَصَلِ أَتَاكَ مِنْ بَعْدِهِ جَرٌّ
فَهَبِ الصَّفْحَ لَا عِدْمَتَكَ مَوْلَى
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فهرس الموضوعات*

صفحة

٥ - ٣	صدر الكتاب ترجمة ابن زيدون:
١٠ - ٩	رسالته إلى أبي بكر بن مسلم لا اختفى
١٣ - ١٠	أخباره مع ولادة بنت المستكفي
١٤ - ١٣	الكلام على قصيدته التونية ومعارضة المؤلف لها
٢١ - ١٥	ذكر بعض غرر شعره
٢١	تاريخ مولده ووفاته
٢٩ - ٢٢	ذكر رسالته كلها
	السيد والمولى ، وهل يجوز إطلاق هذين اللفظين
٣٥ - ٣١	على المولى سبحانه ؟
٣٦ - ٣٥	رأى الخليلي والسهيلي في معنى لفظ السيد
٤٨	قصة إسماعيل بن المنصور الخليفة الفاطمي وطبيبته
٥٠	حكاية فتك القاهرة بالله بمؤنس المظفر
	بيان كيف سمّ الشماخ اليماني إدريس بن عبد الله
٥١ - ٥٠	أبا الأدراسة
٥١	قصة التركي الذي قتل المتوكل
٥٢	مقتل أفريدون التركي بدمشق
٥٣ - ٥٢	مقتل السلطان ألبا أرسلان على يد يوسف الخوارزمي
٥٣	مقتل الملك الأجد بهرام شاه على يد غلامه
	مقتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون على يد مملوكه
٥٣	الأمير سيف الدين بن مدار

* وهي الموضوعات التي ذكرت استطراداً في الكتاب .

- ٥٣ تنسكر سيف الدين فوش للأمير تفكر
- ٥٣ حكاية الذكي عبد الرحمن بن وهب القرومي مع الملك المظفر صاحب حماه
- ٥٧ ، ٥٦ شرح المثل السائر : « سد ابن بيض الطريق »
- ٦١ ، ٦٠ صبر أم سليم ، امرأة أبي طلحة الأنصارية
- إيراد بعض أبيات من قصيدة أبي ذؤيب العينية ، وخبر معاوية لما حضرته
- الوفاة مع الحسن رضى الله عنهما
- ٦٢ ، ٦١ قصيدة لابن الرومي في الصبر مع ذكر ما يناسبها من الأبيات
- ٦٥ ، ٦٣ شرح قصة المثل : « اليوم خروغدا أمر » .
- ٨٤ ، ٨٣ ذكر خبر عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة بعد الفتح
- ٩٠ ذكر أشد شيء تأذى به النبي صلى الله عليه وسلم بعد يوم أحد
- ٩١ ، ٩٠ حكاية المأمون مع غلامه وقت وضوئه وعفوه عنه
- ٩١ حكاية أخرى للمأمون مع غلام له تركي
- ٩٢ قصيدة لابن عمار يستعطف بها المعتمد بن عمار
- ٩٤ حديث أبي هريرة الشاعر المصري مع الأمير تسكين
- ٩٥ ، ٩٤ حكاية محمد بن أزدشير مع الحسن بن منصور الوزير
- ٩٦ حكاية للحجاج مع عبد الملك بن مروان
- ٩٧ ، ٩٦ قصة العباس بن مرداس مع النبي صلى الله عليه وسلم
- ٩٨ محبة التقسيم (وهو نوع من أنواع البديع) وأمثلة له
- ١٠٠ ، ٩٩ حكاية رجل من الأعراب مع بعض الكرماء
- حكاية الوزير سليمان بن وهب مع والي مصر محمد بن خالد الصريفي
- ١٠١ ، ١٠٠ وتدخل في باب العفو

- شرح المثل : « باغ السهيل الزبي » ، وخبر على بن أبي طالب حين سئل
عن ثلاثة قتلهم الأسد ١٠٨ ، ١٠٧
- شرح المثل : « حسبك من شر سماعة » ١٠٩
- ذكر المناظرة التي وقعت بين إبليس والملائكة ١١١ - ١١٣
- الأسئلة التي سأها أبو القاسم الجنيدى لإبليس ، واستطراد بذكر
كلام ينسب لإبليس ١١٤
- آيات لأبي نواس في هجاء إبليس ، واستطراد بذكر بعض الأشعار
في هذا المعنى ١١٦ ، ١١٧
- قصة نوح عليه السلام وابنه حين الطوفان ١١٨ ، ١١٩
- قصة فرعون والهرح ١١٩ ، ١٢٠
- قصة موسى عليه السلام والمجلى والسامري ١٢٠ - ١٢٢
- بنو إسرائيل واعتداؤهم في يوم السبت ١٢٢ - ١٢٥
- قصة صالح عليه السلام وثمود وعقر الناقة ١٢٥ - ١٢٩
- ذكر خبر طالوت وقومه وابتنائهم بالنهر ١٢٩ - ١٣٠
- قصة أصحاب الفيل وأبرهة ١٣١ - ١٣٤
- خريش وبنو هاشم والصحيفة ١٣٥ - ١٤٠
- المقياب الثلاث ١٤٠ - ١٤٣
- يوم بدر ١٤٤ - ١٥٥
- يوم أحد ١٥٥ - ١٦٣
- يوم بني قريظة ١٦٤ - ١٦٥
- حديث الإفك وبراءة عائشة ١٦٥ - ١٧٤
- إشارة أسامة بن زيد وأئمة بعض كبار الصحابة من ذلك ١٧٤ - ١٧٨

- ١٧٨ - ١٨٥ بيمة أبي بكر وما دار حولها من الكلام
- ١٨٧ - ١٨٥ خالد بن الوليد وأبو شجرة السلمي
- ١٨٧ - ١٨٩ مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وما قيل في رثائه
- ١٨٩ - ١٩٥ مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وما قيل في رثائه
- ١٩٥ - ٢٠٣ مقتل علي بن أبي طالب رضى الله عنه وما قيل في رثائه
- ٢٠٣ - ٢٠٨ مقتل الحسين بن علي رضى الله عنه وما قيل في رثائه
- ٢٠٨ - ٢١٣ وقعة الحره
- ٢١٣ - ٢١٩ قصة رجم الكعبة ومقتل عبد الله بن الربيع ثم صلبيه
- ٢١٨ - ٢١٩ رسالة أبي بكر بن القبطية إلى أبي الحسين بن سراج
- ٢١٩ من رسالة لابن شهيد
- ٢٢١ - ٢٢٢ قصيدة للسراج الواسع يذم غلامه
- قصيدة القاضي الحاجي مع المأمون بسبب الأبيات التي أولها :
- ٢٢٦ - ٢٢٧ « برئت من الإسلام . . . »
- حكايات لبعض السعاة بالنميمة وأجوبة الأمراء لهم وإيراد بعض
- ٢٣٢ - ٢٣٩ الأشعار التي ورد فيها الشأن
- ٢٣٩ - ٢٤٠ ذكر أبيات الفائمة التي ورد فيها : « حلفت فلم أترك . . . »
- ٢٤٠ أنواع المذهب الكلامي ومثله منه
- ٢٤١ سخط الرشيد على حميد الطوسي ثم عفو عنه
- ٢٤١ - ٢٤٢ حكاية أبي الحسين الجزار مع ابن يغمور
- ٢٤٣ - ٢٤٤ حكاية محمد بن المنقح مع الحجاج
- ٢٤٧ قصة إبراهيم بن المهدي وما جرى بعد موته
- ٢٤٧ - ٢٤٨ انحراف المتوكل على العلويين وخبر هدمه قبر الحسين بن علي

- انحراف عبد الله بن المعتز على العلويين وذكر شعره
 ٢٤٨ - ٢٤٩ في هذا الشأن ، ومعارضة صفى الدين الحلى وابن سكرة له
 ٢٤٩ - ٢٥٠ مساجلة شعرية بين الملك الأفضل والملك الناصر
 حكايات وقعت لجميفران الروسوس وبهلول وسامان
 ٢٥١ - ٢٥٢ بن زبر في التشيع
 ٢٥٢ ذكر ما فعله على بن محمد الجزري عند معاوية
 ٢٥٩ - ٢٦١ حكاية حبيب بن المصائب مع زياد الأعجم
 حكاية محمد بن ناجية الرصافي مع الأسود بن قناب حين
 ٢٦١ - ٢٦٢ استجار به
 ٢٦٣ حارثة بن مرة بحجر الجراد
 ٢٦٣ ثور بن شحمة بحجر الطائر
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ استجارة الأمير قراسنقر ومن معه ببيت مهفأ بن عيسى
 عفو الحجاج الثقفي عن بمض الأسرى من أصحاب عبد الرحمن
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ ابن محمد بن الأعمش
 حكاية الفضل بن يحيى مع بعض من انتسب إليه بالجوار
 ٢٦٥ ومثابة الاسم
 حديث الرجل الذي جاء بشكو أباه إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 ٢٦٦ وذكر الأبيات التي قيلت في هذا الشأن
 ٢٧٣ المفلأبون من الشعراء
 ٢٧٤ شرح المثل : « لو غير ذات سوار لطاءتني » وذكر قائله
 ٢٧٦ حكاية المعجير السلولى مع نافع بن عاقمة السكناى
 ٢٧٧ حكاية الأمير قراسنقر مع الملك الأشرف

- ٢٨٩ الكفاة في الزواج واختلاف الأئمة فيها
- ٢٨١ من رسائل القاضي الفاضل
- ٢٩٦، ٢٩٥ خبر يوم حليلة بين الحارث بن جبلة والمنذر بن ماء السماء
- ٣٠١ من رسالة لأبي حفص بن برد
- ٣٠١ من رسالة المؤلف إلى ابن سيد الناس
- سؤال بهلول لرجل عن قول الشاعر: وإذا نبا بك منزل فتجول ..
وجوابه عليه ، وذكر أبيات ممن بن أوس في هذا المعنى ٣١٠، ٣٠٩
- حكاية المأمون وسلم الخاسر بسبب بيت أبي المقاهية : تعالى الله
ياسلم بن عمرو ... ٣١٥
- ٣١٦، ٣١٥ حكاية يثبي الأسود الأولي مع عبيد الله بن زياد
- شرح المثل : « الطمع الكاذب يدق الرقبة » ، وذكر أول من قاله ٣١٦
- شرح المثل : « أغرم الله بآء في الماء » واستطرد بشرح بعض
- ٣١٧ الأمثلة الواردة على وزن « أفعل »
- ٣١٨ شرح المثل السائر : « خامري أم عامر »
- تفسير الآية من قوله تعالى : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا
أنفسكم ... » بسبب نزولها ٣٢٠
- ٣٢٩ أبيات ابن الرومي في الحنين إلى الوطن
- كلام أبي داف حينما سمع قول القائل : « لا يمنحك خفض الميش
في دعة ... » البيتين ، واستطرد بذكر بعض الأشعار
- ٣٣٠ في حب الوطن
- قصة زهير بن صرم السعدي حينما وفد على النبي صلى الله عليه
وسلم في قومه ٣٣٣
- شرح المثل : « كل الصيد في جوف الفرا » وأول من قاله
- ٣٣٧ والسبب الذي قيل فيه

أول من قال : « عند الصباح يحمد القوم السرى » ٣٥٤

ذكر أبيات كتب بها الحسين بن الضحاك إلى عمرو بن مسعدة ٣٥٦
حكاية عبدالله بن خارجة مع يزيد الكاتب وشفعه بسفيان

٣٥٩ ، ٣٦٠

ابن الأبرد

٣٦٤ - ٣٦٠

ذكر بعض الأبيات الواردة في الشفاعة

البيت المشهور : فألفت عصاها واستقرت بها النوى ، واستطرد

٣٦٧ - ٣٦٨

بذكر بعض الأبيات المشابهة له

وفادة عوف بن المحلم على عبدالله بن طاهر ، وما ورد في أثناء

٣٧٠ - ٣٧١

ذلك من الشعر

٣٧٢ ، ٣٧١

ذكر ما دار بين مالك بن أنس والشافعي حول مسألة فقهية

٣٧٥ ، ٣٧٦

حكاية أنى الحسين الجزار مع عبد الوهاب ، ابن بنت الأعر

نبذ من أفعال الحسك في عاقبة اصطناع المعروف عند اللام

٣٧٨ ، ٣٧٩

واستطرد بذكر حديث الحية

قصة الضبع وغدرها بمن أجارها ، واستطرد بذكر بعض

٣٧٩ - ٣٨٢

الأشعار الواردة في هذا المعنى

بما نقله المؤلف عن الزخشمي في تفسير قوله تعالى : « وهو

٣٨٣

أهون عليه »

٣٩٠

الألفاظ اللغوية المرادفة للفظ « الزعفران »

٣٩٠ - ٣٩٦

الأوصاف المختلفة لمذائح الشمراء وإيراد الشواهد لكل وصف

٣٩٩ - ٤٠٣

فصل في نقد المؤلف لرسالة ابن زيدون

رسالة محي الدين بن عبد الظاهر التي جرى فيها على غرار رسالة

٤٠٤ - ٤١٦

ابن زيدون

الفهارس العامة

١ - فهرس اللغة

(ث)

ثقف : منقته ٦٨

(ح)

حين : الحزين ٦٥

جذب : الجذب ٨٠

جلد : أجملد ٦٠

جلس : المجلس ٣٢١

جلا : تنجلي ٧٤ الجلاء ٣١٩ ، مجلوة

٣٥١

جمد : الجماد ٤٤

جنب : الجنب ٣٢٣

جنح : الجوانح ٢٧٨

جهم : الجهم ٣٤٧

جوز : الجوزاء ٢٨٩

جاه : الجاه ٣٦٤

(ء)

أتى : يُؤتَى الحذر من مأمنه ، يقاتى

٣٩٨

أثر - المآثر ٢٨٩

أمن : من مأمنه ٤٩

أنس : حلى إيناسك ٣٩

أنف : الاستئناف ٣٧٣

أوب : الإياب ٢٧٠

(ب)

بث : البث ٢٩١

برا : البراءة ٣٤٢

برد : برود إسعافك ٤٠

برر : البر ٣٢٣

بسط : يبسط الأمل ٣٩٦

بطأ : أبطأ الدلاء ٧٨

بلا : أبلتُ البلاء ٢٨٣

بسى : أبهى أترأ ٣٢٢ ، مباهياً ٣٨٦

خلا : لا أخلو ٩٧ .

خمر : خامري أم عامر ٣١٨ .

خيل : خيلائه ٣٨٥ .

(د)

درر : الدرر ٣٨٤ .

دهى : أدناها سوارها ٦٥ .

دهى : مداها ٣٨٦ .

(ذ)

ذبل : الذبالة ٣٠٥ .

ذرى : الذرى ٣٦٦ .

ذمم : الذمام ٢٥٨ .

ذهب : ضاقت مذاهى ٢٦٨ .

ذهن : الذهن العليل ٣٨٩ .

ذيع : أذعته ٢٩١ .

(ر)

ركب : المركب ٢٧٠ .

(ز)

زبى : الزبىة ١٠٧ .

زجر : الأزديجار ٧١ .

زمع : أزمت بأسا ٢٥٢ .

(ح)

حذر : الحذر ٤٩

حزم : الحزم ١٧ .

حرم : الحرم ٣٩٧

حسد : الحاسد ٣٧٥

حسن : أحسن الجاد ٤٤

حسن : الإحسان ٣٩٨

حنل : أحملها ٧٨

حكم : حكم الصبي ٣٢٧

حلا : حلى إيناسك ٢٩ ، حليتك ٢٩٦

حمد : استعماذى ٤٥ ، الحمد ٨٦

الحامد : ٢٩١

حمى : حمايتك ٤١

حنن : الحنين ٣٣١ .

حوز : الحائر ٣٢٣ .

حوط : حياطتك ٤٠ .

جى : الحيا ٨٠ .

(خ)

خطر : الخطر ٣٨٩ .

خلب : الخلب ٣٤٧ .

خلص : الإخلاص ٣٩٧ .

خلط : الخلط ٣٢١ .

زند : زَنْدُ الأَمَل ٣٨ .

زهى : زَهَانِي ٢٨٢ .

زِيل : زَيَالَه ٣٢١ .

(س)

سبا : سِمَاء ٣١٩ .

سعف : إِسْعَافُك ٤٠ .

سعى : السَّعَاة ٢٣١ .

سلب : سَلَبْتَنِي ٣٩ ، سَلَبِيًّا ٢٩٦ .

سمهر : السَّمْهَرِي ٦٨ .

سند : إِسْنَادِي ٤٤ .

سنا : أَسْنَى ٣٢٢ ، سَنَيْت ٣٥٥ .

سود : سَيِّدِي ٣١ .

سور : سَوَارَهَا ٦٥ .

سوغ : مَسَاغُ لَفْظَةٍ ٣٧٥ .

(ش)

شرف : الْمَشْرِفِي ٦٧ .

شفع : الشَّفَاعَةُ ٣٥٨ ، فَاشْفَعْ ٣٩٧ .

شفق : أَشْفَقَ ٣٨٧ .

شكا : إِشْكَاكِي ٣٧٧ .

شمت : شِمَاتُ الْحَسَادِ ٥٧ ، الشَّامِتِينَ ٦٠ .

شميم : النَّشِيم ٢٤٧ .

شيم : أَشِيم ٣٤٧ .

(ص)

صرح : الصَّرْح ١١٩ .

صغى : الصَّغَايَةِ ٢٤٥ .

صقل : صَاقِلَه ٦٨ .

صمم : الْأَصْمَم ٤٤ .

صنع : الصَّنِيعَةُ ، الْمَصْنُوع ٣٧٧ .

صيب : الْمَصَائِب ٥٧ .

(ض)

ضحك : ضَوْحُك ٣٢٥ .

ضرب : الضَّارِبُ بِسَهْمٍ ٣٢٣ .

ضرم : تَقْضِرْمُ ٢٧٨ .

ضمضع : أَنْضَمَضَ ٦٠ .

ضيق : ضَاقتْ مَذَاهِبِي ٢٦٨ .

(ط)

طبع : الطَّبَع ٣٣٥ .

طرف : طَرَفُ هَايَتِكَ ٤١ .

طرق : مِنْ طَرَفَاتِ ٣٩٨ .

طلب : إِطْلَابِي ، الطَّلِبَةُ ٣٧٦ .

طول : التَّطَاوُلُ ، الْقَطْوُلُ ٩٦ .

(ظ)

خطاً : أظلماتي ٤٠ .

(ع)

عجز : أسقطى العجز ٣١٦ .
عدد : اعتدادي به ٣٦ ، أعتد بالفائدة
٣٨٨ .

عدل : عدلث ٩٧ .

عدا : اعتدلت في السبت ١٢٣ .

عذر : لم تذر ٣٥٥ .

عرف : المروف ٣٥٨ .

هزم : الزم ٣٨ .

عطف : بمطقتك استعطافه ٣٨٧ .

عطال : عطلتني ٣٩ ، عطلا ٢٩٦ .

عطن : العطن ٣٣١ .

عطى : تماطيت ١٢٨ .

خضر : السمار ٣٤١ .

عقب : المواقب ٧٣ .

علل : الذهن المائل ٣٨٩ .

عمد : اعتدادي عليه ٣٦ .

عمر : نمرك ٣٠٩ .

عمل : العاملة ٢٠٤ .

عود : المائدة ٣٨٨ .

عهد : العهد ٢٥٤ .

عيث : عاث المقوق ٢٦٤ .

(غ)

غرر : الغرور ٣١٦ ، غرر للفتر ٣٨٤ .

غشش : ماغششتك ٢٤٢ .

غصص : قد يقص ٤٥ .

غصص : غصصت ٤٩ .

غفل : الأغفال ٨٦ ، غفلاً ٢٩٦ .

غلب : الغلب ٢٧٢ .

غلال : ما أصاب غليلاً ٨٠ .

غلا : الغلالة ٣٣٤ ، غلواؤه ٣٨٥ .

غمر : غمرة ثم تنجلي ٧٤ .

غوى : الفؤاة ٢٢٩ .

(ف)

فرا : جوف الفراء ٣٣٧ .

فصل : فصلته ٢٨٩ .

فضل : الفضل ٩٧ ، ٣٦٤ ، ٣٩٨ .

(ق)

قبض : يقبضها الخجل ٣٩٩ .

قبل : جناب قبول ٣٢٣ .

قدح : القادح ٣٧٥ .

قرن : قران الشمع ٣٢٢ .

ملاب : اللآلآ ٣٩٠ .

ملى : استملى الربيع ٢٩٠ .

منى : مُنية المُنَى فى أُمْنِيَّتِهِ ٤٩ .

ميل : الليل عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنْكَ ٢٤٢ .

(ن)

نبا : النَّبْوة ٧٤ .

نجب : النَّجِيب ٣٣١ .

نسب : النَّسِيب ٣٢٢ .

نصب : نصبت لك ٢٤٦ ، للنَّاصِبة ٣٠٤

نصح : النَّصِيحة ٢٤٢ .

نصص : منصوصة ٣٩٠ .

نعم : عهد النَّعمة ٣٨ ، إِنْعامك ٣٩ .

نفس : أنفاس النَّظْراء ٢٨٠ ،

الْمُنَافِسة ٢٨٢ .

نفض : نَفَضْتُ ٤٠ .

نقل : النَّقْلَة ٣١٩ .

نكب : النَّكْبَة ٧٤ .

نمم : منمنما ٢٨٦ .

نور : منوراً ٢٨٦ .

نوى : النَّوى ٣٦٦ .

(هـ)

هبل - اهتباله ٨٠ .

قشع : تَشَعَّ ٧٥ .

قود : اقتادت ٣٨٦ .

(ك)

كدد : استكدت ٣٨٩ .

كدى : أ كدت مطالبي ٢٦٨

كفى : الكِفَاية ١٠٨ ، الأَكْفَاء ٢٧٨ .

كل : الإِكليل ٦٦ ، الكَلِيل ٣٨٩ .

كيد : مكابدا ٣٨٦ .

(ل)

لبب : اللَّبيب ٣٣٠ .

لبس : اللَّباس ٣٩ .

لحظ : مجال لَحَظَة ٣٧٥ .

لحق : أَلَصَقَهُ ٦٨ .

لطف : إِيْطَانَهُ ٣٨٧ .

لقاً : لِقَاء ٣٣٩ .

(م)

مقت : مَوَاتَى ٢٦٤ .

مثل : الْمُثْلَة ٣١٩ .

مجد : استمجد ٣٤١ .

مرخ : المَرْخ ٣٤١ .

مضى : ماضى حدَّ المَرْم ٣٨ .

ملاً : أَمْلَأُهَا ٧٨ .

همز: الحمد زون ٢٢٥ .

هون: هين ٣٨٢ .

هوى: هواك ٣٤٣ .

(و)

وجه: جهاته ٣٩٨ .

ودد: ودادي له ٣١ .

ورى - وارى زَنَدَ الأمل ١٣٨ .

وسق: اتسقت دُرَره ٣٨٤ .

وسل: الوسائل ٢٦٧ .

وسم: وسير نَفَمَتِكَ ١٨٢ .

وَتَمَّتْكَ غُفْلًا ٢٩٦ .

وشى: الوشى ٢٨٦ .

وطىء: استوطىء ٣١٦ .

وطن: الوطن ٣٣١ .

ولى: مولاي ٣٠ ، الموالى ٢٨٦ ،

يتولأك ٣٤٢ ، تولت ٣٨٤ .

(ى)

يئس - اليأس ٢٥٣ .

٢ - فهرس الأمثال

صفحة	
٣١٣	أَخْرِج الطَّمْعَ مِنْ قَلْبِكَ تَحْلِ الْقَيْدَ مِنْ رِجْلِكَ
٢٧٠	أَرْضٌ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالتَّمْلِيقِ
٣١٧	أَعَزَّ مِنَ الدُّبَاءِ فِي الْمَاءِ
٣١٧	أَغْرَ مِنَ الْأَمَانِي
٣١٧	أَغْرَ مِنْ مَرَابٍ
٣١٧	أَغْرَ مِنْ ظَبِي مَقْعَرٍ
١٠٨	الْتَقَى الْبِطَانُ وَالْحَقَبُ
١٠٨	الْتَقَتْ حَلَقَتَا الْبِطَانِ
٧٢	إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا
١٠٧	إِنَّ مِنَ الشَّرِّ خِيَارًا
١٩٢، ١٠٧	بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْنَ
٣٨٩	تَلَطَّفَ أَبِي غَزْوَانَ
١٩٢، ١٠٨	جَاوَزَ الْحِرَامَ الطَّيِّبِينَ
٣٥١	حَرَّكَ لَهَا حُورَاهَا نَحْنًا
١٠٩	حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاءٍ
٣١٨	خَامِرِي خَضَاجِرٍ، أَنْتَ مَا نَحَاذِرُ
٣١٨	خَامِرِي أُمِّ عَامِرٍ
٥٦	سَبَقَ ابْنُ بَيْضِ الطَّرِيقِ
٣١٦	الطَّمْعُ الْكَاذِبُ يَدُقُّ الرِّقَبَةَ
٣١٦	الْمَجْزُ رَدِيَّةٌ

صفحة

٨٢	عسى غدك لغيرك
٨٢	غداً غدوها إن لم يمقنى هائق
٧٥	غمرات ثم تنجلي
١٠٨	قد بلغ الشظاظ الوركين
٢٧٠	قنعت من الفنيمة بالإياب
٢٣٧	كل الصيد في جوف الفرا
١٥٤	لا في المير ولا في الذئير
٣١٧	لا يقرنك الدباء وإن كان في الماء
٨٢	لكل صباح صبح
٨٢	لكل غد طعام
٢٧٤	لو ذات سوار لطمتهنى
٨	المرء يمجزُ لا محالة
٤٨	من فسدت بطانقه كان كمن غصَّ بالماء
٦٢	من شُبَّ إلى دُب
٣٥٢	مبه لها عوراً ثم ثم
٤٨	ياماء لو بغيرك غصصت !
٨٢	يأتيك كل غد بما فيه
٨٣	اليوم خير وغداً أمر

٣- فهرس الأشعار

الصفحة	القائل	القافية	الصفحة	القائل	القافية
٢٤٥	ابن الرومي	الأقذاء	(٥)		
٣٦٩	ابن الخياط	القضاء	٤٢	ابن القيم	الأسواء
٢٧٤	أبو تمام	الضعفاء	* * *		
٢٧٨	—	أكفاء	٧٩	المكمر الضبي	رجاء
٣٢٤	أحمد بن عبد العزيز	من ماء	٨٣	—	القضاء
	عدي بن الرقاع	الأمراء	٩٨	زهير	جلاه
٣٤٠، ٣٣٩			٢٢٤	المتنبى	ذكاء
٣١٤	من أبنائه أبو روح الهروي		٣٤٣	الفزى	البرحاء
(ب)			٣٨٥	المتنبى	الجوزاء
			٤١٠	—	سواء
١٨	محمد بن مغاز	اللباب	٤١٢	المتنبى	عمياء
٣٤	المتنبى	رب	٧٣	ابن خفاجة	بكاؤه
٣٤٨	السراج الوراق	قلب	٨٥	منصور بن الحاكم	جفأؤه
٣٧٣	أبو الفتح	أدب	٧٩، ٧٨	ابن المعتز	يكلؤها
* * *			٢٧١	ابن أبي عمير	رجاؤها
١٠٦	—	وأعتبا	* * *		
١٠٥	—	متابا	٤٥	—	بالماء
١٢٦	مهريش	شبابا	٤٥	—	بماء
١٣٠	الفزى	المذانب	٥٩	أبو تمام	الأعداء
٤٠١، ٢٢٠	المتنبى	تائبا	٢٢٤	—	الندماء

٢٢١	ابن عنين	المناسب	٢٣٩	ابن زيدون	القياس
٢٣٩	النافقة	مذهب	٢٥٦	عبد الصمد بن بابك	كذبا
٢٤٢	ابن الأحنف	لمذهب	٢٩٠	ابن عنين	المسبها
٢٤٥	عروة بن حزام	ديب	٣١٩	عروة	مسحا
	أحمد بن سعيد	القلب	٣٤٨	ابن حيوس	صبا
٢٥١	الطائي		٣٦٠	عبد الله بن خارجة	هيايا
٢٦٠	زياد الأعجم	المهتاب	٣٧٣	يزيد بن معاوية	صبا
٢٩٢	ابن حيوس	المطارب	٤٢	المفدى	حيبة
٢٩٧	المتنبى	وأكتب	٣٩١	ابن العلم	مفرقة
					• • •
٣٠٠	محمد بن أحمد الخازن	قايب	١٨	أبو بكر بن حزة	واذهب
٣٠٢	الرسنى	النسيب	١٨	الأبيوردى	الأحساب
٣٠٦	محمد بن علي الواعظ	ذنوب	٦٣	ابن الرضى	مذهب
٣٢٦	حاتم	جديب	٦٦	ابن كلس	الثاقب
٣٣٤	أبو تمام	تجب	٧٢	م	تأديب
٣٦٢	أبو فراس	حيب	٧٧	الصائى	سيذهب
٣٨٠	—	ريب	٧٨	ظافر الحداد	كذبوا
٣٨٢	—	ثيب	٧١	أبو تمام	كف
٣٩٢	أبو تمام	عجب		محمد بن أحمد	لا تخيب
٤٠٢، ٤٠١	النافقة	مذهب	٩٣	الخازن	
٤٦	—	حاجبه	١٩١	حسان	خرب
٤٦	الفرزدق	شاربه	١٠٦	المبارس بن الأحنف	عجب
٨٥	البحرئى	لقبه	١٧٤	الأرجاني	صلي

٢٧٤	مشروبي	الصفدي	٢٦٣	تراثه	ابن سناء الملك
٢٧٤	اجتهدي	—	٢٣	عيونها	الفرزدق
٢٤٧	الكذب	الخطوبى الوراق	١٦	تصديقها	إبراهيم بن العباس
٢٥٠	طالبي	الأفضل	٢٣٢	سجائها	—
٢٦١	المهلب	زباد الأعجم	* * *		
٢٦٩	في أملي خراب	ابن بابك	٢٧٢، ٨	مقلب	امرو القيس
٢٧٠	بالإياب	امرو القيس	١٨	ثوابي	ابن زيدون
٢٧٤	بالأجرب	عمارة اليمنى	٤٣	حسب	ابن الوحيد
٢٧٦	أبي	عباد بن شأس	٤٣	قلة الأدب	شافع بن علي
٢٩٥	التجارب	النايفة الذبياني	٤٦	الشروب	—
٣٠٥	السحاب	الحسين بن الضحاك	٥٤	صاحب	المعتصم بن محاذ
٣٢٦	المنزب	أبو تمام	٦٥	الخطوب	الفاضل الفاضل
٣٢٧	معذب	أبو تمام	٧٦	بشؤبوب	النايفة الذبياني
٣٣٦	السواكب	أبو هلال	١٠٥	الدنوب	السلامي
٣٤١	فلم يبق	الكهيت	١٠٦	لم أذن	مهيبار
٣٤٧	في السحاب	الحسين بن الضحاك	١١٠	السكرب	العباس بن الأحنف
٣٤٨	محبوب	المتنبي	١١٣	لجنتب	—
٣٥٦	شهاب	الحسين بن الضحاك	١٥٣	القشيب	حسان
٣٦٢	الخطب	أحمد بن أبي قنن	١٨٩	منيب	عاتكة بنت زيد
٣٩٣	باللب	ابن التيسراني	٢٠٦	الحساب	أبو الأسود
٣٩٦	القلوب	أبو تمام	٢٢٢	كاذب	الخفافجي
٤٠٥	الذمالم	—	٢٢٣	المتجانب	عمر بن أبي ربيعة

١١٦ من خَلُوتِهِ أبو نواس

١١٦ في خَيْبَتِهِ الصَّفدي

(ث)

٢٧٥ — للعواثُ

٢٠٨ الحواثُ أبو بكر بن عمار

(ج)

٥٦ الأَهِجُ بشار

٦٣ لجوجُ أبو ذؤيب

٣٩٤ ويهزجُ ابن الزقاق

٣٢٥ مزاجها الشريف الرضي

* * *

٣٠٦ في سراجِ أبوطالب بن زيادة

٣٨٨ على الموج —

(ح)

٢٠ الوِشاحُ ابن زيدون

١٥٥ ججاجُ أمية بن أبي الصلت

٢٩٠ النصاحُ حسان بن المقيصي

* * *

٥١ فرحا الخطيب البغدادي

٦٧ الصلحا محمد بن القاسم

٢٢٩ نصيحا —

٢٣٨ صحيحا —

٤٠٩ — خطبه

١٣٠ قربه ابن دقيق العيد

٣٧٠ إطرابه ابن حردز

(ت)

٦٣ — لانموت

* * *

١٣٠ تشقيتا أبو العلاء

١٨٣ البتة علي بن سراج

* * *

٥٤ بلوتُ عبد الرحمن بن وهب

٨٨ بدأتُ أسامة بن منقذ

١٠١ بدأتُ إبراهيم السراق

١٢٤ أجبْتُ ابن الزقاق

٢١٥ كَفَيْتُهُ يزيد

* * *

٢١ مَقَرَّ البهاء زهير

٥٤ دَبَّتْ عبد الرحمن بن وهب

٥٩ باهتُ أبو تمام

٨٦ سمعت —

١٩٥ لَفَنَّتْ —

١٩٥ حَلَّتْ —

٢٦٨ لَفَنَّتْ —

٣٠٣	الجلودا	ابن حيوس	٣٣٦	—	شحاها
٣٣٦	تسدَى	ابن حيوس		* * *	
٣٦	الأفندة	طاهر بن الفقيه	٩٢		أوضح ابن عمار
٧٢	وصده	أبو تمام	١٩٣		ذبحوا أيمن بن خريم
	* * *		٢٧٦		واقح المجير السلولى
٣٨	زادها	عدى بن الرفاع	٣٣٩	—	مفتوح
٦٥	يسكر	—	٣٦١		السيمح أبو على التنوحى
٦٩	تفرّد	الخميسى	٣٧٠		قريح عوف بن محلم
٦٩	متجدد	على بن الجهم	٣٩٧		صافح عمارة اليمى
٨١	جهد	ابن حيوس		* * *	
٨٤	يد	على بن الجهم	٢٢٨	—	بنازح
٩٢	الحقود	ابن الخياط	٢٨٥		الصباح ابن الساعاى
١٢٩	أرود	أبو طالب	٣٥٥		ورواحه ابن قلاقس
٢٢٣	مُسود	ابن الساعاى	٣٥٥		سماحه القاضى الفاضل
٢٨٧	سمود	البجترى		(د)	
٢٠٦	الوليد	—	٩٥		أجد محمد بن أزدشير
٢٩٢	الخلد	الحادرة		* * *	
٢٩٧	يمدو	تميم	٢٠		الفدى ابن زيدون
٣١٠	يد	ابن العميد	٨٤		سرمدا ابن طباطبا
٣٦٧	المجد	أبو تمام	٨٥		ماوردا تميم بن المعز
٣٢٩	جديد	ابن الرومى	٨٥		أرشدا ابن مقبل
٣٧٣	فياحبذا نجد	—	١٠٦		أبمدا البجترى
٣٧٣	الهوى نجد	—	١٢٤		عيدا أبو فراس
٣٧٣	فنعود	ابن المعلم	٢٨٢		يسوقيدا »

١٩٨	من مرادِ عمرو بن معد يكرب	٨٦	اعتمادها	الفرزدق
٢٠٢	الفؤادِ عبد العزيز الأنصاري	٢٠٦	ورشادها	الخفاحي
٢٠٧	لم يعدِ أبو الحسن الجزار	٢٢٦	لا أريدها	كثير
٢٣٨	حدادي أبو تمام			* * *
٢٦٨	الرمذ ابن عنين	٣٥	والسؤدد	حسان
٢٧٧	أبي الوردِ الصابي	٣٦	على التماذي محمد بن غالب الرصافي	
٢٨٣	ودادي أبو سعيد الرستمي	٣٩	الورود	ابن الساعاتي
٢٩١	ميمادي -	٤٦	وساعدي	أبو فراس
٢٩٢	لم يولد -	٤٧	البارد	-
٢٩٣	شواردي الغزي	٧٩	حاسد	أبو فراس
٣٢٠	حسادي الشريف الرضي	٦٢	مهتر	-
٣٢٤	بنا أبو تمام	٦٥	الشذائد	ناصح الدين
٣٦٢	السؤدد الأرجاني	٧٧	والعهد	الصابي
٣٤٨	المردود ابن المعلم	٨١	بادي	القطامي
٣٦٩	الرفد ابن عنين	٩٢	تحميد	أبو تمام
٣٧٨	حد صالح بن عبد القدوس	١٠٢	مستفيد	-
٣٩٢	الحادي ابن بابك	١١٠	بمدى	محمد بن التهامي
٥٨	حسدك ابن الرومي	١١٥	مساعدا	ابن الشبلي
٣٠٣	لوده عمارة البيني	١١٦	الحمد	ابن ثبانة الأعور
٣٠٣	برده صفى الدين الحلي	١١٦	قواد	أبو نواس
٣٠٤	من رفته هبة الله بن الفضل	١١٦	جيدى	الغزي
٣٢٨	من ولده أبو تمام	١٧١	البلد	حسان
٣٩٣	من صدّه ابن قلاقس	١٨٣	ودى	صفى الدين الحلي
		١٨٥	في عبد	زين الدين بن الوردى

شزرا	على بن الجزري	٢٥٢
الدرّاء	كمال الدين بن البتية	٢٨٤
مرّا	ابن سفاء الملك	٣١٧
وكبرا	ابن سفاء الملك	٣٢٥
وكرّا	محمد بن غالب الرصافي	٣٣٢
وقيصرا	ابن عنين	٣٣٧
الفرا	على بن الحسين القهستاني	٣٣٧
الفرا	ابن المعلم	٣٣٨
الفرا	الفزي	٣٣٨
مفكرّا	صفي الدين الحلبي	٣٣٨
يفترى	أبو الحسين الجزار	٣٣٨
الأكبرا	أحمد بن حسن الدوبيني	٣٣٨
مقارّا	الأعشى	٣٤١
نارّا	علي بن جلباب	٣٤٢
وأثمرا	علي بن أحمد الجوهري	٣٤٢
وزرا	ابن فلاقس	٣٥٢
السكري	عبد العزيز الأنصاري	٣٥٤
تيسرا	بشار	٣٥٥
مهرّا	الأرجاني	٣٩١
للسكرا	ابن الساعاني	٣٩١
سيمارّا	ابن الساعاني	٣٩٤
سارّا	سبط ابن التعاويذي	٣٩٥
	* * *	
لفحارّ	الخنساء	٣٢

(ذ)

قذى	يوسف بن علي	٥٠
غذى	—	٢٨٣

(ر)

السريّر	هبة الله بن الفضل	٧٦
القدّر	—	١٢٢
السفير	—	١٥٥
زأر	أبو العلا	١٨٣
القمر	علاء الدين بن السكندى	١٨٩
غرّر	—	٣١٧
خاطر	البهاء بن زهير	٣١٨
لاعمر	مستوفى إربيل	٣٥٢
صبر	ابن شمس الخلافة	٣٥٣
	* * *	
الوغرّا	الصنوبري	٤٠
فقيرا	أبو الحسين الجزار	٦٤
فتحقرا	أبو بكر الخوارزمي	٦٥
نصرا	ابن سفاء الملك	٦٩
قيصرا	—	١٥٤
أن أعرّا	أبو شجرة السلي	١٨٥
شمرا	المبارك مستوفى إربيل	٢٠٥
السكري	ابن عنين	٢٥٠
شرّا	الصفدي	٢٥٢

٣٠٣	يعتبرُ	صفى الدين الحلى	٤٦	—	الفرارُ
٣٠٦	أعتذرُ	—	٤٩	أبو العتاهية	يخذرُ
٣٢٢	ويحتملُ	المغيرة بن حبهنا	٥٠	ابن الخياط الدمشقي	يمطرُ
٣٢٦	بشيرُ	أبو تمام	٥٥	المؤمل	نظرُ
٣٣٣	وننظرُ	زهير بن صرد	٥٦	سلم الخاسر	الجسورُ
٣٥٣	واحورارُ	سبط ابن التعاويذي	٦٦	المتنبى	السوارُ
٣٥٣	عسرُ	محجر الدين بن تميم	٧٤	—	يجرُ
٣٥٣	وتدخرُ	الخفاجى	٨١	الأرجاني	هجرُ
٣٥٦	الدَّهرُ	ابن العلم	٨٤	ما ذخروا	ابن حجاج
٣٦٦	المسافرُ	معقر البارقي	٨٤	محمد بن العفيف	السكرُ
٣٦٨	الضائرُ	الحسين بن إبراهيم	١٠٥	المؤمل	فتمتدُّ
٣٦٩	ويشارُ	عمارة	١٠٩	خالد بن المهاجر	البدرُ
٣٧٠	سافرُ	—	١٢٨	عمارة	قدارُ
٣٧٥	سرور	تميم بن المعز	٢٠٢	عمارة	عمرُ
٣٨٥	يشعرُ	عمارة النخعي	٢٢١	السراج الوراق	القارُ
٤١٣	البقرُ	—	٢٢٩	تميم بن المعز	بدور
٣٥٩	مقابرُه	—	٢٤٩	الملك الناصر	طاهرُ
٥٥	يضرُّها	الخفاجى	٢٦٩	أبو العتاهية	تذكرُ
٧٩	قرارها	أبو تمام	٢٧٣	حماد مجرد	تشيرُ
٣٣٩	تبورُّها	مالك بن زغبة	٢٩٢	ابن حيوس	البسكرُ
٣٩٥	حسيرها	الخفاجى	٢٩٩	»	تشهدُ
	* * *		٢٩٧	المتنبى	شمرُ
١١	لم تتخيرُ	ولادة			

٢١٣	—	ولا مُضَر	١٢	عطار	ابن زيدون
٢٣١	—	الخبير	١٦	بالأنار	»
٢٣١	فكري	الشهاب محمود	٤٦	اعتصاري	عدي بن زيد
٢٦٠	ألاتضاري	زياد الأعجم	٤٧	الخر	قيس بن ذريح
٢٩٢	أوسار	محمد الرصافي	٦٧	الصفار	الباخرزي
٢٩٣	دهري	أبو تمام	٦٩	الأحرار	أبو المنيع
٢٩٣	الذكر	الشريف الرضي	٧٠	القار	إبراهيم بن المدير
٣٠٢	شكري	ابن المعلم	٧٨	السحر	التهامي
٣٠٥	صدري	الصفدي	٨٠	الأعمار	—
٣١٠	بصبار	ابن الخياط الدمشقي	٨١	الحضور	أبو هلال المسكري
٣١٤	نار	الشريف الرضي	٨٥	الغمر	غيلان بن خرشة
٣١٦	—	بمعدور	١٠٤	شكري	—
٣١٩	من ضمائر	الصفدي	١٠٥	أدري	مسلم
٣٢٣	صهر بر	أبو الفتح البستي	١٠٧	الأحرار	البحثري
٣٢٦	والبشر	أبو الأسود	١١١	الفجار	بشار
٣٣٢	داري	ابن عتيق	١٢٠	للكفر	عمار
٣٦٣	من الهجر	ابن المعتز	١٢٧	بأخبار	بعض شعراء ثمود
٣٨٠	لم تشكر	أبو تمام	١٨٤	القار	الباخرزي
٣٨٠	أم عامر	—	١٨٥	البدر	علاء الدين الكليلي
٣٨٤	إشار	—	١٩٥	من عمر	ابن عبدون
٣٩٧	مكفور	صفي الدين الحلبي	٢٠٢	البشر	»
٣٠٦	بخييره	أبو الحسين الجزار	٢١١	وأشعر	يزيد بن معاوية

ماخشي ابن عبد الظاهر ٢٢٨

موحش القائم بأمر الله ٢٢٩

بميشه أبو الفضل الميكالي ٣١٥

(ص)

الحريص عدي بن زيد ٥٦

(ض)

من بعض طرفه ١٠٧

من بعض — ١٩٢

والعرض أبو نخيلة ١٠٧

(ط)

وماشطوا ابن زيدون ٩

تخطو طلائع بن رزيك ٧٨

(ع)

دع ابن زيدون ١٢

نافع الصفدي ٢٧١

ولا احتفع عبيد الله بن زياد ٣١٥

جدع — ٣٥٧

* * *

مظلم عمرو بن الأبرد ٥٧

مختارها — ٣٥٧

(ز)

التحرز ابن الرومي ٢٥٧

(س)

باس ابن زيدون ١٩

تدليس الصفدي ١١٧

إيفاس أبو الفتح البستي ٣١٤

* * *

خمس الباخزري ٣١

يوس ابن قلاقس ٧٩

تدليس صردر ١١٧

بالإيفاس — ٣٥١

إيفاس الحطايئة ٣٥١

لايس أبو العلاء المعري ٣٩٥

أمسه أبو تمام ٣٠

(ش)

من وشي السراج الوراق ٢٢٩

* * *

رشاشها بشار ٣٤٧

٣٩٨	أبو تمام	بصرع	١٢٤	علاء الدين الوداعي	مطما
٤٠٨	--	ولا يهت	١٧٢	أبو بكر الصديق	طما
١٠٩	--	سماعة	٢٠٨	أبو تمام	ياقما
٣٦٠	قيس أو المجنون	شفيعها	٣١٤	علي بن أبي طالب	قنوعا
* * *			٣٦٢	الحاكم بن قنبر	صنعا
* * *					
١٦	ابن زيدون	لم يذع	٣٤٧	عمرو بن معد يكرب	مبتدعة
٥٤	أصرم بن حميد	الخليع	٥	ابن هرمة	مرقوع
٨٩	--	شفيع	٦١	أبو ذؤيب	أتضع
٨	محمد المنقري	بيديع	٦٨	أبو تمام	بقطم
٩٦	العباس بن مرداس	الأفرع	١٠٣	البحترى	أوسم
٢٨٩	ابن عنين	الأطامع	١٠٣	نصيب	تشفع
٢٩٧	أبو الح- بن الجزار	الترفيح	١٦٢	حسان	جميع
٣١٤	ابن نباته	أطامع	٢٠٨	--	يرفع
٣٦٠	ابن عنين	شافع	٢٩٨	أبو تمام	تصدع
٣٦١	دعبل	شافع	٢٥٥	ابن قلاص	مولع
٣٦٢	--	شفيع	٢٩١	ابن الملم	ترصع
٣٧٧	--	المصنع	٣١٣	البعث	المطامع
٣٨١	هارة اليمى	أقطم	٣٧٨	--	ضائع
٣٨١	--	الودائع	٣٨١	رشيد الدين الفارقى	ضائع
٤٠٧	--	بالولع	٣٩٤	ابن الملم	رضيع

(ف)

الأضيافِ الفزى ٣٣٦

والأشرافِ — ٤١٠

في صحفهِ الفزى ٢٩٧

(ق)

لا يفارق ولادة ١١

اتفق ابن الساعاتى ٣٩٣

الأفق — ٤٠٨

* * *

راقا ابن زيدون ١٥

لقى الصفدى ٨٧

مطلقا أبو بكر الخوازمى ٢٥٣

المقمة أحمد بن فارس ٥٠

* * *

تعقب ابن زيدون ١٨

أزرق ابن سناء الملك ٤٧

يشرق البجترى ٤٧

يملق البهاء زهير ٨٧

ورق أبو شجرة السلمى ١٨٧

مسترق الفزى ٢٩٩

ما عشقوا ابن الأحنف ٣٠٥

وصديق عمرو بن الأهم ٣٢٥

تصرف — ١٠

الشرف محمد بن أزدشير ٩٥

* * *

وكفى أبو تمام ١١٠

تقويقا أبو تمام ٢٩٨

رشقا الخفاجى ٣٠٠

اللفا ابن حيوس ٣٤٠

هتقا ابن قلاقس ٣٩٤

تقافة الباخريزى ٧٠

* * *

فلحف ابن زيدون ١٥

ألف المتنبي ٨٨

زخرفوا أبو سعيد الرسمى ٢٢٨

التعطف البهاء زهير ٢٣٥

وهى سلاف — ٢٤٤

فأعترف ابن منقذ ٢٨٤

ثم تنصرف ابن الساعاتى ٣٩١

مؤلفه ابن الملم ٣٠١

يألفه الصفدى ٣٤٣

٢١٣٠٢٠٨	ابن الزبيري	الأسل	٢٥٥	محلة	الشهاب محمود
٢١١	محمد بن أسلم	من قتل	٢٢٧	نماها	كثير
٢١٥	—	السيل	٢٢٨	خيالها	ابن النقيب
٢٦٧	الصفدي	هازل	٣٠٣	قالا	ابن قلاقس
٣١٥٠٣١٣	أبو المتاهية	الرجال	٣٠٨	وفعلا	الصفدي
* * *			٣٠٩	أن يتحولوا	أبو تمام
٦٢	—	الرحلا	٣١١	التحولوا	أبو محمد غانم
٦٨	أبو فراس	وكملا		أن يتحولوا	ابن منير
٨١	كشاجم	غليلا	٣١١	الطرابلسي	
١٨٣	—	جالا	٣١٢	الأشبلا	الصفدي
١٩٣	—	قليلا	٣٢٤	مقيولا	محمد بن شرف
٢٣٦	ابن المتمرز	وطالا	٣٢٩	أولى	رجاء بن هارون
٢٥٣	—	الحجلا	٣٥٥	الشمألا	ابن قلاقس
٢٥٥	الصفدي	تعالى	٣٥٦	تسميلا	محمد بن شرف
٢٨٥	أبو تمام	أن أذلا	٣٥٧	الخليليا	أبو العلاء المعري
٢٨٧	أبو تمام	المبجلا	٣٥٧	شمالا	د
٢٩٨	المتنبي	عقلا	٣٦٨	تمجلا	أبو الشمقمق
٢٨٧	أبو تمام	مجهلا	٣٦٨	البلي	الباخرزي
٤٠٩	—	عليلا	٣٨٩	قليلا	—
٣٧	—	منه			

٢٩٢	المتنبي	أشغالُ	٢٩٣	ابن الساعاتي	وعديلا
٢٩٣	الفرزي	أقولُ	٣٠٨	الشافعي	منزلةُ
٢٩٩	الفرزي	صقيلُ	٣٥٥	ابن الساعاتي	دلالةُ
٣٠٢	ابن المعلم	أقولُ	* * *		
٣١٠	معن بن أوس	مقحولُ	٣١	أبو نواس	الرسولُ
٣٢٤	المتنبي	الجميلُ	٤١	—	طوبلُ
٣٢٥	—	ومقيلُ	٥٦	القطامي	والزالُ
٣٤٣	الصفدي	منقولُ	٦٨	الفرزي	الصياقلُ
٣٥٧	—	فرحوا	٧٠	ابن قزل المشد	السبلُ
٣٦٦	أبو تمام	لبخيلُ	٧٩	ابن قلايس	مطالُ
٣٧٨	صالح بن عبد القدوس	بخلُ	٨٤	معن بن أوس	منزل
٣٩٠	أبو تمام	ستقنلُ	١٠٢	—	الفضلُ
٣٩٢	ابن بابك	السبلُ	١٠٤	إبراهيم بن المهدي	أهلُ
٣٩٥	ابن الساعاتي	يفازلُ	١٠٥	محمد بن عبد الله بن المولى	تبذلُ
٤٠٥	المتنبي	كاملُ	١٣٤	الصفدي	مخدولُ
٤٠٧	—	سائلُ	٢٢٢	أوس بن حجر	جابلُ
٤٠٨	—	يقبلُ	٢٢٦	الخلنجي	كما قالوا
٤٠٩	أبو العلاء	القبائلُ	٢٣٥	—	فأولوا
٤١٠	أبو العلاء	مقكاملُ	٢٦٦	—	وتنهلُ
١١٣	—	تمحلهُ	٢٦٧	ابن الخليمي	ويسهلُ
١١٣	أبو فراس	كلهُ	٢٧١	المتنبي	فعلوا
			٢٧٩	يحيى بن بقی	دلائلُ

١٠٣	الأمل	الشریف المقيلي	٢٧٥	عاجله	أبو سعيد الرستمي
١٠٣	زلى	إسحاق الموصلي	٢٩١	أسافله	أبو سعيد الرستمي
١٠٩	من المال	امروء القيس	٧٦	ذبولها	ابن الخياط الدمشقي
١١٠	في كل حال	الفضل بن محمد	١١	ولا ذنب لي	ولادة *
١٧٣	الفواقل	حسان	١٢	السراويل	ولادة
١٨٢	بتمخل	مروان بن أبي الجنوب	١٦	التنصل	ابن زيدون
١٩٤	بمافل	حسان	٣٠	موالي	الغزي
٢٠٢	مثلي	الذهبي	٤٦	أصطلي	ابن سناء الملك
٢٠٢	محل	—	٤٦	زلال	الغزي
٢٤٣	من المذل	—	٤٧	السؤال	ابن حيوس
٢٤٩	على علي	الأفضل	٥٩	ناحل	جحظة
٢٤٩	حق على	الأفضل	٧٣	والإبل	المتنبى
٢٥٠	الأفضلي	ابن عنين	٦٤	مختال	مستوفي إربل
٢٦٧	عواطل	ابن النعاويدي	٦٨	بالصقل	الخفاجي
٢٦٧	من لي	أبو سعيد الرستمي	٦٩	الفساطل	ابن الساعاتي
٢٦٩	الحل	الغزي	٧٥	الماجل	جعفر بن شمس الخلافة
٢٧٠	بالفقل	الطغرائي	٧٩	بُعجل	الغزي
٢٧	مستقل	الصفدي	٧٩	الفاصل	عمارة اليمني
٢٨٤	نائل	—	٨١	الدّل	ابن الفيسراني
٢٨٤	في حفل	أبو سعيد الرستمي	٨٢	حال	—
٢٩٤	ممل	ابن دراج القسطلي	١٠١	بالفضل	—

(م)

الحنشمة	عبد الصمد بن بابك	١١٧
منتظر بهم	ابن الرومي	١٢٤
بالرغام	أبو بكر الإسفراييني	١٨٤
أن ترافقهم	شهاب الدين محمود	٣٤٦
للألم	السراج الوراق	٣٥٢
ثم ثم	بشار	٣٥٢
يراكا	أبو فرعون	٣٢
تقوموا	ابن حيوس	٦٩
أولما	البحري	١٠٢
سأما	الإمام الشافعي	١٠٤
أظلم	الحصين المري	٢٠٥، ٤١١
سأما	»	٢١٤
الدم	»	٢١٥
مظلوما	علي بن أحمد البسامي	٢٤٨
أتمظلا	البحري	٢٧١
أنجما	»	٢٨٦
وحاءا	ابن شهيد	٣٠٨
أتهما	ابن صردر	٣٠٨
بأسمال	عمارة البني	٢٩٤
الحل	ابن العلم	٢٩٨
نقول	ابن الشبل	٣٠٠
قول	المتنبي	٣٠١
والإيل	»	٣٠١
الجال	الغزي	٣٠٢
مثلي	أبو سعيد الرستمي	٣٠٥
فتعول	عفيرة ٣٠٩، ٣٠٠	٣٠٩، ٣٠٠
الرجال	البستي	٣٦٣
من رجل	عمرو بن أوس	٣٢٤
الحل	—	٣٢٨
في زمن	محل الرشيد بن الزبير	٣٢٨
أهلي	ابن مهادة	٣٣٢
تنبيه لي	الرشيد الفارقي	٣٥٣
فومل	امرؤ القيس	٣٥٨
مثلي	الصفدي	٣٨٧
السهول	ابن قلافس	٣٩٢
بالفضل	—	٣٣٩
في تبجيله	ظافر الحداد	١١٥
حاله	أبو تمام	٣٦٤، ٣٦٦
فعله	الصفدي	٣٢٧

١٨٨	وأصوم	عمر بن الخطاب	٢٥١	مفرما	أبو الفتح السبكي
٢١١	الحليم	قيس بن زهير	٢٦٥	أن يتكلما	—
٢٢٨	فم	عمارة اليميني	٤٠٧	صما	—
٢٣٠	كلام	ابن الخياط	٤١١	المقام	السيد الجبري
٢٣١	كلام	الشهاب محمود	٤٧	اللامعة	ابن الساعاتي
٢٣٦	إمام	صفي الدين الحلي	٤١	لنظيم	—
٢٣٦	إيلام	سيف الدين بن المشد	٤٢	قديم	—
٢٤٦	قديم	—	٤٥١٤٢	صمم	المتنبي
٢٥٣	كريم	أبو المعاهية	٦٤	يتالم	تاج الدين الكلبي
٢٥٤	انصرام	ابن الخياط الدمشقي	٦٤	أرقم	تميم بن المز
٢٨٨	مشموم	محمد بن غالب الرصافي	٦٧	الحسام	الأحوص
٢٩٨	النظام	ابن الروي	٧١	يرحم	أبو تمام
٢٩٨	ناظم	المتنبي	٧٣	سلم	علي بن الجهم
٣٠٤	مظلم	البيهقي	٧٥	وأنهم	شرف الدين
٣٤٢	سقيم	—	٧٧	نسيم	أبو المعاهية
٣٤٤	عدم	المتنبي	٧٩	الجهم	المتنبي
٣٤٥	سقم	»	٨٢	يترسم	يزيد بن معاوية
٣٥٤	إمام	شهاب الدين محمود	٨٧	عظيم	محمد بن قرطاي
٣٥٦	علم	عمارة اليميني	٩٣	الشم	أبو الفرج البيهقي
٣٨٥	والقلم	أبو تمام	١٠٤	أعظم	أبو نواس
٤٠٨	القمام	—	١٠٤	مجرم	—

(ن)		المتنبى	هـ
٣٧	لم أخذه الصفدى	النسيم	٢٧
١٢	نجافينا ابن زيدون	محتلم	٧٣
١٣	الحجينا البحتري	لم يدم	٨٣
١٣	تنادينا الصفدى	خانم	١١٧
١٥	فأمتنا ابن زيدون	المسوم	١٩٦، ١٩٥
٣٦٠	من زبانا الفرزدق	أعجم	٢٠٢
٣٧	ولنا الحريري	الخضارم	٣٧٥
٥٠	سجنا ابن سناء الملك	باسمى	٢٨٣
٥٨	آخريتنا	على علم	٢٨٣
٥٩	المنى سيف الدين الفاصري	سموم	٢٩٠
٧٤	تمنينا السراج الوراق	المتقادم	٣٣٢
٧٥	ينجليتنا	بظلم	٣٣٦
١٠٦	ماعنى أبو فراس	والرخم	٣٤٩
١١٦	أجمينا	من الخدم	٣٥٢
١٩١	عثمانا حسان	الديم	٣٥٩
٢٠٥	رضوانا عمران بن حطان	الهم	٣٦٨
٢٠١	أركاننا بكر بن حاد	القوائم	٣٩٢
٢٢١، ٢١٩	راحينا المتنبى	الدم	٤٠٩
		الحلوم	٤١٤

٤٠٨	—	اللبان	٣٤٨	زمانا	يزيد بن المهلب
٤٩	مسي	أبو الحسين الجزار	٣٢١	الوطن	—
٥٣	في بدن	عبد الرحمن وهب	٣٢٨	أعادينا	أبو فراس
٧٠	الدنان	نصر بن سيار	٣٢٤	مقيقنا	الفرزى
٧٣	أوبهجران	أبو تمام	٣٤٤	تؤذونا	—
٨١	—	أوبهجران	٣٥١	الغبنا	ابن الساعى
١٠٧	الحنان	امرؤ القيس	٣٥٣	يقطانا	المنجى
٢٠٧	الحسين	أحمد بن عيسى الهاشمى	٢٢٤	مضمونة	عمر بن الوردى
٢٠٧	الشفان	عمارة	٢٧٣	لقينة	أبو الشمقى
٢٠٩	—	بليان	٣١٠	بمحنة	—
٢١٧	—	لاتيكينى	* * *		
٢٣٠	من المذيان	ابن عطية	١٩	الزمن	ابن زيدون
٢٣٦	دينى	الصلاح الصفدى	٦٤	ظمان	ابن سبيد
٢٦٢	يمان	أمامة بنت الجلاح	٨٧	هوان	نبا زهير
٢٧٤	عبد المدان	دعبل	٩٣	إنسان	محمد بن غالب الرصافى
٣٠٢	عصيانى	ابن حيوس	٣٧٧، ٢٤٧	مرنان	ابن الرومى
٣٠٣	المعانى	صفى الدين الحلى	٢٤٧	لايطمين	الصفدى
٣١١	يانسان	أبو بكر الخوارزمى	٣٠٢	التمين	ابن حيوس
٣١٢	الفلان	الصفدى	٣٤٣	أغصان	الصفدى
٣١٢	التيجان	»	٣٦٥	مكنين	دعبل
			٣٧٧	مطون	الصفدى

٣٨٣	المتنخل	نساء
٣٧	—	مشميه
	(و)	
٢٢١	أبو تمام	عدو
	(ي)	
٢٥٦	السراج الوراق	علي
٣٧	الصفدي	لديه
٦٦	أبو الحسين الجزار	لاتخفيه
٢٥٠	الصالح بن رزيك	يدويه
٣٤٤	أبو القهامية	عليه
٣٦١	ابن القيسراني	عليه
٣٦٣	أبو تمام	مساويه
٣٩٥	الأرجاني	يلقيه
٨٧	الرشيد العراقي	أدنيها
٢٢٣	ابن القلمساني	واشيها
٢٥٨	الأرجاني	من فيها
٢٢١	المتنبي	زمانيا
٢٥٩	المباني	عبدالله بن محمد بن ورقاء

٣٢١	—	الحدثان
٣٣٠	—	أوطان
٣٣٠	أبو هلال المسكري	بمكن
٣٣٥	—	تكفي
٣٤٣	الصفدي	الميون
٣٦٤	السراج الوراق	من جفاني
٣٦٣	ابن عمار	يكفي
٣٨٧	—	بأسفاني
٣٨٧	—	أبا عثمان
٣٩٤	الأرجاني	نشوان
	(هـ)	
١١	ولادة	تيها
٤٧	الأعشى	بها
	شرف الدين شيخ	يهوaha
٣٤٤	الشيوخ	
٢٤٩	ابن المعتز	ماها
٣٦٩	ابن صردور	ضميرها
	* * *	
٥٥	أمية بن أبي الصلت	مكروه
٩٤	ابن الخياط	مقاداه

واليا	المتنبي	٢٨١	الألف المقصورة
التوافيا	ابن قلاؤس	٢٨٥	ارءوى ابن قزل ٧٤
شبابيا	صفي الدين الحلبي	٣٢٨	سري — ٢٠٩
مايبا	مرار بن هباش	٣٣١	الجوى السراج الوراق ٣٤٢
الحاشية	دعبل	٣٣	اهتمدى خالد بن الوليد ٣٥٤
الهاوية	—	٥٨	القرى ابن سناء الملك ٣٥٣
المصى	امرؤ القيس	١٠٨	ماطوى شيخ الشيوخ ٣٦٩

٤ - فهرس الأعلام

أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ٣٤	(٥)
أحمد بن حنبل ٢٧٨	إبراهيم (عليه السلام) ١٣١
أحمد بن خالد الصريفي ١٠٠	إبراهيم السراق (مولى الملب) ١٠١
أحمد بن الخطيب ٢٤٨	إبراهيم بن العباس ٨٦
أحمد بن أبي دواد ٣٦٥	إبراهيم بن علي بن تميم الحصري ١١٧
أحمد بن عبد العزيز المقدسي ٣٢٤	إبراهيم بن المدبر ٧٠
أحمد بن عبد الملك بن شهيد	إبراهيم بن المهدي ٢٤٧، ١٠٤
أبو عامر ٢١٩، ٦٤	إبراهيم بن يحيى بن زيد بن علي ٢١٢
أبو أحمد العسكري (الراوى) ٢٦١	إبرهة بن الصباح أبو بكسوم ١٣١،
أحمد بن علي بن ثابت الخطيب	٢١٩، ١٣٤
البنقادي ٥١	إبليس ١١٠ - ١١٥
أحمد بن عيسى الهاشمي ٢٠٧	أبي بن خلف الجحى ١٦٠
أحمد بن فارس ٥٠	ابن أبي = عبدالله بن أبي بن سلول
أحمد بن أبي فنن ٣٦٢	الأبيوردى ١٨
أحمد بن محمد الباخرزى ٣٧٨	الأثير بن بنان ٢٥
أحمد المازيدى أبو العباس ١٢٤	أثير بن عمر والسكوني (الطبيب)
أحمد بن المعلى الدمشقي ٣٠٧	١ : ١٩٨، ١٩٩
الأحنف بن قيس ٢٣٤، ٢٣١، ٩٤	أحمد بن جعفر (الراوى) ٢٦١

أبو إسحاق الفزى	٤٦ ٣٠
أبو إسحاق الأخرس	٦٧
أخنس بن شريق	٢٢٥، ١٤٦
إدريس بن عبد الكريم	٣٠٧
إدريس بن عبد الله بن الحسن	
العلوى	٢١٢، ٥١، ٥٠
الأرجاني	١٧٤، ٨١، ٦٠
	٣٩٥، ٣٩٤، ٣٩١، ٣٦١، ٢٥٨
أزاد مرد بن الهربد	٢٤٣
أسامة بن زيد	١٧٤، ١٦٨ -
	٢٢٠، ١٧٧
أسامة بن مقلد (مؤيد الدولة)	٨٨
أبو إسحاق (الراوى)	٢١٧، ١٧٢
إسحاق بن إبراهيم الموصلى	١٠٣
إسحاق بن أبي ربيع	٣٦٦
إسحق بن سليمان الإسرائيلي	
(الطبيب)	٤٨
أبو إسحاق الصابى	٢٧٧، ٧٧
إسحق بن عبد الله الأندلسى	٢٠
إسحاق بن عيسى (الراوى)	١٩٤
أبو إسحاق الفزى	٤٦ ٣٠
٦٨، ١٣٠، ٢٦٩، ٢٩٣،	
٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٢٦،	
٣٣٤، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٨٢،	
أسماء بنت أبى بكر	٢١٧
أسماء بنت عمرو بن عدى	١٤٢
إسماعيل (عليه السلام)	٢١٣
إسماعيل بن المعتضد	٢٠
إسماعيل بن المنصور	
ابن القاسم (صاحب إفريقية)	٤٨
أبو الأسود الدؤلى	٣١٥، ٢٠٦
الأسود بن عبد الأسد	١٤٩
الأسود بن عبد يفرث	٢٢٥
الأسود بن قنان	٢٦١
الأشتر بن الحارث النخعى	١٨٩
الأشرف (الملك) =	
خليل بن منصور	٢٧٧
ابن الأشعث بن قيس	٢٩٣
أصحمة النجاشى (ملك اليمن)	١٣١
أصرم بن حميد	٥٤

أنس بن مالك ٢٥٤ ، ٢٤٣
 أوس بن حجر ٢٢٢
 أم أوفى ٣٤٩
 إياس بن معاوية ١٧٧
 أيمن بن خريم ١٩٣
 أيوب (عليه السلام) ٥٨
 أبو أيوب الأنصاري ١٧٠
 أم أيوب ١٧٠

(ب)

ابن بابك = عبد الصمد
 البخارزي (صاحب الدمية)
 ٣١ ، ٣٧ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ١٨٤ ،
 ٢٥٢
 البخترى ١٣
 ١٧ ، ٥٢ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،
 ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٢٠٢ ، ٢٧١ ،
 ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨
 البخاري (صاحب الصحيح) ٢٢٥
 ٢٤٣
 أبو البخترى ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٥١

الأصمى ٢٧٤ ، ٢٠٤
 ابن الأعرابي ٢٠٤
 الأعشى (ميمون بن قيس)
 ٤٧ ، ٢٩٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤١
 الأعشى ٣٠٧
 الأعمور المجلى ٨٣
 ابن الأنطس ٢٠
 الأفضين ٣٩٥
 الأفضل = علي بن
 السلطان صلاح الدين الأيوبي
 الأفضل = نور الدين علي
 ابن صلاح الدين الأيوبي
 الأقرع بن حابس ٨٠
 ألبا أرسلان (السلطان) ٥٢
 أمانة بنت الجلاح السكلاية ٢٦٢
 امرؤ القيس بن حجر ١٠٧ ، ٨٣
 ١٠٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،
 ٢٧٣ ، ٣٥٨
 أمية بن خلف الجحى ١٤٤ ، ١٤٦
 أمية بن الصلت المغربي ٥٥
 أمية بن أبي الصلت () ١٥٥
 أمين الدولة بن جهمير ٢٣٤

ابن غالب بن زيدون ٦ - ٢١ ،

٢٣٧ ، ٢٣٩

أبو بكر الإسفراييني ١٨٤

أبو بكر الباقلائي ١٧٣ ، ١٧٤

بكر بن حاد ١٩٨ ، ٢٠١

أبو بكر بن حمزة ١٨

أبو بكر الخوارزمي ٦٥ ، ٢١٢ ،

٢٥٣ ، ٣١١

أبو بكر بن داسة ٣٤

أبو بكر بن سعيد بن القبطرية ٢١٨ ،

٣٢٧ .

أبو بكر الصديق ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ،

١٦١ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ،

١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،

١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ،

٢٤٩ ، ٢٥٦ ، ٣٥٤

أبو بكر بن عمار = ابن عمار

أبو بكر بن القاسم السلمي ١٨٣

أبو بكر بن مسلم ٦

بكر بن النطاح ٥٥

البراء بن عازب ١٦١

أبو البركات = محمد بن أحمد المنقري

بريدة بن الحبيب الأسلمي ١٧٥ ،

١٧٦ .

بريرة (الصحابية) ٣٥٩

بزرجمهر ٣٣

ابن بسام (صاحب الذخيرة) ٦ ،

١٤١ ، ٢١

بسبس بن عمرو ١٤٥

بشار بن برد ٥٦ ، ١١١ ، ٢٧٣ ،

٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥

بشر بن المفضل ٣٤

ابن بشكوال (صاحب الصلة) ٢١

أبو بصرة (الراوي) ٣٤

البعيث ٣٨ ، ٢٧٣

أبو بكر المعروف بالملك العادل

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٥٣

أبو بكر بن أحمد بن سعيد الطائي

٢٥١ ، ٢٥٢

أبو بكر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد

٣٩٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٥ ، ٣٩٠ ،

٣٩٢ ، ٣٩٦

تميم بن المعز ٦٤ ، ٨٥ ، ٢٢٩ ،

٢٩٧ ، ٣٧٥

أبو تيممة الراوى ٣٨٧

تنكرز = سيف الدين تنكرز

التهامى ٧٨

ابن تيمية = تقي الدين

(ث)

ثابت البغاني ١١٤ ، ٢٥٤

نور بن شحنة الصنبري (مجير الطير)

٢٦٣

(ج)

جابر بن عبد الله الأنصارى ٣٦٦

الجاحظ (عمرو بن بحر) ٩٤ ، ٣٦١

جبله بن الأيهم ٤٠٧

جبير بن مطعم ١٥٨

جحظة ٥٩

جرير بن عبد الله (الراوى) ١٤٣

الجزار = أبو الحسين

بلال بن أبي بردة ٧٦

بندار = سيف الدين بندار

البهاء زهير ٣١ ، ٨٧ ، ٢٣٥ ،

٣١٨ ، ٣٥٣

بهرام شاه بن فرخشاه ٥٣

ابن بيض ٥٦

(ت)

تاج الدين الكلبي (الأمير) ٦٤

سميط ابن التماويذى

(محمد بن عبيد الله) ٢٦٧ ،

٣٩٢ ، ٣٩٣

تقي الدين بن تيمية ١٧٤

الأمير تسكين ٩٤

ابن التلمسانى ٢٢٣

أبو تمام (حبيب بن أوس) ٣٠ ،

٥٩ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ،

٧٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٠ ، ٢٠٨ ،

٢٢١ ، ٢٣٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥ ،

٢٨٧ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،

٣٠٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،

٣٢٨ ، ٣٣٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ،

جعفر المتوكل = المتوكل
(الخليفة)

جعفر بن سليمان ١٢٨

جعفر بن شمس الخلافة (شمس الدين)

٧٥

جعفر بن أبي طالب ١٧٧ ، ٢٠٤

جعفر بن الفرز العابد ٣٧٨

جعفر بن مخارق ٣٠٧

جعفران الموسوس ٢٥١

جمال الدين بن الحاجب ٩٨

جفان (صاحبة أبي نواس) ٣٨٨

جندب بن عبد الله ٣٠٧

أبو جهل بن هشام ١٣٦ ، ١٣٨ ،

١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢

ابن جمهور ٣ ، ٦ ، ١٦ ، ٢١ ، ٤١

ابن الجوزي ٢٠٧

(ح)

حاتم الطائي ٢٧٤ ، ٣٢٦

حابس (أبو الأفرع بن حابس) ٩٧

الحادرة ٢٩٢

أبو الحارث ٢٢٤

الحارث بن جبلة ٢٩٥

» بن أبي شمر ٢٥٩ ، ٣٣٣

» بن الصمة ١٦٠

حارثة بن سراقه ١٥٠

حارثة بن مرة (مجير الجراد) ٢٦٣

الحاكم بأمر الله ٦٧

الحاكم بن قنبر ٣٦٢

الحباب بن المنذر بن الجوح ١٤٧ ،

١٨٠ .

حبيب (الراوى) ٢٠٩

حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ٢٦٠

ابن حجاج (الشاعر) ٨٤ ، ٢٧٤ ، ٣٦٢

الحجاج بن يوسف الثقفي ٥٢ ، ٩٦ ،

١١٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،

٢٢٠ ، ٢٤٣ ، ٢٦٥ ، ٣٤٤ ،

٣٧٨ .

حجر بن عمرو (أبو امرئ القيس)

٨٣ .

حجر بن شراحبيل ١٣١

حذيفة بن اليمان ١٥١

الحارث بن يزيد التميمي ٤٠١
الحارثي (صاحب المقامات) ٣٧ ،
٢٢٣ .
حزام ٧
أبو الحزم بن جمهور = ابن جمهور
الحزين = عمرو بن عبيد
حسان بن ثابت الأنصاري ٣٥ ،
١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٩١ ،
١٩٤ .
حسان بن المصيصي الشبلي ٢٩٠
أبو الحسن البرمكي ٢٦١
الحسن البصري ٣٠٤
الحسن بن رشيقي ١١٧
حسن بن شاور ناصر الدين المعروف
بابن النقيب ٤٠٤
الحسن بن علي بن أبي طالب ٦١ ،
٦٢ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٢ ،
أحسن بن القاسم الداعي ٢١٢
الحسن بن قحطبة ٢٤١
الحسن بن منصور أبو غالب (الوزير)
٩٥ ، ٩٤

الحسن بن هاني = أبو نواس
الحسين بن إبراهيم السكاتب ٣٦٨
الحسين بن إسماعيل المصفي ٢١٣
أبو الحسين الجزار ٤٩ ، ٦٤ ، ٦٦ ،
١٧٢ ، ٢٠٧ ، ٢٤١ ، ٢٨٥ ،
٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٩٧
الحسين بن حمدان أبو العشائر ٨٨
الحسين الخليلي = الحسين بن الضحاك
أبو الحسين بن سراج (الوزير) ٢١٨
الحسين بن الضحاك ٣٠٥ ، ٣٤٧ ،
٣٥٦ .
الحسين بن علي بن أبي طالب ٢٠٠ ،
٢٠٣ - ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٤٧ ،
٤٠٠ ، ٤٠١ .
الحسين بن علي بن محمد المعروف
بابن قم ٣٩٦
الحصري = علي بن إبراهيم بن علي
ابن تميم
حصن بن حذيفة بن بدر ٩٧
ابن الحصيب = بريدة
الحصين بن الحام المري ١٤١ ، ٥٠٢ ،
٢١٤ ، ٢١٥ ، ٤١١

ابن حيوس أبو الفتيان ٤٧ ،
 ٦٩ ، ٨٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
 ٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ ،
 ٣٩٨ .

(خ)

خارجة (أحد الخوارج الثلاثة)
 ٢٠٠ ، ٢٠٢ .

ابن خاقان ٦

خالد بن برمك ٣٤٧

خالد بن سفان ١٣٤

خالد بن صفوان ٧٦ ، ٨١ ، ٣١٦

خالد بن طليق (قاضي البصرة) ١٨

خالد بن يزيد الشيباني ٣٦٨

خالد بن المهاجر ١٠٩

خالد بن الوليد ١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،

٢٢٠ ، ٣٥٤

خالد بن يزيد بن معاوية ١٥٤ ،

١٥٥ .

الخباب (من ثمود) ١٢٥

أبو خبيب = عبدالله بن الزبير

خديجة بنت خويلد ١٣٦

الخطيئة ٣٥١

الخطيري الوراق ٢٤٧

أبو حفص بن برد الكاتب ١٩ ،
 ٣٠١ .

الحكم بن موسى ٣٠٧

أبو الحكم بن هشام ١٣٧

حكيم بن جبلة ١٨٩

حكيم بن حزام ١٣٦ ، ١٤٦ ،
 ١٤٧ ، ١٤٨

حليمة بنت الحارث بن أبي شمر
 (صاحبة المثل) ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٦ .

الحليمي (صاحب المنهاج) ٣٥

حماد بن سلامة ٢٥٤

حماد عجرد ٢٧٣

حمزة بن عبد المطلب ١٣٥ ، ١٤٩ ،
 ١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦١ - ١٦٣

حملة بنت جحش ١٧٠

حميد الطوسي ٢٤١

الحنفية (أم محمد بن الحنفية) ١٨٢

أبو داف العجلي ٣٣٠، ٣٦٥، ٣٦٤

ابن أبي دواد ٧٩، ٢٢٧

(ذ)

الذهبي = محمد بن أحمد

ذو النون المصري ٢٤١

ذؤاب بن عمرو (بن نمود) ١٢٥

أبو ذؤيب الهذلي ٦١، ٦٣

ذو اليمينين ٥٧

(ر)

رأس الجالوت ٢٠٦

الريمع بن زياد العبسي ١٠٩

رجاء بن هارون العكي ٣٢٩

رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز

الحنبلي ٢٠٨

الرسعوى = محمد بن محمد الرسعوى

الرشيد = هارون

الرشيد بن الزبير القاضي ٣٢٨

الرشيد الفارق ٣٥٣، ٣٨١

الرشيد = محفوظ العراقي ٥٧

الخطابي (صاحب كتاب غريب

الحديث) ٤٠٠

ابن خفاجة ٧٣

الخلنجي القاضي (عبد الله بن محمد) ٢٢٦

الخليل بن أحمد ٢٥٣

خليل بن المنصور قلاوون الملك

الأشرف ٥٣، ٢٧٧

الخنساء ٣٢

خولى بن يزيد الأصبجي ٢٠٦

ابن الخياط الدمشقي (الشاعر) ٧٤،

٧٦، ٩٢، ٢٣٠، ٢٥٤، ٢٦٩، ٣١٠

ابن الخيمى ٢٦٧

(د)

داود (عليه السلام) ١٢٢، ٢٠٦

أبو داود (صاحب السنن) ٣٤، ١٧٦

أبودجانة الأنصارى ١٥٩

ابن دراج القسطلي ٢٩٣

دعبل بن علي الخزاعي ٣٣، ٢٤٨،

٢٧٤، ٣٦٠، ٣٦٤

ابن دقيق العيد ١٣٠

طبع خطأ في هذا الرقم « دداد ».

أبو رقية (تميم بن أويس الداري)

٢٤٣

الرواح بن ميادة ٣٨٣، ٣٣٢

رؤية ٤٦

روح بن زنياع ٢١٠

أبو روح = ظفر الهروي

رومان بن سرحان ١٩٠

أبْن الرومي ٥٨، ٦٣، ١٢٤، ٢٩٨،

٣٧٧، ٣٢٨

الرياشي (الراوي) ٣٠٦

(ز)

الزرقان بن بدر ٢٨٣

ابن الزبير = عبد الله

الزبير (بن بكار) ٢٠٦

الزبير بن العوام ١٤٥، ١٦٠، ١٧٩،

٢٠٠، ١٨٧

ابن الرقاق الأندلسي ١٢٤، ٣٩٤

الزنجشري ٣٨٣

زمنة بن الأسود بن عبد المطلب

١٤٦٠، ١٣٨

ابن زنجويه ١٨٢

زهير بن أمية بن المغيرة ١٣٧، ١٣٨،

زهير بن أبي سلمي ٩٨، ٢٩٣،

٣٤٩

زهير بن صرد الجشمي ٣٣٣

ابن الزيات = محمد بن عبد الملك

ابن زياد = عبيد الله بن زياد

زياد بن أبيه ٩٤

زياد الأعجم ٢٦٠، ٢٦١

زياد بن السكن ١٥٩

الزيادي (الراوي) ٩٩

زيد بن ثابت ١٧٤، ١٩١

زيد بن حارثة ١٧٦، ١٧٧

زياد الكاتب ٣٦٠

زيد بن أرقم ٢٠٤

زيد بن علي ٢١٢

ابن زيدون = أبو بكر بن أحمد بن

عبد الله بن أحمد بن غالب

زين الدين بن الوردى ١٨٥، ٢٢٤

زينب بنت جحش ١٦٨

(س)

أبو الساج ٢١٢

سعيد بن يزيد ٣٤
 سيار سيف الدين (الأمير) ٢٣٥
 سلامة (الجارية) ٣٦٧
 السلمي ١٠٥
 سلم الخاسر ٥٦
 أبو سلمة ٢٧٢
 سليمان بن زبر ٢٥١
 سليمان بن وهب (الوزير) ١٠٠
 سليمان بن عبد الله بن طاهر ٢٣٩
 سليمان بن عبد الملك ٢٠٥، ١١٩
 سفیان الثوري ٢٧٨
 أبو سفیان بن حرب ١٥٤، ١٥٤،
 ١٥٥، ١٥٦، ١٦١، ٢٣٧، ٢٦٠
 سفیان بن أبي العرجاء ١٨٦
 ابن سكرة الهاشمي ٢٤٨
 سكين بن عبد المزيز ١٩٨
 السماك بن حرب (الراوى) ١٠٨
 أبو السمط = مروان بن أبي الجنوب
 أم سليم (امراة أبي طلحة
 الأنصاري) ٦٠
 السموهلي بن عادية ٢٥٩

ابن الساعاتي ٣٩، ٤٥، ٤٧، ٦٩،
 ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٨٠، ٣٩٠،
 ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥
 سالم بن حامد ٥٢
 السامري ١٢٢، ١٢٢
 سدوس بن عيسى ١٨٩
 السراج الوراق ٨٣، ٢٠٨، ٢٢١،
 ٢٢٩، ٢٥٦، ٣٤٢، ٣٥٨، ٣٦٤
 أبو سرح ٢٣٠
 ابن أبي سرح ١٩٠
 ابن سعد (صاحب الطبقات) ٢٠٥
 سعد بن زيد الصعالي ١٧٥
 سعد بن عباد الأنصاري ١٨٠
 سعد بن معاذ الأنصاري ١٤٥
 سعد بن أبي وقاص ١٤٥، ١٥٩
 سعيد بن جبير ٢٠٠
 أبو سعيد الخدري ١٣٢، ١٥٩
 أبو سعيد الرستمي = محمد بن محمد
 الرستمي
 سعيد بن السماك (الراوى) ١٠٨
 سعيد بن عمرو بن نقييل ١٧٨

(ش)

شأس بن نهار العبدي المعروف

بالمزق ٢٧٦ ، ٢٧٥

شافع بن علي ، ناصر الدين ٤٣

الإمام الشافعي ١٠٤ ، ٣٧١ ، ٣٠٨ ،

٣٧٢

ابن شبرمة ٧٦ ، ٣١٣

ابن الشبل البغدادي ١١٥ ، ٣٠٠

أبو شجاع السلجوقي ٥٢

أبو شجرة السلمي ١٨٥ ، ١٨٧

شديد الملك بن منقذ ٢٨٤

شرف الدين بن شيخ الشيوخ

= عبد العزيز الأنصاري

شرف الدين عنين = ابن عنين

شرف الدين المبارك = المبارك

مستوفى لإربل

الشريف الرضي ٤٩ ، ٢٩٣ ، ٣١٤

٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤٤

ابن سقاء الملك ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٦٩ ،

٣٠٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٣ ، ٣٥٥

سنان بن أنس ٤١١

سنان بن أبي أنس الفخمي ٢٠٦

سهيل بن عمرو ١٤٦

السميلي (عبد الرحمن) ٣٤ ، ٣٥

سودان بن حمران (قاتل عثمان) ١٩٠

سوار بن كعب ١٧٨

السيد الحميري ٤١١

ابن سيد الناس = محمد بن محمد

سيف بلبان الطباخي (نائب

حلب) ٢٧٧

سيف الدين السامري ٥٩

سيف الدين بندار (الأمير) ٥٣

سيف الدين تنكز ٥٣

سيف الدين بن المشد بن قزل = ابن قزل

سيف الدولة بن حمدان ٧٣ ، ١٢٢

٣٤٥

٩٤

جان

(ص)

الصابي = أبو إسحاق

— صالح (عليه السلام) ١٢٥ —

٤٠٠، ١٢٨

٢٥٠ الصالح بن رزيك

٢٨٣ صالح بن صالح الشنتريني

٣٧٨ صالح بن عبد القدوس

٣٢ صخر (أخو الخنساء)

٣٦٩، ١١٧، ٣٠ ابن صردر

١٧٢، ١٧١، ١٦٦ صفوان بن المعطل

٢٣٦، ١٨٣، ١٣ صفى الدين الحلى

٢٤٧، ٢٤٩، ٣٠٣، ٣٢٨

٣٩٧، ٣٣٨

٢٩٦ صفية بنت حي بن الأخطب

٣٥٣، ٣٩ صلاح الدين الأيوبي

٣٨١

٨٩ ابن صمادح

صفاجة الدوح = محمد بن العاسم

٤٠ الصنوبري (أبو بكر)

الشريف العقيلي = علي بن الحسين

العقيلي

٢٣٩

الشعبي

٥١

للشماخ بن ضرار

٢٠٤، ٢٠٣ شمر بن ذى الجوشن

٢٩٥ شمر بن عمرو الفسائي

٣٦٨، ٢٧٣ أبو الشمقمق

٣٥٣ شمس الخلافة

شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة =

جعفر بن شمس الخلافة

شمس الدين الذهبي = محمد بن أحمد

٢٧٧ شمس الدين بن الساعوس

شمس الدين محمد بن العفيف =

محمد بن العفيف

٦٩

شهاب الدين الخيمى

٢٥٥، ٢٣١ شهاب الدين محمود

٣٥٤، ٣٤٦

٣٠٧ شهر يار بن شيرويه الحافظ

١٤٩، ١٤٦ شيمية بن ربيعة

شيخ الشيوخ = عبيد العزيز

الأنصارى

المصولى ٣٨

(ض)

ضرار بن الخطاب ١٥٤

ضمضم بن عمرو الففارى ١٤٤

(ط)

طالوت ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢١٩

طاهر بن الحسين ٣٦٨

طاهر بن النقيه ٣٦

طالب بن أبى طالب ١٤٦

أبو طالب بن عبدالمطلب ٣٦ ، ١٣٥ ،

١٤٠ ، ١٣٩

ابن طباطبا ٨٤

الطبرانى ٣٠٧

طميمة بن عدى ١٤٦

الطفرانى ٢٧٠

أبو طلحة الأنصارى ٦٠ ، ٦١

طلحة بن عبيد الله ١٥٩ ، ١٦٠

طلائع بن رزيك ٧٨

أبو الطيب = القنبي

(ظ)

ابن ظافر الأزدي = هلى بن ظافر

ظافر الحداد ٧٨ ، ١١٩

ظفر الهروى أبو روح ٣١٤

(ع)

عائكة بنت زيد بن عمرو

ابن نوفل ١٨٩

عائكة بنت عبد المطلب ١٣٧

الملك العادل = أبو بكر الأيوبي

ابن عامر ١٩٠

أبو عامر (أحمد القرشيين فى يوم أحد) ١٥٩

عامر الحضرمى ١٤٩

أبو عامر بن شهيد = أحمد بن

عبد الملك

عامر بن الطفيل ٣٤

أبو عامر بن عبدوس ١٠ ، ١٢٠

العائذ = عبد الله بن الزبير

ابن عائشة ٣١٣

عائشة بنت الصديق ٩٠ ، ١٣٤ ،

١٦٥ — ١٧٤ ، ٢٠٠ ، ٢٢٠

عباد (عمدوح ابن زيدون) ١٥

أبو عباد (وزير المأمون) ٩٤

- ١٧٧ عبد الله بن رواحة
 ٢١٣، ١٦٢ عبد الله بن الزبير
 عبد الله بن الزبير ٦٩، ١٨٧، ١٩١،
 ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣ -
 ٢٢٠، ٢١٧
 ١٩١ عبد الله بن سلام
 ١٥٩ عبد الله بن شهاب الزهري
 عبد الله بن طاهر ٩١، ٣٧٠، ٣٧١
 عبد الله بن العباس ١٣٣، ٢١٧،
 ٢٢٥، ٢٥٩
 عبد الله بن عبيد الله بن أبي
 عبد الله بن عمر ١٨٨، ١٩١، ١٩٢،
 ٢١٥
 عبد الله بن عمرو بن حزام ١٥٧
 عبد الله بن أبي عيينه = عبد الله
 بن محمد بن أبي عيينه
 عبد الله بن الفضيل = عبد الله بن
 حنظلة
 عبد الله بن محمد الخفاجي ٥٥، ٦٨،
 ٢٠٦، ٢٢٢، ٣٠٠، ٣٥٣
 ٣٩٤، ٣٥٩

- ٢١ ابن عباد
 ٢٧٦ عباد بن شاس
 ابن عباد = عبد الله
 العباس بن الأخنف ١٠٦، ١١٠،
 ٢٤١، ٣٠٥، ٣٠٦
 ٣٩٧ أبو العباس السفاح
 العباس بن عبد المطلب ١٤٢، ١٥١
 العباس بن علي بن أبي طالب ٢٠٤
 العباس بن مرداس ٩٦
 عبد الله بن أبي بن سلول ١٥٥،
 ١٥٧، ٢٢٠
 ١٢ أبو عبد الله البطليني
 ١٤٧ عبد الله بن جبير
 ١٥٢ عبد الله بن جدهان
 ٣٧٧ عبد الله بن جعفر
 ٣١٥ عبد الله بن الحسن
 ٢٠٤ عبد الله بن الحسين بن علي
 ٣٦٤ أبو عبد الله بن حمدون
 عبد الله بن حنظلة القسيلي ٢٠٩، ٢١٠
 ٣٥٩ عبد الله بن خارجة

عبد الصمد بن بابك ٦٧ ، ٢٥٦ ،
٣٩٢ ، ٢٦٩

عبد العزيز الأنصاري شيخ الشيوخ
٣٧ ، ٣٤٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩

عبد العزيز بن عبد الملك ٢٣٢
عبد المطلب بن هاشم ١٣١ — ١٣٣
عبد الملك بن مروان ٩٦ ، ١٩٥ ،
٢١٣ ، ٢١٦ ، ٣٥٩

عبد الوهاب ، ابن بنت الأعز ٣٧٥
ابن عبد ياليل ٩٠
ابن عبدوس = أبو عامر

ابن عبدوس ١٩٥ ، ٢٠٢
أبو عبيد البكري ٥٦
أبو عبيدة بن الجراح ١٥٩ ، ١٧٥ ،
١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١

عبيدة بن الحارث ١٤٩ ، ١٥٤
أبو عبيدة معمر بن النفي ١٠٩ ،
٣١٣ ، ٣٣٧

عقاب بن أسيد ١٧٧
أبو العتاهية ٤٩ ، ٧٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٩ ،
٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣٤٤ ، ٣٧٣

عبد الله بن محمد بن أبي عبيدة ٥٧ ،
٢٧١

عبد الله بن محمد بن ورقاء الشيباني
٢٥٩

عبد الله بن مسعود ١٥٢ ، ٣٢٠
عبد الله بن مسلم بن عقيل ٢٠٤
عبد الله بن المعتز ٤٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ،
٢٧٣ ، ٣٦٣ ، ٣٧٨

عبد الله بن وهب الراسبي ٤١١
عبد الله بن يزيد ٣٧٢

ابن عبد البر ١٧٣ ، ١٨٨ ، ١٩٠
عبد الجبار بن جهمير ٣٧٩

عبد الرحمن بن عوف ١٧٨ ، ١٨٨
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ٢٦٤
عبد الرحمن بن مسلم بن عقيل ٢٠٤
عبد الرحمن بن الفضل (الراوي)

٢٩٥
عبد الرحمن بن ملجم ١٩٦ — ٢٠١ ،

٢٢٠
عبد الرحمن بن وهب القوصي المعروف
بالزكي ٥٣ ، ٥٤

- ٣٤٠ ، ٣٨ عدى بن الرقاع
 ١٤٥ عدى بن أبي الزغباء
 ٥٦ ، ٤٦ عدلى بن زيد
 ٢٤٥ عروة بن حزام
 ٢١٦ عروة بن الزبير
 ٢٢٧ ، ٢٢٦ عزة (صاحبة كثير)
 العزيز الخليفة الأيوبي = عمان
 أبو المشائر = الحسين بن حمدان
 ٥٢ عضد الدولة
 ٢٢٥ ابن عطية (الشاعر)
 ١٤٤ عقبه بن أبي معيط
 ٢٠٤ عقيل بن أبي طالب
 العقيلي الشريف = علي بن الحسين
 ١٥٧ عكرمة بن أبي جهل
 ١٨٥ علاء الدين الكايلي
 ١٨٩ علاء الدين الكندي
 أبو العلاء المعري ٣٦ ، ٤٤ ، ٧٣ ،
 ١٨٣ ، ٢٠٨ ، ٣٥٧ ، ٤٩٥ ،
 ٤٠٩ ، ٤١٠
 علاء الدين مغلطاي = مغلطاي
 ١٢٤ علاء الدين الوداعي
- ٣٧٥ العتابي
 عتبة (جارية المهدي وصاحبة أبي
 ٧٧ المقاهية)
 عتبة بن ربيعة ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،
 ١٤٩
 عتبة بن أبي سفيان ٥٥
 عتبة بن مسلم الباهلي ٣٣٩
 عتبة بن أبي وقاص ١٥٩
 ٢٢١ العتيبي
 عتيق بن محمد الوراق ٣٦٢
 عثمان العزيز (الخليفة الأيوبي) ٢٤٩
 ٣٥٣
 عثمان بن صهيب (الراوي) ١٩٧
 عثمان بن عفان ١٥٥ ، ١٨٩ ، ١٩٥ ،
 ٢٠٠ ، ٢٢٠ ، ٢٤٩
 أبو عثمان المازني ٣٢
 عثمان بن محمد بن أبي سفيان ٢٠٩
 ٩٦ المعجاج (الرازز)
 ٢٧٦ المجير السلولي
 ١٨٩ ابن عدس البلوي

علي بن سليمان السكابي ٣٧
 أبو علي بن شاذان ٣٠٧
 علي بن صلاح الدين الأيوبي (الملك
 الأفضل) ٢٤٩ ، ٢٥٠
 علي بن أبي طالب ٩٧ ، ١٠٨ ، ١٤٤ ،
 ١٤٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ،
 ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ،
 ١٩٤ ، ١٩٥ — ٢٠٢ ، ٢٢٦ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٤٠١
 علي بن ظافر الأزدي ١٤١ ، ٤٠٢
 علي بن عيسى بن ماهان ٢٤٥ ، ٣٦٨
 علي بن قزل المشد سيف الدين =
 ابن قزل
 علي بن موسى العلوي ٢١٢
 الهادي الأصفهاني (الكاظم) ٢٤٣
 عماد الدين (صاحب حماة) ٢٣
 عماد الدين بن السكري ٣٧٦
 عمار بن ياسر ٢٠٠ ، ٣٣٠
 ابن عمار الأندلسي ٩٢ ، ٣٠٨ ، ٣٦٣
 حمارة بن يزيد بن السكن ١٥٩

ابن أخت علوية المني ٢٢٦
 علي (غلام ابن زيدون) ١١
 علي بن أحمد البسامي ٢٤٨
 علي بن أحمد الجزري ٢٥٢
 علي بن أحمد الجوهري ٤٢٢
 أبو علي بن البناء البغدادي ٣٠٧
 أبو علي التتوخي القاضي ٣٦١
 علي بن جلاب ٣٤٢
 علي بن الجهم ٦٩ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ٢٧٣
 علي بن حرب الطائي ٣٧٨
 علي بن الحسين الباخري (صاحب
 الدمية) ٣١ ، ٣٧ ، ٦٧ ، ٧٠ ،
 ١٨٤ ، ٢٥٢ ، ٣٦٨
 علي بن الحسين العقيلي الشريف
 ١٠٣
 علي بن الحسين القيسماني أبو بكر ٣٢٧
 أبو علي الروذباري ٣٤
 علي بن زيد الجدةاني ٢١٧
 علي زين العابدين بن الحسين ٢٠٤
 علي بن أبي مراج ١٨٣

عمر بن الوردى = زين الدين
 عمران بن حطان ٢٠٠
 عمرو بن الأبرد ٥٧
 عمرو بن الأهمم المنقرى ٢٧٣ ، ٣٢٥
 عمرو بن أوس ٣٢٤
 عمرو بن الحضرمي ١٤٩
 عمرو بن سكن ٢٥٩
 عمرو بن العاص ٢٥١ ، ٤٠٠
 عمرو بن ود ١٤٦
 عمرو بن عبيد المعروف بالحزين ٣٤
 أبو عمر و بن العلاء ٣٥٢
 عمرو بن مسعدة ٢٥٦
 عمرو بن محمد بكرب ٣٤٧
 ابن العميد ٣١٠
 عمير بن الحمام ١٥٠
 عمير بن وهب الجمحي ١٤٨
 عنقرة المبيسي ٣١٠
 هفيزة (من ثمود) ١٢٦
 ابن عنين ٢٢١ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨
 ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٤٨
 ٣٦٠ ، ٣٦٩

عمارة النبي ٥٩ ، ١٢٠ ، ١٢٩
 ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٧٤
 ٣٠٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٩ ، ٣٨١
 ٣٨٥ ، ٣٩٧
 ابن عمر = عبد الله
 ابن أبي عمر العدني (الراوي) ١٧٦
 عمر بن الخطاب ٣٣ ، ٩٨ ، ١٣٥
 ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٥
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠
 ١٨١ ، ١٨٦ - ١٨٩ ، ٢٠٠
 ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٢٩٣
 ٣٢٠ ، ٤٠٠
 عمر بن أبي رييمة ٢٢٣
 عمر بن سعد بن أبي وقاص ٢٠٣
 ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٢٠ ، ٤٠٠
 ٤٠١
 عمر بن شاهين ٣٧٨
 عمر بن شهيد ٣٠٨
 أبو عمر بن عبد البر = ابن عبد البر
 عمر بن عبد العزيز ٢٠٥
 عمر بن علي اللغوي ٢١٢

٣٥١، ٣٢٣
 الفتح بن خازن ٢٨٦
 أبو الفتيان = ابن حموس
 فخر الدين الرازي ١١٢، ٩٨
 ٣٧١، ٢٨٨
 أبو فراس الحمداني ٦٨، ٥٩
 ١٠٦، ١٢٤، ٢٤٩، ٢٨٢، ٢٩٠
 ٣٦٢، ٣٢٨
 أبو الفرج البغفاء ٩٣
 الفرزدق ١٨٨، ٨٦، ٤٦، ٣٣
 ٣٦٠، ٢٧٥
 فرعون (صاحب موسى) ١١٩
 ٢١٩، ١٢١
 الفضل بن الربيع ١٠٣
 الفضل بن عبد الصمد الرياشي ٣١
 الفضل بن محمد القاضي أبو بشر ١١٠
 أبو الفضل الميمكالي ٣١٥
 الفضل بن يحيى ٢٦٥
 فيروز = أبو لؤلؤة الجوسي
 (ق)
 القادر بالله (الخليفة) ٢٣٣

عوف بن الحارث ١٥٠، ١٤٩
 ٣٧١، ٣٧٠
 عرف بن محلم ٣٧١، ٣٧٠
 عون بن عبد الله بن جعفر بن
 ٣٠٤
 أبي طالب
 عويمر بن ساعدة ١٧٩
 عيسى بن زيد العلوي ٢١٢
 عيسى بن مريم (عليه السلام) ١٧٤
 ١٧٩
 عيسى بن موسى العباسي ٢١٢
 عيينة بن حصن ٩٦
 (غ)
 الغزي = أبو إسحاق الغزي
 أبو غانم محمد ٣١١
 غيلان بن خرشة ٨٥
 (ف)
 فاطمة الزهراء ٢١٢، ٢٠٦، ٢٠٥
 ٢٧٨، ٢٥١
 فاطمة بنت قيس ٢٧٢
 فتح (صاحب الحظيري الوراق) ٢٤٧
 أبو الفتح البستي ٣١٣، ٣١٤

القاسم بن ثابت (صاحب الدلائل) ١٥٤
 ابن قلاقس ٢٥٠، ١٠٤، ٧٩
 ٢٨٥، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٠٣
 ٣٥٢، ٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٥
 ابن قنعة ١٥٩
 قيس بن ذريح ٣٦٠
 قيس بن زهير بن جذيمة ١٠٩
 قيس بن معدى كرب ٢٩٣
 قيس بن أبي صعصعة بن صوحان ١٤٤
 ابن القيسراني مهذب الدين ٨١
 ٣٦١، ٣٨١، ٣٨٥
 (ك)
 كثير عزة ٢٢٦، ٢٢٧
 الكسائي ٢٥٣، ٣٨٢
 كشاجم ٨١
 كعب بن مالك الأنصاري ١٥٤
 ١٦٠
 السكابي (الراوي) ١٣٥، ٣٦٣، ٣٦٨

القاسم بن ثابت (صاحب الدلائل) ١٥٤
 القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب ٢٠٤
 القاضي الفاضل ٨٢، ١٠٢، ٢٤٣
 ٢٧٦، ٣٥٣، ٣٥٥
 القاهر بالله (الخليفة) ٥٠
 القائم بأمر الله (الخليفة) ٢٢٩
 ابن القبطرية = أبو بكر بن سعيد
 قتادة بن النعمان ١٦٠، ١٧٥
 قتيبة بن مسلم ٩٨، ٢١٢، ٣٦٧
 ابن أبي قحافة = أبو بكر
 قدار (عافر ناقة صالح) ١٢٦، ١٢٩
 قراسنقر شمس الدين ٢٦٣، ٢٧٧
 قرواش = أبو المغيص
 ابن قزلباش المشد ٦٠، ٧٠، ٧٤
 ٢٣٦
 قس بن ساعدة ١٣٤
 قطام (المحرضة على قتل علي)
 ١٩٦، ١٩٧

المبارك (مستوفى أبريل) ٦٤ ، ٢٠٥ ،

٣٥٢ ، ٢٧٥

المبرد ٢٩٤ ، ٧٦

المقنبي ٨٨٠ ، ٧٣ ، ٦٦ ، ٤٢٠ ، ٤٤

٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٧٤ ، ٢٩٣ ،

٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٢٣ ،

٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣ ، ٣٨٣ ،

٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤١٢ ،

المتنخل ٣٨٣

المتوكل (الخليفة) ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٥٢ ،

٢٤٧

مجاهد (الراوى) ١٢٣

المجنون (قيس بن الخرح) ٨٦

مجير الدين بن تميم ٣٥٢

مجير الجراد = حارثة بن مرة

مجير الطير = ثور بن شحنة

محب الدين بن العجار ١١٤

محفوظ المراقى ٨٧

ابن كلس (وزير العزيز) ٦٦

كمال الدين بن المديم ٣٣٨

كمال الدين بن النبيه ٢٨٤

الكفيت ٣٤١

كفانة بن بشر التميمي ١٨٩

(ل)

لقمان ٥٧

أبو لهب ١٣٥

أبو أؤاؤة الجومى (فيروز)

١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٢٠ ،

(م)

مالك بن أنس ٣٧٢ ، ٣٧١ ، ٢١٦ ،

مالك بن خزيمة الجعفي ٣٨٠

مالك بن زغبة ٣٣٨

مالك بن سنان ١٥٩

مالك بن طوق ٧١

المامون (الخليفة العباسي) ٩٢ ، ٩١ ،

٩٤ ، ١٠٤ ، ١٧٧ ، ٢١٢ ،

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣١٥ ، ٣٥٦ ،

محمد بن النعماني شمس الدين ١١٠

محمد بن ثابت بن قيس بن شماس

٢١٠

محمد بن جرير الطبري ٣٧١

محمد بن جعفر أبو الفرج (الوزير)

٢٣٢

محمد بن حاطب ١٥١

محمد بن الحداد المغربي ٣٠٣

محمد بن حذيفة بن عتبة بن ربيعة

١٨٩

أبو محمد بن حزم ٢٠٠

محمد بن الحسن الشيباني ٣٧٤

محمد بن الحسن بن مقسم المطار ٣٠٧

محمد بن حنا الصاحب (تاج الدين)

٢٣١

محمد بن الحنفية ١٨٢، ٢٠٣، ٢٠٤

٢١٧، ٢٠٦

محمد بن خالد الصريفي ١٠٠

محمد الرصافي = محمد بن غالب الرصافي

محمد بن زيد العلوي ٢١٢

محمد (صلى الله عليه وسلم) ٣٤،

٣٥، ٦١، ٩٧، ١٣٥، ١٣٩،

١٤١ - ١٧٩، ١٩٧، ١٩٨،

٢٠٤، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٦،

٢٥١، ٢٥٤، ٢٦٦، ٣٠٧،

٣٢٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٧،

٣٥٨، ٣٧٢

محمد بن إبراهيم (والى نيسابور)

٢١٢

محمد بن أحمد الخازن أبو عبد الله

٩٣، ٣٠٠

محمد بن أحمد الخياط = ابن الخياط

محمد بن أحمد الذهبي أبو عبد الله

٢٠٢، ٢٠٥

محمد بن أحمد المنقري أبو البركات

٨٩

محمد بن الإخميمي نصير الدين ٢٥١

محمد بن أردشير ٩٤

محمد بن أسلم الأنصاري ٢١١

محمد بن أبي بكر الصديق ١٩٠

محمد بن قلاوون (الملك الناصر)

٢٦٤ ، ٢١٣ ، ٢٤٩ ، ٢٣٤ ، ٤٩

محمد بن قسم الجوزية ١٦٩

محمد بن كثير ٢١٧

أبو محمد بن مالك المقرئ ٨٩

محمد بن المثنى بن الأجدع المهندي

٢٤٤ ، ٢٤٣

محمد بن محمد بن بن سيد الناس ١٤٣ ،

٣٠١

محمد بن محمد الرستمي أبو سعيد

٢٢٨ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥ ، ٢٨٣ ،

٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥

محمد بن مفاذر ١٨

محمد بن ناجية الرصافي ٢٦١

محمد بن الوحيد ٤٣ ، ٤٤

محمد بن يحيى بن زيد ٢١٢

محمود (اسم فيل النجاشي) ١٣١

محيي الدين بن عبد الظاهر ٢٢٨ ،

٤٠٤

المدائني (الراوي) ٣١٥

مرجانة ابنة عبيد الله بن زياد ٢٠٥

محمد بن سلمة الحراي ٣٠٧

محمد بن عبد الواحد القرشي (الراوي)

٢٠٤

محمد بن شرف الدين القيرواني ٣٢٤

٣٥٦

محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

٢٠٤

محمد بن عبد الرحمن = المستكفي

محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن

المقدسي ٥٩

محمد بن عبد الملك الزيات ٣٠٩

محمد بن عبد الكريم الشهرستاني

(صاحب كتاب الملل والنحل)

١١٢ ، ١١١

محمد بن العفيف التامساني ٨٤

محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري

٢١٠

محمد بن علي الواعظ الدوري ٣٠٦

محمد بن غالب الرصافي ٣٦ ، ٢٨٨ ، ٩٣ ،

٢٩٢ ، ٣٣٢

محمد بن القاسم (صفاجة الدوح)

شاعر الحاكم ٦٧

محمد بن قرطاي الأربلي ٨٧

مسلم بن محمود الشيزري ٣٧٨
 مسلم بن الوليد ٩٢، ١٠٥
 مسلمة بن عبد الملك ٢٩٩
 مصدع بن رزج ١٢٦
 مصعب بن سميل الزهري ٣٦٧
 مصعب بن عمير بن هشام ١٤٤، ١٥٧
 ١٥٨
 مطرف بن عبدالله بن الشخير ٣٤
 المطعم بن عدى ١٣٨
 الملك المظفر (صاحب حماة) ٥٣، ٥٤
 ابن المظفر = محمد بن علي الواعظ
 معاذ بن جبل ١٠٨، ١٧٧، ١٧٨
 ٢٠٠
 معاذ بن عمرو بن الجوح ١٥٢
 معاوية بن أبي سفيان ٤٦، ٦١، ٦٢
 ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢١١
 ٢٥١، ٢٥٢، ٢٩٣
 المعتصم (الخليفة العباسي) ٢٤٧
 المعتصم بن حماد ٥٤
 المعتضد ٢٠، ٢١، ٥٠
 المعتمد بن عباد ٢١، ٩٢، ٢٣٧
 المعتمر ١٠٨
 (٣١ — تمام للتون)

مروان بن أبي الجنوب أبو السط
 ٢٧٣، ١٨٢
 مروان بن الحكم ١٩١، ٢٠٩
 ٢١٦
 مريم (عليها السلام) ١٧٤
 مزاحم بن خاقان ٢١٣
 المسترشد بالله (الخليفة) ٣٦١
 المستظهر بالله (الخليفة) ٢٣٤، ٣٣٥
 المستكفي بالله (الخليفة) ١٠
 مسدد (المحدث) ٣٤
 المسدس = لقب ابن زيدون ١١
 أم مسطح (خالة أبي بكر) ١٦٧
 مسطح بن أثانة ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢
 أبو مسهر ١٧٦
 ابن مسعود ٦٢، ٩١، ٢٢٥
 أبو مسعود الثقفي ١٣٣
 المسعودي (صاحب مروج الذهب)
 ٦٢
 المسعودي (شارح المقامات) ١٧٧
 مسلم (صاحب الصحيح) ٩١، ٢٢٥
 ٢٤٣
 مسلم بن عقبة ٢٠٩، ٢١٠

المنقصر (الخليفة) ٢٤٨
 منحا (الصائغ)
 المنذر بن ماء السماء ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٦
 المنصور (الخليفة) ٩٩
 منصور بن الحارث المروى
 ٨٥
 منصور بن عكرمة (كاتب صحيفة)
 ١٣٨
 منظور بن زبان ٣٦٠
 ابن منير الطرابلسي ٣١١
 أبو المنيع قرواش ٦٩
 مجمع (مولى عمر بن الخطاب)
 ١٥٠
 المهدي (الخليفة) ٧٧ ، ١٠٣ ، ١٧٧ ،
 ٢٣٥
 مهتدب الدين القيسراني = ابن
 القيسراني
 مهرش بن غنمة ١٢٥
 المهلب بن أبي صفرة ٢٦٠ ،
 ٢٦٢

ابن المعتزل ٤٠٧
 المعري = أبو العلاء
 معمر بن أوس البارقي ٢٦٦
 ابن المعلم ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
 ٣٣٨ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٦ ، ٣٧١ ،
 ٣٩٤ ، ٣٩٧
 معن بن أوس المزني ٨٤ ، ٢١٠
 معن بن عدى ١٧٩
 معوذ بن الحارث ١٤٩
 معوذ بن عفراء ١٥٢
 مغايطي علاء الدين ٢٣٤
 المغيرة بن حبناء ٢٢٢ ، ٣٤٧
 المغيرة بن شعبة ١٨٧ ، ١٨٨
 الفضل (الراوى) ٢٩٥
 ابن مقبل ٨٤
 المقتدر (الخليفة) ٥٠
 المقداد بن عمرو ١٤٥
 ابن المقدسي = محمد بن عبد الرحمن
 المكبر الضبي ٧٩
 ابن ماجم = عبد الرحمن
 ابن مليكة ٢١٦
 الممزق العبدى = شأس
 منبه بن الحجاج ١٤٦

الناصر = محمد بن قلاوون
 ناصر الدين بن المقدسى = محمد بن
 عبد الرحمن
 نافع بن علقمة الكفائي ٢٧٦
 نائلة بنت الفرافصة ١٩٠
 ابن نباتة الأعرور الموصلي ١١٦
 ابن نباتة السعدي ٣١٤
 نبيه بن الحجاج ١٤٦
 النجاشي ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤
 نجم الدين بن صلاح الدين ٤٧
 أبو نخيلة (الراجز) ٢٩٩
 نصر بن سيار الهرمزي ٧٠
 نصر بن قلاقس = ابن قلاقس
 النضر بن الحارث ١٤٦
 نضلة بن هاشم بن عبد مناف
 ١٣٧
 النعمان بن بشير ١٩٤
 النعمان بن المنذر ١٠٧ ،
 ٣٣٣
 ابن النقيب = ناصر لدين بن النقيب
 النوار (زوج الفرزدق) ٣٦٠

مهنأ بن عيسى ٢٦٣ ، ٢٦٤
 مهيار الديلمي ٧٢ ، ١٠٦
 مؤرج السدوسي ١٠٨
 موسى (عليه السلام) ١١٩ ، ١٢٠ -
 ١٢٢
 أبو موسى الأشعري ٣٥٨ ، ٤١١
 موسى بن جعفر بن أبي طالب ٢١٢
 موسى بن ظفر = السامري
 الموفق الحكيم المعروف بالورل ٢٠٨
 المؤمل بن أميل الحاربي ٥٥ ،
 ١٠٥
 مؤنس المظفر (أمير الجيش في عهد
 المقتدر) ٥٠
 المؤيد = محمد بن أحمد المنقري .
 ابن ميادة = الرماح
 (ن)
 المنافة الذيباني ٧٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 ٢٩٥
 ناصح الدين القاضي ٦٥
 ناصر الدين بن النقيب ٢٢٨ ، ٤٠٤

أبو نواس ٣٩ ، ٤٨ ، ٩٠٤ ، ٩١٥ ،

١١٦ ، ٢٥٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨

نوح (عليه السلام) ١١٨

نور الدين الأفضل = علي بن

صلاح الدين .

نوفل بن خوليد ١٤٦

نيار بن عياض الأنصاري ١٩٠

(هـ)

هارون الرشيد ٩٢ ، ٢١٢ ، ٢٤٥ ،

٢٤٦

هامان ١١٩ ، ١٢٠ ، ٤٠٠

أم هانئ بنت عبد المطلب ١٣٤

هبة الله بن الفضل (الطبيب) ٧٦ ،

٣٠٤

هرم بن سقان المري ٢٩٣

أبو هريرة (الضحاجي) ١٧٧ ، ١٩١

أبو هريرة (الشاعر المصري ٩٤)

ابن هشام (صاحب السيرة) ١٤٥

هشام بن عمار ٣٠٧

هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب

١٣٧

هشام بن الكلبي (الراوي) ١٠٩

أبو هلال العسكري ٨١ ، ٢٦١ ،

٣٣٠ ، ٣٣٦

أبو الهيثم (الراوي) ٢٩٦

أبو الهيثم بن التيهان ١٤٢

(و)

الوائقي (الخليفة) ٢٠٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ،

٢٤٧ ، ٣٦٥

ابن الوحيد = محمد بن الوحيد

أبو الورد البغدادي ٢٧٧

وردان بن مجالد ١٩٦

ابن الوردی = زين الدين

ولادة بنت المستكفي ١٠ ، ١١ ، ١٢ ،

١٥

الوليد بن عبد الملك ١٥٤ ، ١٥٥

الوليد بن عتبة ١٤٩

الوليد بن المغيرة ٢٢٥

(ي)

ياقوت الحموي ١٩٥

يحيى بن أكرم ١٧٧

يعقوب بن السكيت ٢٤٨	يحيى بن نقي ٢٨٩
يعقوب بن الليث ٢١٢	يحيى بن زيد بن الحسن بن علي ٢١٢
ابن يغمور ٢٤١	يحيى بن عبدالله الملوى ٢١٢
أبو يكسوم = أبرهة	يحيى بن عمر الزيدى ٢١٣
يوسف بن تاشفين ٢١	يزيد حوراء ٧٧
يوسف الخوارزمي ٥٢، ٥٣	يزيد بن أبي سفينان ٢٢٠
يوسف بن علي ٥٠	يزيد بن عبد الملك ٣٩٧
يونس بن حبيب ٢٧٣	يزيد بن معاوية ٨٢، ٢٠٣، ٢٠٤،
يونس بن يحيى البضادي ٢٧٨	٢٠٩، ٢٧٣
يونس بن يزيد بن الزهري (الراوى) ١٨١	يزيد بن المهلب ٢٤٨، ٢٧٨، ٣٣٩

(ح)	(١)
بنو حزم ١٩٠	بنو أبان بن درام ٢٠٦
حمير ٢٠٦، ٢١٢	الأدارسة ٥١
بنو حنيفة ١٨٥، ٢٧٦، ٢٩٥	بنو أسد ٧٦، ٨٣
(خ)	بنو إسرائيل ١٢١، ١٢٢، ٢١٩
الخزرج ١٤١، ١٤٣	أشعر ٢١١
الخوارج ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٠، ٣٤٤	بنو أمية ١٧٧، ٢١٠، ٢٣٢
(ر)	الأنصار ١٤١، ١٤٥، ١٤٩، ٢٦٢
ربيعة ٣٦٨	١٦٩، ١٨٠، ١٨١، ١٩٢، ٤٠٠
الروافض ٢٠٠، ٢٥١	الأوس ١٥٣
الروم ١٢٤، ١٧٤	(ب)
(ز)	آل أبي بكر ١٦٩
بنو زهرة ١٤٦، ١٥٤	(ت)
(س)	تنوخ ٢٠٨، ٣٧٠
آل ساسان ٢١٢	(ث)
بنو ساعدة ١٥١	ثمود ١٢٥ - ١٤٨، ٢١١، ٢١٩
السكون ٢١٢	(ج)
	بنو جمور ١٧

بنو سلمة ١٥٠، ١٥٤

بنو سليم ١٨٦

(ش)

بنو شمجى ١٠٧

بنو شيمية ٢١٥

بنو شيبان ٢٥٩، ٢٦١

الشيعة ٢١٢

(ض)

بنو ضبة ٤١١

(ط)

الطالبون ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩

الطوائف ٦

طيء ٩٩، ٢٠٠

(ع)

عاد ١٢٥، ٢١١

بنو عامر ٣٤

بنو عبد المدن ٤٠٧

بنو عبد الدار ١٥٧

بنو عبد المطلب ١٣٥، ٣٣٣

بنو عبد مناف ٢١٩

بنو عدى بن النجار ١٥٠

عك ٢١١

العلويون = الطالبيون

بنو عمرو بن عوف ١٥٧

عنزة ٢٧٤

(ف)

الفرنج ٤٩

(ق)

قريش ١٣١، ١٣٥ - ١٣٩، ١٤٤ -

١٤٧، ١٥١، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٠،

١٦١، ١٨٤، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٩،

٣٣٣

بنو قريظة ١٦٤، ١٦٥، ٢٢٠،

٤٠٠

بنو القين ٣٨٠

(ك)

بنو كعب ٦٦، ١٣٥

كلب ٢١٢، ٢٦١

كمانة ١٣١، ١٥٦، ١٩١

كندة ٢٥١

(ل)

لؤى بن كعب ١٣٥

(م)

بنو مازن بن النجار ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٤

بنو المصطلق ١٦٥

المنزلة ٣٢

(ن)

بنو نهبان ٤٠٧

بنو النجار ١٦٣

النصارى ١٧٣

النصيرية ٢٠٠

بنو نمير ٣٦٦

(أ)

بنو هاشم ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥١ ،

٢١٩

(ى)

اليمانية ٢٥١ ، ٣٦٥

يود ١٤١ ، ٢٠٦

بركة الحبش ٩٤	(د)
البصرة ١٨ ، ٢٢ ، ١٧٧ ، ١٨٩	أبني ١٧٧ ، ١٧٩
بطن عارم ٢١٧	أحد ١٥٥ - ١٦٣ ، ٢٢٠
بعلبك ٥٣	الأخشيان ٩١
بغداد ١٧٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٣٤٩	ألبيرة ٢١ ، ٢١٠
البيقاع ١٩٣	الأردن ١٢٩ ، ٢١٥
البلقاء ١٧٧	أسود (اسم جبل) ١٤٠
البيت الحرام ٢١٣ ، ٢١٧	إشبيلية ٦ ، ١١ ، ٢١
البيت المقدس ٢٢٩	أفريقية ٤٨
(ت)	الأهواز ٢٣٢
تهامة ١٥٦	الأندلس ٦ ، ٢١٢
(ث)	أيلة ١٢٢
الثنية ٢١٦ ، ٣١٣	(ب)
(ج)	باجري ١٢١
الجرف ١٧٥	باخرز ٢٥٢
الجمراة ١٧٥	بدر ١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٦٧ ،
	١٧٩
	نوك النماذ ١٤٥

(ح)

الحبشة ١٥٨

الحجاز ١٢٥، ١٤٤، ٢٠٩، ٢١١،

٢١٢، ٢١٣

الحجر الأسود ٢١٤

الحجر ٢١٧

الحجون ١٣٨، ١٣٩

حراء ١٥٣

الحرة ٢٠٨، ٢٠٩، ٣١٠، ٢١١،

٢٢٠

الحرم المكي ١٣١ الحرم النبوي ٦٦،

١٣١ حاب ٢٥٧

حاة ١٣، ٥٣، ٥٤، ٣٤٤

حصص ١٩٤، ٢١٥، ٢٥٢

حنين ١٥١، ٣٣٣

حومانة الدراج ٣٤٩

الحيرة ٥٥

(خ)

خراسان ٩٨، ٢١٣، ٢٦٠، ٣٣٩،

٣٦٧، ٣٧٠

الخيف ٢١٧

(د)

دار بني حزم الأنصاري ١٩٠

دار صفية بنت حي بن الأخطيب

٢١٦ دمشق ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٦،

٢٣٢، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٧٧

(ذ)

ذفران ١٤٥

(ر)

الري ٣٧٠

(ز)

الزهراء ١٥

الزيتية ٥٩

(س)

ساضرا ٢١٢

سرف ١٦١

السقيفة ٢١٢

(غ)	سكة المطارين بالبصرة ٣٢
الفرب ٥١	سوق على بدمشق ٢٥١
غمدان ١٩٥	(ش)
(ف)	الشام ٩٩ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ،
فارس ٣٤٧	٢١٣ ، ٢٥٠ ، ٢٤٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٤ ،
فنج ٢١٢	٣٥١ ، ٣٤٦
الفرات ٢٠٦	شعب قریش ١٥٢ ، ٢٢٠
فلسطين ١٢٩ ، ١٧٦	(ص)
(ق)	الصفراء ١٤٥
القاهرة ٢٣٤	جبل / الصفا ٢١٥
جبل / أبي قبيس ٢١٣	صنعاء ١٣١ ، ١٣٣
قرطبة ٦ ، ٢١	(ط)
قرن النعالب ٩٠	الطائف ١٥٥
قليب بدر ١٥٢	طبرستان ٢١٢
القيروان ٤٨	(ع)
(ك)	المدارية ٥٩
كربلاء ٢٠٧	المراق ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤
الكرخ ٣٦١	عسقلان ١٧٧
الكمبة ١٣١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،	المقبة ١٤١ - ١٤٣ - ٤٠٠
٢١٩	
الكفاسة ٢١٢	

المنصورة ٤٨	الكوفة ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ،
مضى ٢٦٧	٢١٣ ، ٢٥١ ، ٣٤٩ .
الموصل ٣٦٨	(م)
(ن)	المنظم ٣٤٩
النهر وان ١٩٥	مذائن كسرى ٦٧
نيسابور ٢١٢	المدينة ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ،
(هـ)	١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ،
الهند ٢٥٠	٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
(و)	مرو ٣٧٠
وادي الحجارة ١٢٦	مسجد رسول الله ١٧٦
وادي القري ١٢٥ ، ٢١٠	مصر ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٨٩ ، ٢١٣ ،
(ي)	٢١٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٣٤٩
بنى = أبى	المرّة ٢٥٨
يترب ١٤٥	مكة ٩٠ ، ٢٠٣ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
الين ٨٣ ، ١٣١ ، ١٧٨ ، ٢١٣	١٤١ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ،
	١٧٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢١٣

٧ - فهرس الكتب *

- أدب الكتائب لاصولي ٣٨
 الاستيعاب لابن عبد البر ١٩٠
 الأسماء والصفات للهيمتي ٣٤
 الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢٩٠
 الدلائل لقاسم بن هبة ١٥٤
 دمية القصر للباخرزي ١٨٤ ، ٢٥٢
 الذخيرة لابن بسام ٦ ، ٢١ ، ١٤١
 سيرة ابن سيد الناس ١٤٣
 سيرة ابن هشام ١٤٥
 صحاح الجوهري ٢٧٦
 طبقات ابن سعد ٢٠٥
 غريب الحديث للخطابي ٤٠٠
 الفردوس الأعلى لشهر بار بن شيرويه الحافظ ٣٠٧
 فضل المقال لأبي عبيد البكري ٥٦
 فضائل أبي بكر لابن زنجويه ١٨٢
 القاضية للفئة الفاشمة ٣٧١
 قلائد العقيان للفتح بن خاقان ٦
 الكشف لازخشي ٣٨
 مروج الذهب للمسعودي ٦٢
 معجم البلدان لياقوت ١٩٩
 مناقب الشافعي لفخر الدين الرازي ٣٧١
 نفائس الذخيرة لابن ظافر ١٤١

- أدب الكتّاب للصولي (المطبعة السلفية ١٣٤١ هـ)
الاستيعاب لابن عبد البر (مطبعة نهضة مصر ١٣٨٠ هـ)
الإعجاز والإيجاز للشعالبي (المطبعة العمومية ١٨٧١ م)
الأعلام للزركلي (الطبعة الثانية)
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (مطبعة التقدم سنة ١٣٣٣ هـ ، ودار الكتب)
أملى القالى (مطبعة دار الكتّاب ١٣٤٤ هـ)
أملى المرتضى (عيسى الحلبي ١٤٩٠ م)
إنباه الرواة على أنباه النجاة للقفطى (طبعة دار الكتّاب)
البداية والنهاية لابن كثير (مطبعة السعادة ١٩٣٢ م)
بديع القرآن لابن أبى الإصم (طبعة مكتبة نهضة مصر)
البسامة ، وهى شرح قصيدة ابن عبدون (مطبعة السعادة ١٣٤٠ هـ)
البيان والتبيين للجاحظ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ م)
تاريخ الطبرى (دار المعارف بمصر)
تفسير الطبرى (دار المعارف بمصر)
تقريب التهذيب (مكتبة القاهرة ١٩٦٠ م)
التمثيل والمحاضرة للشعالبي (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦١ م)
حسن المحاضرة للسيوطى (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٨ م)
حماسة ابن الشجرى (حيدر آباد ١٣٤٥)

- ديوان الخفاجي (مخطوطة دار الكتب برقم ٥١٠٠ - أدب. وطبعة بيروت ١٣٠٩ هـ)
- خاص الخصاص للشمالي (مطبعة السمادة ١٣٢٦ هـ)
- خزانة الأدب للبغدادي (بولاق ١٢٩٩ هـ)
- ابن خلدون (المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ)
- دمية القصر للباخرزي (المطبعة العلمية بحلب سنة ١٩٣٠ م)
- ديوان الأراجاني (بيروت ١٣٠٧ هـ)
- ديوان أبي الأسود الدؤلي - ضمن مجموعة نفائس المخطوطات (بغداد ١٩٦٤ م)
- ديوان الإمام الشافعي (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٦ م)
- ديوان امرئ القيس (دار المعارف ١٩٥٨ م)
- ديوان أمية ابن أبي الصلت (بيروت ١٩٣٤ م)
- ديوان أوس بن حجر (بيروت ١٩٦٠ م)
- ديوان البحتري (مطبعة هندية ١٩١١ م)
- ديوان البهاء زهير (القاهرة ١٢٩٧ هـ)
- ديوان أبي تمام (بيروت ١٣٣٣ هـ)
- ديوان تميم بن المعز (مطبعة دار الكتب)
- ديوان التهامي (دمشق ١٩٦٤ م)
- ديوان حسان بن ثابت (المطبعة الرحمانية ١٩٣٩ م)
- ديوان الحسين بن الضحاک (دار الثقافة ببيروت ١٩٦٠ م)
- ديوان الحاسة بشرح التبيري (مطبعة حجازي ١٩٢٨ م)
- ديوان الحاسة بشرح المرزوقي (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٩٢ م)
- ديوان ابن حيوس (مطبعة المجمع العلمي بدمشق)

- ديوان الخنساء (المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٦ م)
- ديوان ابن الخطيب الدمشقيّ (طبعة دمشق)
- ديوان ابن درّاج القسطليّ (دمشق ١٩٦١ م)
- ديوان دعبل الخزاعيّ (بيروت ١٩٦٣)
- ديوان سبط ابن التعاويذيّ (مطبعة المقتطف ١٩٠٣)
- ديوان ابن الزقاق الأندلسيّ (دار الثقافة ببيروت ١٩٦٤ م)
- ديوان زهير بن أبي سلمى (مطبعة دار الكتب ١٣٦٣ هـ)
- ديوان ابن زيدون (مطبعة الرسالة ١٩٥٧ م)
- ديوان الشريف الرضيّ (بيروت ١٣٠٧ هـ)
- ديوان الشريف العقيليّ (مطبعة عيسى الحلبي بمصر سنة)
- ديوان أبي طالب (طنطا ١٩٥١ م)
- ديوان طرفه بن العبد (الأنجلو بمصر ١٩٥٨ م)
- ديوان العباس بن الأحنف (دار الكتب ١٩٥٤ م)
- ديوان علي بن الجهم (دمشق ١٩٤٩ م)
- ديوان عمر بن أبي ربيعة (مطبعة السعادة ١٣٧١ هـ)
- ديوان ابن عفيف (دمشق ١٣٦٥ هـ)
- ديوان الفريّ - مخطوطة دار الكتب رقم ٨٨ - أدب
- ديوان أبي فراس الحمدانيّ (المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٥٤ م)
- ديوان الفرزدق (مطبعة الصاوي ١٩٥٤ م)
- ديوان لبيد (الكويت ١٩٦٤)

- ديوان المتنبي (مصطفى الحلبي ١٩٣٦ م)
- ديوان مجنون ليلى (دار مصر للطباعة)
- ديوان مسلم بن الوليد (دار المعارف ١٩٥٧ م)
- ديوان ابن المعتز (مطبعة المحروسة ١٨٩١ م)
- ديوان معن بن أوس (مطبعة النهضة ١٩٢٧ م)
- ديوان ابن مقبل (مطبعة دمشق ١٩٦٢ م)
- ديوان مهيار (مطبعة دار الكتب)
- ديوان للناطقة الذبياني (ضمن خمسة دواوين من شعراء الجاهلية - ١٢٩٣ م)
- ديوان أبي نواس (العمومية ١٨٩٨ م)
- ديوان الهذليين (مطبعة دار الكتب)
- الذخيرة لابن بسام (مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٩٣٩ م)
- شرح العميون لشرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة (مطبعة المدني ١٩٦٤ م)
- سقط الزند (مطبعة دار الكتب)
- السلوك في دول الملوك (مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر)
- سيرة ابن هشام (مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٩٣٩ م)
- شرح نهج البلاغة (مطبعة عيسى الحلبي بمصر)
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا (مطبعة دار الكتب)
- صحيح مسلم (مطبعة عيسى الحلبي)
- طبقات الشعراء لابن سلام (دار المعارف بمصر)
- العبر للذهبي (طبع في الكويت)

- العقد لابن عبد ربه (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠ هـ)
العقد الثمين في الشعراء الستة الجاهلين (لندن ١٨٧٠ م)
عيون الأثر لابن سيد الناس (القدس ١٣٥٦ هـ)
فصل المقال (الخرطوم ١٩٥٨ م)
القاموس المحيط للفيروز آبادي (المطبعة الحسينية ١٣٣٠ هـ)
الكامل للبرد (مطبعة نهضة مصر ١٩٥٦ م)
الكشاف للزخشري (المطبعة السنية ١٣٤٣ هـ)
كشف الظنون لحاجي خليفة (الآستانه ١٩٤١ م)
الآلى على أمالي القالى لأبي عبيد البكري (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤)
لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء (مطبعة الجمالية ١٩١٥ م)
لسان العرب لابن منظور (بولاق سنة ١٣٠٠ هـ)
مجمع الأمثال للميداني (مطبعة الاستقامة ١٩٥٢)
مختارات البارودي (مطبعة الجريدة ١٣٢٧ هـ)
مروج الذهب للمسعودي (مطبعة الاستقامة ١٩٤٨ م)
مصارع المشاق (مطبعة الجوائب ١٣٠١ هـ)
معاهد الفقهيين للعباسي مطبعة السعادة (١٩٤٩)
معجم الأدباء لياقوت (دار المأمون بمصر ١٩٣٦)
معجم البلدان (مطبعة السعادة ١٩٣٦ م)
معجم الشعراء للمرزباني (مطبعة عيسى الحلبي)
المفصليات (دار المعارف سنة ١٩٥٣)
مقامات الحريري (مطبعة الحسينية ١٣٢٦ هـ)

الملل والنحل للشهرستد (مكتبة الأنجلو ١٩٥٦ م).

المؤتلف والمختلف للآمدى (مطبعة عيسى الحلبي)

الميداني = مجمع الأمثال

الوافى بالوفيات (نشرة جمعية المستشرقين الالمانية)

النهاية لابن الأثير (مطبعة عيسى الحلبي بمصر)

نهاية الأرب للنويرى (مطبعة دار الكتب)

استدراك وتعليق

صفحة	سطر	
٢٦	٢١، ٢٠	تكتب العبارة هكذا: « وما نبتئتك إلا لأنام ، وما سريت لك إلا لأحد الثرى لديك ، وإنيك متى سنيت عقد أمرى تيسر » ، وانظر الشرح صفحة ٣٥٢ ، ٣٥٥ .
٣٨	١	سقطت الواو من أول الفقرة الثالثة ، وللصواب إثباتها للمطف .
٥٢	١٨	صواب الاسم : « ألبا أرسلان محمد بن جعفر المدعو عضد الدولة أبو شعاع السلجوقي » ، وعليه يمدل ما ورد في فهرس الأعلام ص ٤٦٨ هكذا : « أبو شعاع السلجوقي = ألبا أرسلان » .
٢٠٥	١٧، ١٦	العبارة في الأصل هكذا : « لما قتل قالت مرجانة ابنة عبيد الله بن زياد: خبيث قتل بنت رسول الله ، لا يرى الجنة أبداً » .
٣٠٥	٢	البيت للحسين بن الضحاك ، وورد منسوباً إليه مع أبيات أخرى في صفحة ٣٤٧ .
٣٢		وقع سقط بعد آخر كلمة في آخر سطر من هذه الصفحة ؛ وهو : « فهو ذاو لا يثمر ، وذابل لا ينضُر ، كالوحش الثأى عن وطنه ، فهو فريسة كل سبع ، ورمية كل رام » ، قال الشاعر :

لقرب الدار في الإفتار خير من العيش الموسع في اقتراب

وقال أبو الفتح البستي :

لا يعدمُ المرءُ كَيْثًا يَسْتَسْكِنُ بِهِ

وضعةً بين أهليه وأصحابه

ومن نأى عنهم قات مهمـاجه

كاليث يحقر لما غاب عن غايه

وقال الأول

كذافي الأصل : « أحد بن التصوف الدومي » ولم أعتد

إلى معرفته .